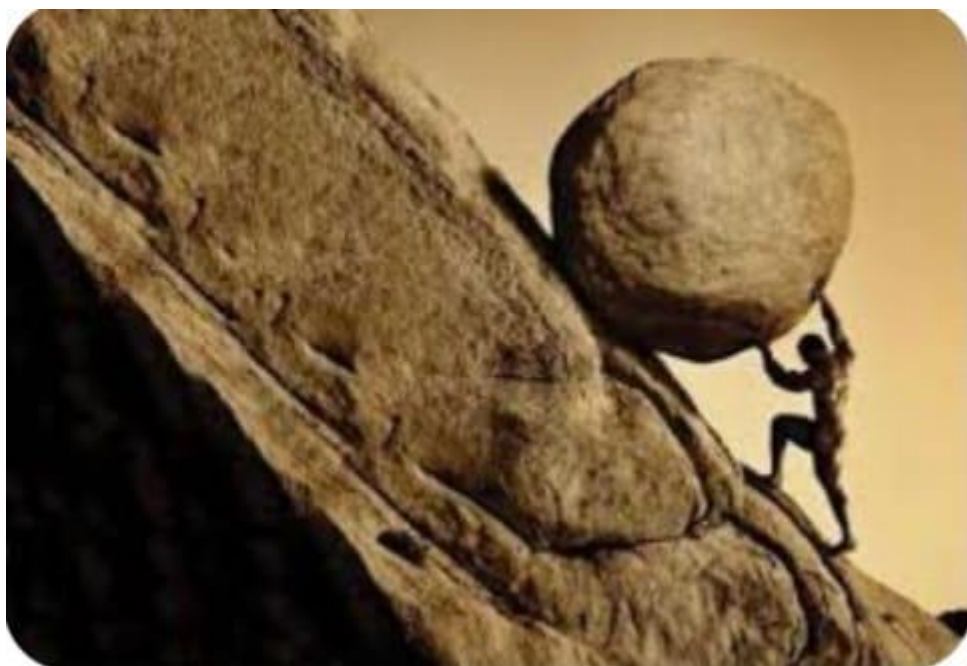

فَيْلَسُوفُ الْغَيْبِ

مُحَمَّدُ فَارُوقُ عُكَّاشَة

اسم الكتاب : فيلسوف الغبرا
اسم المؤلف : محمد فاروق عكاشة
تصميم غلاف : مي مجدي
تنسيق : جنى فضالي
الإخراج الفني : فريق الدار
إصدار : 2025
رقم الإيداع : 3781/2025
الترقيم الدولي : 978-977-8791-85-3



جميع حقوق النشر محفوظة ©



فَيْلسُوفُ الْغَبْرَا

كَهْلٌ عَنِيدٌ يُثْزِثُ ،

يَهْدِرُ حِينًا وَ حِينًا يَتَبَصَّرُ

يُنَاوِرُ أَحَابِيلَ الْيَاسِ الْمُزَوَّرِ

فَيُنْجُو مَرَّةً ، وَ مَرَّةً يَتَعَثَّرُ

ضَمِيرُهُ نِبْرَاسٌ وَ قَلْبُهُ غَضَنْفَرٌ

زَادَهُ كَفَافٌ وَ مَوَالُهُ أَخْضَرُ

دَرْبُهُ عَجَاجٌ يَطُولُ وَ يَتَوَعَّرُ

قَبْلَتُهُ جَنَّةُ الْيَقِينِ الْمُنَوَّرِ

محمد فاروق عكاشة

إهداء

إليه , فى مَثَوَاهُ الْآخِرِ وَ بَرَزِجِهِ الْمُتَّد ,
[أبى] الذى رَغِمَ أَنّى عَاشِرْتَهُ نِصْفَ قَرْنِ ,
لَمْ أَشْبِعْ مِنْ حَنَانِهِ , أَوْ أَفْنِيَهُ بِرِّهِ ,
و بُكْلٍ أَرْجِيهِ وَ صِدْقِ , اعْتَرَفَ أَنّى كُنْتُ - وَ لَا زِلْتُ وَ سَاطِلُ -
أَفْتَاتُ خَيْرَهُ وَ حِكْمَتَهُ وَ سُمُوعَتَهُ !
إليها , فى جَنَّتِهَا الْمَفْقُودَةِ , مُطْبِقَةِ الصَّمْتِ , فى قَرِيْقِي الْقَرِيْبَةِ الْبَعِيدَةِ ,
تَبْعِ الْحِكْمَةِ وَ رَبَّةِ الْحَزْمِ ,
[أُمى] التى وَضَعْتَنى فى لَيْلَةِ جُمُعَةٍ رَمَضَانِيَةِ ,
وَ صَبَغْتَنى بِمَزَاجِهَا وَ أَسْلَتُ ,
وَ خَلَقْتَنى أُنْجْتُ عَنْهَا فى كُلِّ نِسَاءِ الْأَرْضِ !
إليها , رَبَّةِ الصَّوْنِ وَ الْعَفَافِ ,
[عَقِيلَتى] , رَفِيقَةِ الدَّرْبِ وَ شَرِيكَةِ الْحَيِّمَةِ , الْمَنَارَةِ وَ الْمَرْفَأِ ,
إِلَيْهِنِ , فى كَوَكِبَيْنِ التَّائى , وَ قَرْنَيْنِ الْوَاحِدِ وَ الْعَشْرَيْنِ ,
[بَنَاتُ عُمَرى] , مَعْنَى الْحَيَاةِ وَ بَلَسَمُ الْوَاقِعِ وَ مَعْقِدِ الْأَمْلِ ,
الشَّهْدُ وَ الْمِسْكُ وَ التَّغْمُ وَ السُّنْدُسُ وَ قَوْسُ قُرْجٍ .

مُحَمَّدُ فَارُوقُ عُكَاشَةُ

مُقَدِّمَة

فى خِصَمِ الانشغال باكتشاف المبدع ذاته و تقنين موهبته و تصنيف مجال عطائه و تخطيط مراحل و محطات مشروعه الأدبى ,

يَعْمَلُ مُعْظَمُ الأدباء - وَرُبَّمَا يَتجاهلون أَوْ يَنْسون -

أَنْ يَقفُوا مَعَ الذَّاتِ وَفَقَّةً صَادِقَةً ,

و يُسأَلُوا أَنْفُسَهُمْ - بِأَمَانَةٍ وَ تَجَرُّدٍ - , لِمَاذَا أَكْتُبُ؟

و قد يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ , أَنْ تَتَوَارَدَ إجاباتٌ مِنْ عَيْنَةٍ , التَّحَقُّقُ وَ الاعتراف وَ التقدير ,

و رُبَّمَا يُشِيرُ آخرون إِلَى الشُّهُرَةِ وَ المالِ وَ النُّفُوزِ , وَ فى بلادِ كِبادِنَا وَ مُجْتَمَعاتِ كُمُجْتَمَعاتِنَا , بِالْحُرَيَّاتِ الْمَنْقُوصَةِ وَ الواقعِ المَازُومِ , وَالتَّنَاقُضِ الوجودى بَيْنَ الماضى الزَّاهِرِ وَ الحاضرِ البائِسِ , مع أعباءِ وَ امتيازاتِ ثَوْرَةِ الاتِّصالاتِ وَ الرقْمَةِ فى القَرْنِ الْوَاحِدِ وَ العَشْرينِ ,

تبدو تِلْكَ الإجاباتُ - فى غالِبِ الأحوالِ -

شَيْئاً يَتَراوَحُ بَيْنَ الحُرْثِ فى البَحْرِ , وَ مُطارِدَةِ السَّرابِ فى الصَّحراءِ !

على صَعِيدِ شَخْصِي , وَ دونَ تواضعٍ مُراوِغٍ أَوْ إدِّعاءٍ مُتَكَلِّفٍ ,

فأنا أَكْتُبُ - أَيْ كَانَ شَكْلُ الْكِتَابَةِ وَ قَالِبُهَا - بُغْيَةً تَحْقِيقَ هَدَفَيْنِ :

البُوحُ - الذَّاتِي - وَ التَّوَاصلُ - مع الآخرِ - مِنْ نَاحِيَةٍ ,

وَ الشَّهادَةُ - على الواقعِ - وَ التَّوثِيقُ - لَوَجْهِ التاريخِ - مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى ,

دونَ التَّجاوُزِ إِلَى آيَةِ مَطامِحٍ إِضافِيَةٍ مَشْرُوعَةٍ

أَوْ التَّوَقُّفِ عِنْدَ الحُدُودِ الدُّنْيَا مِنَ الانْتِشارِ

وَ الذَّبُوعِ أَوْ حَتَّى التَّقْدِيرِ وَ رُبَّمَا التَّكْرِيمِ !

ففى تقديرى , أَنْ تِلْكَ الْأَخيرةُ , مُجَرَّدَ هَوامِشٍ على المَتْنِ , رُبَّمَا تُثَبِّتُ بَعْضَ القِيَمَةِ

وَ تُحَقِّقُ بَعْضَ السَّعادَةِ , وَلَكِنَّ الحِياةَ - وَ الإِبْداغَ صِنُو الحِياةِ - بِدونِها تَسْتَمِرُّ ,

و قد تَنَبَّتُ المَعَانِي و تَتَحَقَّقُ القِيمُ !
فإذا أَصْبَحَ الوجودُ - عامَّةً - و الحياءُ - خاصةً - أَقْلُ قُبْحاً و ظُلماً ,
, و رُبَّمَا فضاءاً أَجْمَلُ و أَعْدَلُ , فقد نِلْتُ المُرَادَ و وُفِّيْتُ على الغاية .
يَعْمَدُ الكَاتِبُ مِنْ هُؤُلاءِ , إلى مَشروعِهِ الأدبي ,
فيُحدِّدُ فكرته و مضمونه , و يُقَنِّنُ شكله و قالبه
و يرسمُ خُطَّتَه و مراحلَه , و يُنفِقُ عليه من مشاعره و وقته و جهده و ماله ,
أياماً عَداً , و رُبَّمَا أسابيعَ و شهوراً و سنيناً ,
و بعد أن تَنَبَّتِ البُذُورُ و تَتَبَرَّعُ , و تَشْرَعُ الساقُ و تَتَفَرَّغُ ,
و تَتَكَوَّرُ الثمارُ و تَتَفَحُّ , يكتشف أَنَّهُ مُطالبٌ بتدبيجِ مُقَدِّمَةِ العَمَلِ , فيُسْقِطُ في يده !
إِذْ أنْ غَالِبِ المُبْدَعِينَ , يسهلُ عليهم أنْ يتورطوا
في تفاصيلِ انتاجهم وينغمسوا في الفواتيح
و المتونِ و الخواتيمِ , فهذه هي المؤهبة و ذلك هو الشَّغْفُ , بينما غالباً ما يشقُ -
على معظمهم - شرحُ تركيبِ طروحيهم و بيانُ الغاياتِ و المقاصدِ , عاديكَ عن
تسويقِ منتجهِ و الترويجِ له , بعيداً عن النَّعْرِ من جهةٍ , و الابتذالِ من جهةٍ أُخرى !
و إذا كُنْتُ قد صَنَّفْتُ - قبلاً - في القانونِ و الشعْرِ ,
فهذه سابقتي الأولى في هذا القلبِ الأدبي ,
الذي أراه أَقْرَبَ ما يكونُ إلى (المقال)
الَّذي يَتَلَوَّنُ بينَ الخواطرِ و التَّأَمُّلاتِ و الذِّكْرِيَّاتِ
و النَّظَرَاتِ و العَبَرَاتِ و الشَّهَادَاتِ و القِصَصِ القَصِيرَةِ و المُلَاحَظَاتِ التَّارِيخِيَّةِ
و التَّعْلِيلَاتِ السِّيَاسِيَّةِ و المُرَاجَعَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ .
و على مَدَارِ أَبوابٍ أربعةٍ , تَوَرَّعْتُ المُتُونُ ,

– ثلاثمائة نص – على نحوٍ شبيه مُتساوٍ،

يتقلَّبُ بينَ الفُصحى و العاميَّة – وأحياناً اللُّغة الثَّالثة البِيضاء (الوسط / الهجين)،
بحسبِ الحالِ و السياقِ ، فبدأتُ ب (مُتُونُ التَّامَّلات / كراكيبُ السَّنْدرة) و ثَنَيْتُ
ب (مُتُونُ الإنشاء / الأديبُ الأدبائى) و تلتها (مُتُونُ السِّياسة / أنا الشَّعب)
ثم ختمت ب (مُتُونُ الذِّكريات / نوستالجيا) ،

بُوْحُ ذاتيَّ ، يَخْتلِطُ فِيهِ الخاصُّ بالعام ، و يمتزجُ فِيهِ الشَّخصيُّ بالمَوْضوعي ، و
سَرْدٌ مُتَسَلِّسٌ توخيُّثٌ - قَدْرُ الطَّاقة - ألا تَمَسَّ الصَّنعةُ و التجويدُ فِيهِ ، حَظَّهُ من
الصدقِ و البراءة و راعيتُ – ما استطعتُ – ألا يَنالَ الإِحكامُ و التوثيقُ ، مِن
نصبيهِ من الطَّرَاجِةِ و البَهْجَةِ .

و على الرَغمِ مِن كَثْرَةِ النِّصوصِ و تَعُدُّدِ مَوْضوعَاتِها و تمايزِ قَوَالِها ،
إلا أَننى حَرَصْتُ طَوَالَ الوَقْتِ على أن تَنسَمَ جَمِيعُها بِخَصِيصَتَيْنِ ،
لَمْ يَكُنَا مُحَلًّا لَأَيَّةِ مُساوِمَةٍ أَوْ تَفْرِيطِ ،

فهما – فى تَقْدِيرى – رَوْحُ النِّصوصِ و مِزاجُها و صِبْغَتُها المُميِّزة و طابَعُها
المُمتد على مدارِ صَفَحَاتِ الكِتَابِ ،

الخِصِيصَةُ الأولى : هِىَ الإِيجازُ و التَّرَكِيزُ و الصِّقْلُ و تَجَنُّبُ كُلِّ حشوٍ و رطانةٍ و
التَّخْلُصُ مِن كُلِّ الزَّوائدِ و التَّوابعِ و المَلاحِقِ و الشُّروحِ
و تَرْتِيباً على ذلِكَ و نَتِيجَةً لَهُ ،

فقد صدرَ (تسعةُ أَعْشارٍ) النِّصوصِ ، فيما لا يَتجاوِزُ سَطورَ الصَّفْحَةِ الواحدةِ ،

و صدرَ (العُشْرُ الأَخِيرُ)، بين الصَّفْحَتَيْنِ و الثَّلاثِ لا يَزِيدُ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَهِيَ
رَوْحُ السُّخْرِيَةِ و النِّقْدِ و تَبْسِيطُ الأَشْيَاءِ و تَفْكِيكُ المَعانىِ و الِاتِّفَافُ حَوْلَ المَأْساءَةِ
و صَوْلًا إِلَى المَلْهَةِ

و ذلِكَ على سَبِيلِ التَّأقْلُمِ معِ الواقِعِ البائِسِ و الحاضِرِ الضَّاعِطِ و هَرُوباً مِن ضيقِ
ذاتِ العَقْلِ و القلبِ و اليَدِ إِلَى فِضاءاتِ الحُلُمِ و فَراديسِ الخيالِ و يوتوبيا الأَمَلِ .

و تبقى الإشارة إلى اسم الكتاب و عنوان المُصنّف (فيلسوف العُبرا) ,

و هو ما قدّرتُ أنّه يُعيّرُ بصدّقٍ - ولُطفٍ - عَن مضمون العملِ و يتوافقُ مع رواه و طروحاته و يدفعُ في اتجاه غايته و مراميه , إذ أنّ الفلسفةَ في تعريفها الأبسطِ هي (حُبُّ الحِكمةِ) , و كُلُّنا - و لا ريبَ - من مُحبّي الحِكمةِ و الساعين على درُبها , وأمّا العُبرا - بالتخفيف - فهي كوكبُ الأرضِ

و مُسطّحُ الثُّربةِ و إقليمُ البلادِ و ساحاتُ الوطنِ , و أيُّ شيءٍ أجملُ و أولى بالالتصاقِ به و النسبةِ إليه من ذلك؟, حتى لو اعتبرتُ بالمعاني الأخرى للكلمة - في المُعْجَمِ والمُصْطَلَحِ -

من قبيلِ الفقراءِ أو الماضي أو حتى الأيامِ الصعبةِ الحزينة , فحُبّاً وكرامةً ولا بأسَ ولا ضيّرَ , فأنا فيلسوفٌ كُلِّ هؤلاءِ بلا استثناء !

و ختاماً , فلا يسعُنِي سوى أن أتمنّى ,

أن يحظى الكتابُ بقراءةٍ كاملةٍ مُتأنّيةٍ مُتسامحةٍ ,

لعلّها تكفلُ للقارئِ بعضَ النَّفعِ و بعضَ المُتعةِ , و تنثيرُ في النَّفسِ بعضَ المشاعرِ و تُقلِّبُ بعضَ الأفكارِ و تُجدِّدُ بعضَ الذِّكرياتِ و تُطرحُ بعضَ المُبادراتِ

و تُراجعُ بعضَ المفاهيمِ و تُصحِّحُ بعضَ الضَّلالاتِ ,

و أحمَدُ اللهَ - سبحانهُ و تعالى - على كُلِّ نجاحٍ أو توفيقٍ ,

و أعتذرُ عن كُلِّ خللٍ أو قصورٍ .

مُحمَّدُ فاروقُ عُكاشة

القاهرة / المعادي

أغسطس 2024

مُتَوْنُ التَّأَمَّلَاتِ



كَرَائِبُ السَّنْدَرَةِ

و انْفَرَجَ يَا سَلامَ , عَلَى كَرَائِبِ سَنْدَرِهِ
مِنْ كُلِّ صَنْفٍ وَ لَوْنٍ , نُحِيبُ عَلَى كَرْكِرِهِ
فِيهَا خُزْدَهُ وَ حَدَايِدَ , قَدِيمَهُ مُجَزَّرَهُ
وَ كَمَا أَنَا تَيْكَ دَهَبَ , مَشْغُولَهُ مَنْوَرَهُ ,
مَرَّهَ عَنَّا قَيْدَ لُفْهَانَ , حِكْمَ مِثْقَلِهِ ,
وَ سَاعَاتِ فَرْطِ رُفْهَانَ , هَذِي عَلَى تَرْزَرِهِ ,
خَلَطَهُ حَسَبَ التَّسَاهِيلِ , شَيْبُوبَ وَ عَنَتَرِهِ

فى البدء .. كانت الحرّية

يُولدُ الإنسانُ حُرّاً ,
فى مجتمعٍ أسيرِ تقاليد , و نظامٍ ديدنه القهر
فيمسّخانه أو يسترّقانه أو يقمّعانه ,
والحرية – من حيث المبدأ - غريزة إنسانية ,
و هى فطرةٌ و عقيدةٌ و ممارسةٌ و مُناخ ,
انثراها فى الجو , تتنفس الجذورُ فى الأعماق ,
و تضطّرب الأصفاذُ فى المعاصم , و تتفتت الأغلالُ فى الكواحل ,
فإذا صادرتها , بوسّعك أن تحبسَ الشعورَ فى الصدور ,
و تنفى السحابَ إلى الهضاب ,
حينها يظنّ كثيرون ممن جُبلوا على الأسرِ أو القمّع , أو استكانوا لهما ,
أنّ الحريةَ محض سَراب أو أنّها مزيجٌ من المرضِ أو الجريمة أو العيب !

المِعْرَاج

ليس سوى أن تؤمنَ بإخلاص ,
و تخطّ بوعى , و تعمل بعزم ,
ثم تتعاون بصدق و بعدها تتجمل بالصبر

حتى تتوالى المعجزات و تترا الكراماتُ

فترُفرف في الفضاء حيناً ,
و تمشى على الماء حيناً آخراً

فَنِّ الاستغناء

السَّعَادَةُ , هِيَ فَنُّ الاستغناء ,
وليسَ شَبَقَ المُرَاكَمَةِ ,

و الحَيَاةُ أَشْبَهَ بِالْبَالُونِ الطَّائِرِ ,
إِذَا أَرَدَتْ التَّحْلِيْقَ وَ التَّقْدَمَ ,
فَلَا بَدَّ أَنْ تَتَخَلَّصَ , مِنْ كَافَةِ الْحَوَاشِي وَ الزَّوَانِدِ وَ سَقَطَ الْمَتَاعُ ,
بَلْ قَدْ تَضَطَّرَ إِلَى التَّضْحِيَةِ , بِأَشْيَاءَ كُنْتَ تَظُنُّ أَلَا غِنَى عَنْهَا !

و سُبْحَانَ مَنْ قَالَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ : أَلِهَآكُمُ التَّكَاثُرُ ,

انْظُرْ كَيْفَ عَاشَ , وَ مَاذَا خَلَّفَ عُظْمَاءُ أَفْذَادِ ,
مِنْ عَيْنَةِ الْفَارُوقِ عَمْرٍ أَوْ لِيُو تَوَلَّسْتَوَى أَوْ الْمَهَاتِمَا غَانْدَى أَوْ إِبْرَاهَامَ لِيَنْكُولِنَ
لِتَدْرِكَ أَنَّ مَنْ تَخَفَّفَ , سَلَكَ .. وَ مَنْ تَجَلَّدَ , أَدْرَكَ

[4]

نجوى

النفْسُ تُهْمُهُمْ : فقط يرسو كلُّ شَيْءٍ في مكانه ..
و سنهتدى إلى السَكِينَةِ .

يُتِمَّتِ الْقَلْبُ : أنْ نَوفِقَ إلى السَكِينَةِ ,
يرسو كلُّ شَيْءٍ في مكانه .

تَهْمُسُ الرُّوحُ : ما تَبَحُّثُ عَنْهُ .. يَبْحَثُ عَنْكَ ,
أَنْتَ - في ذاتِ الوقتِ - طَرِيدَةٌ و صَيَّادٌ .

[5]

نعمة الحجاب

لو أنَّ للذنوب رائحةً ..
أو للأفكار أصوات ,

ما جرؤ إنسيان على لقاء ,
أو احتملا اجتماع

و لكنَّه السَّترُ الجميل ,
الذى يتسرَّب به بنو البشر , كلُّ بحسب رصيده

فاحرص عليه , حرصك على رُوحك التى بين جنبيك ,
و إلا فلا تلومنَّ إلا نفسك

حملة العرش

و لأنه ليس نَمّة ملائكةً على الأرض يحملون العروش ,

فليس للأخيرة إلا أن تطفو ,

بمجاديف الذهب فوق بحور الدماء ,

و يستوى الكرسي على تراقى العامة و أغناقهم

بالرَّغبة و الرَّهبة

بحيل سحرة فرعون و صيارفة المعابد

زُمرُ السَّالِكِينَ

تَقَافَرْتُ لِأَخْطَرَ بَيْنَ السَّحَابِ
فَرَدَّتْنِي الْمَلَائِكَةُ الْحُرَاسُ أَدْرَاجِي .. وَ قَالُوا لِي :
السَّحَابُ مَرَعَى الْأَوْلِيَاءِ وَ الْأَطْفَالِ وَ الْمُبْدَعِينَ وَ الْمَجَانِينَ
الْحَقُّ بِأَيِّ مِنْهُمْ .. وَ حَاوِلْ مُجَدِّدَا
فَحَدَّثْتَنِي نَفْسِي :
خَلَّيْنَا مِنْ أَهْلِ الْخَبَالِ ,
وَ الْوَلَايَةُ مَرَقَى عَصَى الْمَنَالِ
أَمَّا الْإِبْدَاعُ فَمِزَاجٌ مِنْ أَثِيرٍ وَ عَرَائِصُ خَيَالِ
فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا أَنْ نَتَشَبَّهَ بِتَلَابِيْبِ الْأَطْفَالِ

كاريزما

الكاريزما , بمعنى جاذبية الشخصية و تمتعها بمقامات الحُضور و عناصر القبول و إمكانيات التأثير , لا تتوقف على الملامح الشّكلية أو المميزات الجسدية و النفسية للشخص العامّ من مشاهير الساسة و الأدباء و الفنانين و نجوم المجتمع , بل غالباً ما تكونُ تلك الجاذبيّة أقربَ لمنحةٍ ربّانية و فِطرةٍ إلهيّة و وهجٍ ينبعثُ من أرواح هؤلاء الأشخاص و عُيونهم , تتلقاه أرواحُ الناس و عيونهم بقبولٍ حسن , و يُراكمُ لديهم رصيдаً من المحبة و التأييد و التأويل الحسن لكل شبهة أو غموض علاوة على غفران الاخطاء و التجاوز عن الزلات . و الجاذبية تعلو على ثوابتِ المظهر و وقائعِ الحال , بل و تجبرها و قد تتقبل عيوبها و تأنس إلى نواقصها , و الأمثلةُ عديدة و متنوعة : فالنّحاس باشا و كذا فريد الأطرش عانيا من حول العينين , و أبو حنيفة النعمان و تيمورلنك و ماجلان عانوا من العرج , أما نابليون بونابرت و بينيتو موسوليني فكانوا قصارِ القامة على نحو صادم , و عانى إدوارد الخامس و أنور السادات من التأتأة في الكلام , و كان هوميروس و بشّار بن برد و طه حُسين مكفوفي البصر , و كان آينشتاين و فان جوخ مرضى بالتوحد ,

و بيتهوفن كان أصماً أما محمد عبد الوهاب كان ألتغاً ,
كلُّ تلك العيوب و النواقص , لم تحل دون بروز شخصيات أصحابها و نفاذهم إلى
عقول الجماهير و قلوبها , خروجاً على المجرى العادى للأمور و الذوق العام ,
الذى - عادةً - ما يمجّد الكمال , و يُزرى بالنقص و الخلل .

[9]

البَصْمَةُ

و سيمضى كلُّ منا يوماً ما , بلا رجعة ,

بعد أن يُخَلَّف على صفحة الحياة , بَصْمَةً ,

تحملُ بعضَ أنفاسه و مشاعره و ذِكرى علاقاته و مسالكة ,
و قَبْساً من كماله و إنجازَه أو وصمةً من شروره و جرائمه ,

تبهتُ البصمةُ أو ترسُخ , تتبخّرُ سراعاً أو تعمّرُ طويلاً ,

تُزهَر الرياحينَ و تُنبت الثمار , أو تصفّر فيها الوطاويطُ و تهسُّ الأفاعى
عَلِمَ ذَلِكَ عِنْدَ رَبِّى ,

و لا يُحصِصُ الحقُّ و يحتكم الخلقُ ,

إِلَّا هُنَاكَ , عَقَبَ الْبَرْزَخُ ,

فى ساحةِ الحَكمِ العَدلِ عَلامَ الغيوبِ.

الفِطَام

و علاقانا بمن تربطنا بهم وشائج المحبة و أعباء المسؤولية ,
تتراوح في أطوارها , بين القوة و الضعف , و تتفاوت على مدار الوقت , بين
القرب و البعد ,

و الأمر أشبه بمدار القمر حول الأرض , و ما ينتج عنه من مدّ البحر و جزره ,
فإذا دار الفلك دورته , و شبّ الصغار عن الطوق ,

فإنّ الفِطَام آتٍ لا محالة ,
رغم عنّت الصغار و رهق الكبار !

لأن وهج الحرية وأريحية الخصوصية
و شبّ التجربة ,

يسيلُ لعب الصغار , و يُغرى بالجموح بلّه الإنطلاق ,
وتبقى نقطة التوازن و فتيلُ الأمان , فى كيفية و توقيت الفِطَام
و يَجْمَلُ أن يكون هوناً على وجه التدرج , دون عجلةٍ أو تراخ

لتنطور الوصاية والتلقين إلى رعايةٍ وحَدَب
#القيود .. تبقى قيوداً , ولو كانت حريراً أو لؤلؤاً .

فَوَاتِيحُ وَ خَوَاتِيمُ

يقولون : العِبْرَةُ بالخواتيم , و لكنْ فى أحوال كثيرة ,
تكونُ الخُطوةُ الأولى , هى الخُطوةُ الأصعبُ و الأهم ,
و ما بعدها : دَفْعُ ذاتى هُنا , و بَعْضُ التفاصيلِ هُناك ,

كَمْ مِنْ خَطِطٍ و مَشَارِيعَ , تجمَّدتْ فى مَرحلةِ الأَحْلامِ و النِّوَايا ,
عِنْدما نَكْصُنَا عن الخُطوةِ الأولى ,
سواءً لِلتَّهْيِيبِ أَوْ التَّرَدِّدِ , أَوْ لِلإِسْتِسْهَالِ و الكَسَلِ ,

فَكَانَ مَأْلُهَا التَّسْوِيفَ و التَّأْجِيلَ ,
حَتَّى فَاتَ الْآوَانُ , وَ فَتَرَ الْإِيْمَانُ

رُوعَةُ الذَاكِرَةِ

رُوعَةُ الذَاكِرَةِ , تتجلى فى الفرز و الاستبعاد
كما تتجلى فى الحضور و الاستدعاء !

و لَمَّا كُنَّا أَسْرَى ثَقَافَةٍ , نَتَّسِمُ بِالمُحَافَظَةِ و العَشَوَائِيَّةِ فى آنٍ مَعَا , فَإِنَّ الذَاكِرَةَ ,

على جانب أول , تكون مولعة باكتناز و تكديس الغث قبل الثمين ,
و على الجانب الآخر , لا يُدرك الناسُ فى بلادى , قِيَمَةَ الصَّيَانَةِ الدَّوْرِيَّةِ , أو
يأبهون بها ,

و إذا كانتْ إِشْكَالِيَّةُ الاكْتِنَازِ و التَّكْدِيسِ أَعْقَدَ وَأَصْعَبَ , مِنْ أَنْ تُعَالَجَ بِاختصارٍ أو
على عُجَالَةٍ كونُهَا تتعلَّقُ بِتَرْكِيبِ الشَّخْصِيَّةِ و آليَةِ التَّفْكِيرِ و السَّلُوكِ ,
بما يجعلُهَا عَسِيرَةً الإِصْلَاحِ و التَّطْوِيرِ ,

فإنه فيما يتعلَّقُ بِخَطُورَةٍ و أَهْمِيَّةِ الصَّيَانَةِ الدَّوْرِيَّةِ للذَّاكِرَةِ ,

لا نَتَصَوَّرُ كَيْفَ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْ كَوْنِ الذَّاكِرَةِ (القلب & العقل) ,

تندرج فى عِدَادِ أَعْضَاءِ الجِسْمِ و تروِسُ الآلَةَ البَشَرِيَّةَ التى يتوجبُ أَنْ نَكْفُلَ لَهَا –
من آنٍ لآخر – تَرْتِيبَاتِ الرَّاحَةِ و التَّزْيِينِ و الشَّحْذِ و التَّشْحِيمِ أو بتعبيرٍ آخر ,
الأجَازَةُ و الرِّيَاضَةُ و العِبَادَةُ و الرحلة و التأمل و الممتعة المقننة و اللّهُو البَرِّىء .

رِهَانُ الْمَصِيرِ

ثَمَّةَ لِحْظَاتٍ فَارِقَةٍ ,
يَكُونُ فِيهَا مَصِيرُ الْمَرْءِ عَلَى الْمَحَاكَ ,
إِذْ تُشْرِفُ خُطَوَاتُهُ الْمُتَعَثِّرَةُ , عَلَى الْحَاقَّةِ ,

حَيْنَهَا , يُشَدِّدُ الْعَقْلُ :
حَازِرٍ , إِنْ تَخَطَّ لِلْفَرَاغِ , سَتَهُوْ أَشْلَاءَ ,

فِيهِمْسُ الْقَلْبِ :
لَا عَلَيْكَ , أَقْدَمَ , سَتَنْبِتُ لَكَ أَجْنَحَهُ !

و إِذْ يَتَعَدَّرُ الثَّبَاتُ , فَلَا مَفَرَّ مِنَ الرِّهَانِ ,
و أَيْأَ كَانَ الْقَرَارُ , فَإِنَّ حَيَاةَ الْمَرْءِ بَعْدَهُ , لَنْ تَبْقَى كَمَثَلِهَا قَبْلَهُ !

[14]

استعينوا على قضاء حوائجكم ب"الكتمان"

هسسسس

و الحياة كانت هتبقى أسهل و أفضل كتيبيير
لو كنا زى ما بنعرف نكتم المسدسات ,

نقدر نخرس المزعجين و الفضوليين و المتقعرين و العشوائيين و العدوانيين
و المغرضين و الغنصريين و المتتمرين و المتحرشين و
فى البيوت و المكاتب و القهاوى و البرلمانات و المعسكرات و التليفزيونات
و الإنترنت و و

بعض الكلمات , أفتك من السم و أخطر من الرصاص ,
و رُبَّ عبارة عَگرت نَهرًا و أَجَّبت ثارات !

الجَحِيم .. هو الآخرون

و يَأْتِي عَلَيْكَ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ,
 يَفِيضُ الْكَئِيلُ فِيهِ , وَ يَبْلُغُ السَّيْلُ الرُّبَى ,
 وَيُضَيِّقُ أَهْلُ الْأَرْضِ عَلَيْكَ الْخِنَاقَ ,
 فَيَكُونُ مَبْلَغُ هَمِّكَ النَّجَاةَ وَ الْبَقَاءَ ,
 لَكِ تَنْتَبِعِدَ عَنْ كَافَةِ الْأَشْيَاءِ , وَ تَتَجَنَّبُ جَمِيعَ الْأَشْخَاصِ ,
 وَ تَتَحَازَرُ إِلَى فِتْنَةٍ , تَقْبِضُ عَلَى جَمْرِ الْحَقِيقَةِ , دُونَ كُلِّ أَوْ مَلَلٍ
 تَهْرُبُ إِلَى الدَّخْلِ , وَ تَدْلِفُ إِلَى شَرَنْقَةٍ , ثُمَّ تَحَوِّطُهَا بِدَرَقَةٍ ,
 وَ عِنْدَمَا يَنْبُتُ الْيَقِينُ , تَنْبُتُ أَجْنَحَةُ الرِّضَا وَ الْاسْتِغْنَاءِ ,
 فَتَحْلِقُ عُصْبَةَ الْحَقِّ , فِي سَمَاوَاتِ الذِّى هُوَ أَحْسَنُ وَ أَبْقَى ,
 حَيْثُ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ , وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ ,
 وَ إِذْ يَظُنُّ الْعَوَامُ بِهِمْ , الْانْقِطَاعَ وَ الْإِفْلَاسَ وَ سُوءَ الْعَاقِبَةِ ,
 لَا يَأْبَهُ السَّالِكُونَ بِالْقِيلِ وَ الْقَالِ , فَالْمُتَنَبِّتُ لَا يَصِلُ ,
 وَ الْمُنْبِتُ , لَا أَرْضًا قَطَعَ وَ لَا ظَهْرًا أَبْقَى ,
 وَ هَيْهَاتَ يُبْصَرُ الْأَعْشَى , سَهِيلًا وَ الثَّرِيًّا وَ الشَّعِرَى الْيَمَانَى
 فَمَنْ ذَاقَ , عَرَفَ , وَ لَيْسَ مَنْ سَمِعَ , كَمَنْ رَأَى !

إبرة .. ف كوم قش

إبره , ف كوم قش ,
الراحة , ف الدنيا ,
الموده , ف القربى ,
العدل , ف المنافسه ,
السّعاده , ف الغُربه ,
الحُريه , ف الميديا ,
النّزاهة , فى أغا الديوان
الاستقامه , ف أبو عمه و قُفطان
الديمقراطيه , ف الشرق الحزنان
حُقوق الإنسان , ف عربستان
الرّضا , ف عموم النسوان
القناعه , ف جنس الإنسان
و ممكن نقول تانى , و نقدر نعيد كمان

.....

إبره , ف كوم قش

[17]

الزيبق

و الوقت عند الشرقيين و العرب عموما , و المصريين خصوصا ,
شيئ غامض رُخو لَزج , مالوش معنى محدد , و لا ليه قيمة أو مصداقية !
يعنى غالبا , الخطط و الاتفاقات مفيهاش مراحل تنفيذ,
أو مواعيد تسليم أو مُدد مُراجعة و صيانة ,
و لو فيه , ماحدش بيلتزم بيها معظم الوقت !
أما عن المواعيد , فَحَدِّثْ ولا حَرَج ,
ممکن تلاقي حد بيتفق معاك على ميعاد ,
بعد الظهر , أو آخر النهار , أو بعد العشا !
حاجه كدا مداها ساعات وساعات , اللي هو إزاي يعنى ؟
و ماحدش بيوصل بدرى , أو حتى يحضر في الميعاد ,
والكلام دا سارى على الصُغِير والكبير & المُهم والتافه &
تسالى أصحاب و بزنس و أكل عيش & خطوبة و جواز و طلاق !
و لما تعبر عن الاعتراض و الرفض للمانخوليا دى, يبصورك كأنك كائن فضائي !
و يعاملوك بجفا, باعتبارك خَنِيْق و نِمكى و خُلُقك ضيق وعامل فيها مهم أو خواجه,
و العجيب إن الأفكار والسلوكيات دى أبعد ما تكون عن الشرع الحنيف اللي بيثمن
الوقت بالغالي , و بيعتبر إهداره و التفریط فيه , إثم ومُنكر فى حق النفس والغير ,
و الأعجب بقى , إن نفس الشخص المُغَيَّب المُهْمَل في تقدير الوقت و استغلاله ,
لما بيتواجد فى منظومة جادة - في الداخل أو الخارج -
بتحترم الوقت و تعتبره محل للثواب والعقاب , تلاقيه ماشي على الصِراط المُستقيم
فى انضباط و دقة الساعة السويسرية , حرصا على حقوقه وخوفا على مصالحه !

الْمَتَاهَةُ النَّدَاهَةُ

من آن لآخر , تمور الجلبة و يفور الضجيج , و يثور غبار الجدل
بمناسبة هذا اللاعب أو تلك المباراة , أو ذاك النادي أو ذاك المسابقة ,

فأتراجع في مفعدي الوثير , و تملأ البسمة وجهي !
إذ تمر بخيالي حكاية قديمة , لا أنفك أتيقن من صدقها و يبهجن مغراها :

عن جماعة الحمير البيضاء المقلمة بالأسود ,
التي ترفض و تستنكر و تشجب أفكار وتصرفات
جماعة الحمير السوداء المقلمة بالأبيض !

كلهم حمير , وجميعهم مقلّم ,
و الكافة أسرى , الغوغائية و هدر الأوقات و الطاقات ,

لكن أحداً لا يتوقف , ليُبصر و يُراجع ويُصحح الأوضاع
و عندما ينتهي الشرود و يثوب الوعي ,

أتمتتم في رضا , كذلك كنّا من قبلُ فمن الله علينا !

مِيزَانُ الذَّهَبِ

مِنْ أَبْوَابِ الْإِحْسَانِ , أَنْ يَتَّقَى الْمَرْءُ كَسَرَ الْخَوَاطِرِ ,
لَكِنْ عَلَيْهِ - فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ - أَنْ يَقْصِدَ فِي الْوَعْدِ ,

فَالْبَعْضُ يُعَوِّلُ عَلَى مِصْدَاقِيَةِ الْآخَرِينَ ,

وَيَبْنِي عَلَيْهَا قُصُوراً فِي الْخِيَالِ !

وَرُبَّ (لَا) أَمِينَةٍ , تُحْزِنُ السَّائِلَ سَاعَةً ,

خَيْرٌ مِنْ (نَعَمْ) مُخَاتِلَةٍ ,

أَوْ (رُبَّمَا) لَامُبَالِيَةٍ ,

تَنْزِفُ حَيِّبَةَ الْأَمَلِ , أَيَّاماً وَلَيْالٍ !

لؤلؤ و أصداف

النَّفْسُ فُطِرَتْ عَلَى حُبِّ الْجَمَالِ , وَ انْتِظَارِ الْخَيْرِ مِنْ حِسَانِ الْوَجْهِ ,

لَكِنَّ الْوَاقِعَ وَخِبْرَةَ السَّنِينَ تُذَكِّرُ دَائِمًا ,

بِأَنَّ الْمَظْهَرَ رِزْقٌ , لَا فَضْلَ لِلْمَرْءِ وَ لَا ذَنْبَ !

وَ أَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْخُلُقِ لَا بِالْخِلْقَةِ ,

وَ أَنَّ عَقْلًا مُسْتَنِيرًا مُسْتَقِيمًا , وَ قَلْبًا تَقِيًّا عَطُوفًا ,

أَرْقَى وَ أَجْدَى , مِنْ عَيْنِ حَوْرَاءَ وَ بَشْرَةِ زَهْرَاءَ ,

فَلَا تَحْكُمُوا عَلَى النَّاسِ بِالشُّكُلِ وَ الْهَيْئَاتِ وَ الْمَظَاهِرِ ,

فَكَمْ مِنْ لَوْلُؤٍ نَبَتْ فِي أَصْدَافٍ , وَ كَمْ مِنْ سُمَّ نِقَاعٍ عُبِيَ فِي بِلَّوْرِ !

أبجدية كوزموبوليتان

مُنذُ أيامِ الطفولةِ , و لئِ ولَعُ باكتشافِ المَجهولِ و استنطاقِ الصامتِ و تفسيرِ الغامِضِ و تأويلِ المُلغِزِ , فُضولٌ بدأ بِقراءةِ الرواياتِ البوليسيةِ , و نَمى بِمِشاهدةِ أفلامِ الإثارةِ و الجَريمةِ

و الجاسوسيةِ , ثم استشرى بِمطالعةِ كُتبِ الفِراسةِ و لُغةِ الجَسَدِ , و استوى بالتعمقِ في مُصنّفاتِ الصوفيةِ فلسفةً و شِعراً و لأسماءِ مِثْلِ الخِيّامِ والحَلّاجِ والرومى و السَهْروَرْدِي و ابنِ

الفارِضِ و ابنِ عَرَبِي و الشيرازي في مَكْتبَتِي نَصيباً مفروضا .

و حديثُ الساعةِ عن (لُغةِ الجَسَدِ) , وهو عِلْمٌ و فنٌّ و إن كان التّأليفُ و التّصنيفُ فيه قد بدأ مُتأخراً مُنذُ نحوِ نِصفِ قَرْنٍ , إلا أَنَّهُ شَدِيدُ الطَّرَافَةِ و بالغُ الأهميةِ , و لا يستغنى عنه أديبٌ أو فنانٌ أو قاضٍ أو تاجرٌ أو مُعلمٌ و غيرُهم كُثُرٌ , و يكفي للتدليلِ على ذلكِ , أَنَّهُ قد ثبت علمياً أن مَضمونَ رسالةِ أي حديثٍ , يتوزعُ على نحوِ 7% للكلماتِ 35% و لنبرةِ الصوتِ و 55% للغةِ الجسدِ .

و هذه اللُغةُ , شأنُ أي عِلْمٍ إجتماعي , ليستُ قوانينَ صارِمةً أو مُعادلاتٍ ثابتةً ,

وإنما هي فروضٌ نسبية و دلالاتٌ تقريبية , تحتلِ الصِدْقَ أو الكَذِبَ و تجرى على السّوادِ الأعظمِ مِنَ النَّاسِ , ويجوزُ التحكُّمُ فيها و التّمويهُ عنها و التّضليلُ بها ,

و المؤكدُ أَنَّ مَنْ مَلَكَ ناصيةَ هذا العلمِ , وتمكّنَ من هذا الفنِّ , تتعاضدُ فرصُهُ في تمضيةِ أوقاتٍ مُمتعةٍ في النّظرِ للنّاسِ و التأمّلِ في أحوالهم , و حسنِ التّفاوضِ معهم و تيسيرِ شئونهِ العمليةِ

و معاملاته الإنسانية .

دون كيشوت دى لامنشا

و دون كيشوت الفارسُ النَّبيل , اللى بيحارب طواحين الهوا –
 فى رائعة الإسبانى (ميجيل ثربانتس) التى تعد إحدى عيون الأدب العالمى
 التى كتبت فى مطلع القرن السابع عشر – , مَش قصة خياليه و لا حاجه !
 دا كل واحد فينا – بدرجة أو بأخرى – جواه دون كيشوت صُغِير ,
 داير حابر فوق حصانه , شاهر سيفه و رُمحه , بيحارب أعداء وهميين
 – مَش موجودين غير فى خياله –

و بيضَيِّع عليهم وقته و جهده و فلوسه !

افتح قوس و سجل عندك : [مدير سايكو & جار مناكف & شريك مخالف & مُغاير
 فى الرأى (دين / سياسة / كورة ...) مُشاكس & قريب مدابِق & ضَنى ناشِر &
 مخالط عنصرى & متعامل متمر]

و الحقيقة البسيطة الدامغة , إن عدوك هو شَيْطَانك , الساكن نفسك اللى بين جَنبيك ,
 اللى بيثبط خيرك و محاسنك و يهيج شرورك و نواقصك .

#إن الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوًّا , فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا

قلبي يُحدثني بأنك مُتلفى .. رُوحى فِداك , عَرَفْتُ ذلِكَ أم لم تعرفِ
عُمَر بن الفَارِض

و فى حَيَاة كُلِّ منا , شَخْص أو أكثر
لا تسرى عليه — خِلافا لسائر النَّاس - قوانينا الخاصة ,

و ذلك الشخصُ , مُخَوَّل رُخصة خَرَق النَّاموس و الخروج عن النِّظام ,
كما يملك حَصانة الإِعفاء من العِقَاب أو المَساس بالامتيازات ,

و للأسف .. غالباً ما يكونُ ذلكَ الأسير الأثير ,
مصدراً لمُعظم الرَّهَقِ و الخُذْلان !

البَلَسَمَ وَ الْعَلَمَ

و يَأْتِي عَلَى الْمَرْءِ , حِينَ مِنَ الدَّهْرِ ,
يَقْسُو عَلَيْهِ الْوَاقِعُ , فَيُظَنُّ أَلَا شَافِعَ أَوْ دَافِعَ ,
و تَضِيقُ بِهِ السُّبُلُ , حَتَّى يَخْبُو كُلُّ أَمَلٍ ,
ثُمَّ تَنْتَزِلُ الرَّحْمَةُ , وَتُشْرِقُ النِّعْمَةُ مِنْ قَلْبِ النِّقْمَةِ ,
وَ إِذَا بِاللُّطْفِ الْخَفِيِّ , يَنْجِدُ الْعَبْدَ النَّقِيِّ ,
مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي وَلَا يَحْتَسِبُ ,
لِيُدْرِكَ حِينَهَا : أَنَّ اللَّهَ لَا يَأْتِ إِلَّا بِخَيْرٍ ,
فِي الْمَنْحِ أَوْ الْمَنْعِ ,
وَ إِنَّمَا هُوَ التَّمْحِیصُ , بِبَلَسَمِ الشُّكْرِ أَوْ عَلَمِ الصَّبْرِ .

اللّوح قال للمُسمار : فَلَقْتَنِي ,

ردّ المُسمار : لو تعرف الدّق الى على نافوخي , كنت عذرتني

كُنّا هذا الرّجل , ندورُ في دوائر

يغلونا رؤساء و متطليّون

و دوننا مرووسون و مُكَلّفون

و لكي تنتظم حلقاتُ السِّلْسِلَة ,

و تتراكب تروس الآلة ,

يتوجب علي الجميع , التعاونَ المُحتَرَمَ المُحتَرَفَ

باعتنالٍ و سلاسة , دونَ عَجْرَفةٍ أو إنسحاق

[26]

هذا الوقت , سيمضى

كان ياما كان , فى سالف العصر و الأوان ,
ملك صاحب سَطوه و سُلطان ,
على راسه تاج جواهر , و ف يمينه خاتم سليمان ,
عنده وزير مُؤتمن , من أهل الحكمة و البيان ,

و فى يوم زادت على الملك الضغوط و الأشجان
ارتعش القلم بين صوابه , و اضطرب الميزان ,
اتعقّدت شئون الرّعيه , و اتكدست الحُشود فى الميدان ,
عزّ عليه المَنام , و عانى الشّحوب و الهُزلان ,

صفّ الملك الحاشيه , و أمر حاجب الدّيوان ,
يستدعى طبيب القصر , و معاه الشّيخ و المُطران ,
يشوروا عليه بالدوا , و يرتلوا الأناجيل و القرآن ,

و لما فاض الكيل , و احتكم الرهان ,
أمر الملك وزيره , يسْطُر له كلمة , على مقبض الصّولجان ,
إذا وقعت عليها العين , يتبدل الحال بين السعادة و الأحزان ,
نقش الوزير بجبر البصيرة و خبرة الرّمان :

هذا الوقت , سيمضى !

[27]

شر البلية , ما يضحك

مُقابلات اختيار المرشحين للتعيين , و المعروفة ب (كشَف الهيئة)
فى الوظائف الحُكومية , و (الإنترفيو) فى القِطاع الخاص ,
باتت شيئاً يتراوح بين مسرحيات العبث الهزلى , و جلسات محاكم التفتيش ,
فى ظل نُذرة الوظائف , و الفرز الطبقي الحاد و المحسوبة و الفساد !

باسأل واحد صاحبنا كان عنده مقابلة توظيف (انترفيو) : طمّنا , عملت إيه ؟
ابتسم بسخرية و قاللى : عرضوا علينا صورة أرنب وحيد وسط غيط جَزَر ,
و قسمونا فريقين : اللى عندهم واسطة , سألوهم : كام أرنب فى الصورة ؟
و اللى ما عندهمش واسطة , سألوهم : كام جَزرة فى الصورة ؟

كسر قلبي , حبيت أخفف عنه , قلت له : ما أشبه اللَّيلة بالبارحة ,
زمان فى السبعينات , كان فيه نُكْتة مشهورة ,
عن طيارة رياسة هليكوپتر مسافرة الجزائر , فيها السّادات و شيخ الأزهر و بابا
الكنيسة , عطلت المُحركات و كان لازم يضحوا بحدّ يرموه من الطيارة !
السّادات قال هاسأل كل واحد سؤال , اللى يغلط أو ما يعرفش , يبقى هو الضّحية ,
قول لى يا فضيلة الشيخ : اسم شهرة الجزائر إيه ؟
شيخ الأزهر رد بسرعة : بلد المليون شهيد ,

الرئيس قال له : عفارم يا مولانا , دورك يا نيافة البابا :

سمعنى أسماء المليون شهيد ؟

هتوحشنا قداستك !

سوناتا الغافل و الطمعان

كنتُ فى زيارةٍ لأحدِ المَعارفِ , و فى صالةِ الاستقبالِ , لبثنا بعضَ الوقتِ ,
فى انتظارِ اكتمالِ عِدِّ الضيوفِ , حتى نَشرعَ فى العملِ على ما اجتمعنا لأجله ,

على طاولةٍ جانبيةٍ , لمحتُ حوضَ سمكٍ زُجاجى شفافٍ كبيرَ الحجمِ ضيقُ العُنقِ ,
تسبح داخله سَمكةٌ ذهبيةٌ , رواحاً و غدواً فى سَكينةٍ و حبورٍ , و غيرَ بَعِيدٍ عَنِ
الحوضِ و على ذاتِ الطاولةِ , ينتصب على قدميه الخلفيتينِ ,
قطُّ رومى بديعُ الفُرو و الشواربِ , يموءُ على فتراتٍ , كُلِّما حاولَ إدخالَ مَخْلَبه
فى الحوضِ , و حالَ ضيقُ عُنقِ الحوضِ دونَ ذلكِ ,
الهَرُّ لا يَبنى يُكرِّرُ المُحاولةَ دونَ جَدوى , المرَّةَ بعدَ المرَّةِ ,

و الحوضُ مُعرضٌ للسِّقوطِ و التَهشُّمِ , و الهَرُّ قد يُعاقبه صاحبُ البيتِ على
هُجومه الفاشِلِ على السَّمكةِ , بينما لا تأبه الأخيرةُ بالخطرِ المُحدِّقِ بها , والذى قد
يُحوِّلُها لوجبةَ عشاءٍ للهَرِّ , شَرَدَتْ مِنى الأفكارِ و تواردتْ الخواطرُ ,

حدَّثتْ نَفْسِي أَنَّ المرءَ - مَنّا - ليسَ أذكى - كثيراً - مِن ذلكِ الهَرِّ ,

نَطلُبُ - طولَ الوقتِ - ما يتجاوزُ المُمكنِ , فنَقُغُ فى المَحْظُورِ ,

كما إنَّ أيَّ مَنّا , ليسَ أَسعدَ حظاً مِن تلكِ السَّمكةِ ,

نَنتَظِرُ القضاءَ و القَدَرَ , بينَ لحظةٍ و أُخرى ,

و رَغَمَ ذلكِ , نَمْضى فى طَريقنا , نَعْلِكُ العَفْلةَ و اللَّامُبَالَاةَ !

هَيَّ دَيَّ مَصْرَ يَا عَبْلَةَ .. وَ هَيَّ دَيَّ عَبْلَةَ يَا مَصْرَ (الصعود إلى الهاوية)

و ليس أشبه بمصرَ المحروسة , إلا عبلة كامل الملبوسة

رُكام من الموهبة الأصيلة , و الفشل غير المُبرَّر
تحويجة من التاريخ المُشرَّف , و الواقع المُرتبك
شفرة من الفرص الضائعة , و المستقبل الغامض

نصيئها من الأنوثة عظيم , لكن حظَّها في الرجالِ هَضم !

يسير عليها أن تُخلِّق بنا في سماءاتِ السَّعادة و البَهجة
لكنَّها جَنحت إلى هَدَر العُمر , في كهوفِ الأسي و سراديبِ الحيِّرة !

و رَغَمَ كُلِّ شَيْءٍ , فَإِنَّ رصيدها لدينا و حُبَّنا لها ,

كفيلان بصون الوداد و تجديد الأمل و إنباض الشَّغف
جنباً إلى جنب , مع استدرار دِموع الفرح أو الأسف !

ماتريوشكا

ماتريوشكا , أو الدُمية – العرائس - الرّوسية الخَشبية المُزخرفة المُتداخلة ,

تقومُ فكرُتها على تركيب و تخزين مجموعة العرائس

- قد تبلغ عشر مُجسّمات - واحدة في بطن الأخرى ,

بحيث تختفي كُلُّ صَغيرة منها في باطن الدُمية الأكبر مَقاسا ,

من أبداع المُنتجات الفولكلورية في روسيا الإتحادية - الإتحاد السوفيتي السابق -

الأصلُ فيها , أن تأخذَ اللعبةَ شكلَ حَساء ترتدى الرّى القومي المُبهرَج بعباءاته
القطيفة الموشاة بالقُصب و التّيجان المذهّبة و ما تيسرَ من حُلَى و زخارف ,

لكنّ تلك الدُمية تحتلُّ التّجسيد في أيّ شكلٍ آخر ,

كالحيوانات و أبطال الحوادث الخُرافية و مشاهير الفنّ والرياضة ,

و لا أنسى إحدى تلك المجموعات , أخذت فيها ماتريوشكا صيْغة رُعماء الإتحاد
السوفيتي السابق : [لينين / ستالين / خروشوف / بريجنيف / أندروبوف / تشيرنينكو
/ يلتسين / بوتين] و كأنّها تقولُ : تعدّدت الأقنعة , و الوجهُ واحدٌ !

وَنَسْ

و فيه قطع أثاث كِدا فى البيت ,
ليها حضور , و فيها روح و ونس ,
حاجه كِدا فوق الجماد , و ما يتقالش عليها عَفْش ,

البارافانات (السواتر) مثلا , الكرسى الهزاز يمكن ,
شبابيك و أبواب القزاز الملون المعشَّق ربما , مَشْرِبَّيات الأرابيسك , احتمال ,
الساعة الموبيليا أم بَنَدُول بالتأكيد , دولاب الفَضِيَّة – مش النَّيش خالِص – لازماً
ولا بُد , الدَفَايَةِ الرُّخَام , الشَّكْمَجِيَّة الصَّدْف , الحَزْنَةُ الحديد أم مُفْتَاحِينَ ,
و غيرها و غيرها ...

الحاجات دى بتبقى تُراث , و جزء من العيلة تتوارثه الأجيال .

الْقِرْد .. أَصْلُهُ إِنْسَان

من زمان وانا عندى وَلَع و افتتان بقُرود الحِكْمه الصينيه - وفى رواية أخرى اليابانية - [ميازاروا & كيكازاروا & ايوازاروا], أو : لا أرى & لا أسمع & لا أتكلم, فى الفلسفة الآسيوية , النفي وارد على الشَّر و القُبْح ,

بينما فى الثَّراث العربى والمَنْظور المَصْرِى ,

الحِكْمَة مقصود بيها السَّلبية و الحِرص ومجاراة الأجواء و السَّباحة مع التَّيار
بصرْف النَّظَر عن نهايه المَسار !

بيقولوا إن الحِكْمَة لها تكملة , تتعلق (بلا أفعَل) و كذا (لا أنشر)

لكنَّ المَغْزَى واحد , و السياق مُمتد

القِرْد فى الثقافة الشَّرقية , رمز للذكاء و الخِفَّة و التشابه مع الإنسان ,

ورغم إن القُرآن الكريم أورد القِرْد فى سياق العقوبة والمَسخ , إلا أن الفراعنة قدَّسوه و عبدوه !

سيبك من الكلام عن المُقدِّمات والمؤخرات و التَّنْطِيط و اللَّعب على الحيط ,

ووافقنى إن القِرْد بأنواعه و فصايله المختلفة , و أحجامه و ألوانه المتعددة ,

و قوته المُفرطة و لياقته الأَكْروباتية , و قُدرته المُذهلة على تقليد الإنسان بالسلوك
و المشاعر و الأصوات و التعبيرات , يعتبر كائنٌ مُثير للفضول و الجدل و كَمَان
غامض و مُخيف !

جائز يكون فى وداعة القُطَّة و حنان الأم ,

و مُمكن برضه يقلب لمُشاغب شَرِس أو قاتِل سَفَّاح ,

و التناقض و الغُموض دا , مفيش شكّ منبعُ فضول و مَصدر جاذبية .

[33]

الشّاي الشّاي الشّاي , أوشفلك يا حبيبي الشّاي

أنا باحب الشّاي ,
بافضله على القّهوة بتاعة الناس المُحنّكين ,
و المياہ الغازيہ - الحاجه الساقعه - بتاعة الخواجات المأنتخين ,

باحب أعمل بنفسي الشّاي ,
و احب أشربه و أشمّه و اتفرج عليه ,

ارتاح له (سادة) بكميّة صغيرة (خَمْسينه)
في كوبايه قِراز مش مَج فُخّار و لا فُرطاس ورق
و شايف إن (المُحسّنات البديعية) اللي بيضيفوها عليه من قبيل
النّعناع والحليب و الحلاوة الطحينية دَلع مرء
أما الشّاي بالنّكهات , ياسمين و خوخ و ورد وتوت,
فهذا هرطقة مُجَدِّفين و ظَلِم عَظيم !

باشرب في اليوم - ما لا يقل عن - ١٠ كوبايات ,
و بالنسبالي أول واحده اللي ع الريق وشاي بعد الوجبه ,
ضروريات وجوديه , زى البلازما و الصّفّاح الدّمويه !

شاي الحطب بقى ع النيل أو ساعة العَصاري في الجنّاين ,
أو ف البلُكونه - مش التراس - ساعة المغارب ,
كأنه - و الله - من نَفحات جَنّة رضوان !

[34]

باليرينا

فى الزَّمان الأول ,

كُنْتُ - لبرائتى - أَظُنُّ أَنَّ :

أجسادَ الباليرينات , سُبِكتْ من خَيْرِ ران و صَلصال ,
دونَ عَظَمٍ أو شَحْمٍ أو عَرَقٍ أو غُبَار ,

أما الآن , بعدَ مُرورِ السنينِ و العُقودِ ,

فقدَ أيقَنتُ أَنَّها - حَقًّا - كَذَلِك ,

معَ بعضِ الفُولاذِ و الجَلِيدِ مِن هُنا ,
و بعضِ العَنبرِ و الأثيرِ مِن هُناك !

أنف بن مُنْخار بن أبي خَشم

" تَقَبَّلْكَ لَأَنْفِكَ - على حاله - , هو أوَّلُ خُطواتِ نِجَاحِكَ في الحَياة "

هذا حديثٌ ظاهرُهُ فيه الخِفةُ و السطحيةُ , وباطِنُهُ مِن قِبَلِهِ العُمقُ التَّأَمُّلُ ,
و الأنفُ و إن كانتْ مُناسِبةً للحديثِ و آليَّةً للطَّرَحِ , إلا أنه يمكن استبداله ,
بأية مُفردة من مُفردات هَوِيَّة المَرءِ و عَنَاصِرِ تَرْكِيبِهِ ,
أشياء مِثْلُ : العِرْقُ و النُّوعُ و المِلَّةُ و اللَّونُ و الطَّبَقَةُ و ... و
كُلُّ ما سَلَفَ , الأَصْلُ فيه أَنَّهُ : مُعْطَى ثابِتٌ , بحسب المَبْدَأِ ,
لَيْسَ لِلإنسانِ خيارٌ بِشأنِهِ , و لا فَضْلَ لَهُ فيه و لا عَلَيْهِ مِنْهُ ذَنْبٌ ,
و في مَواجَهَتِهِ لا يَمْلِكُ إلا واحدةً من اثنتين :
, إما القَبولُ و التَّسليمُ و الرِّضا و التَّفاعُلُ , أو الإنكارُ و الرِّفْضُ و التَّبَرُّمُ و الإحباطُ ,

و إنه وَلِئِنْ كانَ النَّاسُ - أَمامَ اللَّهِ والقانون - سَواءً ,
إلا أَنَّهُ نَمَّةٌ فُروْقٌ فَرْدِيَّةٌ , يَتَوَجَّبُ الاعْتِرَافُ بِها ,
والتَّصالُحُ مَعَ الذَّاتِ و المُجْتَمَعِ بِشأنِها ,

هذه الفروقاتُ والتحدياتُ هِيَ التي تَجْعَلُ دَرَبَ البَعْضِ مُعَبِّدًا يَسِيرًا ,
بَيْنَما يَكُونُ طَرِيقُ البَعْضِ الأخرِ و عَراً عَسيراً ,
و مَرَجِعُ الأَمْرِ إلى المَرءِ ذاتِهِ , في تَحديدِ مَنظُورِهِ إلى العُنْصُرِ الجَدَلِيِّ ,
بَيْنَ التَّهْوِيلِ أو التَّهْوِينِ و بَيْنَ التَّفَرُّدِ أو التَّعَدُّدِ ,

و تَرتِيباً على مَنظُورِ الإنسانِ , ومَوقِفِهِ تَجاهَ العِناصِرِ الجَدَلِيَّةِ المُشارِ إليها
يَكُونُ المَالُ النِّهائِيُّ لِعَلاقَتِهِ مَعِها , فَهناكَ مَنْ تُعْطِلُهُ تِلْكَ العِناصِرُ و تُنْغِصُ عَلَيْهِ
حَياتِهِ , و تَحولُ دُونَ تَقَدُّمِهِ و ازدهارِهِ على وَجهِ التَّأَقُّبِ أو التَّأْيِيدِ ,

و هُناكَ من يقفز عليها ويتجاوزها, ويجعلها غير ذاتِ شأنٍ أو حتّى محلاً للقبول
الشّخصي و العام , و ثمّة فئة أخيرة تنجح في تفاعلها مع تلك العناصر , حتّى تحولها
إلى عناصر تفرّد و مقومات تميّز , ليس فقط لذاتها , و لكنّ لكلّ من يشاركونها إياها
, هُنا و هُناكَ وفي الحالِ والاستقبال .

خَيَال المآتة

ساعة مغارب , قاعد باقلب فى مجلة قديمة , و باتفرج على صور من الرّيف
المصرى , وقفت عند صورة لجنيّة عنب , على راسها خيال مآتة , رجعت بالذاكرة
لأيام الطفولة ,

زماااان , و انا صغير , شفتُ خيال المآتة التعيس دا , مرّات معدودة
فى غيطان و جنّين البلد , كان بيعانى من الوحده و العتمة و الصّهد و الزّمهرير
, و الأنكى , استهتار العصافير و الغربان و الدّيابة و حرامية المواشى
و نقالين الحدود بين الجيران !

و إذا كانت ناس كتيره فاكراه , إنّ خيال المآتة خرج من التّاريخ و دخل المتحف ,
أنا باقول لهم : أبداً , أبسليوتلى ,

كتير من البيوت و المكاتب و المجالس و المنابر و الأحزاب
لسّه مليانه بخيالات المآتة و شرّابات الخُرج على كل شكّل و لون !

النِّظام , سِرُّ الكون

نعم , أنا ذلك الشَّخصُ المَهووسُ بالنِّظام , المريضُ بالتَّفصيل , حقاً و صدقاً , سرّاً و علناً , مُنفرداً أو على مَلا , فى شئونى الخاصة و روتينى اليومى و كذا فى تفاعلاتى المُجتمعية وواقعى العَملى , مُنذُ نعومة أظافرى و حتى شاب ما تبقى من شَعْرِى !

هذه عِندى عقيدةٌ , قبلها البعضُ و رفضها غالبُ النَّاسِ ,

شخصٌ لا يسْكُنُ فى مكانٍ أو يبدأ العَمَلَ فيه ,

إذا كان شَيْءٌ فى غير موضِعِهِ , أو خِلافَ ما اعتاده , أو على غير ما يُفَضِّلُ ,

على النقيضِ مِنْ مُعظمِ النَّاسِ , الذين يرتاحون لفوضى مَقَرَّاتِ أَعْمَالِهِم أو مكاتِبِهِم ,

و يستطيعون التَّعاملَ مع ذلكِ الوضعِ بكفاءةٍ و أُرِيحيةٍ ,

و بينما يظهرُ التَّوترُ و يسودُ الإضطرابُ

إذا قرروا تنظيمِ المقرَّاتِ و المكاتبِ أو أُجبروا على ذلك !

بالقطع للنِّظامِ مزايا عَديدة , مِنْ وضوحِ الرؤيةِ و تجويدِ الأداءِ و تسريعِ الإنجازِ ,

لكنَّ الهوسَ بالنِّظامِ , يُمكنُ أَنْ يَنجمَ عنه عَوَاقِبُ وخيِّمةٌ ,

تبدأُ بهذُرُ الوقتِ و الجُهدِ فى الشَّكلياتِ و تحضيرِ الأعمالِ , و لا تنتهى بإمكانيةِ التنبؤِ بأفكارِ المرءِ و تصرفاتهِ و سهولةِ التشويشِ عليه أو وضعِ العَراقيلِ دونَ تطوره أو إنجازهِ , و هو ما يتوجَّبُ التَّبصُّرُ له و التَّحَوُّطُ منه ,

فى عالمٍ هو للغابةِ أقربُ منه إلى خليةِ النَّحلِ , و تبقى كلمةُ ألبرت آينشتاينِ السَّاخِرةِ:

(إذا كانَ المَكْتَبُ غيرُ المُنظَّمِ يدلُّ على أَنَّ تفكيرَ الشَّخصِ غيرُ مُنظَّمٍ ,

فعلامَ يدلُّ المَكْتَبُ الخالى ؟

أنا مش كبير مُلَّه , أنا صُغِير نِنِّه

طول الوقت و فى كُل مكان و فى أى سياق ,
 كُل مَرَّة أكونُ فيها فى مول أو معرض أو سوق
 من غير تعقيد أو خجل , زى المسحور ,
 انجذب ناحية ركن لعب الأطفال ,
 قُطن & قُماش & معدن & مُكعبات & حَشَب & بلاستيك & ورق & كومبيوتر ..
 أياً كانت الخامة و الشكل و الميكانزم ,
 أنا جاي فى أى مَصْلحة , قصدى لعبة !
 أسرح و أقلب و أفكِّك و أدور و أركب و أفرش و اجرِب ,
 ماعنديش كلاكيك و لا مُرْكبات نَقْص , و لا بأنام سايب باب اللاوعى موارد !
 راضى بهذه المسألة و متصالح مع نفسى بخصوصها ,
 يمكن عشان طفولتى كانت غَنِيَّة وَسَعِيدَة , باحب استحضرها فى كل فُرْصة ,
 و حريص طول الوقت , إن الطِّفل اللى جوايا , بُكل البراءة و الشَّغف ,
 يفضل حاضر و فعال , فى الأفكار و التصرُّفات ,
 كأن (عيَّالستان) , هِيَّ واحة الأمان ,
 وسط جهنَّم الواقع و عالم الكُبار , الأشبه بالغابة أو الصَّحرا ,
 و من غير الملجأ دا , يتعذر عليَّ التوازن النَّفسى
 يستحيل الصمود و تكملة المشوار . و
 #ما لعب كَهْلٌ و اختلج , إلا كما انضغَطَ ابتَهج

سوق على مهلك , سوق , بكرة الدنيا تروق

أتعلمت السّوافة و انا مُراهق , و باسوق بانتظام من ثلاثين سنه ,
و بشكل عام سواقتي مَقبولة جداً , يعنى باحافظ على نفسى و على الناس
حاجه فى المَعقول , لا نَفَاثَة و لا حَزون
المُشْكِلَة بقى , إنى عندى عيب خَطير ,

باعتبارى : شاعر عَنَتِيل و مُفَكِّر زُنْجَبِيل
باسرح واشرد كثير , بِمُناسبه و مِن غير مُناسبه !

ساعات في مظاهر الطَّبِيعَة , وأحياناً فى المَبانى و الشّوارع ,
أوقات فى وشوش الناس و تصرّفاتهم , و مرات فى يُفَط المَرور
والمَخْطوطات على قِراز و شاسِيهات العَرَبِيّات !

يعني مثلاً , يُفَط زِيّ : (مَسار إجبارى) & (مُنْعَطَف خطر)
(طريق جمال عبد الناصر / الحُرِيَّة سابقاً) , بِتَقَلِّب عَلَيَّا مَوَاجِع السِّيَاسَة !
و يُفَط زِيّ : (تَحْوِيلَة) & (اتجاء العَبَّاسِيَة) & (مُخَصَّص لِلْمُسْتَنِينَ و ذوى
الحالات الخاصَّة)

بترفع ضَغْطى من الفوران اللى ف المُجْتَمع !
كله كوم بقى و لما تَصْطَبِح بحدّ بِيْتَدَلِّع , أو تَتَمَسَّى بحدّ بِيْتَشْخَلَع , بعد ما تشوف
يُفَط من عَيْنَة

(مُنَحْنِيَات خَطَرَة) & (مُصَرَّح بِأَطْوَال و بُرُوز) & (حَاذِر , وَقُوف مُتَكَرِّر)
#الشَّيْخ حُسْنَى / الكَيْت كَات

زَمِيل يَعْنَى

و لما الكلام يَشْرَق و يَغْرُب , و يَطْلُع و يَنْزِل , و يروح و ييجى ..
و تيجى سيرة واحد من الناس ,

صَعِيدى & زملكاوى & أبو بنات &
صاحب ضَغْط و مَرارة & عضو تَجْمُع الصَّلعة و الكِرش & مُضْطَّهَد زَوْجياً &
مهروس عائلياً & كُحَيْت ماديّاً & مُحْبَط ثقافياً & خَامِل سياسياً &

ألاقى نفسى أنكَمشت و انفردت , و شَوَّحت بيمينى و مَصْنَمصت ليمون بشفايفى
فى مُرْكَب مزاجى , يَجْمع التعاطُف بالزَّناء , و خَيْبة الأمل اللى راكبه جَمَل !

و لبسنى عَفريت عادل إمام فى مسرحية الزعيم و هو بيقول :
زميييييل يعنiiiiiiiiiiى ...

[41]

الجسر

عن تلك الشعرة الرقيقة ,

الجسر , بين الوقار و التعالى ,

أو بين التبسط و التبذل ,

التي يدرج عليها ,

كل رشيد مبجل , على الهمة , لطيف المعشر ,

يخشى أن يفصل عن الواقع , و يخلق في أجواء النرجسية ,

و يترفع عن التهاوى , في مدارك الرخص و مستنقع التهاثر ,

عُدْتَ يَا يَوْمَ مَوْلَدِي

عَنْ هَذَا الشَّعُورِ الْمُرْبُكِ الْمُعَقَّدِ , الَّذِي يَغْتَرِيكَ فِي يَوْمِ مِيلَادِكَ ,
عِنْدَمَا تَكْتَمِلُ دَوْرَاتُ الْقَمَرِ حَوْلَ الْأَرْضِ , وَ دَوْرَةُ الْأَرْضِ حَوْلَ الشَّمْسِ ,
و يَزِيدُ عُمرُكَ عَاماً , أَوْ بِالْأُخْرَى يَنْقُصُ !

شُعُورٌ يَخْتَلِطُ فِيهِ الرِّضَا وَالْحَمْدُ , بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّسْلِيمِ ,
مَعَ بَعْضِ الْغَضَبِ هُنَا , وَ الْإِحْبَاطِ هُنَاكَ ,

نِعْمُ اللَّهُ عَمِيمَةٌ وَفِيْرَةٌ , لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى :
هُدًى وَ بَرَكَةٌ , وَ أَسْرَةٌ وَ صَحَّةٌ , وَ رِزْقٌ وَ مَحَبَّةٌ

.....

لَكِنَّ فِطْرَةَ الْإِنْسَانِ , جُبِلَتْ عَلَى الْقَلْقِ وَ الطَّمَعِ وَ الصَّرَاحِ وَ الْعَجَلَةِ ,

فَكَيْفَ تَمَزُّجُ بَيْنَ جَنبَيْكَ , طِينِ الْأَرْضِ بِنَفْحَةِ السَّمَاءِ ؟

وَ تَحْفَظُ لِهَذَا الْمُرْكَبِ الْعَجِيبِ , هَدَاةَ الْاسْتِقْرَارِ وَالْاسْتِمْرَارِ ,

وَ هُوَ يَمُوجُ بِالْمَوَارِ , وَ لَا يَخْمَدُ إِلَّا بِالْإِنْفِجَارِ !

إلف النعمة

في نهاية يوم شاق , استلقيت مُسترخياً على الأريكة, وتحت قدميَّ صغیرتي (جنی),
ترتدى نظارتها وتَقْضُم حَبَّة (كيوى) , نَتابع فيلماً قديماً من كلاسيكيات (هوليوود),

و بينما نحنُ كذلك , إذ شردَ بي الخيالُ , كيف أنَّ الألفة تُزيل المَهابة ,
و أنَّ وفرة النِّعم واستمرارها , تُبَلِّلُ الفؤاد ,
فيغفلُ عن الشَّعور بالرِّضا , وينكُصُ عن القيام بواجبات الذِّكر ومُقْتَضِيَات الشُّكر,

فهلْ تُدرك (جنی) , أنَّ الثلجَ في كوبِ الماءِ أمامها ,
كانَ يوماً ما إمتيازاً حصرياً , لَخَلِيفَةِ يَمَلُكْ شَطْرَ الأرضِ مثل (هارون الرشيد) !
و أنَّ ما في يدها مِن فاكهةٍ استوائيةٍ , لم تكن تَخْطُرُ ببالِ أميراتِ العائلةِ المالكةِ
لقرنِ مَضَى مِنَ الزَّمانِ , و أنَّ ملايينَ البشرِ عاشوا و ماتوا , و قد رأوا من الدُّنيا
النَّزَرَ اليسيرَ - غائماً مُشوشاً - لأنَّ زمانهم لم يسمح لهم ,

بترف استعمالِ العوینات الطبیَّة ,

أما السينما المنزلية التي تتمتع بها - بفضل الشَّاشة الذَّكية - فكانتْ غايةً
ما شطَحَ إليه خيالُ (جمال عبد الناصر) , في منزله بمشيئة البكرى,
انتبهتُ لحالى و أنا أغمغمُ بالتسبيح والتحميد وأُقِلُّ كفى وجهاً لظَهْر ,
و صغیرتي التفتتُ عن الفيلم ,

وهى تُحْمَلُق بوجهی - ذاهلةً - لا تُدرى , ماذا دَهِى أباهَا ؟

الْغَازُ الْحَوَاسِ

تَاهَتْ عَلَيْهِ , وَ جَلَجَلْتُ بِخُيَلَاءِ ,

لَا تُنْكِرُ أَنَّ مُعْظَمَنَا - دُونَاً عَنِ الرِّجَالِ - يَتَمَتَّعْنَ بِحَاسَّةٍ سَادِسَةٍ ..

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً وَ غَمَّغَمَ بِدِهَاءٍ :

لَعَلَّ السَّادِسَةَ الْإِضَافِيَّةَ , تَعَوَّضُ خَمْساً أَصْلِيَّةً ,

مُعْطَلِينَ كَسْلاً أَوْ هَوًى !

وَ خَلَّفَهَا وَرَائِهِ , وَ انْسَحَبَ وَ هُوَ يَتَفَكَّرُ ,

فِي تِلْكَ الْغَيْمَةِ , الَّتِي تَعْلُو أَعْنَاقَ مُعْظَمِ النِّسَاءِ ,

فَتَجْعَلُهُنَّ يَتَرَاوَحْنَ , بَيْنَ التَّشْوِيشِ وَالْإِزْتِبَاكِ أحياناً ,

وَ الْبَصِيرَةِ وَ الْإِلْهَامِ أحياناً أُخْرَى !

[45]

القَنَاصُ وَ الطَّرِيدَةُ

كُلُّ عِلَاقَةٍ بَيْنَ رَجُلٍ وَإِمْرَأَةٍ

يَلْزِمُهَا قَائِدٌ وَ تَابِعٌ , سِوَاءٍ دَائِمًا أَوْ مُوقَّتًا ,

وَ الْفَرْزُ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى مَنْ يَخْشَوْشِينَ بِالشَّوَارِبِ أَوْ يَتَجَمَّلُ بِالمَسَاحِيقِ !

ثَمَّةٌ لِبَسُّ تَارِيخِي فِي تَحْدِيدِ هَوِيَّةِ الصِّيَادِ وَ الْفَرِيَسَةِ ,

فِي الْعِلَاقَةِ الْجَذَلِيَّةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَ الْمَرْأَةِ ,

وَ الْعَجِيبُ , أَنَّهُمَا ارْتَضِيَا هَذَا اللَّبْسَ , وَ لَمْ يَخْرُصَا عَلَى بَيَانِ الْحَقِيقَةِ ,

فَلَيْسَ مُهِمًّا مَنْ يَبْدُو أَقْوَى أَوْ يَحْتَفِلُ بِالْقَنَاصِ ,

وَ إِنَّمَا الْعِبْرَةُ : بِمَنْ بِيَدِهِ دَقَّةُ السَّفِينَةِ ,

وَ مَنْ يَفْتَرِسُ الْآخَرَ عَلَى مَائِدَةِ الْعَشَاءِ !

وَ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَ الْمَرْأَةِ لَيْسَ ثَمَّةُ صِيَّادٍ دَائِمٍ وَ فَرِيَسَةٍ مُؤَبَّدَةٍ ,

إِنَّمَا هِيَ جَوَلَاتٌ وَ (تَانَجُو) , تَتَبَدَّلُ فِيهِ الْمَوَاقِعُ وَ الْخُطَوَاتُ ,

وَ مِنَ السَّدَاجَةِ أَنْ تَتَوَهَّمُ أَنَّهَ لَا بُدَّ وَ أَنْ تَكُونَ الْفَرِيَسَةُ هِيَ الْمُطَارَدَةُ ,

أَوْ أَنْ الصِّيَّادَ هُوَ الْمُسَلَّحُ ,

فَلِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنٌ , وَ لِكُلِّ تَعْبِيرٍ تَأْوِيلٌ !

أنا أنطونيو .. و أنطونيو أنا

كُنَّا هَذَا الرَّجُلَ , بِدَرَجَةٍ أَوْ بِأُخْرَى , وَ إِلَى حَيْنَ :
 مَا إِنْ تَبْدُو فِي مُحِيطِنَا , إِحْدَى الْإِنَاثِ ,
 حَتَّى يَتَوَهَّجَ الطَّائِفُ دَاخِلَنَا ,
 وَ يَصْحُو مِنْ بِيَاتِهِ الشِّتْوَى , الْبَهْلَوَانُ الْكَامِنُ فِي الْأَعْمَاقِ ,
 وَ تَتَوَالَى عَلَى خَشْبَةِ الْمَسْرَحِ ,
 كَافَّةَ حِيلِ الظُّهُورِ وَ أَلْعَابِ جَذْبِ الْإِنْتِبَاهِ !

وَ غَالِبًا مَا يَمُرُّ الْعَرَضُ مُرُورَ الْكِرَامِ ,
 إِلَّا إِذَا اجْتَمَعَ عَلَى الْحَلْبَةِ مُجَالِدَانِ فَكْثَرُ ,
 أَوْ تَفَاقَمَتْ حَالَةُ الْبَعْضِ , لِيَصِلَ إِلَى أَغْرَاضِ مَوْسِمِ التَّزَاوُجِ !

حَسِنَ النِّيَّةِ سَادِجِ الطَّوِيَّةِ , كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الظَّاهِرَةَ الْمَذْكُورَةَ , آفَةٌ مُوقْتَنَةٌ نِسْبِيَّةٌ ,
 تَظْهَرُ وَتَخْتَفِي , تَقْوَى وَتَضْعُفُ , بِحَسَبِ الشَّخْصِ وَ الزَّمَانِ وَ الْمَكَانِ وَ الْبَيْئَةِ ,
 فَإِذَا بِي أَتَيْقَنُ - مَعَ الْوَقْتِ - أَنَّهَا فِطْرَةٌ مُزْمِنَةٌ , فِي أَصْلِ التَّرَكِيبِ ,
 تَعْلُو عَلَى الظُّرُوفِ وَ الْمُتَغَيِّرَاتِ , وَ لَمْ يَنْجِ مِنْهَا إِلَّا اللَّيْبُ الْبَحِيثُ !

[47]

آلة الزمن

وَقِرْ لَأَيَّةِ إِمْرَأَةٍ , أَيَّأَ كَانَ عُمُرُهَا - أَوْ وَزْنُهَا -

أَرْجُوحةً لَطِيفَةً , وَ بَصِيصاً مِنَ الْخُصُوصِيَّةِ ,

و سَتَجِدُهَا فِي لَمَحَةٍ بَصَرٍ

ارْتَدَّتْ صَبِيَّةً غَرِيرَةً !

و سَتَسْمَعُ ضَجِيجَ نَبْضَاتٍ بَهْجَتِهَا , فَوْقَ الْأَرْجُوحةِ

لَيْسَ فَقَطْ أَرْجُوحةٌ , لَكِنْ افْتَحَ الْقَوْسَ , وَأَضْفَ :

الشَّيْكَوْلَاتَةَ & الدُّمَى & الْهَوْلَاهُوبَ

& الْمَصَاصَاتِ & أَدَوَاتِ الزَّيْنَةِ &

رَوَايَاتِ الْحُبِّ الْعُدْرَى & وَأَغَانِي غَرَامِ الْمُرَاهِقِينَ

[48]

أُنُوثَة

فِي مَيْعَةِ الصِّبَا أَوْ حَرِيفِ الْعُمَرِ ,
فِي بَحْبُوحَةِ الْيُسْرِ , أَوْ رَهَقِ الْعُسْرِ ,

لِبَعْضِ النِّسَاءِ مِنَ الْأُنُوثَةِ , حَظٌّ لَا يَرْتَجِ ,
وَ إِنْ نَبَتَتْ لَهُنَّ شَوَارِبُ وَ لِحَى ,
وَ لِبَعْضُهُنَّ مِنَ الْخُشُونَةِ وَقُرٌّ ,
لَا تَمُوهُ تِلَالُ الْمَسَاحِقِ وَ أَنْهَارُ الْعُطُورِ ,

دَعَكَ مِنَ الْمَقَاسَاتِ وَ الْاسْتِدَارَاتِ ,
وَ خَلَّ عَنْكَ الزَّخَارِفُ وَ الْكَمَالِيَاتِ ,

إِنَّمَا هِيَ فِطْرَةُ الْخَلْقِ وَ حَدِيثُ النَّفْسِ ,
وَ الْوَعَى بِالذَّاتِ وَ إِدْرَاكُ الرِّسَالَةِ ,
بِالْحَيَاءِ وَ الْكِبْرِيَاءِ , دُونَ رُخْصِ أَوْ ضَلَالَةٍ .

الجَوْهَرُ وَ الْمَظْهَرُ

إلى المبهورين المفتونين , بما هو شائع في الشوارع و رائج على الشاشات ,
دَعُكُمْ مِنَ المظاهر , و حَلِّ عَنْكُمْ القُشُورَ

الإنسانُ – أياً كان نوعه – وعيٌ و إحساسٌ و سلوكٌ و رسالة

فالرجولة ليست شواربٍ أو لحى أو عضلات ,
كما إنَّ الأنوثة ليست مساحيقَ أو حُلًى أو أزياء ,
و أيُّ منهما لا يتأثرُ بالسلالة أو اللون أو المتعلقات أو الممتلكات ,

فَكَمِ مِنْ أصدافٍ غلّفتْ لآلئ , و كَمِ مِنْ خَزائنَ طُوِيَتْ على غُثاء

و الإنسانية - ذكورةٌ أو أنوثة - أبسطُ مِنْ ذلك و أعقدُ في آنٍ معا !

الصِّراطُ الْمُسْتَقِيمُ

حينما تكونُ على الطَّرِيقِ ,

فَمِنَ الْجَيِّدِ أَنْ تَوَالِيَ التَّقَدُّمَ لِلأَمَامِ , وَ أَنْ تَكُونَ سَرِيعُ الْمَسِيرِ ,

بِلا وَقَفَاتٍ أَوْ عَثَرَاتٍ أَوْ تَرَاجُعَاتٍ ,

وَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ , أَنْ تَبْلُغَ الْغَايَةَ وَ تَوْفِيَ الْقَصْدَ ,

لَكِنْ أَهَمُّ شَيْءٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ , أَنْ تَبْقَى طَوَالَ الْوَقْتِ ,

عَلَى الصِّراطِ الْمُسْتَقِيمِ وَ الدَّرَجَةِ الْقَوِيمِ ,

لَا تَزِيغَ وَ لَا تَتَكَصَّرَ وَ لَا تَرْتَدَّ ,

هَمَمْتَ أَوْ فَتَرْتَ , بَلَغْتَ أَوْ عَجَزْتَ ,

فَأَنْتَ لَا تَدْرِي أَيْنَ يَنْزِلُ الْبَلَاءُ أَوْ كَيْفَ يَكُونُ التَّمَحِيصُ ,

أَوْ مَتَى يَجِلُّ الْأَجَلُ ؟

المحمية الطبيعية للفطرة السوية

- الناس اللى لسه بتقول (مِنْ فَضْلِكَ) & (كَثَّرْ خَيْرِكَ) & (آسِف , سامحنى) .
- الناس اللى بتقدَّر الكبير وتعطف على الصُّغِير و تكُرم الغريب وتحترم الجنس الآخر .
- الناس اللى بتراعى ذوى الاحتياجات الخاصة و ماعندهاش تمييز أو تنمّر ضد الآخر
- بداعى (الدِّين / النُّوع / العِرْق / اللون / الطَّبقة)
- الناس اللى ربنا عافاها من الزعيق والتشويح و السُرْسجة و الستوماك و اللو وايست
- و الجينز المقطع ... و لسه بناتهم بيلبسوا فساتين و يمسكوا شنط
- و أولادهم بيحرصوا على العطور و تلميع الاحذية ...
- الناس اللى بيصحوا بدرى , و ما يتأخروش فى السهر
- و بيفهموا في توقيتات الزيارات المنزلية والإتصالات الهاتفية .
- الناس اللى لسه بيقرأوا ويحافظوا - قدر الإمكان - على صلاة الجماعة
- وحد أدنى من الرياضة المنتظمة , وصلات الرّحم والدّم .
- الناس اللى بتلجّم فضولها , و ما تجيبش سيرة الغايبين ,
- و ما تفتريش وقت النّعمة و ما ترخصش وقت الشّدة .
- الناس دى بقت عُمله نادرة ,
- مفروض يحافظوا عليهم , و يعزلوهم فى مَحميات طبيعية ,
- عشان الفِطْرة السّليمة و الذوق الراقى (الكومون سينس)
- بقت أشياء تعد من قبيل القوى الخارقة (السوبر باورز)
- أما بقى اللى بالى بالك , فربنا يهديهم ,
- و إن ما كانش , يبقى (جبر) يلم العفش .

[52]

أنا و نفسى و ذاتى

لكل إنسان فى هذا الوجود ، ثلاثة وجوهٍ على الأقل ،

وجةٌ يُعلنه للكافة ، و يُظهره للمُجتمع ،

و آخرُ، يُعامل به الخاصَّة و ذوي القُربى

و ثالثٌ ، خبيئةٌ سره ، لا يُفصح عنه إلَّا لذاته ،

و الأخيرُ - دون سواه - هو عَيْنُ الحقيقةِ و مِرآةُ الواقعِ !

و صورتك و سيرتك أمام المُجتمع ، تعتمد على مزيجٍ بدرجاتٍ متفاوتةٍ ، من الأول و الثانى ،

أما صورتك أمام ذاتك - و طبقاً لمستوى الوعى و الشَّجاعة - تعتمد على مزيجٍ بدرجاتٍ متفاوتةٍ من الوجوه الثلاثة ، بترجيح دائم للوجه الأخير !

و إذا كانَ من النَّادر أن ينجو إمروٌ من ذلك الانفصام النسبى فى الشَّخصيَّة ،

فتتوحد أفكاره و تتناغم تصرفاته ، فى مواجهة الكافة طوال الوقت ،

فإنَّ عُموم النَّاس يعانون من ذلك الانفصام - أو يستغلونه - بشكلٍ أو بآخر ،

و تبقى راحتك العصبية و سلامك النفسى و تصالحك مع العالم ،

كل ذلك ، رهين بمدى الإنسجام و القرب بين وجوهك العديدة

[53]

الْمَنْظُور

الساحر المَسْحُور

مَنْظُور الرؤيةِ و الموقف , بمعنى زاوية النَّظَر والمواجهة و درجة القُرب أو البُعد
مسألة بديهية لكنْ حَظيرة , و غالبا ما تسقط من الحساباتِ و الذَّاكرة ,
و لو مَلكت الوعي و الشجاعة لترتيب أولوياتك وتصنيف علاقاتك ,
هتتخلص من ضغوط و مشاكل رهيبية ,
و كمان ممكن تحقق أهداف و إنجازات كثيرة ,
زمان و انا مراهق , جا عليا وقت ,
كنت بابص على الكون من ورا (مناخيري) ,
و كنت شايفها أكبر من الهرم , و ماكنتش عارف أخطيها عشان أتحرر و انطلق!

بعدها بسنين طويله , كان عندي زميل عمل مشكل ضغط على أعصابي
و مصعب الدنيا عليا تلاكيك و حركات ,
لدرجة إن وقت الشغل بقى تكدير و بيئة المكتب بقت بيض بالبسطرمة ,
مع الوقت والهدوء وإعادة الحسابات و توجيه صديق أكبر ,
قَدِرت أَجَل المُشكَلَتين , و أراجع نفسي
في موضوع المُبالغة في أهمية الشكل للإنسان عموما و الراجِلُ خُصوصا ,
أو تحجيم علاقتك بأى حدِّ حواليك ,
واكلاه الغيرة , أو بينام و يصحى على الدسايس والمؤامرات ...

لِف , و اِرْجِع تانى

اخوانًا حِزب الكَنِبَة ,

أَسْرَى الْأُنْتَخَة و مُدْمَنَى الْإِنْتَرَنْت ,

انْفُضُوا الْكَسْل و جَدِدُوا نَشَاطَكُم ,

انْزِلُوا الشَّارِع و اَتَمَشُوا عَلَى النَّيْل ,

زُورُوا قَرَايِكُم و اسْهَرُوا مَعَ اصْحَابِكُم ,

اسْأَلُوا عَلَى مَعَارِفِكُم و اَتَعْرِفُوا عَلَى نَاس جَدِيدِهِ ,

شَوْفُوا الْحَيَاة عَلَى حَقِيقَتِهَا ,

و سَاعَتِهَا هَتَتَاكِدُوا إِنَّكُم كُنْتُمْ عَلَى حَق

هَتَحَبُّوا الْإِنْتَرَنْت أَكْثَر ,

و تَرْجِعُوا فُرَيْرِهِ , لِحُضْنِ الْكُتُبِ وَالسَّرَايِر !

كُرَةُ التَّلَجِّ

و الكَذْبَةُ مِنْ دُولِ ,
صِغَرْتُ و لَا كِبَرْتُ , اَبْيَضْتُ و لَا اَسْوَدْتُ ,

مَا تَفَرَّقُشْ كَثِيرَ عَنْ كُورَةِ التَّلَجِّ ,
شَكَلُهَا جَلُو و قَلْبُهَا فَاضَى ,

بَتَتَحَرَّكَ بِسُرْعَةٍ و تَتَنَتَشَّرُ هَوَا ,
تَكْبُرُ مَعَ الْوَقْتِ و تَوْصِلُ بِعِيدِ ,

و لَا زَمَاءَ و لَا بُدَّ , عَاجِلًا أَوْ آجِلِ ,
يُظْهَرُ زَيْفُهَا و يُنْكَشَفُ سَتْرُهَا ,
و آخِرَتُهَا تَخْبِيْطُ و فَضَايِحُ و مَرَارُ طَافِحِ !

مَنْطِقَةُ مَحْظُورَةٍ / مَخْزَنُ كَرَائِبٍ

و كل واحد فينا في عقله الباطن , عنده مخزن كَرَائِبٍ
 مشوّن فيه : العُقد و الكلاكيغ و الذّكريات الشجّية ,
 و الرّغبات المَكبوتة و الاعترافات المَكْتومة
 و الأحلام المُستحيلة و الخيالات الجامحة و الضّلالات المُزمنة

و إياك إياك , أن تقتحم ذلك المخزن أو تتسلل إليه !

و زى ما النّاس أشكال و ألوان ,
 عقولها الباطنة و مخازن كراكييها شرحه , أصناف و أنواع :

فيها اللي متستف فيه , كل ما هو جميل و إيجابى , و بقى أقرب للجَنّة و البُسْتان ,
 و منها المَهجور المَنسى , اللي اتحول لخرابة مَهجورة وصَحرا مَقطوعة ,
 و نوع ثالث , كدّس في المخزن كل ما هو سلبيّ و مشوه و مكروه , و حوطه بالحقّد
 و الغضب لدرجة إن المخزن بقى اشبه بسلاحليك أو كَرار بارود و ديناميت ,
 ممكن ينفجر في صاحبه و في العالم , لأقل احتكاك أو أصغر شرارة !

بَيضُ وَاِحْبَاطِيزِم

الكائنات البيضواِحباطية , بتكشيرة السنين ,
و العقل السقيم , الأضيّق من حُرْم الإبرة ,
و الصوت الضجيج , خليط التّقيق و التّهيق ,

موطنها الأصلي : مكاتب الدّوام بالمصالح الحكومية و الهيئات العامة ,
و مخافر الشرطة و مواقع التّواصل الإجتماعي و منابر البرلمانات ,

تتغذى على البيض , و أحياناً دَمَ البَشَر و خلاياهم العصبية ,

تتفنن في هَذر الكلام و رُخص المواقف و تقديس السُّلطات و قَمع المُجتمعات ,

تُعانى من ذاكرة الأسماك و اضطراب الوعي و قُصر النّظر و خراب الأولويات ,

يُنصَح بدفعها إلى الشروع في الهجرة أو الإقدام على الانتحار ,

وفى أضعف الإيمان ,تقييد حُريتها فى ملاجئ و مصحات و معازل أو تجنّبها قدر
الإمكان !

كَلَامُ النَّاسِ , لَا بِيَقْدَمِ , وَ لَا يَأْخُرُ

و فى أول الطريق , و مُفْتَتِح الرحلة ,
تكون الأشكال و المظاهر و المتاع و الملذات ,
الأساس الأهم , لغالب قناعات المرء و غاياته ,
و ما يصدر عنه من اختيارات و تصرفات .

وعقب التجارب و الخبرات , و عبر المَسَرَّات و الحَزُون ,
يتربّع تصالح المرء مع ذاته و رِضاه عن روحه ,
فوق قرارة الضمير و نتاج اللسان و البنان

ليخلص الإنسان بعد تَخَمُّر النُّضج و استواء الرُّشد ,
إلى أن أولئك المهمومين برسالة سامية , و الناذرين أنفسهم لغايات نبيلة ,
يستوى فى عرفهم و تتماهى فى مسامعهم ,
صغير الاستهجان و عجيج القدح , بتصفيق الاستحسان و ضجيج المدح ,
و يعتبرون ذلك كله , تفاصيل جانبية , خارج السياق ,
تُشَوِّش و تُبَلِّل , أكثر مما تضرر أو تنفع .

حَشَو و لَا خَلَع

و إذا كنت محتاج شجاعة بالغة و توفيق كبير ,

عشان تبدأ خِطَّة مُنظمة أو علاقة جَديدة ,

فانتا محتاج لكلِّ رَصيدك من الحِكمة و الصِّدق مع النَّفس ,

عشان تعرف إزاي تنهى علاقة مُضطربة أو تقفل ملف مُثير للجدل ,

و لعلّ ذلك مَرجعه إلى إن الإنسان - بالطبيعة - مُولع بالاكتناز و يأنس إلى ما يألُفه

و يَنزِع إلى التَّسويف و يتهرب من المواجهة أو إتخاذ قرارات أو تصرُّفات حاسمة.

بِرُّ التَّنَاقُضَاتِ

ثَمَّةَ عِلَاقَاتِ مُرَكَّبَةٍ وَ مُعَقَّدَةٍ , إِمَّا لِطَبِيعَةِ أَطْرَافِهَا أَوْ نَشَوْنِهَا أَوْ تَطَوُّرِهَا ,
بِحَيْثُ تَضْحَى مَزِيجاً مُضْطَرِّباً مِنَ الْحُبِّ وَالْكَرْهِ مَعاً , بِنَسَبٍ مُخْتَلِفَةٍ وَ أَشْكَالٍ مُتَعَدِّدَةٍ
بِحَسَبِ السِّيَاقِ وَ الظَّرُوفِ وَ الْمَكَانِ وَ الزَّمَانِ .

وَ لَعَلَّ عِلَّةَ ذَلِكَ التَّنَاقُضِ , وَ تَفْسِيرَ تِلْكَ الْمُعْضِلَةِ ,
أَنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ بِرُّ عَمِيقٌ مُظْلَمٌ مُوحِشٌ الْمَتَاهَاتِ زَاخِرٌ بِالْمُفَاجَأَاتِ ,
فَتَتَقَلَّبُ - دُونَ مُسَوِّغٍ أَوْ تَوْفُّعٍ - بَيْنَ الْوَلَاءِ وَالْعَدَاءِ ,
وَ بَعْدَ أَنْ تَرْقَى إِلَى الْوَفَاءِ , تَهْوِي إِلَى الْجَفَاءِ دُونَ تَبَصُّرٍ أَوْ عَنَاءٍ !

وَمُنَاسِبَاتِ ذَلِكَ عَدِيدَةٌ , وَكُلُّهَا تُورِثُ الْحَزْنَ وَتَخْلِفُ الشَّجْنَ ,
فَهَذَا نَاشِئٌ , كُلُّ رَصِيدِهِ سُمْعَةٌ أَبِيهِ , يَرِيدُ أَنْ يَتَحَقَّقَ وَيَمْلَأَ السَّاحَةَ وَحْدَهُ وَ يَحْتَكِرَ
الْمَشْهَدَ

بِنَفْيِ أَبِيهِ أَوْ قَتْلِهِ مَعْنَوِيًّا , وَ ذَلِكَ فَنَانٌ أَوْ أَدِيبٌ نَشَأَ وَ تَرَعَّرَعَ فِي مَدْرَسَةِ رَائِدٍ مِنَ
الرُّوَادِ ,

وَ يَرِيدُ أَنْ يَتَفَوَّقَ عَلَى مُعَلِّمِهِ لِيَنْفَرِدَ بِالْقِمَّةِ وَيَتَرَبَّعَ عَلَى الْعَرْشِ ,
فَلَا يَرَى سَبِيلًا لَذَلِكَ سِوَى إِزَاحَةِ رَائِدِهِ وَ الْإِسَاءَةِ لِقِيَمَتِهِ وَذِكْرَاهِ !

و ثالث, مُغامِرُ آفاقٍ وطالبُ مجدٍ ورئاسة, نشأ تحت جناح سيّده ونهلَ من خبرته
وانتفعَ بعلاقاته, ثم أراد تصدّر المشهدَ و الوثوبَ على العرش والاستحواذ على
الصُولجان, فيجعل من لحم مُرشدِه و سُمعته, سلّماً يرقى عليه جُحوداً لِعِطائه وانكاراً
لِفَضْلِه , وهكذا الدُّنيا لا تُؤمّن غوائلُها , وهكذا النَّاسُ فتّاكُةٌ عواديها !

انتى جايه اشتغل إيه ؟

يعرّفون البطالة بأنّها : " خلو يد المرء من العمل / التوظيف ,
على الرغم من القدرة عليه و الرغبة فيه . " ,
و يعددون أنواع البطالة : فمنها الدائمة المُزمنة و الموسمية المؤقتة
و منها التركيبية المُزمنة و المُقتعة الخادعة
و أنا - بعد انكسار القلب على ضحايا البطالة - لا أمّلك إلا أن أبديّ الدهشة
من تلك المفردة القاسية العجيبة , التى يختلط فيها البُطلان مع البطولة !

كنتُ أتصفّح بعض الصور على الإنترنت , عندما طالعتُ شخصاً يعملُ فى تجريبِ
الصديريات الواقية من الرصاص , فيرتديها و يتلقّى الطلقات من مختلف الأنواع و
المسافات ! و آخرها يؤدى بعض العروض الفنية ,
مع بضعة تماسيح فى بركة ماء و يُخاطر باحتضان تلك الوحوش الضخمة نظير
بعض التصفيق هنا , و الدراهم هناك !
فهزّنتى رجفة من الخجل و غمرنى فيض من الحمد ,
و حدّثتنى نفسى : مَنْ رأى وظائف الناس , هانت عليه مهنته ,

ثم توالى الخواطر و اضطردت التأملات ,
بداءة , أصبح مُجرّد النّجاة من متاهة البطالة , فتح من الله و نصّر عظيم ,

فإذا كانت وظيفتُكَ تكفيكَ شرَّ الفاقةِ , و تحفظُ على وجهك ماءَ الكرامةِ ,
و تقيكَ كَرَبَ العُزْبَةِ فى الخارجِ , و همَّ الوحشةِ بالداخلِ ,
دونَ أنْ تجورَ على صِحَّةِ بدنك أو تُربِكَ حياتك الإجتماعية
فتلكَ - و الله - نعمةُ الستْرِ و مِنَّةُ الفضلِ , تامةٌ تامةٌ .

كُنْتِي فِين يَا لَأ , لَمَّا قُلْتَ آه

وعشان الإنسان بطبعه كائن إجتماعى , يحبّ الونس و يكره الوحدة و يخاف منها , علاوة على إن معظم الناس بيكونوا ضُعاف قُدام حبايبهم أو أصحاب السطوة عليهم , بتلاقى نفسك مع الوقت , تستعذب التضحية والإيثار , و تأخر نفسك و تقدم المحيطين بيبك , ف البيت والعيلة و الشغل , و بعدها يبدأ (نزيّف التنازلات) , لحد ما اللى بتضحى و تتنازل علشانهم , يعتبروها حق مُكتسب , و عقد غير مكتوب أو قابل للمساس بيه ! و التراث والتربية ليهم دور فى الإشكالية دى , بحكم قناعاتنا الجمعية بان : (قولة آه , بترجّح) و (يا بخت مين بات مغلوب , و لا بات غالب) و (الكريم , لا يضام) و (الأخير , له رب كريم) و لكن المؤكّد إن رضا الناس غاية لا تُدرَك , و لا سلامة من ألسنتهم , و إن كان صحيح إن : الإحسان فى المعاملة أفضل من الإنصاف , لكن فى الزّمن الصّعب دا , تلاقى فِين أهل إحسان أو حتى إنصاف ؟

الخلاصة , إنك لازم تتعلم تقول (لأ) , صريحة وحازمة لكلّ كلام أو سلوك أو طلب , انتا مقتنع إنه غير مشروع أو مُبرّر أو موائم , حتى لو كان الرّفص دا مُرّ أو صايم , و تأكد إنه مع الوقت , لو ما فوزتش بحُب الناس وتقديرهم الاتنين سوا , على الأقل , هتحتفظ بمودة و احترام المُنصفين منهم .

الْقَدْرُ وَ الْوَعْدُ , وَ الْقِسْمَةُ وَ النَّصِيبُ

على دَرَبِ الحَيَاةِ , نَلْتَقَى بِغُرَبَاءَ , يُصْبِحُونَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ , أَخْلَاءَ
و على ذاتِ الدَّرَبِ , رُبَّ قَرِيبَيْنِ يَضْحَكُونَ – لِسَبَبٍ أَوْ آخَرٍ - غُرَبَاءَ ,
و دَوَائِرِ الْوَأَقِعِ الْمُضْطَّرِّبِ , وَ الصِّرَاعِ الَّذِي يَخْمد حِيناً وَ يَثُورُ آخِراً ,
جَعَلَتِ الْبَعْضَ يَتَنَاقَبُونَ الْإِصْطِفَافَ ,
فِي حُشُودِ الْأَصْدِقَاءِ وَ الْحُلَفَاءِ تَارَةً , وَ جِبَهَاتِ الْأَعْدَاءِ وَ الْمُتَنَاقِبِينَ تَارَةً أُخْرَى

و الْأَكِيدِ , أَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّةَ مَا يُسَمَّى (الصُّدْفَةُ) , إِنَّهُ (الْقَدْرُ) ,
مُحِيطٌ فِي عِلْمِهِ , شَامِلٌ فِي سَيِّطَرَتِهِ , مُعْجِزٌ فِي تَدْبِيرِهِ ,

فِي الصَّغِيرَةِ وَ الْكَبِيرَةِ , سَيَّانٌ عِنْدَهُ الْمَفْهُومُ وَ الْمُلْغَزُ ,
لَا فَرْقَ بَيْنَ مَاضٍ أَوْ حَاضِرٍ أَوْ مُسْتَقْبَلٍ

فَفِي الْمَشْيِئَةِ , يَسْبَحُ الْكُونُ , وَ فِي الْكُونِ , تَسْبَحُ الْمَشْيِئَةُ ,

لَا تَوْجَدُ لِقَاءَاتٍ عَبَثِيَّةً فِي الْحَيَاةِ ,
كُلُّ إِنْسَانٍ تَلْتَقِيهِ , هُوَ إِمَّا اخْتِبَارٌ أَوْ عَقُوبَةٌ أَوْ هَدِيَّةٌ مِنَ السَّمَاءِ ,
و بَعْدَ الْفِرَاقِ , تَبْقَى فِي الْحَلْقِ غُصَّةُ الْعَبْرَةِ ,
أَوْ تَغْرُورَقُ الْعَيْنُ بِدَمْعِ عُذُوبَةِ الذِّكْرِ !

عُدَّ .. قُدُّمًا , أو إِمَضٍ .. أَذْرَاجَكَ

ثَمَّةَ لِحَظَاتٍ .. نَبْلُغُ فِيهَا مَفَارِقَ طُرُقٍ ,
وَيَتَوَجَّبُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْزِمَ أَمْرَنَا

هَلْ نَمْضِي قُدُّمًا .. وَنَتَحَمَّلُ الْمُخَاطَرَةَ ؟
أَوْ نَعُودُ أَذْرَاجَنَا .. وَنُؤَثِّرُ السَّلَامَةَ ؟

وَتَبْقَى الْحَيْرَةُ .. عَمَّا يَخْتَبِئُ خَلْفَ الْمُنْعُطِفِ

فَرَدَوْسُنَا الْمَفْقُودِ ,

أَمْ جَحِيمُنَا الْأَبْدَى ؟

[65]

اللغز

هنا و هناك ,

عديداً من البشر , يضطجعون مطمئنين ,

فوق خزانات نِفت و مُستودعات بارود !

و لا يدرك الناظر إليهم علة الوضع أو غاية التمرکز أو حكمة الرهان

أهى الغفلة و اللامبالاة , أم إنه اليأس و التحدى ,

و ربما اليقين بالنجاة !

و لا ينكشف المستور و يُحصص الحق ,

إلا بعد أن تقع الواقعة , و ينجلي غبارها.

نَحْ يَهْذِي هَبْدًا , فَهُوَ رَزِيْع

كُنْتُ جَالِساً قُبَالَةَ التِّلْفَازِ , شَارِدَ الذَّهْنِ , أُعْبِثُ فِي الْهَاتِفِ النَّقَالِ , حِينَ انْتَبَهْتُ فَجَاءَ
لِلْبَرْنَامِجِ الْمَعْرُوضِ , إِذْ وَجَّهَ مَرَّاسِلُ سُؤَالاً لِأَحَدِ الْمَارَّةِ فِي الشَّارِعِ بِشَأْنِ
مَوْضُوعِ الْحَلْقَةِ , فَإِذَا بِالرَّجُلِ يَرُدُّ - بِكُلِّ صَرَاحَةٍ وَبَسَاطَةٍ :

" عُدْرًا , لَا أَعْرِفُ , لَيْسَ لَدَيَّ أَدْنَى فِكْرَةٍ فِي هَذَا الصَّدَدِ "

, عِنْدَهَا اسْتَنْفَرْتُ حَوَاسِي , وَ حَدَّقْتُ - مَذْهُولاً - فِي شَاشَةِ التِّلْفَازِ ,

أَتَفَرَّسُ فِي هَذَا الْكَائِنِ الْفَضَائِيِّ , مُتَشَكِّكاً فِي مَصْرِيَّتِهِ وَ عُرُوبَتِهِ !

الْأَسْئَلَةُ تَطُنُّ فِي ذِهْنِي , هَلْ هَذَا وَارِدٌ بِيُولُوجِيًّا وَ مُمَكِّنٌ نَفْسِيًّا فِي مُجْتَمَعِنَا النَّاهِضِ ,

أَنْ يُقَرَّرَ إِنْسَانٌ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ , وَ لَا عِلْمٌ لَدَيْهِ فِي شَأْنٍ مِنَ الشُّئُونِ , لَقَدْ نَشَأْنَا وَ رَبَّيْنَا
عَلَى أَنْ لِكُلِّ سُؤَالٍ جَوَابٌ , وَ لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ أَوْ اللَّيَاقَةِ أَنْ نَمْتَنِعَ عَنْ الرَّدِّ أَوْ نَعْتَذِرَ
عَنْهُ , بَلْ إِنْ ثَرَانَا وَتَفَاقُنَا يَحْتَ عَلَى الْبَيَانِ وَ التَّوْضِيحِ بِالتَّفْصِيلِ وَ الْإِفَاضَةِ
بِمُنَاسِبَةٍ أَوْ بَغَيْرِهَا , عَنْ عِلْمٍ أَوْ بَدُونِهِ وَ بَثْقَةٍ أَوْ حَتَّى بِشَكٍّ أَوْ غُمُوضٍ , فَإِذَا
انْتَفَتِ الْمَعْلُومَةُ , فَلَتَكُنِ الْمُشَارَكَةُ وَ الْمُسَاعَدَةُ وَالْاجْتِهَادُ وَالْمُحَاوَرَةُ , وَ إِذَا تَطَلَّبَ
الْأَمْرُ فَلَا بَأْسَ مِنَ الْفَهْلُورَةِ وَ الْفَلَسَفَةِ وَ التَّعَالَمِ وَ الدَّهْلَكَةِ , وَ مِنْ الْمَوْسِفِ أَنْ الْجَمِيعَ
يَتَوَرَّطُونَ فِي هَذِهِ النَّقِيصَةِ ,

رِجَالاً وَنِسَاءً , شَبِيَّةً وَ شَبَاباً , مُتَعَلِّمِينَ وَ جُهَالاً , وَ هُمْ يَرْتَكِبُونَ تِلْكَ الْفِعْلَةَ
بُوعِي وَ بَغِيرِ وَ عِي , عَنْ ضَرُورَةٍ أَوْ فِي حِلِّ مِنْهَا , بِحُسْنِ نِيَّةٍ أَوْ بِسُوءِ قَصْدٍ ,
تَرَاهُمْ يَنْزِلِقُونَ فِي هَذَا الْمُسْتَنْقَعِ , كَالْمَسْحُورِينَ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْئاً ,
تَجُنَّبُ لِلْإِقْرَارِ بِعَدَمِ الْعِلْمِ أَوْ دَفْعاً لِلْإِعْتِزَالِ عَنِ الرَّدِّ , رَغْماً عَنْ أَنْ شَرَعْنَا الْحَنِيفَ
يُوجِّهُ إِلَى نَقِيصِ ذَلِكَ ,

وَ هُمْ فِي هَذَرِهِمُ التَّافِهِ وَ ثَرَثَرِهِمُ الْفَارِغَةِ يَتَحَايِلُونَ بِاللَّفِّ وَ الدُّورَانِ فِي مَتَاهَاتٍ

من الإدعاء و الانتحال و الفتوى و الشفقة و البغية و الطنطنة و الهذر و الهذي
و الهبد و الرزع , و لا تسألني عن معنى أيّ ممّا سلف أو التمييز بين بعضها
البعض , فإنني و إنّ كنتُ أعرفُها حين أسمعُها , إلا أنني أملكُ شجاعة الاعترافِ
بعدم القدرة على الردّ على سؤالك و إلا كانَ إزاماً على التورطُ في بعض تلك
المعائب أو جميعها , وقانا الله شرّ النّهي عن خُلُقٍ و إتيان مثله , فإنّه عارٌ علينا إنّ
فعلنا عَظِيمُ !

الجيتو / حارة اليهود

وحارة اليهود أو (الجيتو) , مش مُجرد تخصيص مَكَانى أو توزيع سُكاني ,
أبداً , أبسليوتلى , حارة اليهود دى , ثقافة وتُراث و(شوفينية) مِن جانب ,
و(زينوفوبيا) من جانب تانى ,

إخوانا البُعدا , أو بالأحرى (أبناء العم) ,
كون العرب نسل إسماعيل , و اليهود نسل يعقوب ,
والكلّ ينحدر من سام بن آدم ,

لديهم عقيدة أنهم (شعبُ الله المُختار) ,
و أنّ سواهم من الأغيار , أدنى منهم قيمةً و حُرمة ,

وترتيباً على ذلك , ببحر صوا على التجمّع , في بؤر مَرَكزية
يمارسوا فيها نشاطاتهم الدينية والعملية , ويسهل تحصينها و الدّفاع عنها ,
و من ناحية ثانية , وعشان تاريخهم ملتبس و معاملتهم مزعجة ,
كثير من الأنظمة , شرقاً وغرباً و قديماً و حديثاً ,
عاملوهم بريية , و خدوا في مواجهتهم إجراءات إحترازية
من قبيل تمييزهم في الزّي و التّوظيف
و العمل العام , و تكديسهم في أماكن مُعينة ,

و رغم إن اسمها (حارة) , لكن على أرض الواقع هي أقرب (للحي المتكامل) ,
فيها شوارع داخلية ومحلات تجارية و معابد و مطاعم و قهاوى و ملاعب ...

و المُفارقة بقى , إنّ المصريّين بالفَهْلوة المَعروفة و اللّطافة المشهورة

خدوا اليافطة دى , و استخدموها على سبيل الألش و التّكيت و الكيد و النّحر ,
فتلاقى واحدة سِت معلقاها على بيت حَماتها & و راجل لازقها على الوزارة أو
الشركة اللى بيشتغل فيها ,
و جمهور نادي رياضي , مثبتها على مقرّ النّادى المُنافِس ,
و عامة الشّعب حطّينها على مدخل مُحافضة مُعينة أو نقابة مَحْصوصة ,
حاجه تخليك تفرّقع مِن المَصريين و تتعاطف مع (إستر & حزقيل) !

جَدَل بِيْزَنْطَى

يُحكى أَنَّ أَهْلَ بِيْزَنْطَة - القنْستَنْطِينِيَّة عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية لاحقاً و اسْطَنْبُول حاليّاً - كَانَ لَهُمْ وَلَعٌ ,

بالْإِغْرَاق فِي الْمُنَاقَشَاتِ الْفَقْهِيَّةِ وَ الْمُنَظَرَاتِ الْجَدَلِيَّةِ

حول مسائلِ الْعَقِيدَةِ وَ طَبِيعَةِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَجِنْسِ الْمَلَائِكَةِ وَ أَصْلِ الْخَلْقِ وَ كُنْهَةِ الشَّيْطَانِ , وَ كَانَتْ تِلْكَ الظَّاهِرَةُ , تُهْدِرُ الْوَقْتَ وَ الْجُهْدَ وَ تَوْجِّعُ الْخِلَافَ وَ تَزْرَعُ الْفُرْقَةَ , وَ تَشْغِلُ الْمُجْتَمَعَ وَ الدَّوْلَةَ عَنْ عِظَائِمِ الْأُمُورِ وَ عَاجِلِهَا ,

لِدَرَجَةِ أَنَّ السُّلْطَانَ الْعُثْمَانِيَّ مُحَمَّدَ الْفَاتِحِ - 1432: 1481 -

كَانَ يَتَخَطَّى أَسْوَارَهَا وَ يَفْتَحُ بَوَابَهَا , وَ شَعْبُ بِيْزَنْطَةِ مَشْغُولٌ بِالْجَدَلِ

حولِ الثَّالُوثِ الْمُقَدَّسِ وَ شَكْلِ إِبْلِيسَ وَ تَذْكِيرِ الْمَلَائِكَةِ وَ تَأْنِيثِهَا !

وَ هَدِيّاً بِمَا سَلَفَ , فَإِنَّا فِي زَمَانِنَا الْحَاضِرِ , وَوَقَعْنَا الْمُتَلَتِّبِيسَ الْمُشْتَبِكِ ,

إِذَا لَمْ نَتَخَلَّصْ مِنَ الْجَدَلِ الْعَقِيمِ , وَ الْهَذَرِ السَّخِيفِ ,

وَ الْخِلَافَاتِ الشَّخْصِيَّةِ أَوْ الْعِرْقِيَّةِ أَوْ الطَّنَائِفِيَّةِ أَوْ الْمَذْهَبِيَّةِ ,

وَ كُلِّ مَا لَا يَنْبَنِي عَلَيْهِ عَمَلٌ أَوْ يَنْفَعُ النَّاسَ أَوْ يَدْفَعُ الْمُجْتَمَعَ قُدَّماً

وَيُثِيرُ النَّعْرَاتِ وَ يَسْعِرُ الْعَصَبِيَّاتِ وَ يَشْقُ الْصَفَّ وَ يَغْلُ الْكَفَّ ,

سَنَبْقَى دَائِماً مَحَلَّكَ سِرٍّ , بَلْ سَنَتَأَخَّرُ - ثَبَاتاً - حِينَ يَتَقَدَّمُ الْآخَرُونَ .

الْكُتُوت & الْبَيْضَةُ

الشَّرْقُ شَرْق , والغَرْبُ غَرْب , و لنْ يلتقيان

كنتُ أتصفّح الإنترنت , عندما جذبتُ انتباهي صورةٌ جميلة ,
ل (بيل جيتس) مع (مارك زوكبيرج) , يرتديان ملابسَ بسيطة ,
و يتناولان الطَّعامَ في مَطْعَمٍ بسيطٍ للوجباتِ السَّريعة , دونَ زُخْرَفٍ أو بهرجة ,

فسألتُ نفسي , هل يخطرُ على بالِ أحد , أن هذين الرُّجلين بالمظهر المُتواضع
والجلِسة البسيطة , يُعدّان معاً من أغنى البشر على سطح الأرض , ورُبَّما على
مِرِّ التَّاريخ بثروةٍ إجماليةٍ مقدارُها : مائة و سبعون مليار دولار أمريكي تقريباً
(منها \$ 1060000000000 للأول و \$ 660000000000 للآخر)

وعلى الرَّغمِ من ذلك , فإنَّ الرُّجلين عِصَامِيان تماماً , انطلقا من القاعِ حتى بلغا
النَّجومَ عَبْرَ (مايكروسوفت) للأوّل و (فايسبوك) للأخير ,
وعلاوةً على ذلك , فكِلَاهُمَا قد تبرَّع وخصَّصَ مُعظمَ ثروته للأعمالِ الخيرية !

على الجانبِ الآخر , فإنَّ مُعظمَ أثرياءِ الشَّرْق - إلّا قليلاً - تُعزى ثرواتهم إلى
أصولٍ بيولوجيةٍ (إرث & مُصَاهرة) أو مصادرَ ريعيةٍ (مناجم & اقطاعات) أو
مواردَ سياديةٍ (احتكارات & إمتيازات) ,
و لا أقولُ أعمالاً إجراميةً (سلاح / آثار / مُخدرات) !

و مع ذلك , تصدّمتنا أخبارُ وصورُ الرِّفاهيةِ المُفرطةِ و البذخِ المُستفِز ,
و نادراً ما نسمعُ عن أعمالٍ خيريةٍ و تبرّعاتٍ إصلاحيةٍ , تعبّرُ عن الإحساسِ
بالإنتماءِ الوطني أو المسؤوليةِ الإجماعيةِ , فهل من وقفةٍ مُراجعةٍ صادقةٍ مع
الذَّاتِ أو معالجةٍ علميةٍ و قانونيةٍ مُنصفةٍ من الأنظمة , قبل أن تقرر العامّة ,
انتزاع ما قد تظنُّه حقوقها المُشروعة ,
و أنصبتها العادلةِ في الثَّروة القومية ؟

رسالة وداع

الحياة إشكالية مُعَقَّدة , يتحير منها لبُّ الحليم ,
فهى عند بُسطاء النَّاسِ و المؤمنين القديرين , نعمة ,
و جسراً بين عالم الذر و مُستقر الخلود ,
و هى كذلك اختبارٌ مُستمرٌ عسير ,
يُمكن - بتيسير الخالق و توفيقه - اجتيازُه و النَّجَاحُ فيه ,

بينما على الجانب الآخر , ثم أناس , لم يكن لهم من العقيدة و سلام النفس ,
ما يعينهم على الصمود في مُعْتَرَك الحياة , و العِصْمة من الزلل و النَّجاة من
اليأس , إذا ضاقت بهم الدروب , وأخنت عليهم الكروب .

يري الفريق الأول , أن الروح ملكٌ خالقها , وهى عاريةٌ مُستردة ,
وحده - سبحانه - المُحيى المميث , هو من يهبها و يقبضها ,

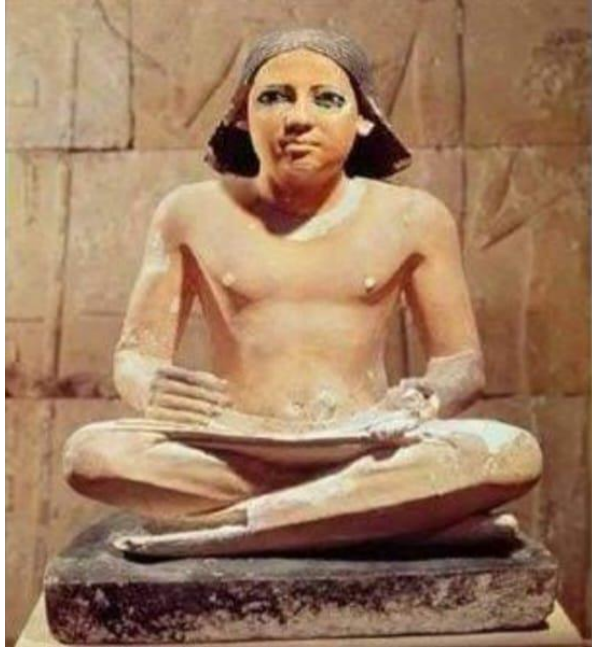
بينما يظن الفريق الأخير أن الإنسان هو سيّد مصيره , و إنّه وإن حرم الرأي في
الولادة , فلا أقلّ من أن يتحكّم في الموت , توقيتاً و طريقة !

وعند الأخيرين , فإنّ الانتحار ليس كُفْراً أو جريمة ,
إنّما هو قرارٌ يصدر عن حُرّيّة , و رُخصةٌ تُستعمل بلا ضمان أو مَسئولية ,
و مناسباتُ هذا القرار و تلك الرُخصة عديدة : فمنها فقد حبيب أو اعتلال بدن
أو ضياع مالٍ أو هتك ستر أو صدمة مبدأ أو خسارة قضية ,

و بعض من ارتكب تلك الفعل الشنعاء , ترك رسالةً أخيرةً
لذويه أو أعدائه أو للرأى العام أو التاريخ ,
و قد تنوّعت تلك الرسائل , بين تنهيدة ارتياح أو زفرة أسى ,
و هناك إعتذار أو تعليل , بعضهم بغتته الصدمة أو انتابته الحيرة

و ثَمَّ أَنَاسٌ , أَلْقُوا تَبِعَةَ الْمَصِيرِ وَ ذَنْبَ الْإِنْسَابِ عَلَى الْآخِرِينَ ,
أَوْ تَعَلَّلُوا بِتَصَارِيفِ الْقَدْرِ وَ رَهَقِ الظُّرُوفِ ,
وَ آخَرِينَ تَاهَوْا فِي ضَلَالَاتِ الْعَبَثِ , وَ سَخَفِ التَّهْرِيجِ حَتَّى الزَّفِيرِ الْآخِرِ !

مُتَوْنُ الْإِنْشَاءِ



أنا الأديب الأدبائي ،
غايظني حال بلدياتي ،
و غلبت أوحوخ و أهاتي ،
لكن بلدنا سمعها ثقيل ،
الله الله يا بدوي ، هات الشخايل ،
شرم برم ، و الناس غافله ،
و الكذب لعل في الحفله ،
الله الله يا بدوي دق الشخايل ،

الفاجومي / أحمد فؤاد نجم

فاصل شخن

بعد ليلة سهر صباحي على تارجت الشّهر ,
أربع زُملا قاعدين على مكاتبهم , مش شايفين قدامهم من التوتّر والإرهاق ,

محمد - ماسِك ف ايْدُه شريط دوا الضَّغْط :

والله ما عارف أنا خَدَتِ الحَبَّايَةَ وَلَا لِسَهُ ،

مش عايز أفوتها , و ما ينفعش أكررها ؟

طارق : اتعوذ من إبليس يا ريس , أنا قعدت تلت ساعة

أَفْتَشْ عِ النَّضَارَةِ , وَفِ الْآخِرِ لَقِيْتَهَا عَلَى عَيْنِيَا !

على : احمدا ربنا , انتوا ف نعمة , أنا حالتى اتاخّرت خالص ,

الصَّبْحُ وَقَفْتُ عَلَى بَسْطَةِ السَّلَامِ الْوَسْطَانِيَّةِ ،

حیرانِ مِش عارف , انا طالع و لا نازل ؟

.. الزَّمِيلُ الرَّابِعُ , سَرْحَانُ فِ حَالِهِ , بِيضْرِبِ أَخْمَاسَ فِ أَسْدَاسِ ,

نادوا عليه , إئتيا مولانا , وصلت لفين , رُدّ علينا يا مُحْسِن بيه ؟

محسن : أيّوه تمام .. مُحسِن .. هو مُحسِن .. كُنْتَ شَاكِك ,

بس کانتُ علی لسانی ... مُحسِّناتِ سَنَنِ !

نَفْحَة

أَتَمَمْنَا الْوُضُوءَ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ ,
و فِي الْمَرِّ مِنَ الْمِيْضَاءِ إِلَى صَحْنِ الْمَسْجِدِ ,
وَجَدْتُهُ شَيْخًا مُّهِيبًا , يُشْعِ النُّورَ مِنْ عِيُونِهِ النَّافِذَةِ وَ لِحْيَتِهِ الْوَقُورِ ,
فَقَدَّمْتُهُ , وَ أَفْسَحْتُ لَهُ الطَّرِيقَ , ثُمَّ أَعْنَتَهُ عَلَى تَخَطَّى الْعَتَبَاتِ ,

تَبَسَّمَ لِي وَ سَأَلَنِي : هَلْ لَكَ فِي نَصِيحَةٍ ؟
قُلْتُ , هَاتِيهَا وَ لَكَ الْحُبُّ وَ الثَّوَابُ ,

قَالَ : كُنْ فِي الْوُضُوءِ كَالشَّبَابِ ,
ادْفُقْ وَ أَسْبِغْ وَ لَا يَشْغَلَنَّكَ حَرٌّ أَوْ قَرٌّ ,

فَإِذَا أَتَيْتَ مُصَلَّاكَ , فَصَلِّ كَالْمُسْنِينِ ,
سَكِينَةً وَ رَوِيَّةً وَ تَمَعْنًا وَ تَفْكَرًا ,

وَ عِنْدَمَا تَبْسُطُ كَفَيْكَ لِلدَّعَاءِ , فَكُنْ كَالْأَطْفَالِ ,
قُلْ وَ كَرِّرْ , وَ لِحْ وَ تَشَفَّعْ , وَ ابْكُ وَ نَهْنِهْ ,
قَبَّلَتْ رَأْسَهُ وَ يَدَيْهِ , وَ لَزِمَتْ نُصْحَهُ مِنْ يَوْمِهَا , مَا اسْتَطَعَتْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا .

نيرفانا

كُنَّا شِلَّةَ سُهْرَانِينَ , فِي جَنِينِهِ عَلَى النَّيْلِ ,
نَاسٌ يَتَأْكَلُ وَ نَاسٌ يَتَشْرَبُ وَ نَاسٌ يَتَدَحَّخُنْ , وَ كُلُّهُ بِيَسْمَعُ مَزْيِكَا ,

وَاحِدٌ هَرَبَانُهُ مِنْهُ , سَأَلَ النَّاسَ : إِيْهِ أَجْمَلُ فَنَرَةِ عِشْتَوْهَا ف حَيَاتِكُمْ ؟؟

اللى قال طفولتي قبل المدرسة ,

و اللى قال : أجازات الصيف في بيت جدى فى اسكندريه ,

و تالت قال : إعاره أبويًا في السعودية ما بين مكّة وجدة و البروفيسور قال :

أيام البعثة فى لندن و الحونيين قال : شهر العسل مع المودام و شادى الهادى قال :

آخر شهر في التجنيد , و فايق الرايق قال : سفرية هولندا ,

المزاج هناك كان على كل لون يا باتيستا !

الدور جا عندى , ووقف , فضلت ساكت لحد ما جبرونى على الكلام ,

قلت لهم : فاكس , الدنيا لعبة و الحياة صعبة ,

هما تسع شهور ف بطن أمى كانوا عذاب ,

بعدها و لآخر الشوط , مَرَّ وَ عَذَاب !

[74]

حِلْمَكَ يَا سَيِّ عِلَام

يطيبُ لي أنْ أشهدَ لحظاتِ التَّحولِ بينَ اللَّيلِ والنَّهارِ , أوقاتِ انبلاجِ النُّورِ مِنْ
رحمِ العُتْمَةِ ,

و سطوةِ الظُّلْمَةِ على الأفقِ بعدَ انسحابِ الضَّيَاءِ , و أحرصُ - قدرَ الإمكانِ - على
أنْ أتواجدَ في مكانٍ مُفتوحٍ , و إنْ تيسَّرَ في أحضانِ الطَّبيعةِ , في لحظاتِ العَسَقِ
أو الشَّقِّقِ , لتأتنسَ نفْسي و تتمتعَ عَيْناي ببرزخِ الألوانِ مِنَ الأبيضِ والأزرقِ إلى
الرَّمادي والأرجواني حتى الأسودِ , و بالعكسِ
بالأمسِ عُدْتُ مِنَ العملِ بعدَ الرَّابِعَةِ عصرًا , و جرياً على العادةِ ,

حرصتُ على اللَّحاقِ بلحظاتِ الشَّقِّقِ , فقصدتُ شُرْفَةَ البيتِ و استلقيتُ على
الأريكةِ , و إنْ هِيَ إِلَّا دقائقٌ , حتى غَيَّبَنِي الإِرْهاقُ في سِنَةِ مِنَ النَّومِ , رأيتُ فيها
كما يرى النَّائمُ , كَأَنِّي صَبِيٌّ مشغولٌ بطائرتهِ الورقيةِ , في ساحةٍ فسيحةٍ مشجَّرةٍ ,
تتوسطُ مساكنَ شُعبيةٍ , و حولَ الصَّبِيِّ رِفاقٌ لاهونَ بألعابِهِم , الطَّقْسُ لطيفٌ و
السَّماءُ صَحْوٌ , و خيطُ الطَّائِرَةِ الورقيةِ بينَ كَفَايَ , و عَيْناي تدورُ في الأعلى ,
تتابعُ تموجاتها فوقَ المباني المُنخفضةِ ,

فجأةً , لاحَ في الأفقِ جِسْمٌ غريبٌ , ليسَ بالطائرةِ الحربيةِ أو المَدَنيةِ ,

كما إنَّه لا يُشبهُ الطيورَ , بدأ أشبهَ بجسدٍ بشريٍّ عملاقٍ , و أحياناً يتشكَّلُ كخُفاشٍ
أو حِصانٍ مُجنَّحٍ , تناقصتْ سرعتهُ و خفتتْ أضوائُهُ و بدأ في التَّهاوِي نَحْوِي ,
وكأنَّه يقصدُنِي دونَ سِوَايَ , جَمَدْتُ في مَوْضِعِي مِنَ الرُّعبِ , و لم أستطعْ حِراكاً ,

و ذهبتُ استغاثتُي سُدًى , و كأنَّ الرفاقَ لا يُبصرونَ الشَّهابَ السَّاقِطَ , و إذ لم
يهبْ لنجْدَتِي أَحَدٌ و لم يتيسَّرَ لي سلاحٌ أو مَخْبَأٌ , سترتُ رأسي و وجهي بيدي !
و كانتْ دَهْشَتِي عظيمةً , عندما أحسستُ ببرودةِ الجِسْمِ الفضائي على كَفَايَ ,

بعدما تضائلَ إلى ما يُشبهُ نِجْمَةً بحرٍ أو فراشةً , وبعد دفعى إياه , إذا به يعاودُ
الارتقاءَ إلى العُلْيَاءِ في الوقتِ الذي يتضخَّمُ فيه جُرمُهُ وتضوى أنوارُهُ , بينما
أُحِيقَ فيه من على الأرض بين مُكذِّبٍ و مُصدِّقٍ لنجاتي !
و بعد فترةٍ لا أدر طالت أم قصُرتُ ,
انتبهتُ لنداءِ زوجتي , تستعجلُ دخولي من الشُّرفة , لئلا يبرَدَ طعامُ الغداء ...

غُبارُ القَهَر

بَعْدَ الْمِغَارِبِ , لَمَلَمَ النَّجَارُ الشُّغْلَ , وَ رَاجَعَ الْعِدَّةَ وَ طَفَى الرَّادِيُو وَ النُّورَ ,
و جَابَ ضُلْفُهَا وَ انْسَحَبَ ,
و بَعْدَ لَحَظَاتٍ مِّنَ الْعَتَمَةِ الْمُكَودَةِ وَ السُّكُونِ الْمُتَوَتِّرِ ,
صَرَخَ اللَّوْحُ فِي الْمُسْمَارِ : فَلَقْنَتْنِي ,
رَدَّ الْمُسْمَارُ وَ قَالَ : لَوْ تَعَرَّفَ الدَّقُّ إِلَيَّ عَلَى نَافُوخِي , كُنْتُ عَذْرَتْنِي ,
اتَّهَدَ اللَّوْحُ وَ التَّقَتِ لِلْمُنْشَارِ وَ قَالَ لَهُ : أَسْنَانُكَ قَطَّعْتَ لَحْمِي , سَرَقْتَنِي ,
فَرَدَّ اللَّوْحُ طَوْلَهُ عَلَى الْأَرْضِ , خَبَطَ فِي الْأَزْمِيلِ , شَوَّحَ وَقَالَ : كَشَطْتَنِي
خَبَطَ اللَّوْحُ كَفَّ بِكَفِّ , وَ لَمَحَ الْفَارَةَ فَوْقَ الرَّفِّ ,
نَهْنَهُ بِالْدَّمْعِ , لَمَّا شَافَ نِشَارَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَ قَالَ لَهَا : كِفَايَهُ بَرَدَ فِ جِنَّتِي ,
و لَمَّا سَمِعَ النَّجَارَ الْجَدَلَ وَ الصِّيَاحَ , وَ حَسَّ بِالْقَلْقِ فِي الْوَرْشَةِ وَ الشَّدَّ وَ الْجَدْبَ ,
خَبَطَ الْبَابَ بِرِجْلِهِ , وَ بَرَمَ شَوَارِبَهُ وَ شَهَرَ سَبَابَتَهُ وَ رَفَعَ جَاعَوْرَتَهُ :
سُكُّنْكُمْ بُكُّنْكُمْ , لِمَوَا الدَّوْرِ يَا أَوْبَاشَ , دَا مَكَانَ أَكْلِ عَيْشِ
إِلَى مِشْ عَاجِبِهِ , يَوْرِينَا عَرَضَ أَكْتَافِهِ , عَابُوكُو كُلُّوكُو
وَ فَجَاءَ , سَادَ الصَّمْتُ الرَّهِيْبُ ,
وَ فِضَلَ فِي الْجَوِّ , غُبَارُ الْقَهْرِ وَ طَرَقَةُ قُبْقَابِ النَّجَارِ

نَبِيْن زَيْن نَبِيْن .. وَ نَضْرِب الْوَدْع

صُدْفَه ,

مِنْ يَوْمِيْنَ , ف مَصْر الْعَتِيْقَه ,
قَابِلَتْ عَرَّافَه غَجْرِيَه ,

مِنْ اللى بِيْفِرْشُوا الرَّمْل , وَ يَضْرِبُوا الْوَدْع وَ يَنْجَمُوا الْمُسْتَقْبَل !

قَالَتْ لى : ارمى بِيَاضَكَ ,
عَطِيْتَهَا الْفَكَّه اللى ف جِيْبى ,
اسْتَقْلَتْ الْوَهْبَه , وَ فِضْلَتْ سَاكْتَه !

قُلْتُهَا : مِش هِتْفَرى الطَالع ؟
عَمِلَتْ الشَّوَيْنِيْن بَتَوْعَهَا , بِالتَّشْوِيح وَ السَّجْع ,
وَبَعْدِيْنَ بَخْلَقَتْ فِي الرَّمْل وَ الْوَدْع
وَ قَالَتْلِ بِصَوْت مَسْرَحى عَمِيْق :

إِنَّا هِتَقْعِد , أَوَّل خَمْسِيْنَ سَنَه مِنْ عُمْرِكَ ,
فِي فَقْر دَكْر , وَ خِيْبَه بِالْوَيْبَه ,
وَ طَبَّتْ سَاكْتَه تَانى !

صَبْرَتْ , وَطَوَّلَتْ بِالى ,
وَ لَمَّا زَهَقَتْ سَأَلْتُهَا , وَ بَعْدِيْنَ ؟

قَالَتْلِ بِسُخْرِيَه , وَ لَا قَبْلِيْنَ ,
هِتَتَعَوَّد ع الْفَقْر وَ الْخِيْبَه , بِقِيَّه عُمْرِكَ يَا فَالِح !

مَرايا الرّواية

الشَّغفُ العارم للمَعْرِفة و الاكتشاف , ولّدا عِنْدِي مُبَكِّراً جِداً أحلاماً و خُططاً

للسَّفر والتَّرحال , فى داخِل مِصرَ وخارجِها ,
و إذا كُنْتُ قد أَشْبَعْتُ نَهْمِي , لاكتشاف مِصرَ عُموماً و القاهرة خُصوصاً ,
بالمزارات و المَعالم و المساجد والمعابد والقُصور والمتاحف والأسواق
والشواطئ وسواها , إلّا أن ضيقَ ذاتِ اليد , و شِدَّة الارتباط بالوطن والأهل ,
وطبيعة العمل و توتُّر الأوضاع سياسياً وأمنياً حولَ العالم مُنذُ عُقود , كُلُّها أسباب
حالتُ دونَ أن أحملَ على كَتفَي عِصا التَّرحال و أجوبُ البلادَ للعلم و العملِ و
السياحة , لتقتصرَ رحلاتي خارجَ مِصرَ على دولٍ ثلاث ,
فرنسا و الكويت و السعودية ..

و بديلاً للسَّفر - الذي تعذَّر

- فقد استعوضتُ بالقراءة و شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

و على الرِّغم من الوفرة و التَّنوع في الأخيرة , إلّا أن القِراءة تَبقى الحبيب الأول
الذي ليس كَمثله أحد , و بعيداً عن أدبِ الرحلات الذي كانَ التَّصنيفُ فيه محدوداً
طوالَ الوقتِ حتى كادَ يَنْقَطِعُ مؤخراً ,
فإنَّ (الروايات) أضحتْ هِى البَوابة المُنْتلى , للولوجِ إلى أسرارِ بلدٍ بذاتها وتفاصيلِ
مُجتمعٍ بعينه , و في هذا الصِّدد , ثَمَّة رواياتِ قراءتها كانتْ بُلُورة سِحْريَّة
استطلعتْ فيها غَيْبَ بلادِها و مُجتمعاتِها ,

رواياتِ مِثْل (الرّهنية) لليمنى زيد مُطيع دِمَاج & و (الخُبْز الحافي) للمُغربي
مُحمَّد شُكْرى و (ساقُ البامبو) للكويتي سَعُود السَّنْعُوسي & و (المُتَشائِل) و (رأيتُ
رام الله) للفلسطينيين إميل حبيبي و مُريد البرغوثي - على الترتيب - و (دُومة ودّ
حامد) و (مواسم الهجرة للشمال) للسوداني الطيّب صالح & و (كاسك يا وطن)
للسوري محمد الماغوط

و خُماسيَّة (مُذُن المَلَح) للسعودي عبد الرحمن مَنيف

و (الاغترافات) للّبناني ربيع جابر .

مَكْتُوب غَرَام

في ربيعهِ الخَامِسِ عَشْرَ , سَطَرَ المُرَاهِقَ خِطَابَهُ الغَرَامِيَّ الأوَّلَ ,
 شَرَدَتْ عَيْنَاهُ لِمَرَآهَا , فَارْتَجَفَ فَوَادُهُ , وَ إِذْ تَلَجَّمَ لِسَانُهُ عَنِ التَّصْرِيحِ وَ المَوَاجَهَةِ ,
 لَأَذْ بَخِيَالٍ لَمْ يُخَيِّبْ رَجَائَهُ قَطَّ , وَ بِأَنَامِلَ خَبِرَتْ - رَغَمَ حَدَاثَةِ العُمُرِ - دَرْبَهَا
 بَيْنَ غَابَاتِ الأَقْلَامِ وَ سَاحَاتِ الأُورَاقِ ,
 فِي مَيْعَةِ الصَّبَا , تَكُونُ المَشَاعِرُ فَيَاضَةً , وَ تَنْجَرِفُ الحَوَاسُّ نَحْوَ ظَوَاهِرِ الأَشْيَاءِ
 وَمَظَاهِرِ الأَشْخَاصِ , لَا وَقْتَ لِلتَّعَمُّقِ , وَ لَا صَبْرَ عَلَى التَّرْوِي ,
 فِي بَضْعِ سُطُورٍ , جِهْدَ أَنْ يَبُتَّ مَكْنُونُ صَدْرِهِ , عَلَى مَدَى أَسَابِيغٍ وَ شُهُورٍ ,
 وَ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ عَصَى المَنَالِ , فَقَدَ حَادًا إِلَى الهَدَفِ الأَيْسَرِ :
 يَشْدُ وَتَرَ بِلَاغَتِهِ , وَ يَرْمِي سِهَامَ الغَزَلِ ,
 عَلَى رَهَافَةِ القَدِّ وَنَصَاعَةِ الخَدِّ وَ طَلَاوَةِ السِّنِّ وَاحْوَارِ العَيْنِ ,
 وَلَعَلَّ فِطْرَتَهُ السَّلِيمَةَ , أَلْهَمَتْهُ مُبَكَّرًا , أَنَّهُ عِنْدَمَا يَتَعَلَّقُ بِبِنَاتِ حَوَاءَ ,
 فَإِنَّهُ عِنْدَمَا يَتَعَثَّرُ المَنْطِقُ وَتَضِلُّ الحُجَّةُ سِوَاءَ السَّبِيلِ , فَإِنَّ المُجَامِلَةَ وَ المَدْحَ سَبِيلُ
 النِّفَازِ وَ مَرَقَى البُلُوغِ , فَالْغَوَانِي يَغُزُّهُنَّ الثَّنَاءُ ,
 شَأْنَ مُعْظَمِ خِطَابَاتِهِ اللَّاحِقَةِ , ظَلَّ خِطَابُهُ الأوَّلُ حَبِيسَ الأَدْرَاجِ وَ رَهِيْنَ الخَزَائِنِ
 أَطْلَعَ عَلَيْهِ صَدِيقٌ أَوْ أَكْثَرُ , لَكِنَّهُ أَبْدَأَ لَمْ يَصِلْ لَوَجْهَتِهِ المُبْتَغَاةَ ,
 وَ لَعَلَّهُ أَدْرَكَ - لَاحِقًا - مَعَ مَرُورِ الأَيَّامِ وَتَوَالِي التَّجَارُبِ وَ تَرَكَمِ الخِبَرَاتِ ,
 أَنَّهُ أَكْثَرَ مِنْ كَوْنِهِ مَغْرَمٌ بِهَذِهِ الغَادَةِ أَوْ مَفْتُونٌ بِتِلْكَ الحُسْنَاءِ ,

يسُعدُهُ ذلكَ الشعورُ و تبهجُهُ تلكَ الحالةُ , و لاحقاً ,
حرصَ على أن يبلغَ ذلكَ الفردوسَ , و يبقى هُناكَ ما استطاعَ ,
فإنَّه إنْ لم يُحقِّقِ المُرادَ , من لئلى أو سُعادَ ,
فإنَّ في بناتِ الأفكارِ و عرائسِ الخيالِ
خيرُ منبعٍ و عوضٌ لينابيعِ الشِّعرِ و الريشاتِ و المِدادِ .

أَوْشَامٌ عَلَى جِدَارِ الذَّاكِرَةِ

ثَمَّةٌ تَجَارِبُ قِرَاءَةَ كَالَوْشَمِ

تَعِيشُهَا مَرَّةً , وَ لَا تَنْسَاهَا بِالْمَرَّةِ ,

و يَحْدُثُ حِينَ تَتَصَفَّحُ كِتَاباً قَدِيماً , لَهُ فِي الْفَوَادِ وَدَاد ,
أَنْ تَتَنَاطَرُ ذَرَاتُ حَنِينٍ , أَفْرَاحاً وَ أَتْرَاحاً

ذَلِكَ أَنَّ تِلْكَ الْكُتُبَ , لَهَا حُضُورٌ يَتَنَفَّسُ ,
مَهْمَا طَالَ عَلَيْهَا الزَّمَانُ ,

بَعْدَ غِيَابٍ , تَتَصَفَّحُهَا ,

فَكَأَنَّكَ امْتَطَيْتَ بِسَاطِ الرِّيحِ , أَوْ فَرَكْتَ الْمِصْبَاحَ السَّحْرَى ,

فَإِذَا بِسَهْوٍ وَ صَحَارٍ تُطْوَى , وَ رِجَالٍ وَ نِسَاءٍ , يَتَجَسَّدُونَ ,
وَ يَزُخُمُ الْجَوُّ بِرَوَائِحٍ وَ طَعُومٍ , وَ تَصْدُحُ أَنْعَامٌ , كُنْتَ تَطْنُنُهَا طَيِّ النَّسِيَانِ ,
فَإِذَا بِهَا مِلْءُ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ الْفَوَادِ ...

#أَصْدَاءُ السَّيْرِ الدَّائِيَةِ / فَسَادُ الْأَمْكِنَةِ / كُنَاسَةُ الدُّكَانِ / قَالُوا / الزَّيْنَى بَرَكَاتٍ /
الرَّهْيَنَةُ

الواقعة

بعدَ أُمْسِيَّةٍ شِتَاءٍ بِيضَاءٍ طَوِيلَةٍ , خَاتَلَ الوَسْنَ جُفُونِي ,
 فَهَدَأْتُ جَوَارِحِي , وَ سَكَنَ اللَّيْلُ , وَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا هُنَيْهَةً ,
 حَتَّى رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ , كَأَنَّمَا الْأَرْضُ فَرَّتْ مِنْ رَوَاسِيهَا , وَقَدْ وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ ,
 الْكُوْنُ فِي هَرَجٍ وَ مَرَجٍ , وَ الْخُلُقُ فِي كَرْبٍ عَظِيمٍ ,
 كُلُّ إِمْرِيٍّ يَتَخَبَّطُ يُمْنَةً وَيُسْرَةً , وَ هُوَ يَسْعَى لِلنَّجَاةِ بِنَفْسِهِ فِي يَوْمٍ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ
 شَيْبًا , الْبَشَرَ وَالشَّجَرَ وَالْحَجَرَ يَمُورُونَ , وَ قَعْقَعَةُ الْإِنْهِيَارَاتِ وَالصِّدَامَاتِ , تَصُمُّ
 الْأَذَانَ , بَعْدَ بُرْهَةٍ مَرَّتْ كَدْهَرُ , أَدْرَكَ النَّاسُ أَنَّ مَبَانِيَ الْمَسَاجِدِ وَحْدَهَا دُونَ
 سِوَاهَا هُنَّ الْعَوَاصِمُ مِنَ الْقَوَاصِمِ ,
 بَيْنَمَا يَتَفَتَّتُ وَيَتَنَاطَرُ كُلُّ مَا حَوْلَهَا مِنْ مَبَانٍ ,
 كَحِمَمٍ بُرْكَانٍ , تَجْرِفُ كَالسَّيْلِ , كُلُّ مَا فِي طَرِيقِهَا ,
 أَمَامَ سَاحَاتِ الْمَسَاجِدِ وَ مَدَاخِلِهَا , كَانَ الْمَشْهُدُ مُرَوِّعًا وَ الْفَرْزُ مُهُولٌ ,
 الْأَبْوَابُ لَا تَفْتَحُ , إِلَّا لِأَهْلِ الْمَسَاجِدِ مِنْ عُمَّارِهَا وَ مُرْتَادِيهَا ,
 الَّذِينَ تَأَلَّفَ دَقَاتِ أَنْامِلِهِمْ وَ تُمَيَّزُ دَبِيبَ كُعُوبِهِمْ , مِنْ الْغُرِّ الْمُحْجَلِينَ فِي الصَّبَاحَاتِ
 وَ الْعَشِيَّاتِ بَيْنَمَا كُلُّ لَائِذٍ بِالْبَابِ سِوَاهُمْ , يَرْتَدُّ خَاسِنًا وَ هُوَ حَسِيرٌ ,
 ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْسَحِقَ تَحْتَ رُكَامِ الْأَطْلَالِ , وَ تَدَافِعِ الْجُمُوعِ الْمَفْزُوعَةِ ,
 مَكْتَثُ أَرْوَاحٍ مَكَانِي , أَتَقَدَّمُ وَأَتَأَخَّرُ , بَيْنَ يَأْسٍ وَ رَجَاءٍ ,

حيراناً لا أتبين , هل تُفْتَحُ لى الأبوابُ , أم يكونُ حظِّي كالسَّرابِ ؟
و حينذاك انتبهتُ من غفلتى أتشهدُ وأحوقلُ , عرقى مدرارٌ وحلقى أجفٌ من باديةٍ
في الهجير ! و دموعى عالقةٌ لا تغيضُ أو تفيضُ , حَسرةٌ على كُلِّ صَلَاةٍ جَماعَةٍ
فرطتُ فيها بالكسلِ أو الغفلةِ أو الانشغالِ بكُلِّ ما هو دونَ الصَّلَاةِ قِيمةً و مَعنى .

ساكنات العلية

أتممت عملي في ساعة متأخرة من الليل ، فدخلت فراشي منهكاً ، أتقلب من جنب لآخر ، تتنازعني دوامات الأرق المعتادة ، مرّت ساعة دون جدوى ، فاضأت المصباح و قلبت صفحات رواية تركية مترجمة ، بعد هنيئة لم أدر مقدارها ، أخذتني سنة من النوم ، فرأيت كما يرى النائم : كأتى فتى دون العشرين ، أسعى نهاراً في قريتي الصعيدية ، بدرب طويل تصطف على جانبيه بيوت أجدادي ، مبتسماً في جلبابى الأبيض ، أحيى الأقارب و المعارف ، فيما تبدو وكأنها عودة من صلاة الجمعة ،

على ناصية الدرب ، وبنافذة الطابق العلوى من المبنى الحجرى ، انتبهت إلى إشارة جدّتين لى بالتحية والدعاء - توفيت كلتاهما من نحو ربع قرن - وهما في أبهى صورة و زى ،

باسمتي السنّ متورّدتي الوجه ، رددت التحية بأحسن منها ، و اعتذرت عن الصعود لمواعيد و انشغالات ، ماضياً في طريقي حتى نهاية الدرب ،

و إذ استحضرت محبة الجدتين فى قلبى ، إذ كانت إحداها عمّة أبى ، آنسة كفيفة ذات ثقافة و بلاغة ، نذرت عمرها لكفالة ابنى أخيها اليتيمى ، و عندما بلغا مبلغ الرجال و فارقاها ، كرّست حنانها لعشر قطط ، تحنو عليهم وتأنس بهم ، أما الأخرى فكانت زوجة عمّ أبى ،

حسناء سكندرية ذات كمال و وداد ، كُنّا - أطفال العائلة - نلتذّ بسماع لهجتها الرشيقة و نستمتع بالفُرجة على صوان فضيّاتها - النّيش - و تفانينها في حياكة الثياب ، بعد برهة ، راجعت نفسى ، و عزمْتُ على العودة ، و الصعود لتحية جداتى لبضع دقائق ، عدت أدراجي ، فإذا بالدرب أفرغ من فؤاد أم موسى ، لا أنيس أو ونيس والصمت مطبق !

صعدت عيناى لأعلى الجدار , فإذا بالمرأتين قد تبخّرتا , والحائطُ أصمُّ بلا نافذةٍ
أو شُرْفة ! تحيّر أبى و ارتجّ على , فجمدتُ واقفاً , لا أستطيعُ التقدمَ ولا أقدِرُ على
العودةِ مِنْ حيثُ أتيتُ ,

انتبهتُ مِنْ نَوْمى , على صوتِ آذانِ الفجرِ بهاتفِ زوجتى ,
فأخذتُ أتشهدُ و أسبّحُ و استعْفِرُ ...

نصيحة

ليلة خريف هادئة في مُنتصف الثمانينات ,
على جسر إحدى التّرع , بقريتي الجميلة البعيدة
مع صديقي الرّزين و رائدى الأمين ,
كُنْتُ مُراهِقاً حَسْبُ النِّيَّةِ , يشغله الشكْلُ والمَظهرُ , وتُبهره المراسمُ و الطّقوس !
شرّقنا في الحديثِ و غرّبنا , ثم أخرجتُ من جيبِ الجِلابِ , كُتَيِّباً عنوانه :
(وصفُ صلاةِ النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
و أخبرتُ نديمي , أنّي قرأتُ الكُتَيِّبَ مرّاتٍ و مرّاتٍ , حتى أوْشكتُ على جِفظِهِ ,
و أنّي على مدار الأسبوع , اجتهدتُ في تطبيقه حرفياً ,
و أعتقدُ : أنّه يجبُ أن يكونَ موجوداً , في كلّ بيتٍ و مسجدٍ و مدرسة ,
تبسمُ الرجلُ وصدّق على كلامي , مؤكّداً أنّ الصلاةَ عمادُ الدّينِ ,
و أنّ مَنْ يُعظِّمُ شعائرَ الله , فإنّها من تقوى القلوب ,
و لكنّ معنى الصلاةِ وأثرها في المُسلم , أهمُّ و أخطرُ من حركاتِها وكلماتِها ,
لزمْتُ الصّمتَ , في انتظارٍ مزيدٍ مِنَ البيانِ ,
فاستطرّدَ خَلَى , إذا كُنْتَ ستَقِفُ بين يديّ الله , بضعَ مرّاتٍ في اليومِ واللّيلة ,
فيجبُ أن يكونَ لديكَ الحياءُ , مِنْ أن يراكَ ربُّكَ على مَعْصيةٍ أو خُذلان ,
صلِّ بِحُبٍّ , و دغنى أرى حُبكَ لله , فى كلماتِكَ وأفعالِكَ ,

وبعدها ضُمَّ كَفَيْكَ عَلَى صَدْرِكَ أَوْ أَرْسَلَهُمَا كَمَا تَشَاءُ، وَحَرَّكَ سَبَابَةَ يَمِينِكَ أَوْ ثَبَّتَهَا
كَمَا يَعْزُّ لَكَ، وَاجْلِسْ لِلِاسْتِرَاحَةِ عَقِبَ الرَّفْعِ مِنَ السُّجُودِ، أَوْ أَنْهَضْ مُبَاشَرَةً كَمَا
يَخْلُو لَكَ، تَمَعَّنْتُ فِي حَدِيثِهِ وَلَمْ أَرَدْ أَوْ أُعَقِّبْ، لَكِنَّ الرِّسَالَةَ وَقَرْتُ فِي قُلُوبِي،
وَجَهَدْتُ - طَوَالَ الْعُمُرِ - أَنْ يُصَدِّقَهَا الْعَمَلُ .

جمعة مباركة أو كيرياليسون بحسب الأحوال

لَيَا وَاِجِدْ صَاحِبِي مَسِيحِي اسْمُهُ فَايز ,
جَنْبُ بَيْتِهِ جَامِعٌ كَبِيرٌ , فِيهِ مُؤَذِّنٌ صَوْتُهُ جَلُوهُ ,
مُرْقُصٌ ابْنُ فَايز , عُمَرُهُ سَنَتَيْنِ ,
وَدُنْهُ مُوسِيقِيَّةٌ , وَ مُعْجَبٌ بِالْأُذَانِ ,
كُلَّ مَرَّةٍ يَسْمَعُهُ , يَدْنُودُنْ مَعَاهُ
صَاحِبُنَا فَايز مَرَّةً يَضْحَكُ , وَ مَرَّةً يَتَعْصَبُ ,
وَ يَقُولُ لِي : مِشْ عَارِفْ أَقْهَمْ مُرْقُصٌ إِزَّايْ
إِنَّنَا أَقْبَاطُ , بِنَسْتَنِّي الْجَرَسَ مِشْ الْأُذَانِ ,
قُلْتُ لَهُ : سَيِّبُهُ , عَلَى حَالِهِ بَرِيءٌ عَلَى الْفِطْرَةِ ,
بُكْرُهُ يَكْبُرُ وَ يَفْهَمُ , وَ يَعْرِفُ الْمَسْجِدَ وَ الْكَنِيسَةَ ,
يَارَبْ تَشَوْفُهُ زَيِّ مَكْرَمِ عَبِيدِ أَوِ الْبَابَا شِنْوُودُهُ ,
مَسِيحِي مُتَدَيِّنٌ أَدِيبٌ , بِيَحْتَرَمُ الْإِسْلَامَ وَ يَسْتَشْهَدُ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ .

المَقَامَةُ الطَّقْسِيَّةُ

مِنْ حَدِيثِ مُفْلِسِ بْنِ أَبِي قَحْطَانَ

هَلْ سَبَقَ لَكَ أَنْ وَقَعْتَ فِي غَرَامِ هَيْئَةِ الْأَرْصَادِ الْجَوِيَّةِ ؟
 أَنَا فَعَلْتُ بَلْ وَوَدْتُ - إِنَّ أَمَكْنَ - أَنْ أَقْبَلَ وَاجْهَتَهَا وَ الْعَتَبَاتِ !
 فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنْ مَارَسِ , الصَّغِيرَاتِ أَنْهَيْنَ امْتِحَانَاتِ الْفَتْرِ الدِّرَاسِيَةِ الْأُولَى ,
 وَ حَقَّ لَهُنَّ بَعْضَ التَّرْيِضِ وَ التَّنْزُّهِ , فَطَلَبْنَ - ثَلَاثُهُنَّ -
 تَمْضِيَّةَ يَوْمٍ مَعَ الصَّدِيقَاتِ فِي الْمَلَاهِي
 وَ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ , لَيْسَ مِنَ اللَّائِقِ- إِبْطَاقاً - أَنْ تَتَأَخَّرَ عَنْ تَوْصِيلِ هَدِيَّةٍ عِنْدِ الْأُمِّ
 أَوْ اصْطِحَابِ زَوْجَتِكَ إِلَى طَبِيبِ الْأَسْنَانِ ,
 وَلَمَّا كُنْتُ فِي عَيُونِ وَ خِيَالِ قَبِيلَةِ النِّسَاءِ هَذِهِ , بِسْطُورَةِ الْمُعْتَصِمِ وَ ثَرَاءِ قَارُونَ ,
 فَلَيْسَ مَعْقُولاً أَوْ مَقْبُولاً , أَنْ أَتْلِكَأَ فِي تَلْبِيَةِ الرَّغَبَاتِ بَلْ وَ النَّزَوَاتِ !!
 إِذْ أَنْ رَبَّاتِ الْخُدُورِ , لَا يُبْصِرْنَ الْبَرْزَخَ بَيْنَ الشُّهُورِ
 عِنْدَمَا يُشْرِفُ الْبَنْرُ عَلَى التَّضُوبِ , وَتَكُونُ الْمَحَافِظُ أَفْرَغُ مِنْ فَوَادِ أُمِّ مُوسَى
 فِي انْتِظَارِ هُطُولِ الْمَطَرِ , وَ تَلَاشَى الْخَطِرُ وَ الْوَتَرُ ,
 فَوَضْتُ الْأَمْرَ لِصَاحِبِ الْأَمْرِ , وَ أَوَيْتُ إِلَى فِرَاشِي , وَ لَا حِلَّ عِنْدِي لِحِسْبَةِ بَرْمَ ,
 كَيْفَ تُدَبِّرُ بَضْعَةَ آلَافٍ , مِنْ هُنَا أَوْ تُرْجِي التَّرْتِيبَاتِ بَضْعَةَ أَيَّامٍ مِنْ هُنَاكَ ؟
 بَيْنَمَا أَنَا شَارِدٌ أَعْبْتُ فِي هَاتِفِي النِّقَالِ , أَسْقَطُ الْحَكَايَا وَ الْأَخْبَارَ , هَتَفَ النَّذِيرُ -
 بِالْأُخْرَى الْبَشِيرِ - :
 الْحَذَرَ الْحَذَرَ , مِنْ تَقْلِبَاتِ الْخَمَاسِينَ وَ الرِّيَاحِ وَ الْغُبَارِ

تَجَنَّبُوا الْأَسْفَارَ , وَ الْأَزْمُوا الدِّيَارَ
يَمَّمْتُ وَجْهِي شَطْرَ الْبَنَاتِ وَ أُمُهنَّ , وَ أَنَا أَتَكَلَّفُ مَخَايِلَ الْجِدِّ وَ إِمَارَاتِ الْحَزَنِ ,
وَ أَعْلَمْتُهُنَّ أَنَّ الطَّقْسَ يُنْذِرُ بِالْعَاقِبَةِ الْوَبِيلَ , وَ لَعَلَّ مِنْ الْحِكْمَةِ التَّأْجِيلَ ,
وَ غَادَرْتُ سِرَاعاً , بَعْدَ أَنْ أَنْقَذْتُ الدَّرِيْهَمَاتَ ,
وَ أَنَا أَتَمَّمْتُ لِهَيْئَةِ الْأَرْصَادِ بِالْأَمْتِنَانِ وَالدَّعَوَاتِ .

بداية و نهاية الطبقة الوسطى

رواية (بداية و نهاية), من أبداع إيقونات النّجيب المحفوظ , مرثية الطبقة الوسطى,
عندما يميل الزّمان , و يختل ميزان العدالة , فيهوى مساتير النّاس في جبّ العوز,
و يقايضون على لُقمة العيش و بالتنازل بعد التنازل , ثمّ التفريط بعد التفريط ,
و يعزّ السّتر , حتى يشتري براحة البال , حتى تنفذ ,
ثم بالشّرف , حتى يتبدّد , و بالحياة ذاتها , حتى تزهد ,
يكفى أن تتأمل في أسماء أبطال الرواية , حتى تدرك كم كان الروائي عبقرياً ,
في هذه الجديلة المُنمّنة , من البساطة و التّركيب و التّلميح و التّصريح ,
فهذا قابيل الأسرة , الأخ الأكبر حسن (أبو الروس) ,
بلطجي و قواد و تاجر مخدرات و مُطرب بالإكراه ,
و ذاك (حسين) , ثاني الأبناء , رمز الرّزانة والوسطية و التّضحية ,
و ذلك (حسنين) , صغير الأبناء , شيق الطّموح مُركّب الاسم
, دلالة على انفصام الشخصية ,
أمّا (نفيسة) , - الابنة الوحيدة - رمز شرف الأسرة و عقّتها ,
فقد رخصها الفقر و هتك سترها الجوع ,

و إجمالاً , فإنَّ مُعْضِلَةَ الطَّبَقَةِ الوَسْطَى - على وجهِ العُموم - فى أُرْمَنَةِ الأَزْمَاتِ
و التَّحَوُّلاتِ مِنْ فِتَنِ وَمَخَاضَاتٍ وَ ثَوَرَاتٍ وَ حُرُوبٍ ,
أَنَّهَا تَكُونُ أَوَّلَ وَ أَكْثَرَ مَنْ يَتَحَمَّلُ الأَعْبَاءَ وَ يَدْفَعُ الأَثْمَانَ , وَ مَا أَشْبَهُ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ
وَ اللهُ زَمَانٌ , زَمَانٌ وَ اللهُ.

كوكب الظرف

اشتهرتِ الراحلة أمُّ كلثوم , بقوة الشخصية و عمق الثقافة و الرزانة و الوَقار ,
لكنّها على الجانب الآخر , كانت من ذوى الحسّ الساخر و الفكاهة الرّائقة
و تُعدُّ من ظُرفاء العصر ,

و لها فى ذلك المجال , سوابق تحكى و نوادر تُروى ,
و من ذلك , أنّه كان معروفاً فى أوساط الفنّ , تدلّه شاعر الشباب أحمد رامى فى
حُبّها , و تصادف أن أنهت الفرقة الموسيقية بُروفاتها , و همّت بالانصراف فتلكأ
رامى أعلى سلّم المسرح و لما شاغبته السّت : هتنزل يا رامى و لا أطلعك ,
رد عليها مازحاً : أنزل ازاي و روى طالعه !

و كان لها جارٌ ثقيلٌ ظلّ , يتطفّل على مجالسها ويرفع الكلفة , و يناديها باسم
التدليل (ثومة) فانتوت أن تُكدره ,

و ذات مرّة همّت بتعريف ضيوف مجلسها ببعضهم البعض ,

فقالت : هذا شاعر ثومة & و ذاك ملحن ثومة ,

و أشارت للجار الطفيلي أما هذا ف (جارتومة) !

و يُحكى أنّه لما لحن لها الشيخ سيد مكاوى أغنية (يا مسهرنى) , و كان كفيفاً

طلبت منه تعديل بعض المقاطع و القفلات , فرد عليها مُتمتماً :

بغدين هنشوف , بغدين هنشوف ,

فردت فى الحال : يبقى عُمرها ما هتتعدل !

و لما تأخرت فى العُمُر , أَلَزَمَهَا الأَطْبَاءُ بِأَنْوَاعٍ وَ كَمِيَّاتٍ مُعِينَةٍ لِلطَّعَامِ , حَفَاضاً عَلَى الصِّحَّةِ وَ الصَّوْتِ , فَكَانَتْ مَسَاعِدُهَا تَحْمِلُ طَعَامَهَا الْمَوْصُوفِ , فِى أَوَانٍ مَعْدَنِيَّةٍ صَغِيرَةٍ مَتْرَاصَةٍ فَوْقَ بَعْضِهَا الْبَعْضُ فِى هَيْئَةِ (عَمُودٍ) , وَ لَمَّا كَانَتْ أُمَّ كَلْثُومٍ مُكْرَهَةً عَلَى تِلْكَ الْأَصْنَافِ , كَانَتْ تَرُدُّ عَلَى مَنْ يَسْأَلُهَا عَنْ ذَلِكَ الْعَمُودِ , بِأَنَّهُ (الْعَمُودُ الْفَقْرَى) !

الكار و المدار

كُنْتُ أَقْلِبُ فِي مَكْتَبَتِي , بَحْثًا عَنْ أَحَدِ الْمَرَاجِعِ الْقَدِيمَةِ , فَوَقَعْتُ عَيْنِي عَلَى أَحَدِ
مُؤَلَّفَاتِ الْأَدِيبِ الْعَبْقَرِيِّ (يَحْيَى حَقِّي) , فَأَنْسَتُ إِلَى التَّحْدِيقِ فِي صَوْرَتِهِ الْمَلِيحَةِ
بِالشُّقْرَةِ الرَّائِقَةِ وَ الْهَيْكَلِ الدَّقِيقِ وَ الْعَصَا الرَّشِيقَةِ وَ الْعَوِينَاتِ السَّمِيكِ , ذَلِكَ
الْمِصْرِيُّ الصَّمِيمُ , تُرْكِي الْأَصْلِ ,
(مُعَاوَنَ الْإِدَارَةِ) فِي شَبَابِهِ ,

وَالدَّبْلُومَاسِي وَ مَدِيرَ دَارِ الْكُتُبِ لَاحِقًا .. صَاحِبَ الرِّوَايَاتِ ,
قَنْدِيلَ أَمِ هَاشِمٍ .. الْبُوسَطَجِي .. دِمَاءَ وَ طِينِ .. كَنَاسَةَ الدَّكَانِ
وَ الْهَامُهِ الْأَكْبَرَ كَانَ تَدْشِينُ اللَّغَةِ الثَّالِثَةِ , مَزِيجَ الْفُصْحَى وَ الْعَامِيَّةِ ,
وَبَعِيدًا عَنْ إِفْتِنَانِي الْعَمِيقِ وَ الْقَدِيمِ بِيَحْيَى حَقِّي ,
تَوَقَّفْتُ عِنْدَ عَمَلِهِ بِوُظُفَةِ (مُعَاوَنَ إِدَارَةِ) .

وَ هِيَ وَظِيفَةٌ رَوْنِيَّةٌ تُورِثُ الْمَلْلَ وَ تَقْتُلُ الْإِبْدَاعَ , وَكَذَلِكَ كَانَ (نَجِيبَ مَحْفُوظِ)
مَوْظَفًا مَكْتَبِيًّا بِوِزَارَةِ الْأَوْقَافِ , حَافِظًا عَلَى وَظِيفَتِهِ حَتَّى بَلَغَ سِنَّ التَّقَاعِدِ ,
ثُمَّ كَرَّتْ فِي خِيَالِي حَبَّاتُ مِسْبَحَةِ وَظَائِفِ الْأُدْبَاءِ وَ الْفَنَّانِينَ ,
(عَبَّاسُ مَحْمُودِ الْعَقَّادِ) , كَانَ مَوْظَفَ تِلْغَرَاغٍ لِفَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ , (تَوْفِيقُ الْحَكِيمِ) كَانَ
وَكَيْلًا لِلنَّائِبِ الْعَامِ وَ مِثْلَهُ (مُحَمَّدُ صَفَاءُ عَامِرِ) ,
بَيْنَمَا كَانَ (إِبْرَاهِيمُ نَاجِي) طَبِيبًا وَمِثْلَهُ

(يُوسُفُ إِدْرِيسِ) وَ (مُحَمَّدُ الْمَنْسِي قَنْدِيلِ) , (يُوسُفُ السَّبَّاعِي) كَانَ ضَابِطُ جَيْشٍ
وَمِثْلَهُ كَانَ (حَافِظُ إِبْرَاهِيمِ) وَ (ثُرُوتُ عُكَّاشَةٍ) وَ (أَحْمَدُ مَظْهَرِ) وَ (جَلَّالُ عَامِرِ) ,
بَيْنَمَا كَانَ (سَعْدُ الدِّينِ وَهْبَةُ) وَ (صَلَّاحُ ذُو الْفِقَارِ) ضَبَّاطُ بُولِيسِ , (صَالِحُ مُرْسَى)

كَانَ بَحَّاراً وَ (بِهَاء طَاهِر) كَانَ مُتَرْجِماً , (عَلَى مَحْمُود طه) كَانَ مُهَنْدِساً وَ كَذَلِكَ
(عَبْد الرَّحْمَنِ مَنِيْف) , وَ مُنْفَرِدا عَمِلَ (جَمَال الْغَيْطَانِي) فِي صِنَاعَةِ النَّسِيجِ !
الشَّاعِرُ الرَّاحِلُ (نِزَار قَبَّانِي) وَ الرَّوَائِيَّ (عِزُّ الدِّينِ شُكْرِي فَشِير) كَانَا يَعْمَلَانِ فِي
السَّبِيلِ الدُّبْلُومَاسِي , أَمَّا أُعْجِبُ مِنْهُنَّ الْأَدْبَاءَ وَ الْفَنَّانِينَ , فَكَانَتْ مِهْنَةُ الشَّاعِرِ الْغِنَائِي
(سَيِّد مُرْسَى) وَ الْمُطْرِبِ الشَّعْبِي (شُعْبَانُ عَبْد الرَّحِيم) , إِذْ كَانَ كِلَاهُمَا يَحْتَرِفُ كَيَّ
الْمَلَابِسِ

قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّغَا لِلْفَنِّ !

نَضَارَات

بعدَ الزيارةِ السنويّةِ المنتظمةِ لمَحَلِ النَضَارَاتِ ,

رجعتُ البيتَ و معايا النُّضارةِ الجديده ,

وقفتُ أبخلقُ في مِرَايةِ المَدخلِ , أتَحَقِّقُ مِن مِلائمةِ شَكْلِ العدساتِ و لونِ الإطارِ
لِعَضَمِ جُمُجُمَتِي و تقاطيعِ وجهي , سرحتُ و شردتُ خيالي في قولةِ القايلِ

(العيونُ مَرايا الرُّوحِ) و لقيتني باردد : (النُّضارَه عُكَّاز و مَنارَه) ,

و إذا كان التاريخُ المُعاصرُ زَاخرَ بِأمثلةٍ لنضاراتٍ لَمَشاهيرِ السِّيَاسَةِ و الأدبِ و الفنِّ
و حتّى الرياضه و منهم (روزفلت & غاندى & مَالِكُومِ إِكْس & بينوشيه) و كمان
(وودى آلان & ستيفن سبيلبرج & إلتون جون & أودرى هيبورن & جونى ديب
& لادى جاجا)

و حتّى (لوليتا & هارى بوتر & مورفيوس ...)

, وفى كرة القدم (الايطالى أنيبالى فروسى و الهولندى إِنْجَار ديفيدز)
تاريخِ مَصرِ كمان فيه نَضَارَاتِ مَشِ مِمكِن نُنسَاهَا ,

من أولِ نضارة طه حسين لنضارة محمد حسين هيكل , و من نضارة الملك فاروق
لنضارة الملك السّنوسى

و من أم كلثوم لنادية لطفى , و من الشيخ أحمد حسن الباقورى للصاغ صلاح سالم ..

و من عبد المنعم مدبولى لفؤاد المهندس , و من السّادات لصلاح نصر ..

و مين ينسى سيّد مِكاوى و الشيخ إمام عيسى ,

و من عائشة راتب لعزيزة جلال , و من رُفعتِ المحجوب لعاطف صدقى ...

و حديثا , من البرادعى للفريق شَفِيق , و من أحمد حلمى لوائِلِ غُنيم ...

بَلَدِي أَحْبَبْتُكَ يَا بَلَدِي .. حُبًّا فِي اللَّهِ وَ لِلْأَبَدِ

" لَمَّا جَسَرَ التَّنْهَدَاتِ (هَانِي شَاكِر) يَجْتَمِعُ مَعَ الْمَطْرِبِ الرَّسْمِيِّ لِلْحُكُومَةِ
الْمَصْرِيَّةِ فِي الثَّمَانِينَاتِ (مُحَمَّدٌ ثُرُوت) , مَعَ شَوِيَّةِ بُهَارَاتٍ وَ نَضَارَاتٍ وَ
سَيْشُوَارَاتٍ وَ رَشْرَشَاتٍ ..
هَبِيقِي عِنْدَنَا أَغْنِيهِ وَطَنِيَّهَ لُوزِ اللُّوزِ , بَلَدِي ... بَلَدِي يَا بَلَدِي "

و فِي الْفَنِّ , كَمَا فِي مُطْلَقِ الْحَيَاةِ ,
تَطْرُدُ الْعُمْلَةَ الْجَيِّدَةَ الْعُمْلَةَ الرَّدِيئَةَ
و لَا يَصِحُّ إِلَّا الصَّحِيحُ وَ لَوْ بَعْدَ حَيْنٍ ,
فَبَيْنَ عَشْرَاتِ الْأَغْنَى الْوَطَنِيَّةِ , عَلَى مَدَارِ الْقُرْنِ الْعِشْرِينَ ,
طَوَى النَّسِيَانُ كُلَّ زَاعِقٍ وَ مُنَافِقٍ وَ مُتَكَلِّفٍ وَ مُتَعَسِّفٍ ,
أَيْنَ الْأَنَاشِيدِ الَّتِي دَبَّجَهَا عَبْدُ الْوَهَّابِ وَ أُمُّ كُلْثُومٍ وَ عَبْدُ الْحَلِيمِ وَ فَائِدَةُ كَامِلٍ
وَ الْعِزْبِيُّ وَ غَيْرُهُمْ فِي مَدَحِ فُؤَادٍ وَ فَارُوقٍ وَ نَاصِرٍ وَ السَّادَاتِ وَ مُبَارَكٍ ؟
كُلُّهَا ذَهَبَتْ أَدْرَاجَ الرِّيَّاحِ

و لَمْ يَحْفَظْ التَّارِيخُ إِلَّا الْفَنَّ , الَّذِي وَ اكَبَ الْأَحْدَاثَ الْعِظَامَ وَ تَغْنَى بِحُبِّ الْوَطَنِ ,

و لَيْسَ أَدْلَى عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَنَّهُ عَقِبَ نَكْسَةِ يُولْيُو 1967 ,
اسْتَحَى مَسْئُولُو الْإِعْلَامِ مِنْ إِذَاعَةِ آيَةِ أَغْنِيَّةِ وَطَنِيَّةٍ وَرَدَ فِيهَا اسْمُ الزَّعِيمِ الْمُنْتَكِسِ ,
عَبْدِ النَّاصِرِ , الَّذِي أَبْدَأَ لَمْ يَنْتَصِرْ !

و بحثوا طويلاً , حتى اهتدوا إلى دُرّة مَكْنُونَة ,
لواحدٍ مِنْ أَهَمِّ المُبَدِّعِينَ الموسِيقِيِّينَ - مُحَمَّدَ فَوْزَى -
الَّذِي كَانَ ضَحِيَّةً مِنْ ضَحَايَا قَوَانِينِ التَّأْمِيمِ !
دُونًا عَنْ أَمْثَالِهِ مِنَ الْفَنَانِينَ الَّذِينَ قَدَّمُوا قَرَابِينَ الطَّاعَةِ وَالْوَلَاءِ ,
و الدُّرَّةُ الْمَكْنُونَةُ هِيَ أَغْنِيَةُ (بَلَدِي أَحْبَبْتُكَ يَا بَلَدِي , حُبًّا فِي اللَّهِ وَ لِلْأَبَدِ) ,
وَ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ أَغْنَى الْعُدْوَانِ الثَّلَاثِي وَ السِّدِّ الْعَالِي وَ نَصْرِ أَكْتُؤْبَرِ / رَمَضَانَ .

سِرُّ الْخَلْطَةِ وَ لَوْ غَارَيْتُمُ الظُّرُوفَ

قَبُولُ الْجَمْهُورِ لِلْمُطْرَبِ وَ نَجَاحُهُ الْفَنَى , مَسْأَلَةُ مُرَكَّبَةٍ وَمُعَقَّدَةٍ ,

وَبِتَتَدَخَّلُ فِيهَا ظُرُوفٌ مُتَشَابِكَةٌ ,
زَيِّ الْمَوْهَبَةِ وَ الْمَنَاحِ - زَمَانًا مَكَانًا - وَ الْإِعْلَامَ وَ التَّمْوِيلَ ..

وَ لَمَّا أَشَقَّاءُ بِيَدُخُلُوا سِوَا الْمَجَالِ بِيَكُونُ الْمَوْضُوعُ صَعَبٌ عَلَى الْاِثْنَيْنِ ,
وَ خُصُوصًا الْأَصْغَرَ ,

وَ يَبْقَى النِّجَاحُ الْكَبِيرُ لِأَشَقَّاءِ زَيِّ قَرِيدٍ & أَسْمَهَانَ , مُحَمَّدٍ فَوْزَى & هُدَى سُلْطَانَ ,
سُعَادَ حَسَنَى & نَجَاةً , لَيْلَى مُرَادٍ & مُنِيرَ مُرَادٍ

بِمِثَابَةِ اسْتِثْنَاءَاتٍ مِنَ الْقَاعِدَةِ

الَّتِي حَكَمْتَ عَلَى مَوَاهِبٍ كَثِيرٍ بِالشُّحُوبِ وَالْأَفُولِ ,

لِمَجْرَدِ وَجُودِ أَخٍّ أَوْ أُخْتٍ مِنَ نَجْمِ الْوَسْطِ ,

حَتَّى لَوْ كَانَ الْأَقْلُ شُهْرَةً , أَخْصَبَ مَوْهَبَةً أَوْ أَقْدَمَ ظُهُورًا !

وَ الْأَمْثَلَةُ عَلَى كِدِّهِ عَدِيدَةٌ وَمُوجِعَةٌ : مِنْهَا إِسْمَاعِيلُ شَبَّانَةُ شَقِيقِ الْعَنْدَلِيبِ عَبْدِ الْحَلِيمِ
حَافِظٍ , هُدَى حَدَّادِ شَقِيقَةِ فَيْرُوزٍ , سَعْدُ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنِ شَقِيقِ مُوسِيْقَارِ الْأَجْيَالِ
مُحَمَّدُ عَبْدِ الْوَهَّابِ ,

هناك الصّافى ووديع الصّافى , , على الحجار و أحمد الحجار , مجدى الشاعرى
شقيق الكابو حميد , توفيق توفيق شقيق المطرب وليد توفيق , ريم نصرى شقيقة
أصالة , غنوة محمد على سليمان شقيقة أنغام ..

بَابُ السِّمَا
تَمَانِيَاتِي

قُلْتُ و باكرّر , إِنِّي باجِبُ السِّيْمَا , و شايِفها زَيّ الشَّعِرِ و الرِّوَايَةِ و المَزِيكَا و الرَّسْمَ قَنَوَاتٍ و مَنْصَّاتٍ لِلتَّعْبِيرِ - و النِّفَاعُ و التَّوْثِيقُ - عَنِ الدَّاتِ و الْوَاقِعِ و التَّارِيخِ و الْعَالَمِ و مِيزَةُ الْفَنِّ السَّابِعِ , إِنَّهُ و إِنْ كَانَ الْأَسْلُوبُ الْأَكْثَرُ تَعْقِيداً و تَكْلُفَةً , إِلَّا إِنَّهُ - بِلَا جِدَالٍ - الْأَكْثَرُ اكْتِمَالاً و شَعْبِيَّةً ,

و من آنِ الآخر بإحسّ بحاجة - مُلحّة و غير مَفهُومة - لإجتراح أحد أفلام التمانينات الواقعيّة لمُخرج من عيّنة : عاطف الطيّب و محمد خان و داوّد عبد السيّد و شريف عَرفه و على عبد الخالق

و على مَدَار الشهور الأخيرة , قعدت أضحك وأبكى قُدّام أفلام زيّ :

البرئ و سَوّاق الأوتوبيس و الدّرجة التالته و الكيف والكيث كات و خرج و لم يَعد و الحرّيف وسارق الفَرَح ,

مش عارف ليه النوع دا من الأفلام و خلال الفترة دي بالذات ,
لعله الحنين لأيام البراءة و الدهشة والاكتشافات الأولى ,
و أزمة الطبقة الوسطى و خلّاط الأسمنت العملاق اللي بيخضخض البلد - من
يوميهـا – من تحت لفوق و م السخن للبارد .. و بالعكس !

و لسه من شويه , خلصت مشهد النهاية فى فيلم (سواق الأوتوبيس) ,
وفينالة نور الشريف , و هو بيطلع غلبه فى ضرب النشال اللى بيمثل كل
حرامية البلد , والواقع والتاريخ و الذكريات والأحلام و عمال يصرخ :
يا ولاد الكااالب , يااا ولاد الكاااللب ..
ولقيت نفسى باصرخ معاه - بعد أربعين سنة من إنتاج الفيلم :
يا أولاد الكاااالب , يا اولاد الكااااالب

فات الميعاد

" عانى الفيلسوف و الأديب الأيرلندي الساخر / جورج برنارد شو , من الفقر و تجاهل النقاد له طويلاً , حتى جرى الاعتراف بموهبته و تقدير أعماله , فلما أرادوا تكريمه بجائزة نوبل , بعد أن بلغ من العمر أزدله , فوجئوا به يرفض استلامها , و علق على الأمر بسخريته المعتادة : الاختفاء بي بعد كل هذه المدة , أشبه بإلقاء طوق النجاة , لمن كاد أن يغرق , و لكن بعد وصوله بر الأمان ! "

و معاناة المبدع من التجاهل أو النكران أو الجحود , أشبه بالحكم عليه ب(الموت المدنى) وهو حي يرزق , إذ ما قيمة الإبداع إذا لم يُنشر ويصل للجُمهور و النقاد , ويتفاعل مع وعى الناس وثقافة المجتمع و تراثه ومستقبله ولعل الصمت والتجاهل , أشد نكيراً على المبدع من الجدل والإنكار والاعتراض

' ويندرُ فى المبدعين , مَنْ لم يمرُّ بهذا البرزخ , ويكتوى بتلك النار , جزئياً أو كلياً و مرحلياً أو مؤبداً , فرضا الناس والنقاد , غاية لا تدرك , وفي التراث الإنساني عامّة , والثقافة العربية خاصة , لا يميل الناس إلى تشجيع صغار المبدعين أو تكريم كبارهم , مبكراً أو فى حال حياتهم , خاصة إذا كان ذلك الإبداع حقيقياً , يقلبُ تربة الثقافة , ويفتح مسامها ويوجه عيون براعِمها للشمس , في مواجهة رياح المحافظة وأمطار التعريب , فإذا بلغ الإبداع مداه والتجديد غايته , و جرى تحطيم الأصنام و اختراق المخطورات أو المسكوت عنه , فإن مقاومة المجتمع والأوساط الثقافية يمكن أن تصل فى العناد و كسر العظام , إلى حدود بعيدة لا تخطر ببال أو يتصورها عقل ,

و لعل حديث جاليليو و عباس بن فرناس و المُتنبّي وفان جوخ و ابن حيّان التّوحيدي ليس ببعيد , إذ كان المجتمع في مواجعتهم قاسياً غليظاً , أنكر فضلهم و جحد إبداعهم طوال حياتهم حتى يؤسّ فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة – ابن حيّان التّوحيدي – من الأدب والناس , وجمع كتبه و مصنّفاته – بعد أن جاوز التسعين من العُمُر – وطوّح بها في تنّور داره , لتحترق و تتبخّر معها عرائس أفكاره و نتاج قريحته على مرّ السنين !

مِنْ كُتْرَ خُطَابِهَا بَارَتْ

كُلُّ مَنْ عَرَفَ مَيَّ (ماري إلياس زيادة 1886 / 1941) , أَحَبَّ مَيَّ ,

كِبَارُ كُتْرُ , أَدْبَاءُ و سَاسَةٌ وَأَعْيَانُ ,
شَبَابٌ وَ شَبِيانُ , لَبْنَانِيُونَ وَ مَصْرِيُونَ وَ عُرْبَان

وَ لَكِنَّ مَيَّ عَافَتْ الْجَمِيعَ , وَ اصْطَفَتْ رَمْزاً لِكَمَالِ الْخِلَالِ ,
ابْنَ وَطَنِهَا الْأَدِيبِ الْمُهَاجِرِ , جُبْرَانَ خَلِيلَ جُبْرَانَ ,

الَّذِي تَفَصَّلَهَا عَنْهُ مُحِيطَاتٌ وَ صَحَارٍ وَ سُهُولٌ وَ وَدِيَانُ ,
وَ اكْتَفِيَا بِرِسَائِلَ , سَطِرَتْ بِمِدَادِ الْعَشِيقِ الْعُذْرِيِّ مِنْ وَحْيِ الْخَيَالِ ,
وَظَلَا أُسِيرَى الْبَرِيدِ , دُونَ لِقَاءٍ تَكْتَحِلُ فِيهِ عَيْنَا أَحَدَهُمَا بِرُؤْيَا الْآخَرِ ,
أَوْ يَشْمَلُ الدَفْءُ كَفْيَهُ , بِمَلْمَسِ أَنْامِلِ الْمَحْبُوبِ ,

حَتَّى رَحَلَتْ مَيَّ , مَغْبُونَةً مَقْهُورَةً أُسِيرَةً (العصفورية) (*) ,

فِي فَمِهَا عَلَقَمٌ ظَلَمَ ذَوَى الْقُرْبَى ,

وَ مُؤَامَرَةً صَمَتِ الْمُجْتَمَعِ الْأَدَبِيِّ ,
تَجَاهَ مَا عَصَفَ بِهَا مِنْ تَمْيِيزٍ وَ اضْطِّهَادٍ !

* مصحة الأمراض العقلية و النفسية الأشهر في جبل لبنان , أنشئت عام ١٨٩٦

المومياء بيضة الديك

" بيضة الديك , هذا هو أقل ما يمكن أن يُوصَفَ به فيلم (المومياء)
للمُبدِعِ الراحل شادى عبد السلام ,
قصيدةٌ سيمفونيةٌ و مُتعةٌ بصريةٌ و سمعية ,
تُمثِّلُ ذُرْوَةً من فنِّ السينما المصرية , لم يرق إليها سابقٌ أو لاحق "

في أوقات الأزمات , يصبحُ البحثُ عن الهوية , هو طوقُ النجاةِ وجذرُ الثباتِ ورايةُ
المقاومة , عندَ الشعوبِ العريقة , التي تملكُ تاريخاً ممتداً و تراثاً مُبدِعاً ,
ولعلَّ ذلكَ هو كلمةُ السرِّ , فى هذا العملِ البديعِ فى ذاته الفريدِ من نوعه ,
(شادى عبد السلام) , الرجلُ الصعيديُّ , خريجُ الفنونِ الجميلةِ , دارسُ السينما
فى الخارجِ وصاحبُ الخبراتِ المتميزة فى العملِ كمهندس ديكور ومُصمِّم أزياء
وإكسسورات ومُساعدٍ مُخرج فى العديدِ من الأفلامِ الهامةِ داخلَ مصرَ وخارجها ,
كانَ يبحثُ عن حُلُمِهِ الخاصِ وبصمتهِ الذاتيةِ , حينَ كتبَ القصةَ والسيناريو و
الجوار وتولى إخراجَ دُرَّتِهِ الفريدةِ (المومياء) , المبنية على قصةٍ حقيقيةٍ , لعائلة
أفصرية تنازعَ أبناؤها حولَ مشروعِيةِ التجارةِ فى الآثار , التى يملكونَ خبيئةً
ضخمةً منها (مقابرُ الديرِ البحري) ,
وصراعُ المركز/ القاهرةِ والأطرافِ / الأقصر ,
والمُستعمر الأجنبى حولَ كنوزِ الأجداد ,

تمّ إنتاج الفيلم عام 1969 , يومَ كانَ الصهاينةُ يزتعون على الصّفةِ الشرقية لقناةِ السّويس , وكانَ لِزاماً على مصرَ أنْ تبحثَ عن قُوتها النّاعمة , بجناحيها منّ الآدابِ والفنون ,

و أنتجت أفلاماً ملحميّةً , تنفّخُ في الرّوح الوطنيّة وتوقّظُ الوعي وترفعُ المَعنويّات , من عيّنة : (أغنية على الممرّ) & (المومياء) & (الأرض)

شادي عبد السلام , بحكم كونه فنانٌ تشكيلي بالأساس ,

عوّل على الصورة , أكثرَ من القصّة و الكلمات , بمعنى أنْ كلّ كادرٍ كانَ لوحَةً بدعيّةً , فيها تفاصيلٌ ولها رسالةٌ مُكوّنائها الضوؤ والظلّ و تدريجاتُ الألوان وخلفياتُ المشاهد , نجح الفيلم على المستوى النّقدي , وحصل على ترتيبٍ مُتقدم في تصنيفِ أفلام القرنِ العشرين في السّينما المصريّة , كما حصّدَ جوائزَ في مهرجاناتٍ دولية ,

(قرطاج تونس 1970 & إنجلترا & إيطاليا)

وكان عبدُ السلام موفقاً في اختيارات المُمثّلين الذين لم يكونوا نُجوماً - وإن أصبحوا بعد ذلك - لكى لا يشوّش على مضمون رسالةِ الفيلم ,

كما كانَ الحوارُ مُلهماً - بمُشاركةٍ من الأديبِ علاء الدّيب -

و على الرغم من كُُلِّ ما سلفَ من عواملِ الإبداع , لم يتمّ عرضُ الفيلم جماهيريّاً , إلا بعد ستةِ أعوامٍ من إنتاجه !

كما إنّ مشروعَ شادي عبد السلام التالي , وفيلمه عن (إخناتون)

ظل يراوُحُ المكانَ , عشرةِ أعوامٍ , دونَ أنْ يُقَيِّضَ له أنْ يتحوّلَ إلى واقع ,

حتى رحلَ المُبدعُ المَعْبُونُ , فجأةً , في خريفِ ١٩٨٦

قيراط بخت و لا فدّان شطاره

الحُبُّ غالباً ما يُبنى على النّديّة و التّكامل , و الزّواج يتطلّب التّناسب و التّكافؤ , و هذا المُقوماتُ التي يتوجّب توافرها و تناسبها بين أطرافِ العلاقاتِ العَراميّةِ و الروابطِ الزّوجيّةِ , يتدخلُ فيها العديدُ من العناصرِ المُعقدةِ و المكوّناتِ المُركّبةِ , بما يجعلُ توافرَ الشريكِ المُناسبِ فى الزّمانِ المُناسبِ و السياقِ المُوائِمِ , ضربةً حظٍ و بشارَةً توفيقٍ , لا تحظى بها العديداً من النّساءِ , على الرّغم من استيفائهنّ مُقوماتِ الأنوثةِ و الأخلاقِ و المستوياتِ الاجتماعيّةِ و العلميّةِ , الأمرُ الذى يدفعهنّ دفعاً , إلى تفضيلِ العُذريّةِ و البتوليةِ عن المُخاطرةِ بقصّةِ غَرامِ قلقة , أو مشروعِ زواجٍ مُضطربِ الواقعِ غائمِ المُستقبلِ .

هذا عن غالبِ بناتِ حواءِ , أما زينب خليل المشهورة ب (سامية جمال) ,
(1924:1994)

الراقصةُ الشرقيّةِ و الفنّانةُ الاستعراضيةُ بنتُ الصّعيدِ التي بدأت حياتها فى صالةِ (بديعة مصابنى) التي كانت أكبر الملاهى فى زمانها و تخرّج منها كبارُ المُطربينِ و المُمثلينِ والعازفينِ و الراقصاتِ , و كانتُ سامية تشتهرُ بأسلوبها المتطورِ فى الرقصِ الذى يمزجُ الأداءَ الشرقىّ البطيءَ الناعمَ , بالأسلوبِ الغربىّ السريعِ المركّبِ , علاوةً على بطولتها لعشراتِ الأفلامِ الدراميةِ و الاستعراضيةِ لما يزيدُ على ثلاثين عاماً .

سامية تزوجتُ مُبكراً من متعهد حفلاتٍ أمريكي يدعى (شبيرد كينج) اعتنقَ الإسلامَ و سَمَّى نفسه عبد الله لكنَّ الزيجةَ لم تَدُم طويلاً , و بعدها و فى نهاية أربعينيات القرن العشرين ,

ترددتُ الشائعاتُ كثيراً و طويلاً عن علاقةٍ غراميةٍ ربطتُ بينها و بين الملكِ فاروقِ الأوّل – و الأخير –

حتى قيل وقتها أنّه : (ملكٌ مِصرَ و السودانِ و ساميه جمال) !

لكنَّ الملكَ كان مُتزوجاً و أباً لثلاثِ بناتٍ و ترددتُ حوله الكثير من الشائعاتِ

ربطته بالعديد من حَسَناتِ البلدِ المِصريّاتِ و الأجنبيّاتِ .

بعدها و أثناء تعاونها مع الموسيقار فريد الأطرش - سورى الجنسية دُرزى الأصل – طوال أربعينيات و خمسينيات القرن العشرين فى العديد من الأفلام الغنائية و الاستعراضية الناجحة ترددتُ الشائعاتُ عن علاقةٍ غراميةٍ قيل أنها انتهت بزواجٍ عُرْفَى - لم يَقم الدليل عليه –

و لكن فريدا الذى كان ينحدر من سُلالة أمراء الدُّروز , اعتذرَ عن إبرامِ عقدِ الزَّواجِ – أو إشهاره – حِفاظاً على منزلةٍ وتقاليدٍ طائفته وأسرته
و ظلَّ عازباً – رسمياً – حتى تُوفى عام 1974 .

ثم التقت سامية بِحُبِّ عُمَرها ورجُلِ حياتها , أشهر دنجوان فى السينما المصرية ,سليل العائلة العريقة , رُشدَى أباطة الذى كان يتحدث خمسَ لغاتٍ و تزوجَ خمسَ مراتٍ لكنَّ سامية أفلحتُ فى السيطرة على عُنفوانه ونمطِ حياته البُوهيمى , ليستمر زواجهما نحو سبعة عشر عاما

(1960 : 1977) .

و فى الوقت الذى يَندُرُ فيه أن تلتقى امرأةً برجلٍ مُتميّزٍ على مدار رحلة عُمرها ,
نجدُ أنَّ سامية التى رغم مميزاتها التى لا تُنكَر - إلا أنها لم تكن بالتأكيد أجملَ النساءِ
أو أرفعهنَّ حسباً أو نسباً أو موهبةً أو علماً - تتزوج من مُغامرٍ أمريكى وبعدها يقعُ
فى غرامها ملكُ البلادِ ثم تستمر علاقتها بالأمير الموسيقار سنينَ عددا , لتستقر فى
النهاية فى عُشِّ الزوجية لعقدين من الزَّمان فى بيتٍ دنجوان عصره و فتى زَمانه ,
و صدقَ المثلُ القائلُ , قيراط حَظٍّ و لا فدان شَطاره !

دَوْرِي مِي فَا صَوِّ لَا سِي دَو

مِنْ صُغْرِي وَ طَوَّلْ عُمُرِي , وَ الْمَرْيَا لِيهَا فَعَلَ السَّحْرَ فِي نَفْسِي ,
شَيْءٌ عَجِيبٌ وَ مَسْأَلَةٌ مُدْهِشَةٌ , مُطَقَّ الْمَرْيَا , وَ عَلَى كُلِّ شَكْلٍ وَ لَوْنٍ ,

يَعْنِي شَرْقِي وَ غَرْبِي , قَدِيمٌ وَ حَدِيثٌ , مُجَرَّدَةٌ أَوْ مَعَ الْعُنَا ,
فِي شَكْلِهَا الرَّسْمِيُّ التَّقْلِيدِي , أَوْ حَتَّى فِي تَنْوِيعَاتِهَا الْمَسْتُورَةِ الْمَضْفُورَةِ بِوَاقِعِ الْحَيَاةِ
مِنْ قَبِيلِ تَجْوِيدِ الْقُرْآنِ وَ نَدَاوَةِ الْأَذَانِ وَ شَقَاوَةِ نِدَاءَاتِ الْبِيَاعِينَ الْمُتَجَوِّلِينَ
وَ تَرْجِيعِ الصَّنَائِعِيَّةِ الشَّغِيلَةِ وَ الْبَحَّارَةِ عَلَى مَرَاكِبِهِمْ وَ مِئَادِيَةِ السَّيَارَاتِ ,
حَتَّى فِي كَلَامِ النَّاسِ , مُمَكِّنِ رَخَامَةِ صَوْتِ دُكُورِي أَوْ رَهَافَةِ حِسِّ أَنْثَوِي ,
تَسْتَغْرِقُ انْتِبَاهِي , بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ مَضْمُونِ الْحَدِيثِ !

فِي طِفُولَتِي السَّعِيدَةِ الْبَعِيدَةِ , كُنْتُ بَاغْنِي فِي حَفَلَاتِ الْمَدْرَسَةِ
وَ جُلُوسَاتِ السَّمَرِ مَعَ الْأَهْلِ وَالْأَصْدِقَاءِ , وَفِي الْمَسْجِدِ كُنْتُ بِأَنْشُدِ ,
أَيَّامِ الطَّلَبِ وَ الْمَذَاكِرَةِ , مَشَّ بِسِ كُنْتُ بِاسْمِعِ مَرْيَا وَ غُنَا وَ أَنَا بِاشْتَغَلِ , لَا ,
كُنْتُ كَمَا بَاغْنِي لِحَدِّ الْفَجْرِ , وَ دِي كَانَتْ الْعَلَامَةُ عِنْدَ أَهْلِي إِنِّي سَهْرَانٌ عَلَى الْكُتُبِ !
وَلَوْ الصَّوْتُ أَتَمَنَعُ , وَ الدُّنْيَا هُوسٌ هُوسٌ ,
كَانَ بِيَعْرِفُوا إِنَّ الْأَفْنَدِي أَنْشَغَلَ أَوْ أَنْخَمَدَ ,
وَ لِأَنَّ التَّغْيِيرَ وَ التَّطَوُّرَ سُنَّةُ الْحَيَاةِ ,
كَانَتْ كُلُّ مَرَحَلَةٍ , لِيهَا طَابِعُهَا الْغَالِبُ فِي تَوْقِيتِ مُعِينٍ ,

يعني الطفل - المتأثر بدوق عمّه - المفتون بعبد الوهاب و نجاة و عادل مأمون ,
بیتحول لمُراقب بیحب , على صوت العنّالیب و هانی شاکر و عمرو دیاب ,

و فی الجامعة , بیتورط فی تُجربة الجنوبي مُنیر و بلدیاته على الحجار ,
و بعدها بیكتشف أغانی الرفض و الثّورة و الحلم الجمیل , مع الشیخ إمام
ومارسیل خلیفة ,

مع رسوخ لا یتزعزع طول الوقت , للأسطورة أم کلثوم و الأیقونة فیروز ,

مع الوقت بینفتح الوعی ,
و تبص یمین و شمال , على القدود الحلبیة و الموایل العِراقیة و الراي المغاربی
و بعد اختراع الیوتیوب , حدّث ولا حرج ,
عن التجرب و الاکتشاف فی المزیكا من كل زمان و مكان ,

و تبقی هذه التجربة السحریة , اللى بتفتح نافذة فی الوعی و الذّاكرة ,
على أشخاص و أماكن و وقائع و ذکریات , بیتم استحضارها زیّ العفاریت ,
لما بتسمع مزیكا معینة أو أغنیة بذاتها , حاجه معتمدة على (الارتباط الشرطی)
بتخلیک تسمع وتشوف و تحس و تضحك و تبکی على حاجات , استرجعتها من
بیر الدّماغ وبتبقى فی (منزلة بین المنزلتين) , الدّرّوشة و الهلّوسة !

سينما النجم

ستة أفلام مثلتها أم كلثوم هي كل تاريخها السينمائي ، على مدار الفترة من مُنتصف الثلاثينيات إلى أواخر الأربعينيات ، حملت جميعها - عدا (فيلم نشيد الأمل) - اسم بطلة الأحداث ،

و الأفلام - على الترتيب - هي : (وِداد & دنانير & عائِده & سَلّامة & فاطمة) و كوكب الشّرق حين نَحْت هذا المنحى ، كانت تراهن على كُبريائها الفنّي و شعبيّتها الجارِفة ، وبعدها و في غضون عِقدى الأربعينيات و الخمسينيات ، تکرّر الأمر مع الأسطورتين ليلي مُراد و إسماعيل يس ،

إذ تم إنتاج عدة أفلام للأولى ، تحمل اسم ليلي وهي :

ليلى & ليلي في الظلام & ليلي بنت مدارس &

ليلى بنت الرّيف & ليلي بنت الفقراء & ليلي بنت الأغنياء

بينما تم إنتاج أفلام عديدة للفنان إسماعيل يس تحمل اسمه منها :

إسماعيل يس في الجيش & في الأسطول & في البوليس الحربي

& في مستشفى المجانين & في متحف الشمع & في دِمَشق & في جنينة الحيوانات

و رغم أن هوليوود ، حاضرة السينما في أمريكا و العالم الغربي ، هي من أسست لنظام سينما النجم إلا أن ذلك الامتياز لم يحظ به أهم نجوم السينما الصامتة - أو حتى الناطقة من بعدها - من عينة شارلي شابِلن & باستر كيتون & رودلف فالنتينو ، (لوريل & هاردي) ،

إلا أنه لاحقاً فى الأربعينيات و الخمسينيات , أنتجت افلام نسبت إلى الثنائي الكوميدى (بود أبوت & لو كاستيللو) منها : أبوت و كاستيللو: فى هوليوود & يلتقيان فرانكشتاين & فى الفيلق الأجنبى & إلى المريخ & يلتقيان د جيكل و مستر هايد , و فى التسعينيات و ما بعدها تم إنتاج حلقات و أفلام و رسوم متحركة. للممثل البريطانى روان أتكينسون عن شخصية (مستر بين) .

الدَّم , يَخْلِينَا قَرَايِب , وَ الْحُب , يَغْمُنَا عَيْلَه

في ليالى الكارنتينا الطويلة الحزينة (مارس : يونيو 2020) ,
باتصفّح فى الانترنت بلا هدف أو تركيز ,
توقفت عند صورة جميلة لآل (ذو الفقار) , الأشقاء الخمسة :
(محمود & عز الدين & ممدوح & صلاح & كمال) ,
و ما قدموه للفن من عطاءٍ راقٍ و إبداعٍ أصيل ,

فتداعت إلى الذّاكرة , عشرات الأسماء لأشقاء انخرطوا فى العمل الفنى بمجالاته
المتعددة , بعض الحالات , كانَّ النَّجَاحُ والتوفيقُ , حليفتين لطرفي التَّجربة ,
سواء بذات الدّرجة أو على تفاوت ,
و في حالات أخرى , وقف الفشل أو سوء الحظ ضد كلا الطرفين أو أحدهما ,
بعض الأسماء , لازم تسلم بتوافر الموهبة عند الطرفين ,
و فيه أسماء ثانية , أحد الطرفين (غالبا الأصغر) كان مُتأثر بنجاح وشُهرة الأكبر ,
و يحاول يقلّده , أو يتطقل على مشروعه ,

و عن العلاقة بين الشقيقتين , ففيه عدة نماذج ,
فيه العلاقة الطبيعية , محبة وارتباط و تشجيع ودعم ,
و فيه نموذج سلبي كان الأسبق فيهم و الأشهر , يحرص على إقصاء الطرف
الآخر وإخراجه من المشهد , لعدم المقارنة أو التشويش على النَّجَاح ,

و أخيرا فيه نموذج الاستقلالية و التّجاهل , و أحيانا التّمويه و إخفاء القرابة ,

و بدون تقييم أو تصنيف , هاكثفى بذكر الأسماء ,
و أنتم هتقوموا بالترتيب آليا من غير جهد أو جدل ,

(إسماعيل شبانه / عبد الحليم حافظ) & (فريد الأطرش / أسمهان) &
(بدر لاما / إبراهيم لاما) & (محمد فوزى / هدى سلطان / هند علام) &
(فطين عبد الوهاب / سراج منير) & (ليلي مراد / منير مراد) &
(نجاه الصغيرة / سعاد حسنى) & (شادية / عفاف شاکر) &
(فيروز / هدى حداد) & (منصور رحباني / عاصي رحباني) &
(حسين رياض / فؤاد شفيق) & (ميمى شكيب / زوزو شكيب) &
(عبد الوارث عسر / سامى عسر) & (محمد الموجى / إبراهيم رافت) &
(حمدى غيث / عبد الله غيث) & (سميرة أحمد / خيرية أحمد) &
(فؤاد المهندس / سامى المهندس) & (شكوى سرحان / سامى سرحان) &
(بوسى / نورا) & (وليد توفيق / توفيق توفيق) &
(مريم فخر الدين / يوسف فخر الدين) & (عمر خورشيد / شيريهان) &
(أحمد مكى / ايناس مكى) & (محمد على سليمان / عماد عبد الحليم) &
(رامى إمام / عادل إمام) & (منال سلامة / شريف سلامة) &
(وفاء عامر / آيتن عامر) & (ميس حمدان & مى سليم) &
(دنيا سمير غانم / إيمى سمير غانم) & (أحمد فهمى / كريم فهمى) .

العَبْقَرِيَّةُ وَ الْجِنُونُ

بين العَبْقَرِيَّةِ وَ الْجِنُونِ - فى كثيرٍ من الأحوال - شَعْرَةٌ دَقِيقَةٌ وَجِسْرٌ مَسْحُورٌ ,
و يحدثُ أَنْ يَقْطَعَ المرءُ مِنْهُمُ الشَّعْرَةَ وَيَعْبُرُ الْجِسْرَ , سواءَ مرَّةً واحدةً ولِلأَبَدِ ,
أَوْ يُرَاوِخُ عَلَيْهِ جَبِينَةً وَذَهَاباً ,
وَالْأَمْثَلُ وَالْأَوْفَقُ لِكُلِّ مُحِبٍّ لِهَذَا الْعَبْقَرِيِّ أَوْ ذَلِكَ الْمُبْدِعِ ,
أَنْ يَصُبَّ تَرْكِيزَهُ عَلَى أَفْكَارِهِ وَ مَوَاقِفِهِ أَوْ فَنِّهِ وَأَدْبِهِ
دُونَ كَبِيرِ اهْتِمَامٍ بِبَعْضِ الْهَنَاتِ وَالثَّرَهَاتِ هُنَا أَوْ بَعْضِ التَّقَالِيعِ وَالمُمَاحَكَاتِ هُنَاكَ ,
فَأَمَّا الزَّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ ,
وَلَعَلَّ الْعَبَاقِرَةَ وَ الْمَشَاهِيرَ مِنَ الْفَنَانِينَ وَالْأَدْبَاءِ , يُشْبِهُونَ الْأَقْمَارَ ,
فِى أَنَّ كَلَامَهُمْ لَهُ دَوْرَاتٌ صَعُودٍ وَ هَبُوطٍ وَ مَدٍّ وَ جُزْرِ , هَذَا مِنْ جَانِبٍ ,
و مِنْ جَانِبٍ آخَرَ , فَإِنَّ لِكُلِّ مِنْهُمْ جَانِبٌ مُضِيٌّ مُنِيرٌ وَ آخَرُ مُظْلَمٌ مُعْتَمٍ ,
إِذْ أَنَّهُمْ فِى نِهَآيَةِ الْمَطَافِ فِى عِدَادِ الْبَشَرِ , يُخْطِئُونَ وَيُصِيبُونَ وَ يَجْدُونَ وَ يَهْزِلُونَ ,
وَيَوْمَا مَا , عِنْدَمَا يَنْسَحِبُونَ مِنَ الْمَشْهَدِ وَتَنْتَهَى رَحْلَةُ كُلِّ مِنْهُمْ ,
لَنْ يَبْقَى مِنْ آثَارِهِمْ إِلَّا كُلُّ أَصِيلٍ مُبْتَكِرٍ مُبْدِئٍ نَافِعٍ لِلنَّاسِ ,
وَسَتَنْمَحَى وَ تَزُولُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ الْهَامِشِيَّةِ وَ الْجَانِبِيَّةِ وَ الْعَارِضَةِ وَ الْمُؤَقَّتَةِ
أَوْ حَتَّى تُذَكَّرَ عَلَى سَبِيلِ النَّوَائِرِ وَ الطَّرَائِفِ فَهَلْ يَذْكُرُ أَحَدٌ أَنَّ سَعْدَ بَاشَا زَعْلُولَ
زَعِيمَ الْأُمَّةِ وَرئيسَ حِزْبِ الْوَفْدِ وَرئيسَ مَجْلِسِ الْوُزَرَاءِ
وَرئيسَ مَجْلِسِ النُّوَابِ , كَانَ مُبْتَلَى بِدَاءِ الْقِمَارِ وَخَسَرَ مِنْ جَرَّائِهِ أَمْوَالاً طَائِلَةً

وَأَنْ وِينستون تشرشل رئيسَ وزراء بريطانيا العظمى وبطلَ الحربِ العالميةِ
الثانيةِ الحائِز على جائزة نوبل في الأدب ،

كان يُفضِّل أن يُجرى مُقابلاته الرّسمية عارياً دونَ ثياب !

أو أن المَهاتما غاندى كانَّ عُنصرياً تجاه ذوى البَشرة السوداء والنِّساء

و يَعتقدُ أَنَّهُم ليسوا سواء مع البيض و الهُنود !

و أن عَبّاس محمود العقّاد كانَّ نرجسياً مُتَکَبِّراً ,

أو أن توفيقَ الحکيم كانَّ بَخِيلاً جافياً يُشيعُ أَنَّهُ عدواً للمرأة ,

وَأَنَّ ألبرت آينشتاين كانَّ شاردأً طوالَ الوقتِ ,

ينسى الاستحمامَ لأسابيع , يَعدُّ بزوجتِه

الأولى أمَ أطفاله ثم يتزوج بابنه خالته وبعدها يُزعم هجرها للارتباط بابنتها !

و ماذا ضَرَّ النَّاسَ من مِثليةٍ و شذوذِ مارسيل بروسْت أو فيدريكو جارسيا لوركا
أو أوسكار وايلد , مُقارنةً بما استمتعوا به من قصائدهم الجميلة المُلهمة ,

و هل يُصدِّقُ أحدٌ أن خيري شلبي أنتجَ روائعَ رواياته مِن جَبانةٍ (مدفن)

فى حى مصر القديمة , كان يجد فيه من الهدوء و التركيز و الصفاء

ما لا يجده فى بيته وسطَ القاهرة , أو حتى قرينته الوادعة فى كفر الشيخ !

ثمّة أشياء شَخْصية ترجع لتاريخ المرء و نشأته و واقع حياته أو ما واجهه من
تحديات و صِعبات تدفعُ البعضَ إلى اعتناق أفكارٍ أو إتخاذ مواقف أو مُباشرة
سلوكيات و عادات قد لا تكون مفهومة للمُجتمع أو تحظى بقبوله , و طالما لا
يفرض المشاهير تلك الأفكار

أو يطالبوا بنشر تلك السلوكيات و تعميم تلك العادات ,

فمن الحِكمةِ و الإنصافِ غَضُّ الطَّرَفِ عنها و عدم إثارةِ الجدلِ و البَلْبَلَةِ بشأنها

حتى لا تُشوّش على القضايا و الأفكار و الغايات الأجدَر بالتَّقد و التَّقييم و التَّعميم

أو حتى المُتَابَعَة و الاستمتاع , و لا أستطيع أن أُخْتَمَ حديثاً كهذا , دون إشارة إلى بعض أغرب ما ثبت من عادات و عجائب المشاهير , من قبيل أن ليوناردو دافينشى عبّقى الفنون فى العصور الوسطى.

كان لديه الكثير من الإنشغالات و الارتباطات و الخطط و المشاريع ,

الأمر الذى كان يأبى معه أن يهدر ثُلثَ وقته فى النوم و الراحة كسائر البشر , و اخترع جدولاً فريداً ليومه يتضمن (سِنَّةً من النَّوم) فى حدود العشرين دقيقة كل أربع ساعات لتكون مَدَّةُ نومه ساعتان فقط على مدار اليوم و الليلة !

و اشتهر عن (فيكتور هوجو) أنه كان يتخلص من ملابسه و يكتفى بشالٍ يستتر به نفسه ليضطر إلى القرار فى منزله و إتمام رواياته و دواوين شعره !

(ستيف جوبز) عبّقى آبل – و كذلك (مارك زوكربيرج) مُخترع الفايس بوك –

كان يحرصان على ارتداء ذاتِ الزّى البسيط طولَ الوقتِ ضنّاً بوقتهم و أفكارهم من الإهدار و التشتّت فى غاباتِ الموضة !

الهولندى الشهير (دينيس بيركامب) لاعب كرة القدم , كان يخشى ركوبَ الطائرات وضمّن عقود احترافه فى جميع الفرق الكبرى التى لعب لها, فى بلاده و انجلترا وإيطاليا, بنداً يخوّله الامتناع عن ركوبِ الطائرات مع الفريق والاقتصار على ماعداها من وسائل السفر !

و غير ذلك كثير من التقاليع و الطرائف التى لا تقع تحت حصر ,

مارلين مونرو فاتنة هوليوود , كانت تكسر كعبَ واحدٍ من زوج الحذاء لتُحافظ

على طريقتها المشهورة فى المشى بالدّلالِ و الأنوثة التى سحرت الملايين !

و فى شأن أوضاع الكتابة , فقد انقسم الأدباء إلى فريقين ,

الأول , أهل الاستلقاء و الإضطجاع , و أشهرهم مارك توين و جورج أورويل ,

و الثانى , الكاتبون وقوفاً , من أمثال تشارلز ديكنز و إرنست هيمنجواى و فرجينيا وولف .

الفنّون , ضَرْبٌ مِنْ جِنُونٍ أَمْ مَسْطَرَّةُ قَانُونٍ ؟

فى فرنسا مطلع القرن التاسع عشر , نشأ مُصْطَلَحُ (الفنُّ البوهيمى) , ثم انتشرَ لاجِئاً فى سائرِ أوروبّا و كاملِ العالمِ , و حرفياً و تاريخياً , أشارَ المُصْطَلَحُ إلى المهاجرين من غَجرِ رُومانيا الذين ورودا إلى فرنسا مُروراً بمنطقة بوهيميا - بدولة التشيك حالياً - و كانوا يَتَّسِمُونَ بخصائص العرقِ العَجَرى من تَقْدِيسِ الحُرِّيّةِ و الحركة المُسْتَمِرّةِ و ارتباكِ الشّأنِ الخاص

و الزُّهْدِ فى الوعى و التَّخْطِيطِ , و الحياةِ كَيْفَمَا اتَّفَقَ الواقعُ و الطُّرُوفُ .

و عطفاً على بدء , ثمة أساطيرُ من الفنانين و الأدباء , اعتنقوا البوهيميّة مذهباً فى الحياة , ليفعلوا ما يشاؤون أينما و كيفما ووقتما يشاؤون , دونَ تقيّدٍ بالنُّظُمِ و التقاليدِ و الأعرافِ , فهاموا على وجوههم , يخيونَ اليومَ بيومِهِ , و يُطاردونَ النِّزَعاتِ و الصَّرَعاتِ و يطرقونَ الأفكارَ الجريئةَ و المذاهبَ المُسْتَحْدَثَةَ ,

على اعتبار أن الإبداعَ نقيضُ الوعى , و هو وليدُ الوحي و الإلهامِ و التهويمِ على غيرِ هُدى , و فى سعيهم ذلك ,

لم يدعوا وسيلةً لتغيبِ الوعى إلا و طَرَقوها دونَ تبصُّرٍ أو حذرٍ , و هو ما أفضى فى كثيرٍ من الأحوالِ إلى إشكالياتٍ فنيّةٍ و مآسٍ شخصيّةٍ .

و على الجانبِ الآخر , ثم أفذاذٌ من أهلِ الأدبِ و الفنِّ , آمنوا أنَّ الوعى - تركيزاً و منهجيّة - هو بمثابة بُراقِ الإبداعِ و أنّه يتعدّى على المرء أن يرقى فى سماءِ الأخيرِ إلّا إذا كان مُمتطياً صهوة الأولِ , فعضّوا على الوعى بالنَّواجِذِ ,

و اغتنقوا التَّخْطِيطَ المَنهَجى لأعمالهم و مشاريعهم مذهباً و طريقة .

و الأمثلة من الصنفين , فى تاريخ الأدب و الفن التشكيلى و المسرح و السينما و
الغناء - بل و حتى الرياضة - عديدةٌ و لا تقع تحت حصرٍ فى الماضى البعيد و
الحاضر القريب و على الرغم من حداثة الإشكالية , و صعوبة التوفيق بين طرفيها
و طانفتيها , إلا أن السؤال يبقى مطروحاً فى كل حين .

إمض قيس

أَنْ تَمَهَّرَ نَصّاً مِنْ إِنْشَائِكَ وَ إِبْدَاعِكَ بِتَوْقِيعِكَ ,
 لَهَوَ شَيْئٍ , يُشَبِّهُ أَنْ تَنْسَبَ طِفْلاً مِنْ صُلْبِكَ وَ صُنْعِكَ , إِلَى اسْمِكَ ,
 وَ النَّصُوصُ كَالْأَطْفَالِ , مِنْهَا اللَّقِيطُ وَ الْيَتِيمُ وَ مِنْهَا الْحَسِيبُ النَّسِيبُ ,
 مُبَكِّراً جِداً , أَدْرَكَتْ مَعْنَى وَ قِيَمَةَ - بَلْ وَ خُطُورَةَ - تَوْثِيقِ كِتَابَاتِكَ بِإِمْضَاءِ مُؤَرِّخٍ ,
 وَ إِنْ تَيْسَّرَ مَكَانَ وَلَادَةِ النَّصِّ , بِمَا قَدْ يَحْمِلُهُ ذَلِكَ الْمَكَانُ , مِنْ مَعَانٍ وَ دَلَالَاتٍ ,
 وَ لَأَنَّنَا - غَالِباً - لَا نَعَى فَضْلَ النِّعَمِ الَّتِي يُسَبِّغُهَا اللَّهُ عَلَيْنَا , إِلَّا عِنْدَمَا تَتَعَطَّلُ تِلْكَ
 النِّعَمُ أَوْ تَتَبَدَّدُ , فَإِنِّى لَمْ أَنتَبِهْ إِلَى أَهْمِيَةِ الْحَقِّ فِي التَّوْقِيعِ وَ الْحُرِّيَّةِ فِيهِ , إِلَّا عِنْدَمَا
 حُرِّمْتُ مِنْهُ , عَلَى مَدَارِ ثَمَانِينَ شَهْراً - نَحْوَ سَبْعِ سِنِينَ عِجَافٍ - كُنْتُ فِيهَا غَرِيبَ
 الدَّارِ , وَ نَضَوْتُ عَنِّى وَ شَاحَ الْقَضَاءُ , مَعَ احْتِفَاطِى بِرِيشَةِ الْمُسْتَشَارِ وَ دَوَاتِهِ ,
 وَ عَلَى الرِّغْمِ مِنْ إِنْتَاجِ مِائَةِ الْمَذْكُرَاتِ وَ الْأُبْحَاطِ وَ الْخُطُطِ وَ التَّعْلِيلَاتِ وَ
 مُسَوَّدَاتِ الْقَرَارَاتِ وَ مَشْرُوعَاتِ اللُّوَايِحِ وَ الْقَوَانِينِ , إِلَّا أَنَّ عَيْنَاى لَمْ تَكْتَحِلْ بِرُؤْيَا
 اسْمِى تَحْتَ أَيٍّْ مِنْ تِلْكَ النَّصُوصِ مِنْ بَنَاتِ أَفْكَارى , إِذْ كَانَ نِتَاجُ قَرِيحَتِى وَ
 غُصَارَةِ خِبْرَتِى , تُنْسَبُ إِلَى فَرِيقِ بَحْثٍ أَوْ كِيَانِ مُؤَسَّسَةٍ أَوْ حَتَّى رَبِّ عَمَلٍ !
 وَ بَعْدَ دَوْرَةِ الْفَلَكَ , وَ عَوْدَةِ الشَّيْخِ إِلَى جِمَاهِ ,
 اسْتَرَدَدْتُ هَذَا الْحَقَّ اللَّصِيقَ بِالشَّخْصِيَّةِ , غَيْرَ الْقَابِلِ لِلْإِنْكَارِ أَوْ الْإِتِّجَارِ ,
 وَهُوَ مَا قَرَّرْتُ بِهِ الْعَيْنُ وَ انْشَرَحَ الصَّدْرُ ,
 وَفِي خَرِيفِ 2019 , وَ سَدَّدْتُ إِلَى رِئَاسَةِ إِحْدَى الْمَحَاكِمِ فِي نَعْرِ سَاحِلِى ,
 ففُوجِئْتُ بِكَمِّ التَّوْقِيعَاتِ الْمَطْلُوبَةِ عَلَى عَدِيدِ الْأُورَاقِ وَ النَّمَاذِجِ وَ الْمَسَوَّدَاتِ
 وَ الْأَحْكَامِ وَ الْمُرَاسَلَاتِ وَ الْمُطَالِبَاتِ وَ الْمُلَقَّاتِ وَ الْإِعْلَانَاتِ

فهلاني ما اكتشفتُ, مِن أَنَّ : آلةَ الروتينِ المِصرِيَّةِ , عِلاقةَ الحجمِ مشهُورةَ
السُّمعةِ لا تدور تروسُها , إِلَّا بوقودِ التوقيعاتِ وزيتِ الأختامِ , وأننى قد عَوَّضْتُ
فى ظَرْفِ أسابيعَ , ما حُرِّمْتُ منه وفاتنى مِن توقيعاتِ , سنينَ عَددا !

أَحْضَانُ الْحَبَائِبِ

و عندما يتحاضن اثنان , يحدثُ أن تنفرج الضلوع ,
وترقُّ الأَبْشَارُ , و تَنفِثُ ,
تتماسُ الأَفئِدَةُ و يربُّتُ أحدهُما على الآخر
و يسرى الهمسُ , و نثارُ الذِّكرياتِ ,
و رُبَّما آمالُ المُستقبلِ ,

عبّروا عن مشاعرِكم , و اطرحوا الجفاءَ و الكسلَ ,
بَلِّغُوا مَنْ تُحِبُّونَهُمْ , أَنَّهُمْ يَغْنُونُ لَكُمْ شَيْئاً ,
و أَنَّ الحَيَاةَ لا تستقيمُ بِدُونِهِمْ ,

الحُضْنُ – عادةً - يَخْتَصِرُ شَطْرَ الكلامِ ,
والمُرءِ يَحْتَاجُ إلى أَحْضَانٍ عَدِيدَةٍ , ليستشعرَ الأمانَ ,
فإذا زادت الاحضان , سرى دبيب الحبِّ بين القلوب ,

و فى مُستوى مُعيَّن مِنَ الأحضان , رُبَّما يتوهَّجُ القلبُ بالابْداعِ !

قبِلُوا رؤوسَ الصِّغارِ , و كُفِّفُوا كِبَارَ العُلَماءِ ,
و جَبْهَاتِ الأَقْرَبِينَ و المُسْتَنِينَ ,

فالحُبُّ عَمَلٌ , تَنفَعِدُونَهَا الآخَرِينَ , فتربو ثِمَارُها و الزُّهورَ ,

و لازِلْتُ حريصاً فى مُحيطِى الاجْتِماعِ , بِمُراعاةِ الحُرُماتِ و الأصولِ ,

أَنْ أَتَجاهَلَ نَظراتِ الدَّهْشَةِ و رُبَّما تَمْتَماتِ الاستِنكارِ ,

عِندما أَفتَحُ مُقابلاتِى و اخْتِمتِها بالأَحْضَانِ و رُبَّما القُبُلَاتِ !

العقدُ النّظيمُ , فى ذمّ شُبّهات التّفخيم

لى الحظّ والشرف , أن أعملَ بمرفقٍ , يَكُنْ لَهُ غَالِبُ النَّاسِ التّوّقيرَ و التّنجيلَ ,
و يعتقِدُ بعضُ شاغليه و ذوو الصِّلَةِ به أنّه (رسالةٌ وولايةٌ) , أكثرَ منه (مهنةٌ و
خدمةٌ) , لكنّي أعترفُ , أنّى - ومنذُ اليومِ الأوّلِ - أجدُ غَضاضةً و حرَجاً ,
تجاهَ العُزفِ المُتواترِ والعادةِ المُستقرّةِ , بينَ رجالِ القُضاءِ بعضِهم البعضِ من
جهةٍ , و بينهم و بين سواهم من جهةٍ أُخرى , فى شأنِ المُغالاةِ فى الألقابِ
والإفراطِ فى تعظيمِ كلماتِ النّداءِ و التّخاطُبِ , فلمَ يستنسخِ ذوقى أو ترتاحُ
مسامعى لألقابٍ و كلماتٍ مثل :

(دولة الرئيس) & (معالى الوزير) & (سعادة المستشار) و كذا تعبيرات من
عيّنة : (فخامتُك) & (جنابُك) & (عدالتُك)

حتى إنّى سمعتُ يوماً زميلاً - حديثَ سنٍ - , يتحدّثُ و يُخاطبُ أحدَ رؤساءِ
المحاكمِ بلقبِ (نيافتُك) , و لمَ أدر وقتها , أكانَ يعلمُ أنّ ذلكَ الرّئيسَ المُبجلَ قِنطِيّ,
فقصدَ مُجاملته عَمداً , أم أنّه فقط نوى الخيرَ , فانحرفتُ به السّداجةُ إلى الشّطط !

و الشاهدُ , أنّ احترامَ السّلطةِ القضائيةِ - وسائرِ السّلطاتِ - وتوقيرَ مُمثليها

يُعدُّ من الآدابِ العامّةِ والإلتزاماتِ القانونيةِ ,

على أن يُتَمَّ ذلكَ فى توسّطٍ و اعتدالٍ دونَ إفراطٍ أو تفرّيط .

#موسيقار الأجيال مُطرب الملوكِ والأمراءِ , اللّواء الدكتور مُحمّد عبد الوّهّاب.

النَّوْمُ يَدَاعِبُ عَيُونَ حَبِيبِي , وَ السَّهْدُ شَاغِلُ جُفُونِي

عُمْرِي كُلُّهُ , طِفْؤُهُ وَ صِبَا وَ شَبَاب وَ كَهْؤُهُ ,
فِي الْحِلِّ وَ التَّرْحَالِ , وَخَذِي وَ لَا مَعَ وَنَيْسِ ,
بَدْرِي وَ لَا وَخْرِي , مَأْتَتْخِ وَ لَا مُجْهَدِ ,

رَسْمِيًّا - وَلَسْنِيْنَ طَوِيلُهُ - عِ التَّوَالِي وَ التَّوَاذِي ,
بَطَلَ الْعَالَمِ فِي الْأَرْقِ !
النُّوْمُ يَجْبِيْنِي زِيَّ الْحَلَزَوْنَائِ وَ السَّلَاحِفِ ,
وَ يَهْرَبُ مِنِّي زِيَّ الْفُرُودِ وَ الْأَرَائِبِ !

أَتَقَلَّبُ فِي الْفَرْشِ , سَاعَاتِ , مَا بَيْنَ الْكُتُبِ وَ الْمَوْبَايِلَاتِ ,
أُفْلِقُ لِأَقْلٍ صَوْتِ وَ لَا ضَوْءِ , بَرَّهِ وَ لَا جَوْهِ ,
مَشَ عَارِفٍ أَعْمَلُ آيَهُ وَ لَا أَرْوَحُ فِينِ ؟

مُفَعَّل فاعول فُعالة

خِلافاً لِمُعْظَمِ النَّاسِ الَّذِينَ يُؤَثِّرُونَ السُّهُولَةَ وَالِاخْتِصَارَ فِي أَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ ,
و يَمِيلُونَ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْأَسْمَاءِ الْمُخْتَصِرَةِ وَ أَسْمَاءِ الشُّهُرَةِ وَ أَلْقَابِ الْعَائِلَاتِ
وَ أَسْمَاءِ النَّسَبِ إِلَى الْجِهَاتِ وَ الْمِهَنِ وَ الصَّنَائِعِ , مِنْ عَيْنَةٍ :

نَاصِرٌ & عَامِرٌ وَ شَادِيَةٌ & نَجَاةٌ وَ شَكُوكُوٌ & شَرَفَنْطَحٌ , الشَّرْقَاوِي & الْفِنَاوِي &
الْبَحِيرِي وَ كَذَا شَطَّةٌ & بَبِيُوٌ & زَيْزُوٌ & سَيْكَا ... وَ الْحَصْرِي & الْحَدَّادِ & الْعَسَّالِ
& الْجَزَارِ & الْفَزَّازِ & الْخَضْرِي & الشَّوَرَجِي & الزِّيَّاتِ & الْقَبَّانِي
اكتشفتُ مُنْذُ الصِّغَرِ , أَنَّنِي أَمِيلُ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثِيَّةِ ذَاتِ الْإِيقَاعِ الْمُؤَثِّرِ
وَ الْجَرَسِ الْمُمَوَّسِقِ , مِنْ عَيْنَةٍ :

أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرِ بْنِ الْجَرَّاحِ & الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ النَّقَّافِ & نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ زَنْكِي
& رِفَاعَةُ رَافِعِ الطَّهَطَاوِي & أَحْمَدُ لُطْفِي السَّيِّدِ & عَبَّاسُ مُحَمَّدِ الْعَقَّادِ &
مُصَنَّفِي لُطْفِي الْمَنْفَلُوطِي & مُحَمَّدُ حُسَيْنِ هَيْكَلٍ & مُحَمَّدُ حَسَنِ إِسْمَاعِيلِ &
عَلَى مُحَمَّدِ طَهٍ & مُحَمَّدُ صَدِّيقِ الْمِنْشَاوِي & مُحَمَّدُ عَلِيَّ الْبَنَّا & أُسَامَةُ أَنْوَرُ
عُكَّاشَةُ وَ لَعَلَّ عِلَّةَ ذَلِكَ وَ مَرَجُّهُ , هُوَ اسْتِيفَاءُ مُقَوِّمَاتِ الْأَسْمِ الْأَسَاسِيَّةِ
مِنْ التَّمْيِيزِ وَ الْبَيَانِ وَ الْإِيقَاعِ وَ الْجَرَسِ .

#مُحَمَّدُ فَارُوقُ عُكَّاشَةُ

و عِلْمَ آدَمَ الْأَسْمَاءِ كُلِّهَا

بَعْضُ الْأَسْمَاءِ تَقَبُّلُ التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ , وَ هَذَا النَّوعُ مِنَ الْأَسْمَاءِ فِيهِ مَا هُوَ مُتَعَارَفٌ عَلَيْهِ وَ مُتَوَاتِرٌ وَ فِيهِ مَا هُوَ نَادِرٌ وَ غَيْرُ مَأْلُوفٍ , وَ مِنْ أَمْثَلِ الطَّائِفَةِ الْأُولَى : إِسْلَامٌ وَ بَدْرٌ وَ بَرَاءٌ وَ غَيْرُهَا

أَمَّا الطَّائِفَةُ الْآخِرَةُ : فَمِنْهَا أَمَلٌ وَ أُمِّيَّةٌ وَ ثَنَاءٌ وَ غَيْرُهَا ,

و مُؤَخَّرًا جَمَعْتَنِي الصَّدْفَةُ بِزَمِيلٍ سَلَاحٍ قَدِيمٍ يَدْعَى الْمُقَدَّمَ (نِهَادٌ) - لَعَلَّهُ تَرَقَّى لِأَحَقًّا لِرُتْبَةِ اللَّوَاءِ - فَتَبَادَلْنَا الْمَوَدَّةَ وَالْمُجَامَلَاتِ حَالَ تَدَاعَى الذِّكْرِيَّاتِ , وَ بَعْدَمَا افْتَرَقْنَا , رَنَّ اسْمُهُ فِي مَسْمَعِي وَ آثَارَ انْتِبَاهِي لِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمُزْدَوِجَةِ , بِقَلِيلٍ مِنَ التَّأَمُّلِ , أَدْرَكْتُ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ لَيْسَتْ بَعِيدَةً أَوْ نَادِرَةً , بَلْ إِنَّهَا أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِمَّا نَظُنُّ ,

فَلَقَبْتُ عَائِلَتِي وَ كَذَا عَائِلَةَ زَوْجَتِي (عُكَاشَةُ & جَوَاهِرُ) يَنْتَمِيَانِ إِلَى ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ الْأَسْمَاءِ (مَلِكٌ & فَرَحٌ) وَ كَذَا عَمَةٌ هُنَا وَ خَالَ هُنَاكَ (هَالَةُ & إِسْلَامٌ)

عِلَاوَةً عَلَى أَسْمَاءِ بَنَاتِي

وَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ , كَانَ لِي صَدِيقٌ عَزِيزٌ اسْمُهُ (وَسَامٌ) ثُمَّ فَرَّقَتْ بَيْنَنَا الْأَيَّامُ , وَ أَوَّلُ رَئِيسُ نِيَابَةٍ تَدَرَّبْتُ عَلَى يَدَيْهِ ,

كَانَ اسْمُهُ (مَعَالِي) , وَ هَلْ يَنْسَى أَحَدُ الْمُسْتَشَارِ

(رَجَاءُ الْعَرَبِيِّ) النَّائِبَ الْعَامَّ الْأَسْبَقَ , وَ عَلَى صَعِيدِ آخَرٍ ,

فَإِنَّ شَاعِرِي الْمُفَضَّلَ هُوَ الرَّاحِلُ

(أَمَلٌ دُنُقُلٌ) , وَ السَّيِّدَةُ (عَطِيَّةٌ) كَانَتْ زَوْجَةَ الرَّاحِلِ النَّجِيبِ الْمَحْفُوظِ ,

و في طفولتي المبكرة اشتهرتُ بتقليد (إيمان البحر درويش)

في شذوه بثرائيات جدّه ,

و كذا يُطربُني كروانُ سوريا (صباح فخري)

في قدوده الحليّة وموشحاته الأندلسيّة ,

و لعلّ أشهرَ مُفارقةٍ في هذا الصددِ , كانتَ يومَ سألَ الصّحفيّونَ الرئيسَ الراحلَ

السّادات - قبلَ نصرِ أكتوبرِ بشهُور- متى يُحاربُ الجيشُ المصريّ ؟

فأجابَ الراحل - المشهُورُ بحُسنِ التّخلّصِ وبلاغةِ الإيجازِ : اسألوا نوال !

و بعدها تهكّمَ عديدونَ على عبارة السّادات وأطلقوا على القوّاتِ المسلّحةِ المصريّةِ

(جيشِ نوال) و غابَ عن هؤلاء الأراذلِ , أنّ اللّواءَ (نوال الشّافعي) كانَ وقتَ

الحربِ (رئيسُ هيئةِ الإمدادِ و التّموين) , و طبقاً لمبدأ (نابليون) فإنّ الجيوشَ

تسعى على بطونها , و يكونُ المسئولُ عن السّلاحِ و الذّخيرةِ

و الوقودِ هو الفيصلُ في تحديدِ ساعةِ الصّفَر !

وَالْغَتَاهُ

كُنْتُ فِي زِيَارَةِ لِعِيَادَةِ صَدِيقٍ، مَعْدُودٍ مِنَ الْخُبَرَاءِ فِي الطِّبِّ ، وَالظُّرَفَاءِ فِي الْأَدَبِ،
فَعَرَضَ عَلَيَّ مَا وَصَفَهَا بِالتَّحْفَةِ النَّادِرَةِ : حَفْرِيَّةٌ مُتَكَلِّسَةٌ عُمُرُهَا 3200 سَنَةً تَرْجِعُ
لِلْعَصْرِ الْجُورَاسِيِّ ، وَصِنْفَةٍ طَبِيبِيَّةٍ (رُوشْتَّة) ، مَكْتُوبَةٌ بِخَطٍّ جَمِيلٍ يُمَكِّنُ قِرَاءَتَهُ
بِسَهُولَةٍ ، وَتَهَكِّمُ صَدِيقِي سَاخِرًا بِأَنَّهُ : يُرَجِّحُ أَنَّ الطَّبِيبَ مُحَرِّرَ الْوَصْنَةِ قَدْ لَقِيَ
مَصْرَعَهُ ، بِمُؤَامَرَةٍ مِنْ زَمَلَائِهِ ، حِفَظًا عَلَى تَقَالِيدِ الْمِهْنَةِ فِي الْخَطِّ السَّرِّيَالِيِّ !

وَبَعِيدًا عَنِ التَّفَكُّهِ وَالسُّخْرِيَّةِ ، فَإِنَّ الْحَقِيقَةَ الْمُرَّةَ أَنَّ الْمُؤَامَرَةَ عَلَى رَسْمِ اللُّغَةِ
الْعَرَبِيَّةِ بَنَحَوْهَا وَصَرَفَهَا ، كِتَابَتِهَا وَخُطُّوْطَهَا ، بَدَأَتْ مِنْذُ زَمَانٍ بَعِيدٍ ،
مِنَ الْخَارِجِ وَحَتَّى مِنْ أَرْضِيهَا وَمِنَ الْأَعَاجِمِ وَحَتَّى مِنْ بَنَى يَغْرُبُ
وَلَيْسَ فَقَطْ مِنَ الْأَطْبَاءِ ، بَلْ مِنْ مُعْظَمِ فَنَاتِ الْمُجْتَمَعِ ،
مُتَعَلِّمِهِمُ وَالْجَاهِلِ ، وَكَبِيرِهِمُ وَالصَّغِيرِ ،

الْجَرِيمَةُ اسْتُنْفِتِحَتْ بِإِهْدَارِ قَوَاعِدِ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ ،
وَبَعْدَهَا طُمِسَتْ عِلَامَاتُ التَّرْقِيمِ ،
رُويْدًا رُويْدًا ، اسْتَعْنَوْا عَنْ الْهَمْزَاتِ بِأَنْوَاعِهَا ،
وَالطَّامَّةِ الْكُبْرَى وَقَعَتْ بِفَوْضَى النِّقَاطِ ،
سِوَاءَ بِالْخَطِّ فِي عَدِيدِهَا وَمَوَاضِعِهَا ، أَوْ حَتَّى بِالْغَانِهَا كُلِّيَّةً ،

وَبِالطَّبْعِ نَحْنُ فِي جِلٍّ مِنْ ذِكْرِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُحَرِّرُونَ مَنَشُورَاتِهِمْ وَوِثَائِقَهُمْ
بِمَا يُطْلِقُونَ عَلَيْهَا طَرِيقَةً (الْفَرَانِكُو)
بِاسْتِعْمَالِ الْحُرُوفِ وَالْأَرْقَامِ اللَّاتِينِيَّةِ ،
لَأَنَّ تِلْكَ الْفِعْلَةَ الشَّنْعَاءَ ، أَقْرَبُ لِلْجُنُونِ مِنْهَا لِلْجَرِيمَةِ !

الدَّمْعُ أَصْدَقُ إنبَاءٍ مِنَ الْكَلِمِ .. فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَ اللَّعِبِ

البُكَاءُ مِنْ علاماتِ حياةِ القلوبِ وَ رَهافةِ الشَّعُورِ , وَ الدِّمُوعُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ وَ مَنحَةٌ جَلِيلَةٌ , تُفَرِّجُ الهمومَ وَ تَشْرَحُ الصُّدُورَ , تُجَلِّي الأَبْصارَ وَ تَهوِّنُ بِها الأَقْدَارَ .

وَ بعضُ النَّاسِ , حُظُوظُهُمْ طَيِّبَةٌ وَفِيْرَةٌ وَ دموعُهُمْ قَرِيبَةٌ سَكِينَةٌ , يَدْرُونَهَا صَبَاحَ مَسَاءٍ فِي , المَلَمَّاتِ وَ المَسَرَّاتِ , يَسْتَوِي عِنْدَهُمْ أَنْ يَكُونُوا عَلَى أَغْتابِ قَبْرِ يُوْدَعُونَ عَزِيزاً , أَوْ بَقَاعَةِ أَفْرَاحٍ يَحْتَفِلُونَ بِنَسِيبٍ أَوْ خَلِيلٍ , وَ الحالُ ذَاتُهُ , إِذَا اخْتَلَوْا فِي هَذَاةِ اللَّيْلِ , يَتَنَقَّلُونَ بِرُكْعَاتٍ أَوْ يَتَهَجَّدُونَ بِآيَاتٍ , أَوْ كَانُوا بِصَالَةٍ مَطَارٍ يُوْدَعُونَ حَبِيباً , أَوْ بِرُذْهَةِ مَشْفَى يُوَاسُونَ مَرِيضاً , أَوْ حَتَّى عَلَى الهَاتِفِ يَتَلَقَّوْنَ بِشَارَةٍ سَعْدٍ أَوْ خَبَرٍ سُوءٍ ,

وَ لَمَّا كُنْتُ شَخْصِيّاً مِنْ هَؤُلَاءِ المَحْظُوظِينَ , فَقَدْ بَدَأْتُ مَعِيَ الظَّاهِرَةَ مُبَكِّراً , وَ تَعَاظَمْتُ , حَتَّى كَادَتْ تَصْبُحُ حَدِيثَ الصَّبَاحِ وَ المَسَاءِ , فِدْمُوعِي تَنْهَمُرُ إِذَا هَزَّنِي الشَّوْقُ لِحَبِيبٍ فَقَدْتُهُ , أَوْ لَغَرِيبٍ دَارٍ تَوَحَّشْتُهُ , وَ آيَاتُ الحَمْدِ وَ العَذَابِ , تُسِيلُ لَهَا مَدَامَعِي , انْتِصَارَاتُ الوَاقِعِ وَ انْكَسَارَاتُهُ , مِنْ الرِّحْمَةِ وَ السُّتْرِ , وَ فَيُوضَاتُ النِّعْمَةِ وَ الفَضْلِ , حَتَّى المَوْسِيقَى الشَّجِيَّةَ وَ القَصَائِدُ البَهِیَّةَ ,

وَذَاتَ يَوْمٍ بِمَقَرِّ عَمَلِي , فَوَجِئْتُ بِصَدِيقٍ عَزِيزٍ , جَنُوبِي صُلْبٍ , حَظُّهُ مِنَ الرِّجُولَةِ وَ الخِشُونَةِ عَظِيمٌ , تَتَنَفَّضُ عَوَارِضُهُ وَ تَنْسَكِبُ دُمُوعُهُ , عِنْدَمَا عَرَضَ الحَدِيثُ لِمَأسَاةِ رَحِيلٍ زَمِيلٍ إِثْرَ حَادِثٍ أَلِيمٍ , الشَّاهِدُ أَنَّهُ حِينَ أَحَسَّ أَنَّهُ بَيْنَ خِلَافٍ , أَفْصَحَ عَنْ دَخِيلَةِ نَفْسِهِ وَ مَكْنُونِ شُعُورِهِ , دُونَ وَجَلٍ أَوْ حِيَاءٍ , وَ ذَكَّرَنِي ذَلِكَ بِمَوْقِفِ نَقِیضٍ , خَبَّرْتُهُ شَخْصِيّاً مِنْذُ نَحْوِ ثَلَاثِينَ عَاماً , بِلَيْلَةِ شِتَاءٍ بَارِدَةٍ بِالْأَكَادِمِيَّةِ الحَرْبِيَّةِ , كُنَّا ثَلَاثَةً طُلَّابَ جَامِعِيَيْنِ , أَوْقَعَهُمْ حَظُّهُمْ العَائِثُ فِي مَخَالِبِ ثَلَاةٍ مُرَاهِقِينَ - أَحَدُثُ سَنَاءً وَ أَسْبَقُ أَقْدَمِيَّةً - وَدُونَ مَسُوِّغٍ أَوْ جَرِيرَةٍ , شَدُّوا عَلَيْنَا النُّكَيْرَ وَ تَفَنَّنُوا فِي التَّكْدِيرِ , مُتَوَقِّعِينَ أَنْ تَنْحَلَّ إِرَادَتِي وَ تَنْسَاقَ دُمُوعِي ,

كُونِي الْأَرْهَفَ شُعُوراً وَقَوَاماً بَيْنَ فَرَائِسِهِمُ الْمُنْكَودَةِ , لَكِنْ خَابَ ظَنُّهُمْ عِنْدَمَا
فُوجئُوا بِصَلَابَتِي وَ صُمُودِي - دُونَاً عَنِ رَفِيقِي - ,
وَفَاتِهِمْ أَنْ مِثْلِي إِذَا نَاءَ بِهِ الْجَمْلُ وَ اشْتَدَّ الضَّغَطُ , تَتَفَجَّرُ إِرَادَتُهُ بِالتَّحْدَى ,
وَ تَضْحَى دُمُوعُهُ , أَبْعَدَ مَنْ سُهَيْلٍ وَ الثُّرَيَّا وَ الشَّعْرَى الْيَمَانِيَّةَ !

تَوَائِمُ الْكَلَامِ

و زىّ ما فيه فى البشر توائم , يتولدوا مع بعض و يعيشوا مُرتبطين ,
 و لا يُذكر أحدهما إلا و يُذكر الآخر , الكلام برّضه فيه عبارات مُرَكَّبة ,
 من قرينين مرتبطين , كأنّهما شطرين فى كلمة واحدة ,
 مُعظمها مفهوم , و بعضها طُلسم , بيتدرد فقط بِحُكم العادة ,
 و غالبها عربى فصيح لكن فيها الأعجمي ,
 سواء كان فرعونى أو قبطى أو تركى أو غيره ..

و الأمثلة عديدة و من أشهرها : -

مَدَّ وَجَزَّر & & كانى و مانى & هَشْتِكْ بِشْتِكْ
 حَتَّتْكَ بَتَّتْكَ & & سَكْتُمْ بِكْتُمْ & سَلَقَطْ مَلَقَطْ
 شُرْمُ بُرْمُ & & فُلان و عِلان & حَمَرى جَمَرى
 & سَداح مَداح & شَيْلَة و حَطَّة & حَزَّر فَزَّر
 شُقَع بُقَع & صَدَّ رَدَّ & شَدَّر مَزَّر
 سَرَجى مَرَجى & شَخَط مَخَط

.. انْفُضْ غُبار الماضي وَفَتِّشْ فى جِراب الدِّكرات
 و افْتكر معانا واحدة - أو اكتر - من العِبارات دى .

الأسلوب , اللّاعِب الملعوب

الفرنساويين ليهم عبارة مشهورة بتعجبني , و دائماً حاضرة في بالي
بيقولوا : (الرّجل , هو الأسلوب) ,

و الأسلوب هو : البصمة الشخصية و الطابع الدّاتي ,

و دى مسألة مُعقّدة و مُركّبة مُتراكِمة , بعضها فِطرى مؤروث , و البعض
الآخر بيئي مُكتسب , و بالطبع مش كل الناس , تقدر تتحقق و يثبت ليها الميزة
دى باعتراف الغير - بعد الرّضا عن النّفس - لأنّ الأغلبية - أساساً - مش مشغولة
بهذا الهم , و ناس كتير بتحاول وتفشل , و كمان فيه فئة بتحاول , بالحيلة أو
العصب أو التقليد والمحاكاة , انتحال القيمة دى , لكن طبعاً كل دا لا يصمد أمام
الزّمن والنّقد الموضوعى والتّقييم المُنصف .

على المُستوى الشّخصي , الحديث ذو شُجون بالنّظر إلى طبيعة مجال العمل
(القضاء) باعتباره (ولاية و رسالة) أكثر منه (وظيفة و مهنة) , لكن على درب
البحث عن الأسلوب كان ليا الحظّ إنّي أتلقّى مُبكراً جداً - عشرينيات العُمُر -
ثلاث نصايح قيّمة

من (أسطوات في الصّنعة) ساعدوني كتير ووفروا عليّ وقت وجُهد :

- بلاغة النّص في إيجازه , دون إخلالٍ أو إمّلال , فإذا تحقّقت غايته و ووضّحت
رسالته فيتعين تحريره من أيّ حشوٍ أو رطانة ,

وكان رائدي في هذا الصدد يُراجع نصوصي

و يشطبّ منها كلّ فقرةٍ أو سطرٍ أو حتى عبارة / كلمة

يُمكن التّخلّص منها تطبيقاً لقاعدة :

(كُلّ ما يُمكن التّخلّي عنه , يُستحسن محوه) .

- النّص القضائي يفصل في نزاع و يتعلق بحقوقٍ و مُطالبات , فإذا أمكن - بعدَ

تحقيق هدفه - تجميله بالمحسنات الأدبية فيها و نعم , أما إذا نجم عن ذلك مشوبة النص بالغموض أو التناقض أو الاضطراب , فيتوجب تنزيهه عن ذلك بالتخلص مما سلف تطبيقاً لقاعدة :

(دفع الضرر , مقدّم على جلب المنفعة)

- النص القضائي , يجب أن يعكس خلاصة ملفه بشمول و أمانة , و يجسد رأى كاتبه فى الموضوع بإنصاف و نصوص ,

فلا يجوز الاقتصار على عرض سطحي للوقائع

و تطبيق الى للنصوص , بل يجب تحقيق الأحداث وتسوية النزاعات و تنفيذ الشبّهات والترجيح بين المصالح .

فَنُ الخَطِّ

بين طُغَرَاءِ السَّلَاطِينِ وَ طَلَاسِمِ الْمُغَيَّبِينَ

"... وَ خَطَّكَ فِي الْكِتَابَةِ , بَصْمَةً لِهَوِيَّتِكَ وَ شَخْصِيَّتِكَ ,
زِيَّهَ زِيِّ الصَّوَابِ وَ الْعِيُونِ , وَ بِيْحَى عَنِ الْمَاضِي وَ الْحَاضِرِ وَ الْمُسْتَقْبَلِ ,
حَاجَاتٍ كَثِيرٍ , يُمْكِنُ إِنْتَا مَا تُدْرِكُهَاش ! "

جَدِّي وَ أَبُويَا كَانَ خَطُّهُمَ جَمِيلٍ , وَ أَنَا أَخَذْتُ مِنْهُمْ الْجَيْنَ دَا , وَ كَمَا وَرَّثْتَهُ لِبَنَاتِي,
إِنَّمَا كَمَا كَانَ لِيَا الْحَظِّ , إِنَّ مُدْرَسَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي عَلَّمَنِي الْخَطَّ , كَانَ مُؤَهَّبٍ
وَ صَبُورٍ ,

وَ رُبَطْلَى الْقَاعِدَةِ عَلَى عِلَاقَةِ الْحَرْفِ بِالسَّطْرِ ,
حُرُوفٍ مُعَيَّنَةٍ عَلَى السَّطْرِ وَ حُرُوفٍ تَانِيَةٍ فَوْقَهُ أَوْ تَحْتَهُ ,
وَ عِنْدِي كَامِ صَدِيقٍ , دَرَسُوا فَنَ الْخَطِّ وَ أَصْبَحُوا أُسْطُوتَاتٍ مُبْدِعِينَ ,
بِالرَّيْشَةِ وَ الْبُوصَةِ وَ الرُّصَاصِ وَ الْفُلُومَاسْتَرِ , خِلَافاً لِلْعَبْدِ اللَّهِ الَّتِي بِيْخَلُمُ بِكُورَسَاتِ
الْخَطِّ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً , وَ لِسَهِّ مَا عَرَفْتُ يَحْقُقُ جِلْمَهُ ,
وَ تَبْقَى دِرَاسَةُ الْخَطِّ , مَعَ الْعَرْفِ عَلَى الْعُودِ وَ التَّرْحَالِ حَوْلَ الْعَالَمِ ,
أَحْلَاماً مُؤَبَّدَةً مُجَهَّزَةً !

وَ فِي الْمَحْكَمَةِ / الشَّغْلِ , مُعْظَمُ الْقَضَاةِ وَ الْمُسْتَشَارِينَ اتَّحَوَّلُوا مِنَ النَّسْخِ الْيَدَوِيِّ
لِلْأَحْكَامِ وَ التَّفَاقِيرِ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْحَاسُوبِ الشَّخْصِيِّ (لِابْتَوْب) , إِلَّا ثَلَاثَةً قَلِيلَةً مِنْ

الْحَرَسُ الْقَدِيمُ أُنْشِئَ مَدْرَسَةُ الشَّرْحِ عَلَى الْمُتُونِ , سَدَنَةُ الْقَلَمِ الرُّصَاصِ وَالْأُسْتِيكَةِ !
وَعَلَى مَدَارِ الرَّحْلَةِ , فِي الْمَدْرَسَةِ وَالْجَامِعَةِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْمَحْكَمَةِ ,

شَفَّتِ الْعَجَبُ الْعُجَابُ , فِي أُسَالِيْبِ الْكِتَابَةِ وَرَسْمِ الْخُطُوطِ ,
أَحَدُهُمْ كَانَ يَحْفَرُ بِالْقَلَمِ عَلَى الْوَرَقِ , لِدَرَجَةِ انْطِبَاعِ النَّصِّ الْمَكْتُوبِ عَلَى سَطْحِ
الْمَكْتَبِ , فِي حِينِ تَسْرِي أَقْلَامِ الْبَعْضِ الْآخَرِ - هُونًا - عَلَى الْأُورَاقِ ,

بِمَا قَدْ تَتَعَذَّرَ مَعَهُ الْقِرَاءَةُ أَوْ التَّصْوِيرُ ,
وَكَانَ لِي صَدِيقٌ كَفَاءٌ مَفْوَهُ , حَتَّى إِذَا مَا أَمْسَكَ بِالْقَلَمِ ,
تَلَبَّسَهُ شَبَحُ دَجَاجَةِ شَرْكَسِيَّةٍ , فَيُظَلُّ يَنْبِشُ وَيُخْطِ طِلَاسِمَ مُتَدَاخِلَةٍ
تَخْلُو مِنَ الْهَمْزَاتِ وَالنِّقَاطِ , بِمَا يَسْتَحِيلُ مَعَهُ اسْتِقْرَاءُ سَطْوَرِهِ أَوْ تَفْهَمَ مَدْلُولِهِ ,
حَتَّى عَلَى مَنْ لَهُ صَبْرٌ أَيُّوبَ وَحِكْمَةٌ سُلَيْمَانَ !

وَعَرَفْتُ زَمِيلَ عَمَلٍ كَانَ يَسْطُرُ كَلِمَاتِهِ حُرُوفًا مُفَرَّقَةً ,
وَأَخْرَكَ بَدِيعَ الْخَطِّ فِي الْإِنْجَلِيزِيَّةِ , عَلَى التَّقْيِضِ مِنْ كِتَابَتِهِ الْعَرَبِيَّةِ !

أَمَّا عَنِ الطُّغْرَاءِ , أَوْ فَنِّ رَسْمِ التَّوْقِيعِ الشَّخْصِيِّ , الْإِمْضَا بِالتَّعْبِيرِ الدَّارِجِ ,
فَحَدَّثَ عَنْهُ وَلَا حَرَجَ , فَكَانَ لِي صَدِيقٌ يُوَقِّعُ اسْمَهُ عَلَى هَيْئَةِ طَاوُوسٍ ,
وَأَخْرَكَ تَوْقِيعَهُ يُشَابِهُ (مُفْتَاَحَ صَوْلِ) مِنَ الرَّمُوزِ الْمَوْسِيقِيَّةِ ,
وَهَذَا ثَالِثُ كَانَتْ عَائِلَتُهُ تَحْمِلُ لِقَبِ الْجَمَلِ , فَحَرَصَ أَنْ يَكُونَ تَوْقِيعُهُ كَرُوكَى جِسْمِ
الْجَمَلِ , وَرَأَيْتُ مَنْ كَانَ تَوْقِيعُهُ حَرْفًا أَوْ عَلَامَةً مُنْبَتَّةً الصِّلَةَ بِتَهْجئةِ الْاسْمِ !

و لن أنسى ما حييت , رئيساً لى كان يوقع على نحو عشوائى مُتداخِل مُعقَّد ,
صعب التّحليل أو التّقليد ,

و الآنكى إنّه كان يُفلح كلّ مرّة فى تكراره على نحوٍ مُتطابق
بذات العشوائية مع الحِفاظ على زوايا ضِغط القلم و توزيع الجبر !

[112]

مانيفيستو المَجَلَّات

و زئى ما البشر ف حياة بعض فترات , المَجَلَّات كانت ف حياتى مَحَطَّات ,
أبتدا المشوار بدرى ف نص التمانينات ,

الراجل الكبير (أبويا) , وصى (عم سلطان) بياع الجرايد , على حساب مفتوح
للصبي ماجد & المزمار & ميكى جيب & سمير & ميكى

حببت صوت عم سلطان و هو بينادى :

أهرام أخبار جمهورية , و أدمنت ريحة الجبر و الورق ,

تدور الأيام , والصبي يصبح مُراهق , تكبر اهتماماته الرياضية وتأسره مجلة
(الصقر القطرية) , و من ناحية تانيه يعرفه خلُوص على مجلة (طبيبك الخاص)

المُراهق كبر شويّه و دخل الجامعه , و دخل كمان كهف (مجلة العربى الكويتية)
المسحور و طول عقد التسعينيات ما فوّتش منها عدد , و كمان كانت مجلة (
الشباب) عين و رئة لمعظم شباب التسعينيات , مع إطلالات متباعدة لمجلة
(الهلال) الكلاسيكية الرّصينة ,
طول فترة الجامعه , كان مُنفّتح على كُل التيارات و المذاهب ,

غايته المعرفة و الفرز و البحث عن مخرج و طريق ,
أصحابه كانوا بيسألوه : إزاي ف أكلاسيه واحد تجمع

(الاعتصام) و (روز اليوسف)

و أحيانا معاهم (أكتوبر) و (صباح الخير) ؟ ؟

ايش جابْ بَلَح الشَّام لَعْنَب اليَمَن ؟
ماكانش عاجب حدّ بس كان مُتصالح مع نفسه !

بعد التخرج , و لسنين طويله أثناء دراسته لِلغات , كان بيقرأ بانتظام ,
(التَّايَم) الأمريكيانيه و (لو فيجارو) الفرنسيه ,
من قَبيل الفضول و المُتابعه و المُذاكره ,

شويّتين و فى بيت نسائيه سنة 2000 , اتعرف على مجلة (الفنّ السابع) ,
جوهرة مَحمود حميده , مجلّة كانت موسوعه مُبهره لفنّ السينما ,
و بعد الجواز , و لما بقى عنده بيت , خطفت قلبه و عينيه مجلة (البيت) ,
بالأفكار الثريّة الجريئة , و الصور البديعه و اللّوحات الأنيقه ,
مع وُفّة تقدير , لمجلة (نُص الدُّنيا) بالتنوّع و الرّصانة
, و الأعداد التذّكارية المُبهره ,

و بعد المَدّ , ييجى الجَزَر ,
فى نهاية العقد الأول بعد المِليْنِيوم ,
انتشر الإنترنت و دخلت الأجهزة الذكيّة المشهُد ,
و بعد شويّه , احتكرته , و طردت الورق مِنْه ,
عشان تبقى الجرايد و المجلّات ,
و حتى الكُتب – للأسف – لمُعظم النَّاس , أثراً بعد عَيْن !
و ذِكرى للشّجن و الحنين .

الإنسان , هو الأسلوب

في طفولتي , كُنْتُ أَظُنُّ أَمْ كُنْثُومَ كَفِيفَةٍ ,
بَعْدَمَا رَأَيْتُهَا فِي مُعْظَمِ الصُّوَرِ , تَرْتَدِي نَظَارَاتِ سُودَاءِ , كَمَا تَعَذَّرَ عَلَيَّ تَغْلِيلُ
مَنْدِيلِ الْحَرِيرِ الَّذِي تَفَرَّكُهُ بَيْنَ يَدَيْهَا طَوَالَ الْوَقْتِ , وَهِيَ تُغْنِي عَلَى الْمَسْرَحِ ؟
وَلَمْ أَفْهَمْ سِرَّ نَخْنَحَةِ عَبْدِ الْوَهَّابِ أَثْنَاءَ الْغِنَاءِ , وَ كُنْتُ أَغْزُوهَا إِلَى رَدَاءَةِ أَجْهَزَةِ
الصَّوْتِ , وَ عِنْدَمَا كُنْتُ أَسْتَمْتَعُ بِشِدْوِ فَرِيدِ الْأَطْرَشِ , كَانَتْ تَعْبِيرَاتِ الْمُعَانَاةِ عَلَى
وَجْهِهِ الْجَمِيلِ - حَتَّى وَ هُوَ يُعَبِّرُ عَنِ الْحُبِّ وَ الْفَرَحِ - تُحَيِّرُنِي وَلَا أَجِدُ لَهَا تَفْسِيرًا ,
وَ فِي حَفَلَاتِ الْعَنْدَلِيبِ (عَبْدِالْحَلِيمِ حَافِظِ) , كَانَ يَرُوقُ لِي أَنْ أَرَاهُ
وَ هُوَ يَلْعَبُ دَوْرَ الْمَايَسْتَرِ , وَ يُوَجِّهُ الْعَازِفِينَ

وَ غَيْرَهُمْ عَدِيدُونَ , فَيُرَوِّزُ , الْمُعْتَدَّةَ فِي وَفْقَتِهَا الْوَقُورَ , كَرَاهِيَةَ تُصَلِّيَ ,
وَصَبَاحُ الْمِغْنَاةِ كِفَاتِنَةٍ لِعُوبِ , وَ شَادِيهِ الْمَتَدَلَّلَةِ كَمُزَاهِقَةِ طَازِجِهِ ,
وَ مُحَمَّدُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ (أَبُو نُورٍ) , وَ لَطْفَى بُوْشْنَاقِ , وَ الَّذِينَ تَخْتَلِجُ كُلُّ عَضَلَةٍ فِي
وَجْهِهِمَا أَثْنَاءَ الْغِنَاءِ , عَلَى النَّقِيزِ مِنْ مُحَمَّدٍ فَوْزَى وَ وَدِيعِ الصَّافِي ,
الَّذِينَ يُغْنِيَانِ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ دُونَ عَنَتٍ أَوْ تَكَلُّفٍ !

لَا حَقًّا , أَدْرَكْتُ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِنَّمَا يُعْزَى فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ إِلَى الْأُسْلُوبِ ,
وَ هُوَ خَلِيطٌ مِنَ الْفِطْرَةِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْمُكْتَسَبَاتِ الْإِدْرَاكِيَّةِ وَ الظَّرُوفِ الْمُلَابِسَةِ
فِي مَزِيَجٍ تَتَفَاوَتْ نِسْبُهُ , مِنْ حَالَةٍ إِلَى أُخْرَى ,
فَإِذَا اسْتَوَى وَ تَفَرَّدَ , مَنْحَ كُلِّ شَخْصٍ مَذَاقُهُ وَ قِيَمَتُهُ ,

وَ عَلَى نَقِيزِ الظَّاهِرِ , فَإِنَّ ذَلِكَ الْأُسْلُوبَ , يَصْغُبُ التَّنَصُّلَ مِنْهُ مِنْ جِهَةٍ ,
كَمَا يَصْغُبُ تَقْلِيدُهُ وَ مَحَاكَأَتُهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ,
فَإِذَا حَاوَلَ أَحَدُهُمُ الْعَبَثَ بِهِ بِالْحَدْفِ وَالْإِضَافَةِ وَ التَّنْبَدِيلِ ,
بَدَأَ مَشُوبًا بِالتَّصْنَعِ وَ التَّكَلُّفِ ,
وَ إِذَا حَاوَلَ آخَرُ تَقْلِيدَ سِوَاهُ , غَدَا مُنْتَحِلًا مَعْيِيًّا دُونَ هَوِيَّةٍ أَوْ مَذَاقٍ .

سِرُّ الوجود

عن ذلك الذى لا يُطْلَب ولا يُدْفَع ,
و إنما يقع من السماء , بلا مُقَدِّمات أو مَنَطِق , كالفَضَاء والقَدَر
و قد يحدث من النظرة الأولى , و قد يثبت بعدَ عَداء ,
بعضنا يُرزقه مَرَاتٍ و مُعَظَمُنَا يَمُرُّ العُمُرُ و لا يلتقيه
منبَعُهُ الشَّغْفُ , و عَمودُهُ الوفاء , و ذِرْوَةُ سَنَامِهِ التَّضْحِيَّةُ ,
فإذا أُبرِمتُ العُقُودُ , و تُلِيَتْ العُهُودُ ,
فإنَّ شِراكَه الحَيَاةَ بين اثنين , بِمِثَابَةٍ تفاعلٍ مُستمر ,
يغلو ويهبط .. يسخن ويبزُد .. ينجح ويفشل ,
فقط عليهما - دائما - أن يستمران فى التقدّم , دونَ يأسٍ أو مُزايِداتٍ
يُقبلان الواقعَ , و يحلُمان بِمُستقبلٍ أَفْضَلَ

[115]
الاعتدال

" و حُلِي المَرأة , يجبُ أن تكونَ كعِطْرِها ,
تُرصدُ , فتدركُ و لا تفتقد , و تسعد , فلا تشذ أو تستهجن "

الإعتدالُ , فضيلةٌ بينَ رذيلَتين ,
و خيرُ الأمورِ , الوَسطُ , فلا تفریط و لا إفراط ,
فى كِبَارِ الأمورِ و صِغارِها , جلائلُ الأشياءِ و سفاسِفِها ,

فَكَمَ مِنْ حُسْناءِ سَعْدٍ , رهيفةٍ قَدٍ , قشيبَةِ زِيٍّ ,
قد أودى بحُسنِها , و عكَّرَ حُضورَها ,
قِلادةٌ شابَها السَّرَفُ , أو قِرطٌ أرهقه السَّخَفُ ,
أو مشبُكٌ شَعِرٍ – مع مُجَمِّلِ الزَّيِّ – لم يأتلف ,

يَعْنى مِش مَعقول و لا مَقْبُول ,
بِنتِ حَوا تَقْضيها زَيِّ دَرويشِ المُولدِ أو غَفيرِ الدَّرَكِ ,
بسَّ كَمانِ ما يَنفَعشُ , تخيلنا زَيِّ عَروسةِ المُولدِ أو النِّجمه أُم ديل !

#بَعيدةٌ مَهوى القِرطِ , خَرساءُ الأساورِ

فتافيت السُّكَّر هانِم

شيئ عَظِيم , إِنَّ السَّت تحافِظ على شبابها و جَمالها ,
وتلجأ للمواد الطَّبِيعِيَّة في عمل ماسكات البَشْرَة ,
بس الكوميديا , - و أحياناً التراجيديا و الميلودراما -
بتيجى لما بتبقى أسعار الخُضار نار ,
و طبق السَّلْطَة عزيز , زيّ الزَّيْبِق الأحمر ,
و ألاقى الهانِم مِن دول , حاطّه على وشّها :
زَبادى & كابوتشى & طماطم & خيار & بنجر & زيت زيتون
و أقوم من النَّوم على غفله , أو أدخل من باب الشَّقَّة مَش واخِد خِوانه ,
ألاقى ف وشّى , واحده غريبه ما اعرفهاش ,
و تَشْبَهه (جماليات زايد) في (سِر طاقية الإخفا)
أو (سعيد صالح) في (شَهْد المَلِكَة) !

سُكُتُكُمْ بِكُمْ

و الخرسُ الزوجي المنزلي , داءٌ قديمٌ , قدمَ نظامُ الزواجِ ذاته ,
 فالألفةُ تُزِيلُ المَهَابَةَ , و الرّتابةُ (الرّوتين) يُودى بالحُبِّ إلى الجمودِ و الصّدأ ,
 يستوى بعدها , أن ينشغلَ الزوجُ بصحيفةٍ أو كتاب ,
 أو حتى يُمسحُ (زومبى) , يلهو بأزرارِ الهاتفِ النّقَالِ و ألعابِ الفيديو ,
 فى حين تغرقُ الزّوجةُ فى دَوّاماتِ مُكالماتِ القريّياتِ و الصّدّيقاتِ ,
 أو تسحرُها ندّاهاتُ التّسوقِ و برامجُ الطّهى و الأزياءِ و الدّيكور !
 و المفارقةُ , أنّ ثرثرةَ أيامِ الخطوبةِ , و مُكالماتها اللّيليةِ المُمتدّةِ ,
 تضحي صريّةَ السّكّنةِ الزّوجيّةِ و الذّبّحةِ العائليّةِ ,
 على الرّغمِ من أنّ كلا الزوجين يتعاملُ مع الآخرين
 (أقرباء & أصدقاء & زملاء & معارف ...)
 على نحوٍ سائغٍ و مُتوازنٍ , ككائنٍ طبيعى , يسمّعُ و ينطقُ و يتفاعلُ و يتوادل !
 و لا حلّ لتلك المُعضلةِ , سوى بعملٍ هادىٍّ مُستمرٍّ مُشتركٍ
 يُغلّفه حُسْنُ النّيّةِ , و يُبطنه طيبُ المُعاشرةِ , و يزخرُ بالمبادرةِ و الإحسانِ ,
 مع الجِرسِ على التجديدِ و التّنويعِ فى الأماكنِ
 و الموضوعاتِ و الضّيوفِ و المُداعباتِ .

لَوْ غَارِيثَمَاتِ حَوَّاءِ

- و كثير من الإناث - بوعى أو بدون وعى -
عندهم قناعات , متوارثة ومستقرة ,
محتاجة مراجعة و تمحيص ,
و منها على سبيل المثال :
- الابتسامة بتسبب التجاعيد !
عشان كذا بنسمع كثير , (جلوه آه , بس دمها يُلطش) !
- مفيش فرق بين الجدية و التحفظ , و بين الخشونة و التوتر ,
عشان كذا بيسمعوا فى الشارع و الجامعة و السوق ...
(اوعى الشاويش , وسّع للعسكرى) !
- الأصل فى الذكور الشر , إلى أن يثبت العكس ,
: عشان كذا النشيد الوطنى بتاعهم :
(يا مأمنه للرجال , يا مأمنه للميه ف الغربال) !
- اسم الأسرة وشرف العيلة بين إيديكى ورجليكى ,
عشان كذا فيه قائمة ممنوعات طويلة , تبدأ بالخروج و الرياضة
ولا تنتهى بالتعليم و العمل وحرية الرأي !
- (ضلّ راجل ولا ضلّ حيلة) , و (خديه بالنهار أجير و بالليل غفير)
عشان كذا عكس الشايع : (جواز الندامة و لا قعدة الخزانة)
و (يدهسك قطر الجواز أحسن ما يفوتك) !
- دى مجرد أمثلة , على قناعات جمعية , عفى عليها الزمن ,
لكنها ثابتة ومؤثرة و لا يمكن تحديها أو حتى تجاهلها ,
والعلة فيها والمعزى منها : إن التراث والتقاليد- للأسف
-, أوجب و أهم من الشرع والقانون !

جُوزُ السِّتِّ وَ حَرَمُ الْبَيْهِ

و فِي شَرْقِنَا السَّعِيدِ , تَبْدُو الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَ السِّتِّ - عُمُومًا -
و الْأَزْوَاجِ مِنْهُمْ - خُصُوصًا - أَشْبَهَ بِاللُّوْغَارِيِّتِمْ ,
يَصْعُبُ فَكَّ أَلْغَاظِهِ أَوْ التَّعْبِيرِ عَنِ تَقْلُبَاتِهِ !
و بَعِيدًا عَنِ الْمُقَوِّمَاتِ الْأَسَاسِيَّةِ لِلْعِلَاقَةِ , مِنْ عَيْنَةِ الْمُسَاوَاةِ فِي الْحَقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ ,
و كَمَا تَتَّبَعُ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَشَاعِرِ سِوَاءِ فِي الْعَلَنِ أَوْ السِّرِّ ,
فَإِنَّ مِنْ أَظْهَرَ تَجَلِّيَّاتِ هَذِهِ الْمُعْضِلَةِ , طَرِيقَةَ نِدَاءِ الطَّرْفَيْنِ بَعْضَهُمُ الْبَعْضَ ,
فَالرَّجُلُ الْعَرَبِيُّ يَبْتَغِي اسْمَ زَوْجَتِهِ (سِرًّا حَرَبِيًّا) - شَأْنُهُ شَأْنُ اسْمِ الْأُمِّ -
فَلَا يَجُوزُ إِشْهَارُهُ عَلَنًا , وَ يَسْتَعِيزُ عَنِ ذَلِكَ بِاسْتِعْمَالِ تَعْبِيرَاتٍ مِنْ عَيْنَةِ :
يَاهَانِمِ أَوْ يَا مَامَا , يَا فُلَانًا - اسْمُ أَكْبَرِ الْأَبْنَاءِ - أَوْ أُمِّ فُلَانٍ
وَيَشِيرُ إِلَيْهَا بِلَفْظِ الْجَمَاعَةِ / الْبَيْتِ / الْأَوْلَادِ / الْأَهْلِ / الْحَرِيمِ / الْحُكُومَةِ !
و عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ , فَالْمَرْأَةُ مَهْمَا كَانَتْ مَتَانَةً عِلَاقَتُهَا بِشَرِيكِهَا
و حُجْمُ وَجُودِهَا وَ نُفُوذُهَا فِي الْعِلَاقَةِ ,
بِتَحَاوُلِ طَوْلِ الْوَقْتِ , تَحَافِظُ عَلَى الْعُرْفِ الْمَوْرُوثِ ,
و تَدَّى الرَّاجِلِ بِرِسْتِجِهِ (الْهَيْبَةِ وَ الْاِعْتِبَارِ) ,
حَتَّى لَوْ كَانَتْ بِتَاخُدِهِ مِنْهُ تَانِي , أَوَّلَ مَا يَرْجِعُوا الْبَيْتَ !
و كُلُّ دَا طَبْعًا بِتَأْثِيرِ الثَّرَاثِ الشَّرْقِيِّ وَ النَّقَالِيدِ الْمُحَافِظَةِ ,
الَّتِي مِشَّ بِالضَّرُورَةِ , بِتَوَافِقِ الشَّرْعِ وَ الْقَانُونِ ,
و الَّتِي أَوْقَاتُ بَتَقْلُبِ كَوْمِيدِيَا وَ فَاَنْتَازِيَا لَمَّا بِيغِيبُ عَنْهَا الْعَقْلُ وَ التَّنَطُّورُ .

قَوَارِيرٌ مِنْ فُولَادٍ

مُخْطِئٌ وَوَاهِمٌ مَنْ يُنَازِعُ فِي قُوَّةِ الْمَرَأَةِ الْحَيَوِيَّةِ وَ تُجَلِّدُهَا الْعَصَبِي ,
فَالكَائِنِ الَّذِي يَتَحَمَّلُ آلامَ الطَّمْثِ وَ رَهَقِ الْحَمْلِ وَوَجَعَ الْوِلَادَةِ وَ فَوْضَى فُورَانَ
الهُزْمُونَاتِ وَ قَبْلَهَا وَ بَعْدَهَا , يُعَانِي التَّمْيِيزَ ضِدَّهُ طَوَالَ الْوَقْتِ ,
فِي الْبَيْتِ وَ الشَّارِعِ وَ الْجَامِعِ وَ الْجَامِعَةِ وَ الْمَكْتَبِ وَ الْمَخْفِرِ
وَ الْمَحْكَمَةِ وَ الْمَلْعَبِ وَ الْمَطَارِ
ثُمَّ يُمَارِسُ حَيَاتَهُ الْعَادِيَّةَ , بِأَثَرِاجِهَا وَ أَفْرَاجِهَا وَ عَثَرَاتِهَا وَ الْفَقَزَاتِ
لَهُوَ مِنْ أَوْلَى الْعَزْمِ مِنَ الْبَشَرِ !

وَ بِالضَّرُورَةِ وَاللُّزُومِ , يَسْتَحِقُّ - عَنْ جِدَارَةٍ
- كُلَّ تَعَاطُفٍ وَ تَوْقِيرٍ قَبْلَ الْإِنْصَافِ وَ التَّنْيِيسِ ,

هَلْ خَطَرَ بِبَالٍ أَحَدِنَا - مِنَ الْجِنْسِ الْخَشَنِ - , أَنْ يَخْلَعَ ضَرْسَ صَغِيرِهِ
بِوَاسِطَةِ خَيْطٍ , مُجَرَّدَ خَيْطٍ , وَسَطَ الصِّيَاحِ وَ النَّزِيفِ ,
هَلْ يَسْتَطِيعُ رَجُلٌ أَنْ يَرُدَّ عَظْمَةً مَخْلُوعَةً أَوْ مَكْسُورَةً لِنَفْسِهِ أَوْ لِسَوَاهِ ,
هَلْ جَرَّبَ ذَكَرٌ , أَنْ يُتِمَّمَ دِرَاسَتَهُ أَوْ أَشْغَالَهُ
وَ عَلَى كَنَفِهِ طِفْلٌ - أَوْ أَكْثَرُ - يَغْنَى بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ !
فِيَا مَعْشَرَ الرِّجَالِ , رَفَقًا بِالْقَوَارِيرِ فَمَا أَكْرَمُهُنَّ إِلَّا كَرِيمٌ , وَ مَا أَهَانُهُنَّ إِلَّا لَنِيْمٌ .

الأنسجام

هُدُوءُ السِّرِّ

" كُنْتُ أَتَصَفَّحُ إِحْدَى الْمَجَلَّاتِ ، فَاسْتَوْقَفْتَنِي صُورَةُ لَزُوجٍ (رَجُلٍ وَ امْرَأَتِهِ)
مِنْ نُجُومِ سِينَمَا هوليوود ، وَ بَيْنَهُمَا فَارَقٌ طَوِيلٌ مَلْحُوظٌ لِمُصَالِحِ الزُّوجَةِ ،
فَاخْتَلَجْتُ مَشَاعِرِي تِجَاهَ التَّحْفِظِ الْمَكْتُومِ ، مِنْ فِكْرَةٍ (زَوْجَةٌ تَفُوقُ زَوْجَهَا طَوْلًا)
وَ الَّذِي قَدْ يُفْسِدُ مَشَارِيعَ زَوَاجٍ أَوْ يُؤَثِّرُ بَعْضَهَا لِحِينٍ مِنَ الدَّهْرِ ! "

رَوِيدًا رَوِيدًا ، سَتُذَرِّكُ مَعَ الْوَقْتِ أَنَّ قَوَامَ الطَّرْفِ الْآخَرَ وَ لَوْنَهُ وَ طَبَقَتَهُ
وَ ثَرَوَتَهُ هُوَ آخِرُ مَا يَتَوَجَّبُ التَّحَسُّبُ لَهُ ، حَتَّى دِينِهِ وَ ثِقَاتِهِ

لَيْسَ هُوَ الْمَرْجِعُ وَ الْمَحْكُ فِي الْعَلَاقَةِ / الشِّرَاكَةِ
إِنَّمَا هُوَ الْعَقْدُ الَّذِي يُبْرِئُهُ الطَّرْفَانِ ، دُونَ مَتْنٍ أَوْ تَفَاصِيلٍ

عَلَى الْقَبُولِ وَ التَّفَاهُمِ وَ طَيْبِ الْعِشْرَةِ ،

بَعْدَ مُقَدِّمَاتٍ مِنْ شَغَفٍ وَ أَنْسٍ غَالِبًا ، أَوْ حَتَّى بِغَيْرِهَا ،

مِنْ ثَمَّ يَلْحَقُ بِهَا الصَّبْرُ وَ الْإِيثَارُ وَ التَّضْحِيَةُ ،

حَتَّى نَصِلُ لِلتَّوَحُّدِ وَ الْاِمْتِزَاجِ

وَ كُلُّ ذَلِكَ يَدُورُ مَعَ الْمَشْيِئَةِ وَ الْقَدَرِ ، الَّذِي سَطَرَ اللَّقَاءَ وَ الْبَقَاءَ

فِي اللَّوْحِ الْمُحْفَظِ ، وَوَقَّقَ الْخَلْقُ إِلَى نَعْتِهِ بِذَلِكَ الْمُسَمَّى اللَّطِيفِ ،

الْقِسْمَةُ وَ النَّصِيبُ .

النَّجْمُ اللَّالَاءُ فِي أَعَاجِيبِ بَنَاتِ حَوَّاءِ

هَذِهِ الَّتِي تَسْمَعُ دَبَّةَ النَّمْلَةِ , مِنْ مُحَادَثَاتِ الْغَيْرِ الْهَاتِفِيَّةِ , فِي دَائِرَةِ قُطْرُهَا مِيلٌ ,

وَتَكْتَشِفُ الْخَبِيئَ وَالضَّائِعَ , مِنْ أَغْرَاضِ الْمَنْزِلِ ,

و تَرُصُّ شَعْرَةَ رَأْسِ غَرِيبَةٍ , أَوْ نَفْحَ عِطْرِ سِوَاهَا , بِقَمِيصِ بَعْلِهَا ,

ثُمَّ تَعْجُزُ عَنْ إِبْصَارِ شَاحِنَةِ نَقْلِ أَثَاتٍ ,

أَوْ شَجَرَةِ سِنْدِيَانٍ مِنْ عَصْرِ الْخِدْيُوِي , وَ هِيَ عَلَى مِقْوَدِ سَيَّارَتِهَا ,

أَوْ تَنْكُصُ عَنْ مُتَابَعَةِ إِنَاءِ لَبَنِ أَوْ قَهْوَةِ عَلَى الْمَوْقِدِ , حَتَّى يَفْوَرِ ,

وَ هِيَ تَعْبُثُ فِي مَتَاهَاتِ السَّوْشِيَالِ مِيدِيَا وَ مَلَاهِي الْإِنْتَرْنِتِ !!

كُلُّكَ عَلَى بَعْضِكَ حِلْوٌ

يقولون فى علوم الرياضيات , أَنَّ الكُلَّ مَجْموعُ أَجْزَائِهِ ,
و هذه القاعدَةُ المنطقيَّةُ البسيطةُ , لا تَسْرى بالضرورةِ و اللزومُ على ملامحِ البَشَرِ
و مَظاهِرهم و قَسَمات الوجوه و تفاصيلِ الهيئات ,
فَكَم مِن أَشْخاصٍ , يُعَدُّ كُلُّ مَلْمَحٍ فِيهِم و سِيماً قَسِيماً ,
أو عَلَى الأقلِّ , مُناسِباً مقبُولاً , و على الرِّغمِ مِن تِلْكَ المُقَدِّماتِ المُبَشِّرَةِ ,
تَكُونُ النَّتِيجَةُ النَّهائِيَّةُ و المُحَصَّلَةُ الإجماليةُ ,
شَيْئاً يُنتِجُ الإحباطَ و أحياناً يَصْدِمُ الشُّعورَ !
و على الجانبِ الآخرِ , ثَمَّةُ أناسٍ على مُستوى التَّخْصيصِ و التَّفْصِيلِ ,
لا يَتِمَتَّعون بِمَلْمَحٍ مَلِيحٍ أو بِعَضْوٍ و ضِيءٍ أو جانبٍ حَظُهُ مِنَ الجَمالِ و فِيزِ ,
و إذا بِصورَتِهم - إجمالاً - تُشِيعُ بالجادبيةِ و تَنضَحُ بالفِتْنَةِ ,
و لعلَّ تَفْسيرَ تِلْكَ الظَّاهِرَةِ غيرِ المنطقيَّةِ , يَكْمِنُ فى أَنَّ البَشَرَ كائِناتٌ حَيَّةٌ إجتماعيَّةٌ
مِن لَحْمٍ و دَمٍ و أعصابٍ و أخلاقٍ و سُلوكٍ , بَعْضُها مُوروثٌ و البَعْضُ الآخرُ
مُكتَسَبٌ , تَتفاعلُ فى مُجتمعاتٍ و بِنائٍ و سِياقاتٍ و ظروفٍ مُتعدِّدةٍ و مُتمايزَةٍ ,
تُضَيَّفُ إلى بَعْضِهم و تَخْصِمُ مِنَ البَعْضِ الآخرِ بحسبِ الحالِ و المَجالِ ,
عِلاوَةً على نِسْبِيَّةِ التَّقْدِيرِ و تَفاوُتِ التَّأويلِ
, بما يَقْبَلُ باحتمالاتٍ و نَتائِجَ غيرَ مَحْدودَةٍ , على مُستوى القَبولِ و التَّقْدِيرِ ,

خِلافاً لِلحَالَاتِ الَّتِي يَخْضَعُ لِلحِسَابِ وَ المَعَايِرَةِ وَ التَّصْنِيفِ , كَائِنَاتٍ أَدْنَى أَوْ جَمَادَاتٍ
تَتَرَاوَحُ بَيْنَ اللُّوْحَاتِ التَّشْكِيلِيَّةِ أَوْ المَنْحَوْتَاتِ وَ مَظَاهِرِ الطَّبِيعَةِ , الَّتِي يَجُوزُ وَ يَحْتَمَلُ
التَّفَاهُمُ وَ التَّقَارُبُ بِشَأْنِهَا بِنَسَبٍ أَكْبَرَ وَ اِحْتِمَالَاتٍ أَعْلَى .

الحُبُّ كُلُّهُ

دَعَكَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ الْهُرَاءِ , بِشَانِ الْوَرُودِ وَ الْعُطُورِ وَ الْقَصَائِدِ وَ الْجَوَاهِرِ ...
فَكُلُّهَا احْتِمَالَاتٌ قَدْ تُصِيبُ أَوْ تَخِيبُ ,

إِنَّمَا إِذَا غَسَلَتْ الْمَرْأَةُ قَدَمَيَّ رَجُلِهَا ,
كَالْمَسِيحِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ حَوَارِيِّهِ ,

وَ إِذَا حَمَمَ الرَّجُلُ شَعْرَ امْرَأَتِهِ وَ مَشَّطَهُ ,
كَأَمِّ رُؤُوسٍ مَعَ بَنَاتِ بَطْنِهَا ,

فَهَذَا فَصْلُ الْخِطَابِ فِي صَفْوِ الْأَحْبَابِ !

[125]

عَووَووَووَووَوو

ناس کثیر، کُبار و صُغیرین

قد ما يَحْبَوُا الْعَرَايسَ اللَّعْبَةَ , يَخَافُوا مِنْهَا

و عندهم قنّاعة راسِخة ، إنّ مُعْظَم العرايس دى ، مَسْكُونَة

بمعنى أنها مُمسوسة و ليها عِلَاقَة بعَالَم المِيتافِيزِيقا و البارانورمال !

و دا تفسيرهم للحاجات الغريبة اللى بيلاحظوها على العرايس اللعبة

ملاحظات على ظهورها فجأة أو اختفائها بغموض & سكونها المريب و حركتها

المُبَاغْتَة & حرارتها و برودها بعيد عن مُعدلات الوَسْط الَّلِي هِي مَوْجُودَة فِيهِ ,

أصواتها غير المُبرَّرة و تعبيراتها في الصُّور و الفيديوهات ،

يمكن الحِكَاية ليها أصل في الموروث الشَّعْبِي , زِي العَرُوسَة الورق المُسْتَخْدَمَة في

الرُّقِيَّةُ مِنَ الْحَسَدِ وَبِرْضِهِ عَرُوسَةُ (الْفُودُو) الْمُسْتَعْدِمَةُ فِي السِّحْرِ الْأَسْوَدِ الْمَشْهُورَةِ

فِي جَزِيرَةِ هَايْتِي بِالْبَحْرِ الْكَارِييِ لَكِنَّ أَصُولَهَا تَرْجِعُ لَتَوْجُو وَبِنِينَ فِي غَرْبِ إِفْرِيقِيَا،

لكن إجمالاً ، يندُر أن يكون فيه حد مِنّا ما عندوش حدُّوته غامضه

أَوْ مَوْقِفٌ مُرْيِبٌ مَعَ الْعَرَايسِ اللَّعْبَةِ !

نُزْهَة الْحَرِيف فِي الْمَزَاجِ وَالْكَيفِ

مُبْدئياً كِدا , قناعتى الشخصية , إن التدخين - بأنواعه - حرام و عيب ,
بسّ دا ما يَمْنَعش مِن الاعتراف , بإنّى اتورّطت فيه لِمَماً و على استحياء ,

و كمان في عيلتى و أصدقائى و معارفى ,
المشيّشأتى و السّبارسجى و البايّجى و الفيّجى , و حتّى النّشوقاتى و الأفيونجى !

و بعين الحَيال , باشوف الشّيشه - بالمُلازمة و المِعارفه - زى الزّوجه ,
و السّيجاره - بالكاريّزما و التّحرّر - شبّه الرّفيقه ,
أما البايب - بالتّحفظ و الأنّتكه - , زى العمّه ,
الفيب بقى , حَواجيه مُتكلّفه , زى صاحبات الفاييس بوك ,
والجوزه فى عينى , عشيقه غنّدوره , زى (روقه) فيلم (العار) ,
لا تَرْضى تتجوّزها , و لا تقدر تستغنى عنها !

مُعْضَلَةٌ

عُنْدِي وَلَعٌ قَدِيمٌ بِتَوْفِيقِ الْحَكِيمِ , الْإِنْسَانِ وَالْأَدِيبِ وَالْفَنَانِ ,
مَحَبَّةً تَرْجِعُ إِلَى مَا تَمَتَّعَ بِهِ مِنْ سَجَايَا وَخِلَالٍ , وَ مَا حَفِلَتْ بِهِ مَسِيرَتُهُ مِنْ مَرَاهِلٍ
عَلَى دَرْبِ الرِّيَادَةِ وَالْإِبْدَاعِ وَالْجَاذِبِيَّةِ وَالِاسْتَمْرَارِيَّةِ لِعُقُودٍ طَوِيلَةٍ .

و بَيْنَمَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ إِحْدَى صُورِهِ الْقَدِيمَةِ إِبَّانَ شَبَابِهِ , بِعَصَاهِ الشَّهِيرَةِ - وَ بَدُونِ بِيرِيهِ
الرَّأْسِ - إِنْ دَاخَتْ دَوَائِرُ الْخَوَاطِرِ فِي ذَهْنِي , عَنْ وَكَيْلِ النَّائِبِ الْعَامِ الَّذِي أَرْسَلَهُ أَهْلُهُ
إِلَى (بَارِيسَ) لِلْحَصُولِ عَلَى الدُّكْتُورَاهِ فِي الْقَانُونِ , فَسَحَرَهُ الْفَنُّ وَالْأَدَبُ وَالْمَسْرُوحُ,
فِي مَدِينَةِ الْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ , وَعَادَ لِلْوَطَنِ بَدُونِ الدُّكْتُورَاهِ , لِيُتَحَفَّنَا بِدَرْجٍ مِنْ عَيْنَةٍ :

يَوْمِيَّاتِ نَائِبٍ فِي الْأَرْيَافِ & عَوْدَةِ الرُّوحِ & أَهْلِ الْكَهْفِ & السُّلْطَانِ الْحَائِرِ &
الْأَيْدِي النَّاعِمَةِ & عَوْدَةُ الْوَعَى & التَّعَادُلِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ & حَدِيثِ إِلَى وَ مَعَ اللَّهِ...
و تَسَاءَلْتُ , عَنْ مَجْرَى حَيَاتِهِ , لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ اتَّخَذَ ذَلِكَ الْقَرَارَ الْمَصِيرِيَّ الْجَرِيءَ ,
الَّذِي صَدَمَ أَهْلَهُ - ابْتِدَاءً - وَ الْمُجْتَمَعَ - إجمالاً - , يَوْمَ قَرَّرَ هَجَرَ مَجَالِ الْقَانُونِ

و الْعَمَلِ بِالْقَضَاءِ , الَّذِي كَانَ - مَطْلَعُ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ - وَسَطَ النُّخْبَةِ وَ قَادَةَ السِّيَاسَةِ
و الرَّأْيِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمَصْرِيِّ , بَيْنَمَا كَانَ اخْتِرَافُ الْعَمَلِ بِالْأَدَبِ وَ الْفَنِّ , مُغَامَرَةً
يُحْجَمُ عَنْهَا الْكَثِيرُونَ كَوْنَهَا لَا تَتَمَتَّعُ بِاخْتِرَامِ الْمُجْتَمَعِ وَ لَا تَضْمَنُ مُورِداً كَافِياً وَ
مُنْتَظِماً لِلْمَعِيشَةِ,

و حَدَّثْتُ نَفْسِي , أَنَّ مِصْرَ ذَاخِرَةٌ بِالْآلِفِ الْقُضَاةِ وَ أَهْلِ الْقَانُونِ , بَيْنَمَا يَنْدُرُ فِي
تَارِيخِنَا الْمُعَاصِرِ أَنَّ نَتَوَافَقَ عَلَى أَدِيبٍ وَ فَنَانٍ وَ فِيلَسُوفٍ بِقَامَةٍ وَ قِيَمَةٍ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ.
وَ مِنْ الْمُحْزَنِ , أَنَّ غَالِبِيَّةَ النَّاسِ , لَا يَتَوَافَرُ لَهُمُ الْوَعْيُ وَ الدِّعْمُ وَ الْحِظُّ الْكَافِيْنَ ,
لَكِي يَخْتَارُوا مِنْ الْبِدَايَةِ مَجَالَ الْعَمَلِ الْمُلَائِمِ لِمَوَاهِبِهِمْ وَخِبْرَاتِهِمْ وَظُرُوفِهِمْ ,
وَالْأَكْثَرُ مَدْعَاةٌ لِلْأَسْفِ , أَنَّ هَؤُلَاءِ الْبُؤْسَاءِ ,
لَا يَحْظُونَ بِالشَّجَاعَةِ وَ الْوَقْتِ الْكَافِيَيْنِ لَكِي يُعَدِّلُوا الْمَسَارَ لِلْمَجَالِ الْأُمْتَلِ ,
الَّذِي يَتَمَتَّعُونَ فِيهِ بِاحْتِمَالَاتٍ أَكْبَرَ لِلتَّوْفِيقِ وَالنَّجَاحِ وَالتَّمَيِّزِ .

الشَّهاب

مِنَ المُدْهَشِ كَيْفَ اسْتَطَاعَ بَعْضُ العَبَاقِرَةِ وِ المَشَاهِيرِ , أَنْ يُنْجِزُوا الكَثِيرَ وَ يَخْلَفُوا
وَرَائِهِمْ بَصْمَةً مُؤَثِّرَةً فِي التَّارِيخِ , عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَفَاتِهِمْ فِي سَنِّ الشَّبَابِ ,
قَبْلَ أَنْ تَنْتَصِفَ أَرْبَعِينَائُهُمْ , بَلْ أَنْ بَعْضَهُمْ قَضَى فِي مُفْتَتِحِ العِشْرِينَاتِ ,
الظَّاهِرَةِ ثَابِتَةً وَ مُتَوَاتِرَةً فِي غَابِرِ الزَّمَانِ وَ حَاضِرِهِ , فِي شَرْقِ الأَرْضِ وَ غَرْبِهَا ,
فِي السِّيَاسَةِ وَ الأَدَبِ وَ الفَنِّ , طَبِيعِيًّا كَانَ الغِيَابُ أَوْ بِفَعْلٍ فَاعِلٍ ,

وَ القَائِمَةُ طَوِيلَةً , تَبْدَأُ بِسَيِّدِنَا المَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ الإسْكَندَرِ الأَكْبَرِ الذِّينِ انْتَهَتْ
حَيَاةُ كُلِّ مِنْهُمَا فِي مُفْتَتِحِ الثَّلَاثِينَاتِ , مُرُوراً بِسَيِّدِنَا سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَيِّدِ الأَوْسِ وَ
أَنْصَارِ المَدِينَةِ المَنُورَةِ

وَ الأَدِيبِ الكَبِيرِ ابْنِ المُقَفَّعِ , صَاحِبِ (كَلِيلَةِ وَ دِمْنَةِ) وَ (الأَدَبِ الكَبِيرِ) وَ (الأَدَبِ
الصَّغِيرِ) , وَ مِنْ مَشَاهِيرِ السِّيَاسَةِ فِي القَرْنِ العِشْرِينَ (شَيِّ جِيفَارَا) مَسِيحِ الثَّوْرَةِ
اللَّاتِينِيَّةِ وَ (جُونِ كِينِيدِي) الرَّئِيسِ رَقْمِ 35 لِلوَلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ .

فِي الفَنِّ , انْسَحَبَ مُبَكِّراً مِنَ السَّاحَةِ أَفْذَاذُ , ضَرَبُوا بِسَهْمِ وَافِرٍ فِي المَوْسِيقَى :

(مُوتَسَارَتِ & سَيِّدِ دَرْوِيَشِ) وَ الرَّسْمِ (فَانْ جُوخِ)

وَ فِي السِّيْنِمَا (جِيمِسْ دَيْنِ & الضَّيْفِ أَحْمَدِ & عَادِلِ خَيْرِي & هَيْثُ لِيذْجَرِ)

وَ فِي الشَّعْرِ كَانَ الحَادِثُ جَلَاءً وَ المُصَاصُ فَادِحاً وَ القَائِمَةُ مُمْتَدَّةً

(طَرْفَةُ بَنِ العَبْدِ & أَبُو تَمَامِ & أَبُو فِرَاسِ الحَمْدَانِي & أَبُو القَاسِمِ الشَّابِّي & بَدْرِ
شَاكِرِ السِّيَابِ & أَمَلِ دُنُقُلِ)

وَ للنِّسَاءِ نَصِيبٌ فِي قَائِمَةِ الأَحْزَانِ وَ الرَحِيلِ المُبَكَّرِ فَمَنْ يَنْسَى

(شَجَر الدُّر & إميليا مارى ايزهارت أولّ امرأةٍ تعبّر المحيطَ فى طائِرة & سميرة موسى أولّ عالِمة ذرّة مِصرِية عربيّة & أسمهان الأطرش قيثارة الطَّرب & ماتاهارى أشهر جاسوسة فى التَّاريخ)

وإذا كانَ لكلِّ أَجلٍ كِتَاب , و الأَعمارُ بيدِ الله , إلّا أَنَّ الطَّبِيعَةَ الخاصَّةَ و النفسِيةَ المُرَهِّفةَ و الضَّغوطَ الهائلةَ و الحروبَ الظاهرةَ و الخَفِيةَ التى يتعرَّضُ لها تُلْكمُ الأَفْذاذَ , ما يرفعُ احتمالاتِ وفاتهم مُبَكِّرا , و خَلَّو المَشْهَدَ مِنْ أَجْسادِهِمْ و إنْ خُلِّدَتْ آثارُهُمْ و سِيرُهُمْ .

مَسْرَحُ الْأَحْلَامِ

وَدَّعْتُ بَيْتِي الْقَدِيمَ , فِي قَرْيَتِي الْبَعِيدَةِ , مُنْذُ خَمْسَةِ وَ عَشْرِينَ عَامًا ,
و تَقَلَّبْتُ بَعْدَهَا بَيْنَ خَمْسَةِ مَنَازِلَ , فِي بَضْعَةِ أَحْيَاءِ بَعْدَةِ مُدُنٍ بَيْنَ قَارَاتٍ ثَلَاثَ ,
شَرَعْتُ فِي عِقْدِي السَّادِسِ , وَ كَلَّ مِنِّْي الظُّهُرُ وَ شَابَ الْفُودَانُ ,

وَ كَمْ مِنْ مَرَابَعٍ صَبَا , وَ مَلَاعِبٍ خَلَّانَ , وَ دُرُوبٍ وَ حَارَاتِ ,
عَشَقْنَا تَعَرُّجَاتِهَا الْمُوَحِيَّةَ وَ اسْتَدَارَاتِهَا الْحَمِيمَةَ ,
وَ شُرُفَاتٍ انْطَبَعَتْ فِي الْخِيَالِ , بِأَعْمَدَتِهَا الرُّخَامِيَّةِ وَ لِبَلَابِهَا الْمُنْدَى ,
وَ رَحَابَاتٍ وَ سَاحَاتٍ وَ بَاحَاتٍ ,

نَدْفَعُ الْغَالِيَّ وَ الرَّخِيسَ ,
لِنَسْمُرَ بِهَا أُمْسِيَةً أَوْ نَسْهَرُ بِهَا لَيْلَهُ ,

وَ الْعَجِيبُ الَّذِي لَا أُدْرِكُ كُنْهَهُ أَوْ أَفْطِنَ عِلَّتَهُ ,
أَنَّ ذَاكِرَتِي الْبَصَرِيَّةَ وَ أَحْلَامِي اللَّيْلِيَّةَ ,
وَقَفْتُ حَصْرَى , عَلَى حَضِيرِ الْبَيْتِ الْقَدِيمِ ,
وَ ظِلَّ شَجَرَةِ التَّوْتِ الْأُنَيْسَةِ بَيْتِ جَدِّي لِأَبِي ,
وَ فَرَانْدَةَ / شُرْفَةِ بَيْتِ جَدِّي لِأُمِّي !

فُوبِيا

بعيداً عن فكرة الخوف من المولى اللى هي - مع الحب - أصل التقوى , و دا مش موضوعنا , إنما كلامنا عن الخشية و الرهب و الاضطراب و الفزع و الرعب , مفيش حد ما بيخافش , كل حى من بنى آدم عنده فوبيا , أو أكثر ,

سيان يبقى عارف أو جاهل , سائر أو مجاهر ,

يعنى مين فينا ما بيخافش من مراته & مُديره & العسكرى & الأيام & المَرَض & العَوو , والشاهد إن الخوف شعور طبيعى و مُلازم للإنسان طول الوقت - بشكل أو بآخر و بدرجة أو بأخرى - طول ما المسائل فى المعقول , بل إن الخوف , ممكن يكون عامل إيجابى للتحوط و التخفيف طالما مش بيضيع عليك حق أو يحرملك من فرصة , أما إذ انقلب الخوف لعامل سلبي ,

يغرقك فى الإحباط و الكسل و تهويل العواقب ,

دى بقى مُصيبة المصايب ,

فالشجاع يَمُوت مرّة واحدة و الجبان يَمُوت ألف مرّة !

و الفوبيا - فى التعريف المُبسّط - هي الخوف المَرَضى المُبالغ فيه و - غالباً - غير المُبرّر من بعض الأشياء أو الأماكن أو الكائنات , وهى مُصنّفة كدرجة من درجات المَرَض النفسى , و الفوبيا أنواع و درجات , و من أشهرها الخوف من الأماكن المُرتفعة أو المُغلقة , كذا ركوب البحر أو الطيران , و فيه ناس عندها فوبيا من الحشرات أو الزواحف و البعض بيخاف من الزحام و الضلمة و كل ما فات بيعتبر مفهوم نوعاً ما و مقبول لدرجة كبيره , إنما الموضوع بيبقى فاكس و ماتخوليا , لما تبقى العقده من حاجات طبيعیه أو مش مؤذيه من عينة الزراير و العُمَلات المَعْدنيّه و الزهور و الأرقام و الجراثيم و مشابك الغسيل !

تصدّق يا مؤمن , إنّى أعرف ناس بتخاف من الجوافه أو الفول الثابت و ناس بتخاف
من يوم التلات أو المرحوم غسان مطر , وكلّه كوم وفوبيا إسدالات الصلاه وزهر
الطاولة , كوم تانى ! , غسان كدا لازم تشدّ حيلك وتجمّد قلبك و تربط حالك غسان
ما يجر الكش اللي جرى لبزعى , هتقوللى بزعى مين ؟

هاقول لك : دا واحد صاحبي ما تعرفوش .

#أكر وفوبيا&كلوستروفوبيا&ايروكروفوبيا&أكرافوبيا&باكتروفوبيا&هيربنوفوبيا&
أكلوفوبيا..

جَنَّةُ الْبَنَّا

[الْمَبَانِي الْقَدِيمَةُ فِي مَصْرَ , حَاجَهُ لَوُزُ اللَّوْزِ وَ شَتْرَاوُسُ الْجَنْزَبِيلِ ,
بِأَسْوَارِهَا وَبَوَابَاتِهَا وَ فَرَائِدَاتِهَا وَ تَرَاسَاتِهَا وَ أَفَارِيزُهَا وَ قُبَيْبِهَا وَ شَبَابِيكُهَا وَ مَنَاطِرُهَا
وَ حَوَاصِلُهَا وَ دَوَاوِينُهَا وَ سَقُوفُهَا وَ عَقُودُهَا وَ أَبْيَارُهَا وَ سَرَادِيبُهَا وَ فُسْفِيَّاتُهَا وَ
كَرَارَاتُهَا
وَ آرْشَاتُهَا وَ دَرَابِزِينَاتُهَا وَ أَسَانْسِيرَاتُهَا وَ شُخْشِيخَاتُهَا وَ مَشْرَبِيَّاتُهَا وَ اسْطَبْلَاتُهَا ...
.....هَاتِهَا ... هَاتِهَا هَاتِهَا]

الْمَصْرِي ابْنُ نَهْرٍ وَوَادِي ,
وَ الْفَلَّاحُ فِيهِ غَالِبٌ عَلَى الرَّاعِي وَ التَّاجِرِ وَ الْجُنْدِي وَ الْمَلَّاحُ , وَ ثُرَاتُ الْمَبَانِي وَ
الْإِنْشَاءَاتُ مِنْ جُسُورٍ وَ قِلَاعٍ وَ مَعَابِدٍ وَ تَمَاثِيلٍ وَ دَوَاوِينٍ وَ مَنَارَاتٍ وَ صَوَامِعٍ وَ
سُبُلٍ وَ بِيْمَارِسْتَنَاتٍ وَ سَلَاخْلِيكَاتٍ وَ تَكَايَا وَ وَكَالَاتٍ وَ مَوَانِيءَ
الْثُرَاتُ دَا يَشْهَدُ , عَلَى إِنْ الْفَلَّاحِ الْبَسِيطِ الْمُتَوَكِّلِ دَا , كَانَ بَنَّا وَ مَنَاولٍ وَ مَقَاوِلِ ,
شَيْدٌ مِنَ الطَّيْنِ وَ اللَّيْنِ وَ الرَّمْلِ وَ الْحَجَرِ وَ الرُّخَامِ وَ الْجَرَانِيَّتِ وَ الْخَشَبِ وَ الْحَدِيدِ
وَ النَّحَاسِ وَ الْبُرُونُزِ ...
وَ كُلِّ مَادَّةٍ وَ خَامَةٍ وَجَدَهَا فِي الْوَادِي وَ الصَّحْرَا وَ السَّوَاغِلِ ..
طَوَّعَهَا وَ شَكَّلَهَا وَ نَحَنَّاها وَ زَخَرَفَهَا فِي صَنْعَةٍ وَ أَرِيحِيَةٍ وَ إِنْسَجَامِ ..
وَ بَنَى بِيهَا مَعَالِمَ وَ مَشَاهِدَ تَقْضَى الْغَرَضِ وَ تُصَمِّدُ عَلَى مَرِّ الزَّمَنِ
وَ تَوَافِقُ الْبَيْئَةَ وَ تَزْخَرُ بِالْأَصَالَةِ وَ الْجَمَالِ .

و(سَيِّد حِجَاب) لَمَّا قَالَ : [اَللّٰى بَنَى مَصْر , كَانَ فِى الْاَصْل حَلَوَانِى ,
وَعَشَان كِدَا مَصْرِيَا وَلَاد , حِلْوَةُ الْحُلُوَيْنِ] كَانَ عِنْدَهُ كُلُّ الْحَقِّ ,
وَالْعَبْدُ لِلّٰهِ طَوْلُ مَا هُوَ مَاشَى فِى دُرُوبِهَا وَمَيَادِينِهَا وَحَارَاتِهَا وَمَسَاكِنِهَا ,
مَشْدُوهُ وَسَرْحَان , بِيْتَفَرَّجَ عَلَى الْجَمَالِ وَالصَّنْعَةِ وَيَدْقُقُ فِى الْخُطَطِ
وَالْتَفَاصِيلِ , فِى الْقَاهِرَةِ وَاسْكَنْدَرِيَّةَ وَبُورْسَعِيدَ وَاسْنَوَانَ , وَكُلِّ مَكَانٍ .

كِدْبَةُ إِبْرِيلَ

فى الأَوَّلِ مِنْ إِبْرِيلَ مِنْ كُلِّ عامٍ، بِيحَلِّ مُوسَمِ الكِذْبِ وَ المَقَالِبِ وَ القَلَشِ وَ الاشتِغالاتِ،
 المُسَمَّى (كِدْبَةُ إِبْرِيلِ) وَ اللى استعارهُ المَصْرِيبِينَ مِنْ التُّراثِ الأُورُوبى ،
 زىِّ الفالنتاينِ وَ عِيدِ العُمالِ وَ الكريسماسِ ،
 وَ دىِّ مَجْمُوعِهِ مِنْ أَشْهَرِ الكِذَباتِ المُتواتِرَةِ المشهورةِ إجتماعياً ،
 يَنْذُرُ أَنْ يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ سِوَا جَانى أَوْ ضَحِيَّةٍ ،
 مع تَأْكِيدِنا طَبْعاً إِنَّ الكِذْبَ عيبَ وَ حَرَامَ ،
 وَ الكَذَّابَ بِبُروهِ السَّاحِلِ أَوْ البَرْلَمَانِ ، قَصْدَى جَهَنَّمَ وَ النَّارِ
 وَ كَمانَ بِيحِطُّوا السَّيِّخَ المَحْمى فِ صَرَصُورِ وَذَنهُ :

- 1 - إَحنا بَنَشْتُرَى راجِل !
- 2 - حَمَسَ دَقائِقِ وَ اكُونُ عِنْدَكَ !
- 3 - هاشِدْ حَيْلى وَ اِذاكِرِ التَّيْرِمَ الجاى !
- 4 - هابُدا الرِّيجيمِ آخِرِ الشَّهْرِ !
- 5 - هابَطَلْ سَجائِرِ بَعْدِ العِيدِ !
- 6 - ثِوانى ، هاخَلَصْ لِبَسِ وَ ماكِياجِ ، وَ نَنْزِلْ حالاً !
- 7 - مَفيشَ فِ حِياتى سِتَّاتِ غَيْرِكَ !
- 8 - قَبْلكَ جالى حَمائِشَ عَرِيسَ ، وَ رَفَضْتُهُمْ كُلَّهُمْ !

-
- 9- و انا ف سِنَّكَ كُنْتُ باطَّلَع الأوَّل على المَدْرَسه !
- 10- خَلَّى عَنَّاكَ , المرَّه دى عَلَيْنَا !
- 11 - أنا قَمَر و غزال بس ماليش حَظَّ ف الصِّوَر !
- ١٢ - الدُّوَلار هينزل والدَّهَب هيزَخَّص !
- 13 - الانْتخابات نَزِيْهه !
- 14 - العَداله هتأخُد مَجْراها !
- 15 - الدَّعْم هيوصل لِمُسْتَحَقِّيْه !
- ١٦- الأهلَى نادى القَرْن العِشْرين فى إفريقيا !
- 17 - الطِّفْل المَصْرِى أَذْكَى أَطْفال العالَم !
- ١٨ - الرَّاجِل المَصْرِى مشهور بالسِّكِّس أببيل !
- 19 - لَعْنَة الفَراعنة !
- ٢٠ - اللى يشرب من النِّيل , لازم يَرْجَعله !

مِهَن سَيِّئَةِ السُّمْعَةِ

ثَمَّةٌ مِهَنٌ لِلْمَرَأَةِ ، لَا يَنْقُصُهَا الْإِحْتِرَامُ أَوْ الْأَهْمِيَّةُ ،
لَكِنَّهَا تُعَانِي مِنْ سُوءِ السُّمْعَةِ ، وَغَالِباً مَا يُعْزَى ذَلِكَ لِمُحَافَظَةِ الْمُجْتَمَعِ وَرَجْعِيَّتِهِ أَوْ
لِلْهَيْثِ - وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ - بِأَنْوَاعِهَا - وَرَاءَ الرِّوَاكِ وَتَنْمِيطِ الْبَشَرِ ،
وَمِنْ تِلْكَ الْمِهَنِ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ :
الْمُمَرِّضَةُ & السِّكْرَتِيْرَةُ & الْفَنَّانَةُ & الْمُضَيِّفَةُ & الْكَوَافِيْرَةُ ...
وَسُوءُ سُمْعَةِ الْمِهْنَةِ - رَغْماً عَنْ اسْتِيفَانِهَا مَقَوِّمَاتِ الْمَشْرُوعِيَّةِ وَالْأَهْمِيَّةِ وَالدِّيَوَعِ
- لَيْسَتْ مُعْضِلَةً خَاصَّةً بِالْمَرَأَةِ دُونَ الرَّجُلِ ،
فَتَمَّةٌ قَائِمَةٌ طَوِيلَةٌ لَوْظَائِفِ يُمَارِسُهَا الرِّجَالُ ، لَا تَحْظُ بِتَقْدِيرِ الْمُجْتَمَعِ أَوْ حَتَّى قَبُولِهِ ،
وَلَيْسَ مِنَ الصَّعْبِ تَصْنِيفُ تِلْكَ الْوِظَائِفِ إِلَى مَجْمُوعَاتٍ :
فَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِتُمَثِيلِ السُّلْطَةِ الْعَامَّةِ ، وَبَعْضُهَا يَمَسُّ حُبَّ الْإِنْسَانِ لِحُرِيَّتِهِ أَوْ مَالِهِ ،
وَظَائِفٌ أُخْرَى ، يَغْلِبُ عَلَيْهَا انْتِهَاكُ خُصُوصِيَّةِ الْجِنْسِ اللَّطِيفِ ، أَوْ تَحْظَى - دُونَ
مُسَوِّغٍ - بِتَقْدِيرٍ - أَدَبِيٍّ وَمَادِيٍّ - مُبَالِغٍ فِيهِ ،
وَمِنْهَا مَا يَظُنُّ النَّاسُ أَنَّهَا تَتَمَتَّعُ بِعَدَمِ الْمِصْدَاقِيَّةِ ،
وَهُنَاكَ وَظَائِفٌ أُخْرَى ، تُعَانِي مِنْ تَارِيخٍ سَلْبِيٍّ مَعَ الْمُجْتَمَعِ ، وَتَحُومُ حَوْلَهَا الشُّبُهَاتُ
بِأَنْوَاعِهَا ، وَمِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ لَا الْحَصَرِ :
السَّمَّاسِرَةُ وَالبَصَّاصُونَ (ضَبَّاطُ الشَّرْطَةِ وَ أَمْنَائِهَا وَ مُخْبِرُوهَا) وَ الْمَكَّاسُونَ (
مُوظَّفُو الضَّرَائِبِ وَ الْجَمَارِكِ وَ الْبَلَدِيَّةِ وَمَعَهُمْ مُحَصِّلُو الْمِرَافِقِ الْعُمُومِيَّةِ) وَ الْوِظَائِفِ
الَّتِي تُعْنَى بِشُئُونِ النِّسَاءِ (التَّرْزِي وَ الْحَلَّاقِ وَطَبِيبِ النِّسَاءِ) وَ الْحُجَّابِ (

مُديرو مَكاتِبِ المَسئولين و سكرتاريّتهم (و نواب البرلمان و مُذيعو البرامج
الجوارية (التوك شو) و الشّو بيزنيس

(فنّانو التمثيل والغناء) والعاملون بالبنوك - عدا بنكيّ الدّم و الغداء - وكذا المنشآت
السياحيّة وليسَ بعيدا عنهم موظفو خدمة العملاء و الحراس الشخصيون (البودي
جاريز) و(عمّال المرآب) سيّاس الجّراجات ... و القائمة مُزعجة ومُمتدّة .

الكوود و الموود

و الطَّرِيقَه الَّلّٰى بَتُسَمَّى النَّاسُ بِيهَا وَتَنَادَى عَلَيْهِمْ ,
تعبير عن شَخْصِيَّتِكَ وَ انْعَكَاس لِنَقَافَتِكَ وَ مَزَاجِكَ ,

يَعْنَى مَثَلًا (عَبْدُ النَّاصِر) , كَانَ بَيْنَادَى الْمُحِيطِينَ بِهِه بِالْقَابِئِهِمْ ,

فِي الْوَقْتِ الَّلّٰى (السَّادَاتُ), كَانَ يَفْضَلُ اسْتِعْمَالُ الْأَسْمَاءِ الْأُولَى لِمَعَارِفِهِ وَهُوَ
بِاتِّعَامِ مَعَاهِمَ , (الْعَقَادُ) كَانَ يَسْتَعْمَلُ تَعْبِيرَ (مَوْلَانَا) بِمُرَاعَاةِ إِنَّهُ تَعْبِيرُ
مُرَاوِغٍ, يَنْفَعُ مَعَ الْأَعْلَى وَالْأَدْنَى ! شَفْتُ نَاسَ طَوَّلِ الْوَقْتِ يَقُولُوا يَا (أَفْنَدَم) ,

وَ سِتَاتٍ بَيْنَادُوا عَلَى الْغَرِيبِ وَالْقَرِيبِ بِكَلِمَاتٍ مِنْ طَبَقَةٍ : يَا رُوحِي وَ عَيْنِي وَ
قَلْبِي وَ حَيَاتِي , وَ اتَّعَامَلْتُ مَعَ نَاسٍ بِيَسْتَعْمَلُوا فِي الْمُنَادَاةِ تَعْبِيرَاتٍ لَطِيفَةً مِنْ عَيْنَةٍ
: يَا مُبَارَكَ وَ يَا طَيِّبَ ,

فِي الْخَلِيجِ , بِالإِضَافَةِ لَكُنْيَةٍ (أَبُو فُلَانٍ / فُلَانَةٌ) , الْمَقْبُولَةُ وَ الدَّارِجَةُ مِنَ الْأُمِيرِ
لِلْغَفِيرِ , بِيَلْجَاوَا أَحْيَانًا لِتَعْبِيرَاتِ زَيْ (طَوِيلُ الْعُمُرِ) وَ (بَعْدَ عُمُرِي)

أَمَّا بَقِيَ عَلَى دَلِيلِ الْمَوْبَايِلِ , اتْفَرَّجَ عَلَى الْكُومِيدِيَا وَ الْإِشْتِغَالَاتِ وَ تَصْنِيفَةِ
الْحِسَابَاتِ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ وَ الْأَقْرَابِ وَ الْأَصْحَابِ وَ الْجِيرَانِ وَ الزُّمَلَا ,

أَعْرِفَ أَزْوَاجَ مَسْمِيَّيْنَ أَزْوَاجَهُمْ :

الْعَوُو , الْكُبَّةُ , الْحُكُومَةُ , قِسْمَتِي وَ نَصِيبِي , الْبَيْتُ , الْجَمَاعَةُ , الْبَرَكَه !

وَاعْرِفَ نَاسَ بِيَسْمَوْنَ رُؤُسَائِهِمْ فِي الشُّغْلِ حَاجَاتِ زَيْ :

الْفَتَيْقُ وَبَطِيخٌ وَهُوَ لَأَكُو وَ قَرَاقُوش !

بين الأصحاب بَقى البُساط أحمى و الكُلفة مرفوعة فتلاقى أسماء من عينة :
البِلَطُ و الحَوَازِجِي و الدَّيْلَر و استميشن و الحَضْرَة و كِرْشَو ...
التَّسْمِيَّات دى بالتَّكْيِت و التَّنْفِيس اللى فيها تعرّفك ,
ليه مُمكن واحد يضخّى بروحه و يستشهد
قبل ما يسمح بتفتيش موبايله مِن مراته أو مُديره أو أى حَدّ مُمكن يقول له :
كُلّ شَيءٍ انْكَشِفِ و بان !

الشُّهرة , هالة و عِطر و خَمَر

الشُّهره زىّ الحَمَره , حاجه جِلوه بتلعب بالعقول لعب ,
و نادراً ما تلاقى شَخْص , اختفظ بهدونه و اتزانه و أريحيته اللى كان عليهم
قبل ما يلعب معاه الزَّهر , و يُسْكُن فى كوكَب المشاهير ,

و رَغْم إن الشُّهرة زىّ حَجَر الزَّهر , ليه وشوش كتيرة , بعضها ايجابى و البعض
الآخر سلبي فمثلا , مُمكن تشتهر بسبب تحقِيق إنجاز عِلْمى أو أدبى أو فَنِّى أو
رياضى أو وظيفى ,
من ناحية تانيّة , ممكن الشُّهرة يكون مَرَجعها مُخالفة الشَّرْع أو القانون أو العُرْف
أو أى مُصيبة سودا فيها شُدُوز أو جِنُوح أو نُذرة !

و ف غالب الأحوال , الشَّخْص المشهور بيطالب - صراحةً أو ضمناً - بمعاملة
خاصّة , تُخَوِّله كَسْر النِّظام , والحُصول على مزايا غير مُبرَّرة ,
مع الحَصانة مِنَ العقاب , حتّى فى أحوال ثُبوت الإدانة !

على المُستوى الشَّخْصى , لظروف إنعام الله علينا بقوّة الذّاكرة و التركيز العالى
وجِدّة البَصَر , بيكون عِنْدى فُرْص كتير لرؤية المشاهير و تَمييزهم ,
فى الشَّارِع والنّادى والمَحكمة و الفُنْدُق والمَسجد و السُّوق و غيرها ,
رَغْماً عن الرّحام أو بُعد المَساافة , أو بَساطة الرّى دون رِسمية أو بَهْرَجَة ,

فى مُعظم الأحوال , باتصرّف بِشَكْل طَبِيعى , لو لِيَا تَحَقُّظ على الشَّخْصِيّة أو
سبب الشُّهرة و حتّى مِن غير تَحَقُّظ , باحب أراعى الحُصُوصِيّة و حقَّ الشَّخْص
المشهور فى الخروج الطَبِيعى مع الأسرة أو الأصدقاء ,

في أحوال نادرة , خصوصاً إذا كان مجال عمل الشَّخص المشهور محل تقدير
رغم عدم شعبيَّته , أو كان مُنحني الشهرة في مرحلة هبوط أو أفول بحُكم السن أو
المنافسين , باحرص على إظهار التكريم وجبر الخواطر , بالبسمة أو الإشارة أو
المصافحة أو طلب التصوير أو الأوتوجراف .

يا دُنْيا يا غَرامى , يا دَمْعى يا ابْتِسامى ,
 مهما زادتْ آلامى , قَلْبى يحبُّك يا دُنْيا

عن الحاجات الصُّغيرة المفاجئة المُبهجة
 اللى تَشْرِح القلب و تَسند الرّوح و تُجبر الخاطر ,
 و منها حَمامة بيضا , بتَصَبَّح عليّا كُلّ يوم ,
 و بتُكون أوّل حاحه افتح عليها العين , على شبّاك عُرفة النّوم ,
 واقفة ساكنة من غير قلق و لا اضطراب , حتى لو فتَحنا الشّبّاك أو لمينا السّتائر ,
 و لما المَراج يُنجلي , تصفّر و تهْدل !
 نفس الإنشراح والأنس , لما فى الشّارع يُنبِسم لك طِفْل ما تعرفوش ,
 أو ينوّر عمود نور , كان مطفى قبل وصولك ,
 و يا عيني بقى , لما تَفْتَح المُصْحَف على آية بشارَة أو رَحمة ,
 أو يجيى الفال , على كوبليه أغنية أو قفلة مَوال ,
 و خُذْ عِنْدك بقى , لما بتلاقى - فلوس - أيّ فلوس - ف الشّارع ,
 أو يتيسّر فجأة باركينج , فى منطقة زحمة
 أو توصل مَدخل مبنى كبير , تلاقى الأسانسير فى انتظارك ,
 و يا سلام بقى لما تشيّف أذانك , دعوة مُخلِصة من مُسنّ قَرِيب ,
 أو شهادة فى حقّك بالخير , من حد مُنصِف أو غَرِيب

أَيُّوَه كِدَا .. فَشَّرَهَا كَوَيْش

بِيقَوْلِكَ مَرَّةً جَمَاعَهُ صَعَايِدَةً , عِنْدَهُمْ بَنْتُ فِي خَامِسِهِ ابْتِدَائِي ,
رَاحُوا يُجَبِّلُوهَا مُسْتَنْزِمَاتِ الدِّرَاسَةِ , زِيَّ مَا حَدَّدَتْهَا الْمَدْرَسَةُ ,
لَقَوْهَا مَكْتُوبَةً بِالشَّفَرَةِ , وَ فِيهَا لَوْغَارِيْنِمَاتُ كَثِيرٍ
شَكَّلُوا لَجْنَةً فِيهَا خُبْرًا :

مِنَ الْمَجْلِسِ الثَّقَافِيِّ الْبَرِيْطَانِيِّ وَ هَيْئَةِ الطَّاقَةِ الذَّرِيَّةِ وَ مُسْتَشْفَى الْأَمْرَاضِ الْعَقْلِيَّةِ
وَ الْبَنْكِ الْمَرْكَزِيِّ وَ بَرَضِهِ مَاعَرْفُوشَ يَحْلُوا مُعْظَمَ الْأَلْغَازِ !
وَ كَمَا انْكَشَفُوا إِنْ تَكَلَّفَ الْمُسْتَنْزِمَاتِ ,
مُمْكِنٌ تَشْتَرِي لِلْبَنْتِ شَقَّةً صُغِيرَةً أَوْ تَفْتَحِلَهَا وَرْشَةً أَوْ كُشْكُ بِقَالَةٍ !
لَمَّوْا بَعْضَهُمْ , وَ سَكَّوْا عَلَى الْمَطْلُوبِ
وَ قَرَّرُوا يُفْضَوْهَا سَيْرَهُ , وَ يَجُوزُوا الْبَنْتَ أَسْهَلُ وَأَرْخَصَ !

أخفوا الشَّوَارِبَ و أعفوا اللَّحَى

كُنْتُ أَطَالُعُ كِتَابَ (هَكَذَا تَكَلَّمَ زَرَادِيشت) لِلْمُفَكِّرِ الْأَلْمَانِي فَرِيدْرِيك نِيْتشه ,

فِيْلَسُوفَ تَمْجِيدِ الْقُوَّةِ وَ النِّقَاءِ الْعِرَاقِي , عِنْدَمَا اسْتَوْقَفْتَنِي صُورَتُهُ الشَّخْصِيَّةَ عَلَى غُلَافِ الْكِتَابِ , فَشَرَدَتْ مِنِّي الْأَفْكَارُ وَ التَّسَاوُلَاتُ , كَيْفَ كَانَ يَتَأَمَّلُ وَ يُبَدِّعُ فِي وَجُودِ كُلِّ ذَلِكَ الشَّارِبِ ؟

وَانْتَبَهْتُ إِلَى أَنَّ الْمَرْحُومَ جَدِّي , كَانَ مِنْ ذَوِي الشَّوَارِبِ , بَدَأَ بِشَارِبِ السُّلْطَانِ حُسَيْنٍ وَ خَتَمَ بِشَارِبِ هِثْلَرِ , وَ الْوَالِدِ الْكَرِيمِ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - عَاشَ عُمُرُهُ كُلَّهُ وَفِيَّ لِلشَّارِبِ الدُّوْجَاسَ ,

أَمَّا عَمَائِي , فَأَحَدُهُمَا لَمْ يُطْلِقِ الشَّارِبَ وَ اللَّحْيَةَ أَبَدًا وَ الْآخَرُ التَّزَمَ اللَّحْيَةَ دُونَ الشَّارِبِ بَعْدَ تَقَاعُدِهِ عَنِ الْعَمَلِ , وَ أَخَى ظِلَّ سَنَوَاتِ الدِّرَاسَةِ بِالْجَامِعَةِ يَعْتَمِدُ فُقُلَ الشَّارِبِ وَ اللَّحْيَةِ الْمَعْرُوفِ بِالسَّكْسُوكَةِ , أَمَّا الْعَبْدُ لِلَّهِ فَأَبَدًا لَمْ أَخْضَ تِلْكَ التَّجْرِبَةَ سِوَى مَرَّتَيْنِ عَلَى سَبِيلِ التَّاقِيَةِ وَ لُظُرُوفِ خَاصَّةٍ (الثَّانَوِيَّةُ الْعَامَّةُ & حَجَرُ كُورُونَا)

وَ تَدَاعَتْ إِلَى خَاطِرِي عِبَارَةٌ أَمِّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ : " سُبْحَانَ مَنْ زَيَّنَ وَجْهَ الرِّجَالِ بِاللَّحَى , وَ النِّسَاءَ بِالدَّوَائِبِ " , وَ لَا رَيْبَ أَنَّ لِبَدَةَ الشَّعْرِ الَّتِي تُؤَطِّرُ وَجْهَ الرَّجُلِ - غَالِبًا - مَا تُسْبِغُ عَلَيْهِ هَالَةً مِنَ الرُّجُولَةِ وَ الْمَلَاخَةِ وَ فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ يَحْمِلُ ذَلِكَ الْمَلْمَحَ عَدِيدًا مِنَ الدَّلَالَاتِ وَ الرِّسَائِلِ عَنْ تَرَاثِهِ وَوَعْيِهِ وَ بَيْنَتِهِ وَ لُغَةِ جَسَدِهِ وَرُؤْيَيْهِ لِدَايَتِهِ وَ تَفَاعُلِهِ مَعَ الْمُجْتَمَعِ ,

وَ عَلَى مَدَارِ الزَّمَنِ ثُمَّ شَوَارِبُ وَ لِحَى , انْطَبَعَتْ فِي الْمُخَيَّلَةِ الْجَمْعِيَّةِ وَ كَانَتْ مَفَاتِيحُ لِلصُّورَةِ الذَّهْنِيَّةِ لِأَصْحَابِهَا بَحِيْثٌ يَتَوَافَرُ الْإِرْتِبَاطُ الشَّرْطِيُّ بَيْنَ اللَّحْيَةِ وَ صَاحِبِهَا فَيَسْتَدْعِيهِ الْخَيَالُ وَ تَسْتَحْضِرُهُ الذَّاكِرَةُ حَالَ رُؤْيَيْهَا أَوْ حَتَّى مَا يَشْتَبِهُ بِهَا ,

فَهُنَاكَ لِحَى مَارْكَسَ وَ لَيْنِينَ وَ تُولَسْتَوِي وَ تَشْيُكُوفَ , وَ شَارِبِ سَتَالِينَ وَ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ لَحْيَةُ لِينْكَولْنِ وَ شَارِبِ رُوزْفَلْتِ , وَ فِي كُوبَا كَانَتْ لَحْيَتَا كَاسْتَرُو وَ جِيْفَارَا تُثْنِرَانِ الْخَيَالَ وَ عَرَبِيًّا لَا يُمَكِّنُ نِسْيَانُ اللَّحْيَةِ الشَّهْبَاءِ الْوَافِرَةَ لِمُحَمَّدٍ عَلَى بَاشَا الْكَبِيرِ مُؤَسِّسِ مِصْرَ الْحَدِيثَةِ

و لِحى خُلفائِهِ عَبّاسِ حِلْمى الأول و سَعِيد و إِسماعيل و كذلكَ يجبُ أنْ نتوقفَ عِندَ
لِحى عُرابى و عَلى مُبارك و رفاعَةَ الطَهُطاوى , أمّا عَرَبِيًّا فليسَ أَشهرَ من لِحى
الملكِ فيصَل و السُّلطانِ قابوس و أحمَد بن حميدَ الدينِ إمامِ اليَمَن, رَحمةُ اللهِ على
الجميعِ, أمّا على المِستوى الفَنّى فالتاريخُ يَحْتفظُ بشواربِ شابلن و جروُشو (الاخوان
ماركس) و سِلْفادُور دالى ...

يونيفورم

" .. و لما أرادت السلطات في دول أوروبا , في نهاية القرن التاسع عشر , أن تُخصّص زياً موحداً للمساجين , على سبيل التمييز لهم , اختاروا زياً من قطعتين سترّة و سروال ,

من الصوف الفاتح اللون المُقْلَم طويلاً أو عريضاً , لعدم انتشار هذه التركيبية في ذلك الزمان , بما يسهل معه تمييز المحكوم عليهم , حال اختلاطهم بالناس في الزيارات أو المحاكمات

أو حتّى حال هروبهم من السجن , و رغم الغدول عن ذلك الزي لاحقاً , إلا أن أفلام هوليوود و والت ديزنى خلّدته في التاريخ و في وجدان الملايين في شتّى أنحاء العالم .. "

و قضية الزي الموحد - اليونيفورم - دائماً ما كانت محلّ نزاع و مثار جدل , و هي في جوهرها ليست إلا إحدى صور الصراع بين الفرد و الجماعة , و الجدل بين الحرية و النظام , فهؤلاء الذين يُقدّمون ذاتية الفرد ويحرصون على خصوصيته , لا يرون في الزي الموحد إلا مسخاً للكينونة و قيداً على الحرية , إذ يعدّون حرية المظهر , فرعاً من حريات الإنسان و حقوقه اللصيقة بالشخصية , لا يجوز مصادرتها أو الحجر عليها ,

بينما على الطرف الآخر , يرى الفريق الذي يُقدّم الجماعة على الفرد و يؤثر النظام على الحرية , أنّ صلاحية تقدير الاعتبارات و ترتيب الأولويات منوطة بأولى الأمر و يخولونهم تنظيم التصرفات و تقييد الحريات , بغية مراعاة الاحتياجات الأولى بالرعاية و تحقيق الصالح العام و إدراك غايات المجتمع العليا , و حرية المظهر ليست استثناء مما سلف ,

كما أنّها ليست عصية على التنظيم ترتيباً و تقييداً ,

و قد أمعن الفريقان في الجدل و الصراع , حتّى رأينا أولهما لا يمانع إنشاء مستعمرات و شواطئ للعبادة و لا يعترض على الأزياء العجيبة و الفجة حتّى في الكنائس و البرلمانات و الأسواق و الجامعات , بينما ركب الفريق الآخر متن الشطّ , و تجاوز حدود المدارس ,

و الشَّرَكَاتِ و الهَيْئَاتِ حَتَّى رَأَيْنَا أُمَمًا بأكملها ,
يَرْتَدِي أَفْرَادُهَا حُلًّا مُوَحَّدَةً الْخَامَاتِ و التَّفْصِيلِ و اللَّوْنِ ,
بَلْ وَتَتَمَثَّلُ قِصَاتُ الشَّعْرِ , إِمْتِنَالًا لِتَعْلِيمَاتِ الْحِزْبِ أَوْ الدَّوْلَةِ !
و فِي مَجَالِ الْقَضَاءِ , وَ هُوَ مِنَ الْهَيْئَاتِ الْمُصَنَّفَةِ فِي عِدَادِ الْكِيَانَاتِ الْمُحَافِظَةِ ذَاتِ
الْأَعْرَافِ وَالتَّقَالِيدِ , فَإِنَّ لِقَضَاةِ الْمَنْصَةِ زِيَّ مَخْصُوصٍ , يَتَمَايَزُ عَنْ زِيِّ أَعْضَاءِ
النِّيَابَةِ الْعَامَّةِ أَوْ هَيْئَةِ مَفَوَّضِي الدَّوْلَةِ وَ - لَوْنُ الْوِشَاحِ وَ هَيْئَةُ نُجُومِهِ وَ كَذَلِكَ الْحَالُ
لِلْقَضَاءِ الْوَاقِفِ (الْمُحَامِينَ)
بَلْ إِنَّ أَحَادَ النَّاسِ , إِذَا كَانُوا مَحَلًّا لِإِجْرَاءَاتِ التَّحْقِيقِ وَ الْمُحَاكَمَةِ وَ التَّنْفِيزِ , تَتَبَايَنُ
أَزْيَاؤُهُمْ بِحَسَبِ مَوْقِفِهِمْ , وَتَتَنَاقَبُ عَلَيْهِمُ الْحُلُ الْبَيْضَاءُ وَ الزَّرْقَاءُ وَ الْحَمْرَاءُ
بِحَسَبِ الْحَالِ وَ الْمَالِ .

(زَيِّ) النَّاسِ

وَاللِّبْسُ زِيَّهٌ زَيٌّْ أَيْ سِلُوكُ إِنْسَانِي ، اخْتِيَارٌ ، لَهُ عِلَّةٌ وَغَايَةٌ وَدَلَالَاتٌ ،
يُمْكِنُ تَفْسِيرُهَا وَاسْتِخْدَامُهَا ، وَبَشَوِيَّةٌ فَحْصٌ وَتَحْلِيلٌ ، مُمَكِّنٌ تَحَدَّدَ جُذُورُ الْاِخْتِيَارِ ،
مِنْ الْأَصْلِ وَالتَّرْبِيَّةِ وَالثَّقَافَةِ وَنَظَرَةِ الْفَرْدِ لِنَفْسِهِ وَمُجْتَمَعِهِ ،
وَكَمَانٌ مُمَكِّنٌ تَقْرَأُ وَتَتَوَقَّعُ نَتَاجِجَ الْاِخْتِيَارِ وَفُرْصَهُ وَاحْتِمَالَاتِهِ ،

وَعَلَى قَدِّ دَهْشَتِي وَصَدَمَتِي مِنَ النَّاسِ اللَّيِّ بِتَتَفَتَّنْ - بِاخْتِيَارَاتِهَا فِي اللَّبْسِ -
فِي خِصَامِ الدُّوقِ وَالعُرْفِ وَالمَنْطِقِ وَإِرْهَاقِ المِيزَانِيَّةِ بِتَحْمِيلِهَا مَا لَا تُطِيقُ
تَحْتَ بُدِّ المَظَاهِرِ الكَدَابَةِ وَالبَهْرَجَةِ النَّصَابَةِ ،
بِتَسْعِدِنِي اخْتِيَارَاتِ النَّاسِ الكَمَلِ ،
اللِّي بِتَعْرِفَ تَحَافِظَ عَلَى مَقُومَاتِ البَسَاطَةِ وَالرَّاحَةِ وَالْوَجَاهَةِ
وَمُرَاعَاةِ تَفَاصِيلِ الشَّخْصِ وَالمُنَاسَبَةِ وَالعُرْفِ وَالدُّوقِ الْعَامِ .

وَقَدْ يَبْدُو إِنْ مَسْأَلَةُ المَظْهَرِ مِشْ مُهَمَّةٌ ، لَكِنْ أَهْلُ الْعِلْمِ يَغْرِفُوا
إِنْ الشَّكْلَ وَالمَوْضُوعَ ، غَالِباً مَرْتَبِطَانِ ، ارْتِبَاطاً لَا يَقْبَلُ التَّجْزِئَةَ ،
وَصَحِيحٌ إِنْ المَوْضُوعَ أَهَمُّ ، لَكِنْ الشَّكْلُ أَسْبَقُ ،

وَاخْتِيَارِ الزَّيِّ المُنَاسِبِ ، عِلْمٌ وَفَنٌّ وَمَوْهَبَةٌ فِطْرِيَّةٌ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ ،
وَخَبْرَةٌ مُتَرَاكِمَةٌ عِنْدَ الْبَعْضِ الْآخَرِ ،
وَمِشْ عَيْبٌ ، إِنَّكَ تَسْأَلُ وَتَتَعَلَّمُ وَتَسْتَعِينُ بِصَدِيقٍ أَوْ خَبِيرٍ ،
الْعَيْبُ إِنَّكَ تَلْبِسُ فِ الْحَيْطِ أَوْ تَلْبِسُ مُصْنِيَّةً ،
أَوْ تَبْقَى عَامِلٌ زَيٌّْ الْبَغْبَغَانِ أَوْ الطَّوَاوُسِ أَوْ أَهْلُ الْكَهْفِ أَوْ الْكَائِنَاتِ الْفَضَائِيَّةِ !
عِشَانِ مَنَعَكَ الْجَهْلُ أَوْ الْخَجَلُ أَوْ التَّكْبَرُ عَنْ سُؤَالِ أَهْلِ الذِّكْرِ .

شُبرامانيا

دَعَتْنِي إِحْدَى احتِياجاتِ المَنْزِلِ إلى زيارةِ حَيِّ شُبرَا , (شُبرَا مَصرَ) كما يَنْطِقُهَا القَاهِرِيُّونَ تَمييزاً لَهَا عَنِ (شُبرَا الخِيْمَةِ) النَّابِغَةِ لِمُحَافَظَةِ القُلُوبِيَّةِ , وَمَا إِنَّ اجْتِزَتْ النَّفَقَ وَ دُرْتُ فِي دُورَانِ شُبرَا , حَتَّى أَنْدَاحَتْ دَوَائِرُ الزَّمَنِ وَ تَدَاعَتْ الذِّكْرِيَّاتُ ,

مَعْدُودَةٌ هِيَ مَرَّاتُ زِيَارَاتِي لِلْحَيِّ , لَكِنَّهَا مُوسُومَةٌ عَلَى جِدَارِ القَلْبِ بِالسَّعَادَةِ وَ التَّخَنُّانِ ,

شُبرَا لَمْ تَكُنْ مُجَرَّدَ حَيٍّ يَسْكُنُ بِهِ بَعْضُ الْأَقْرَابِ وَالْأَصْدِقَاءِ , وَ نَزُورُهُ عَلَى فَنَرَاتٍ مُتَبَاعِدَةٍ , إِنَّمَا كَانَتْ - حَتَّى زَمَنِ قَرِيبٍ - رَمْزاً لَوَحْدَةِ وَطَنِيَّةٍ بَيْنَ عُنُصْرِي مِصرَ مُسْلِمِينَ وَ نَصَارَى

- وَ الْجَمِيعِ أَقْبَاطَ - , وَ كَذَا مُسْتَوْدِعاً طَبِيعِيّاً لِلطَّبَقَةِ الْوَسْطَى , رُمَّانَةٍ مِيزَانِ الْمُجْتَمَعِ ,

عِلَاقَةٌ عَلَى تَجَمُّعٍ كَبِيرٍ مِنَ الْأَجَانِبِ مِنْ شَتَّى الْجَنَسِيَّاتِ , يَعِيشُونَ فِي سَلَامٍ وَ اِنْسِجَامٍ مَعَ أَهْلِ الْحَيِّ , حَتَّى أَنَّ الْبَعْضَ أَطْلَقَ عَلَى شُبرَا أَنَّهَا (أَسْكَندَرِيَّةٌ صَغِيرَةٌ فِي قَلْبِ الْقَاهِرَةِ)

فُضْلاً عَنْ تَجَسُّيدِ شُبرَا لِإِمْكَانِيَّةِ بُلُوغِ حُلْمِ الْفَنَّانِ الْمِصرِيِّ الْبَسِيطِ فِي التَّحَقُّقِ وَ الْاعْتِرَافِ

بِمَا أَنْتَجَتْهُ مِنْ عَشْرَاتِ الْمُبْدَعِينَ فِي شَتَّى الْمَجَالَاتِ ,

بَعْدَ لَحْظَاتٍ مِنَ السَّعْيِ وَ الْحُمْلَقَةِ الْمُغْلَقَةِ بِالشَّرُودِ , كُنْتُ قَدْ نَسِيتُ مَا أَتَيْتُ لِأَجْلِهِ كُلَّ تِلْكَ الْمَسَافَةِ مِنَ الْمَعَادَى إِلَى شُبرَا , وَ تَلَقَّفْتَنِي دَوَامَاتُ الْحَنِينِ , هَذِهِ (جَزِيرَةٌ بِدْرَانٍ) وَ تِلْكَ (التَّرْعَةُ الْبُولَاقِيَّةُ) وَ بَعْدَهَا مُحْكَمَةُ (زَنَانِيرِي) هَلْ يَخْتَلِفُ مَعِيَ أَحَدٌ فِي أَنَّ هَذَا الْأَسْمَ الْأَعْجَمِي ثَقِيلَ الْوِطْءِ , ارْتَبَطَ فِي أَذْهَانِ الْمِصرِيِّينَ , بِمَاسَى الْمُطَلَّاقَاتِ وَ النَّاشِيزَاتِ وَ الْحَاضِنَاتِ

كَمَا خَلَّدَتْهَا (فَاتِنُ حَمَامَةٍ) فِي فِيلْمٍ (أُرِيدُ حَلَا) ,

واصلتُ التَّقَدُّمَ , هذا مَنَجَر (شَيْكُورِيل) ورغَمَ رَائِعَةِ النَّهَارِ , تَبَدَّى لِي شَبْحُ الثَّرَى
اليهودي الذي قُتِلَ في مُحَاوَلَةِ سَطْوٍ , مُنْذَ عَشْرَاتِ السَّنِينَ ولازَلْتُ تَتَرَدَّدُ حَوَادِثُ
ظُهُورِ شَبْحِهِ فِي مَنْزِلِهِ بِحَيِّ الزَّمَالِكِ ! عَلَى الْيَمِينِ بِمُحَاذَاةِ (مَحْطَّةِ مَصرَ) بِرُمْسِيسِ
شَارِعِ (أَحْمَدِ جِلْمِي) الصَّحْفَى الْمُنَاضِلِ رَفِيقِ مِصْطَفَى كَامِلِ , الَّذِي تُوفَّى فِي مَطْلَعِ
الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ (جَدِّ صِلَاحِ جَاهِينَ) بَعْدَهَا مَرَرْتُ بِشَارِعِ (خُلُوصَى) وَرَغَمَ أَنَّ
أَحَدَ أَعْمَامِي كَانَ يَحْمِلُ هَذَا الْاسْمَ ,
وَكَذَلِكَ (سَمِيرَةَ خُلُوصَى) بَطْلَةً أَحَدِ أَفْلَامِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَهَّابِ (الْوَرْدَةِ الْبَيْضَا) , إِلَّا
إِنِّي عَادِيكَ عَنْ عَدَمِ الْارْتِيَاكِ لِتَجَاوُرِ حَرْفِي الْخَاءِ وَالصَّادِ , لَمْ أَصَافِ أَحَدًا يَحْمِلُ
ذَلِكَ الْاسْمَ !

شَرَدَ بِي الْمَسِيرُ , فَمَرَرْتُ عَلَى (السَّاحِلِ) , وَتَمَايَلْتُ فِي مُخِيلَتِي مَرَائِبُ الْغِلَالِ وَ
الْفَخَّارِ وَالْقَصَبِ الْقَادِمَةِ - مَعَ تَيَّارِ النَّيْلِ - مِنْ صَعِيدِ مِصرَ الْعُلْيَا لَتَرَسُو فِي قَلْبِ
الْقَاهِرَةِ وَظَلَلْتُ أَلْفُ

وَ أَدُورَ (طُوسُونَ) & (مَنْيَةَ السَّيْرَجِ) & (نَفَقَ أَحْمَدَ بَدَوِي) & (رَوْضَ الْفَرَجِ) &
(مَسْجِدَ الْخَازِنْدَارِ) & (كَنِيسَةَ سَانْتِ تَرِيزِ)
وَ عِنْدَمَا مَرَرْتُ أَسْفَلَ عَقَارٍ كَانَ يَسْكُنُهُ صَدِيقٌ لِي

وَ زَرْتِهِ فِيهِ عِنْدَمَا كُنَّا يَافِعَيْنِ حَدِيثِي التَّخْرُجِ مِنَ الْأَكَادِمِيَّةِ الْحَرْبِيَّةِ , وَ إِذْ تَقَلَّدَ هَذَا
الصَّدِيقُ الْآنَ رُتْبَةَ (الْلَّوَاءِ) , أَذْرَكْتُ أَنَّ زِيَارَتِي إِيَّاهُ , قَدْ مَرَّ عَلَيْهَا بَضْعٌ وَ عَشْرُونَ
عَامًا تَوَهَّجَتْ شَمْسُ أَغْسَطُسَ فِي السَّمَاءِ وَتَلَبَّكَ الْمَرُورُ فِي الطَّرِيقِ , فَاضْطَرَبَتْ
أَفْكَارِي , ثُمَّ رَنَّ هَاتِفِي النَّقَالَ , لِيَذْكُرَنِي أَحَدُهُمْ بِمُوعَدِنَا فِي الْمَسَاءِ ,

لَمُلِمْتُ الشَّوَارِدَ وَالسَّوَانِحَ , وَطَوَيْتُ كِتَابَ الذِّكْرِيَّاتِ وَ قَفَلْتُ عَائِدًا لِلْمَعَادِي
سَالِكًا طَرِيقَ كُورْنِيشِ النَّيْلِ , فِي بَطْنِ سُلْحَفَةٍ عَجُوزٍ حُبْلَى بَعْدَ الْمَشِيبِ !

وَ بَعْدَ رَدْحٍ مِنَ الزَّمَانِ , وَصَلْتُ مَنْزِلِي وَ أَنَا مِنْ نَشْوَةِ الذِّكْرِيَّاتِ فِي غَايَةِ مِنَ
الطَّرَبِ , وَ إِذْ انْتَبَهْتُ إِلَى أَنَّ يَدَايَ أَفْرَغٌ مِنْ فَوَادِ أُمِّ مُوسَى , بَعْدَمَا غَفَلْتُ عَنْ شِرَاءِ
الْأَغْرَاضِ الَّتِي ذَهَبْتُ مِنْ أَجْلِهَا إِلَى شُبْرَا , اضْطَرَرْتُ إِلَى اخْتِرَاعِ عُذْرٍ وَ حَبْكَةٍ ,
تَوْقِيًا وَ تَهْرَبًا مِمَّا يَنْتَظِرُنِي مِنْ حِسَابِ عَسِيرٍ , مِنْ رَبَّةِ الدَّارِ بَعْدَ غِيَابِي سَحَابَةِ
النَّهَارِ ...

جoooooooooول

بعد أكثر من قرنٍ على اختراعها , لا تزال كُرَةُ الْقَدَمِ هِيَ اللَّعْبَةُ الْأَكْثَرُ شَعْبِيَّةً عَلَى مُسْتَوَى الْعَالَمِ وَ رَغْمِ إِنَّهَا لَيْسَتْ فِي عِرَاقَةٍ وَتَنَوُّعِ أَلْعَابِ الْقَوَى وَلَا إِبْدَاعِ الْجُمْبَازِ وَلَا فِي تَنْظِيمِ وَسَلَاةِ السِّبَاحَةِ , إِلَّا أَنَّهَا أَصْبَحَتْ عِلْماً وَ فَنّاً وَ بِيْزْنِسَ بِالْمِلياراتِ عَلَى مَدَارِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ

الرَّيَاضَةُ مَكْسَبٌ وَخَسَارَةٌ , وَالْكُورَةُ أَجْوَالٌ , وَتَظَلُّ لَحْظَةً إِحْرَازِ الْهَدَفِ , هِيَ دُرَّةُ التَّوَهُجِ
وَقِمَّةُ أَنْفَعَالِ اللَّاعِبِينَ وَالْجَمَاهِيرِ , وَ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ هَذِهِ الدَّرَجَةِ وَذَلِكَ الْأَنْفَعَالِ كُلِّ شَيْخٍ وَ لَهُ طَرِيقَةٌ , وَ كُلِّ لَاعِبٍ وَ لَهُ أَسْلُوبٌ وَ بَصْنَمَةٌ .

قَدْ تَبْدُو الْمَسْأَلَةُ عَفْوِيَّةً وَ لَحْظِيَّةً وَ بَسِيطَةً , لَكِنْ بِقَلِيلٍ مِنَ التَّأَمُّلِ وَ التَّعَمُّقِ , سَتُدْرِكُ أَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ وَ مُعَقَّدَةٌ وَ غَالِباً مُخْطَّطَةٌ , بِمُرَاعَاةِ عَوَامِلَ كَثِيرَةٍ وَ مُتَشَابِكَةٍ بَعْضُهَا ظَاهِرٌ , وَ الْبَعْضُ الْآخَرُ خَفِيٌّ , وَ جُزْءٌ مِنْهَا فِي مَنْطِقَةِ الْوَعْيِ وَالْإِدْرَاكِ , وَ الْجُزْءُ الْآخَرُ , هَيْسْتِيرِيٌّ وَ بَيْنِي وَتُرَاثِي , بَيْدُورٌ مَعَ تَفَاصِيلِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ,

وَلَا يَسْتَوِي هَدَفٌ بِمَهَارَةٍ فَرْدِيَّةٍ , مَعَ هَدَفٍ نَاتِجٍ عَنْ عَمَلٍ جَمَاعِيٍّ ,
وَلَا يَتَشَابَهُ اخْتِفَالٌ نَاشِئٌ غَرِيرٌ , مَعَ اخْتِفَالٍ نَجْمٍ مُخْضَرَمٍ ,
وَلَا يَسْتَوِي هَدَفٌ فِي أَوَّلِ الْمُبَارَاةِ أَوْ وَسْطِهَا , بِهَدَفٍ فِي الْوَقْتِ الضَّائِعِ ,
وَلَيْسَ سِوَاءً , هَدَفٌ تَتَقَدَّمُ بِهِ فِي مُبَارَاةٍ , بِهَدَفٍ تَرْبُحُ بِهِ كَأْسَ بَطُولَةٍ ,
كَمَا إِنَّ أَهْدَافَ مُبَارِيَّاتِ (الدِّيرْبِي) لَهَا مَذَاقٌ خَاصٌ وَقِيَمَةٌ مُضَاعَفَةٌ ,
أَمَّا التَّهْدِيفُ فِي الْمُسَابَقَاتِ الْقَارِيَّةِ , وَ فِي الْفِرَقِ الَّتِي انْتَمَى لَهَا الْهَدَافُ فِيمَا مَضَى ,
فَحَدِّثْ عَنْهَا وَ لَا حَرَجَ !

وعلى مدار تاريخ اللعبة، كان اللاعبون الذين يحتفلون بالأهداف ينقسمون إلى أنماطٍ مُعيَّنة فهناك مَنْ يكتفى بالجري نحو الرُّملاء أو الجُمهور مع رفع الأذرع أو التلويح بالقبضات ، وهناك مَنْ يتقافز في الهواء أو يصلُ لراياتِ الجانبِ أو كُرسى الإحتياط ، من ناحيةٍ أخرى ، يكتفى بعضُ اللاعبين بتقبيل شعارِ التّادى على قُمصانهم أو خواتم زواجهم

و بعضُ اللاعبين تفيضُ بهمُ الحماسةُ ، فيصلونَ إلى أسوار الملعب لاحتضان مُشجعي فريقهم ، أو استفزاز مشجعي الخصم ! ثمة آخرون يكتفون بسجود الشُّكر أو ترشيم الصِّليب ،

وثمة أساطيرُ احتفظَ التاريخُ باحتفالاتهم فى الذاكرة ،

فعندما فازت البرازيل بكأس العالم للمرّة الثالثة رفع اللاعبون بيليه فوق الأعناق ، و لا أحد ينسى هينستيريا احتفالات كيمبس يوم فازت الأرجنتين على أرضها بكأس العالم باولو روسى أيضا كان أيقونيا بعدها بأربع سنوات فى إسبانيا ، أما مارادونا فى المكسيك ، فقد كان أعجوبة عصيّة على النسيان ،

بعضُ اللاعبين يُبالغون فى الاحتفال فينقدون مَشاهد مُخطّطة سلفا ، منهم مَنْ يقدّر دوراتٍ كاملةً متتاليةً فى الهواء مثل المكسيكى هوجو سانشيز و الألمانى ميروسلاف كلوزه ، و آخريّن يرفعون قُمصانهم عن قُمصانٍ داخلية أو أوشامٍ تحملُ رسالةً مُعيَّنة ،

رونالدينو كان يرقص السامبا و جريزمان كان ينثر قُصاصات الورق الملونة و فرانشيسكو توتى التقطَ صورة سيلفى مع الجماهير و مُحمّد زيدان خلَعَ جِذائهُ و تلاعبَ به فى الهواء وكسّر الحِضرى ثمرة بطيخ و أكلها فى الملعب !

[143]

كَرَامَاتُ الظِّلِّ وَ لَعْنَاتُهُ

بالأمس نعى النّاعى الشيخ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ الطَّبْلَاوي

(1934/11/14 : 2020/5/5)

سُلَافَةٌ عِبَاقِرَةٌ دَوْلَةُ التَّلَاوَةِ , وَ آخِرَ حَبَّاتِ الْعِقْدِ الْفَرِيدِ , فَغَصَّ الْقَلْبُ بِالْحَسْرَةِ وَ شَرَقَتْ الْعَيْنُ بِالذَّمْعِ , وَ لَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضَى رَبَّنَا , جَزَى اللَّهُ الْفَقِيدَ خَيْرًا عَنْ عُمْرٍ أَنْفَقَهُ فِي خِدْمَةِ آيِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ , وَأَسْكَنَهُ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ ,

لَكِنِّي تَوَقَّفْتُ عِنْدَ مَسْأَلَةٍ تَبْدُو بِسَيِّطَةً لَكِنَّهَا ذَاتُ مَعَانٍ وَ دَلَالَاتٍ , إِذْ أَنَّ ظُرُوفَ الْحَجْرِ الصَّحَى لَوِبَاءِ الْكُورُونَا وَحَظَرَ التَّجَوُّالَ وَمَنَعَ التَّجْمُعَاتِ , تَحَوَّلَ دُونَ أَنْ يَحْظِيَ آيَ مُتَوَفٍّ بِالتَّكْرِيمِ اللَّائِقِ , مِنْ حَيْثُ عَدَدُ شَهُودِ الْجَنَازَةِ وَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَ حُضُورِ مَرَامِ الدَّفْنِ ثُمَّ سُرَادِقِ الْعَزَاءِ , لَكِنَّ مُحَبَّبِي الشَّيْخَ الطَّبْلَاوي وَ عَارَفِي فَضْلَهُ , كَفَلُوا لَهُ هَذَا التَّكْرِيمَ , مَا لَا يَعْرِفُهُ كَثِيرُونَ , أَنَّ جَارَةً لَهُ - فِي ذَاتِ الْعَقَارِ - تَوَفَّاهَا اللَّهُ فِي الْيَوْمِ عَيْنِهِ لَتَحْظِيَ - مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي - بِجَنَازَةٍ مُكْرَّمَةٍ مَعَ جَارِهَا الْجَلِيلِ , وَ يَتَدَاعَى إِلَى الدَّهْنِ هُنَا , عِدَّةَ حَالَاتٍ عَلَى مَرِّ السَّنِينَ , لَعَدِدٍ مِنْ بُسْطَاءِ النَّاسِ فِي قَرَيْتِي الْجَمِيلَةِ تَوَفَّاهُمْ اللَّهُ عَشِيَّةَ آيٍ مِنَ الْعِيدَيْنِ , فَتَمَّتْ صَلَاةُ الْجَنَازَةِ عَلَى أَرْوَاحِهِمُ الطَّاهِرَةِ , عَقَبَ صَلَاةَ الْعِيدِ مُبَاشَرَةً بِحُضُورِ آلَافِ الْمُسْلِمِينَ وَ هِيَ كَرَامَةٌ غَيْرُ مَنكُورَةٍ وَ فَضْلٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ .

على الجانب الآخر , ثُمَّ عُظْمَاءُ مِنَ الْمَشَاهِيرِ , تَقَعُّ وَفَاتُهُمْ , حَالَ انْشِغَالِ النَّاسِ

بِحَدَثٍ يَلْفُتُ عَنْهُمْ الْإِنْتِبَاهَ , وَيَضَعُهُمْ فِي زَوَايَا الصَّمْتِ وَ الْعُثْمَةِ , فَتَمُرُّ الْجَنَازَةُ مَرُورَ الْكَرَامِ دُونَ رَصْدٍ أَوْ تَكْرِيمٍ , وَ مِنْ أَشْهُرِ الْأَمْثَلَةِ فِي هَذَا الصَّدِّدِ , فَنَّا نُ الشَّعْبِ الْمَوْسِقَارِ سَيِّدِ دَرْوِيَشِ (1923/1892) وَ الْأَدِيبِ مُصْطَفَى لُطْفِي الْمَنْقَلُوطِي

(1876 / 1924)

الَّذَانِ تَوَفَّاهُمَا اللَّهُ مُنْتَصَفَ عَشْرِينَاتِ الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ , دُونَ أَنْ يَنْتَبِهَ لِأَيِّ مِنْهُمَا الرَّأْيُ الْعَامُ الَّذِي كَانَ مَشْغُولًا مَرَّةً بِالْإِحْتِفَالِ بِرَجُوعِ (سَعْدِ بَاشَا زَغْلُولِ) مِنَ الْمَنَفَى وَ أُخْرَى بِالْإِحْتِفَالِ بِنَجَاتِهِ مِنْ مُحَاوَلَةِ اغْتِيَالِ نَجْمِ عَنْهَا إِصَابَتُهُ ,

و في 2001/9/9 , جرى اغتيال بطل المقاومة الأفغانّيّة (أحمد شاه مسعود)
المشهور بأسد بانجشير لكنّ الواقعة مرّت في صمتٍ مُريب !
إذ كان العالمُ كُلُّه مشغولاً بحادث تفجيرات بُرجيّ مركز التجارة العالمي في نيويورك
في 2001 / 9/11 .

يَا رَبِّ كَرِّمَكَ عَلَيْنَا , يَا رَبِّ نَصْرَكَ مَعَانَا

لِي صَدِيقٌ عَزِيزٌ مِنْ مُحِبِّي أَهْلِ الْبَيْتِ - عَلَيْهِمْ رِضْوَانُ اللَّهِ - , يَحْرُصُ ذَلِكَ
الصَّدِيقُ عَلَى

أَنْ يُرِطِبَ حُلْفَهُ وَيُعِطِّرَ لِسَانَهُ , بِالذِّكْرِ عَامَّةً , وَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ خَاصَّةً ,
أَبْصَرَ هَذَا الصَّدِيقُ - يَوْمًا - فِي يَدَي مِسْبَحَةٍ , أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى التَّهْلِيلِ وَ التَّكْبِيرِ
وَالْحَوْقِلَةِ وَالْحَمْدَةِ وَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُصْطَفَى , فَتَلَطَّفَ مَعِيَ قَائِلًا :
لَكَ عِنْدِي هَدِيَّةٌ قِيَمَةٌ , عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ ,

بَعْدَ أُسْبُوعٍ , أَقْبَلَ عَلَى هَاشِمًا بَاشًا , وَنَاوَلَنِي مِسْبَحَةً مَثْوِيَةً , هَاكَ مِسْبَحَةً مِنْ خَشَبِ
الْكُوكِ (جُوزِ الْهِنْدِ) , مُضْمَخَةً بِعِطْرِ الْمِسْكِ , مِنْ رَحَابِ مَسْجِدِ سَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ ,
شَكَرْتُهُ وَ أَثْنَيْتُ عَلَيْهِ وَ دَعَوْتُ لَهُ , وَ بَعْدَهَا لَازِمَتْنِي الْمِسْبَحَةُ لَا تُفَارِقُ أَنَامِلِي ,

سَيِّمَا وَ قَدْ قَرَأْتُ عَنْ طَاقَتِهَا الْإِيجَابِيَّةِ وَطَرْدِهَا لِلْسَّحَرِ وَ الْمَسِّ وَ الْحَسَدِ وَ قَرَيْنِ
السَّوِّءِ , حَتَّى قِيلَ أَنَّهَا قَدْ تَنْفَعُنِّي أَوْ تَنْفُلِقُ , رَدَّءًا لِحَامِلِهَا وَفِدَاءً لَهُ , إِذَا لَاحَ لَهُ أَحَدُ
الْمَظَانِّ السَّابِقَةِ !

بَعْدَهَا وَ فِي زِيَارَتِي الْأُسْبُوعِيَةِ لِلْمَرْحُومِ وَالِدِي , أَبْصَرَ الْمِسْبَحَةَ الْجَدِيدَةَ فِي يَدَي
فَتَنَاوَلْتُهَا وَ تَبَسَّمْتُ , وَ كُنْتُ أَعْرِفُ عَنْهُ حَبَّةً لِلْمَسَابِحِ عَامَّةً , وَ الْخَشَبِ وَ الْكُهْرْمَانِ
خَاصَّةً , وَ شَرَدْتُ خَوَاطِرُهُ وَ تَدَاعَتْ الذِّكْرِيَّاتُ :

.. وَرَثْتُ عَنْ جَدِّي مِسْبَحَةً يُسَرُّ , مِنْ الْمَرْجَانِ الْأَسْوَدِ وَهُوَ حَجَرٌ كَرِيمٌ مِنْ شِعَابِ
الْبَحْرِ يَعْتَقِدُ الْعَامَّةُ أَنَّ لَهُ يُمْنٌ وَبَرَكَهٌ , تَجْلِبُ الرِّزْقَ وَ الْخُصُوبَةَ وَ تَدْفَعُ الْعَيْنَ وَ
الْوَحْمَ , علاوةً عَلَى أُسْطُورَةِ بُرْءِ السَّقِيمِ وَتَيْسِيرِ مَشَاقِ الْمَخَاضِ ,

صَمْتُ أَبِي لِبُرْهَةٍ ثُمَّ بَاغَتْنِي بِالسَّوَالِ :

هَلْ تُصَدِّقُ لَوْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ تِلْكَ الْمِسْبَحَةَ كَانَتْ تَتَكَاثَرُ , فَيَبْزُغُ مِنَ الْحَبَّةِ الْقَدِيمَةِ ,
أُخْرَى وَلِيدَةً , فَغَزَتْ فَاهَاً وَ لَمْ أَنْبِثْ بَيْنَتْ شَفَةَ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَ مُنْذَهَشٍ !

يا مين يقول لى أهوى .. أسقيه بإيدى قهوه

كُنَّا نَتَرَيُّضُ فِي النَّادِي ، وَ إِذْ غَلَبْنَا الْحَرَّ وَالْإِرْهَاقَ ، آوَيْنَا إِلَى الظِّلِّ نَسْتَرِيحُ ،
 رَاجِعِنَا نَادِلَ الْمُقْصَفِ ، فَطَلَبْتُ وَ زَوْجَتِي عَصَائِرَ طَارِجَةِ ،
 وَ طَلَبْتُ الْبَنَاتُ تَنْوِيعَاتٍ أَعْجَبِيَّةَ عَلَى الْقَهْوَةِ (لَاتِيهِ وَ فَرَابْتَشِينُو وَ مَوَّكََا) ،
 فَظَنَرْتُ إِلَيْهِمْ بَعِينَ الدَّهْشَةِ وَ لَا أَقُولُ الْاسْتِنْكَارَ !
 وَ شَرَدْتُ بِي الْأَفْكَارُ إِلَى الزَّمَانِ الْأَوَّلِ ، يَوْمَ كُنَّا نَمِيزُ الْقَهْوَةَ عَنِ الْمَشْرُوبَاتِ الْمُعْتَادَةِ
 (شَايَ / حَلْبَةِ / يَنْسُون) وَ نَعْتَبِرُهَا شَأْنًا هَامًا ، يَخْصُ عَلَيْهِ الْقَوْمُ مِنْ أَعْيَانِ الرِّجَالِ
 دُونَنَا عَنِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ !

فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ ، عَرَفَ النَّاسُ فِي (الْيَمَنِ) حُبَّوبَ الْبُنِّ ،
 وَ بَعْدَهَا فِي (إِثْيُوبِيَا) عَرَفُوا مَشْرُوبَ الْقَهْوَةِ وَمِنْهَا - وَ عَبْرَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ - وَصَلَ
 الْمَشْرُوبُ مَعَ الْحُجَّاجِ وَ التُّجَّارِ وَطَلَبَةِ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ ، إِلَى الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَ
 مِصْرَ ثُمَّ مِنْهَا إِلَى تُرْكِيَا وَ فَارَسَ وَ مَوَائِي الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ جَنُوبَ أُوْرُوبَا ثُمَّ سَائِرِ
 أُنْحَاءِ الْعَالَمِ ...

وَ رَغْمَ أَنَّ صُوفِيَّةَ الْيَمَنِ وَ أَزْهَرِيَّيْهَا ، تَبَنُّوْا هَذَا الْمَشْرُوبَ ، لِأَثَرِهِ الْمُنْبِّهِ وَ الْمُنَشِّطِ
 وَ هُوَ مَا يُعِينُ عَلَى الْعِبَادَةِ وَ الدَّرَاسَةِ ، إِلَّا أَنَّ عُلَمَاءَ الدِّينِ حَرَّمُوهُ لِسُنَيْنِ طَوِيلَةٍ ،
 بَعْدَ أَنْ اعْتَبَرُوهُ صِنْفًا مِنَ الْخَمْرِ يَتَلَاعَبُ بِالْعَقْلِ !
 وَ ظَلَّ الشَّدُّ وَ الْجَذْبُ طَوِيلًا ، حَتَّى نَجَمَ عَنْ هَذَا الصِّرَاحِ وَقُوعُ ضَحِيَّةٍ - كَانَ تَاجِرًا
 لِلْبُنِّ - فَوَزَّعَ مَشِيعُوهُ قَهْوَةً سَادَةً (دُونِ سَكَّرٍ) فِي جَنَازَتِهِ ، وَ صَارَتْ عُرْفًا ،
 وَ تَحَوَّلَ الرَّأْيُ إِلَى إِجَازَةِ الْقَهْوَةِ وَ تَحْلِيلِهَا وَ مَشْرُوعِيَّةِ شَرْبِهَا ،

حَلَاوَةُ طَعْمِ الْقَهْوَةِ ، وَأَثَرُهَا الْمُنْبِّهِ الْمُنَشِّطِ ،
 وَ فَوَائِدُهَا الصَّحِيَّةَ عِلَاوَةً عَلَى سَهُولَةِ إِعْدَادِهَا

و رخص أسعارها , وفّر لها رصيذاً ضخماً من المحبّة و الشّعبيّة لدى الخاصّة والعامة حتى خُصّصت أماكن لشربها تحمل اسمها , و تعدّدت طرق إعدادها بحسب ظروف المكان و تراث المجتمع , فهناك الطريقة العربيّة و التركيّة والفرنسيّة وسواها

و حُبُّ البُنِّ و مشروبُ القهوة الذي يبدو شائناً بسيطاً لا يؤبّه به , يُعدّ مجالاً ضخماً للمال

والأعمال , وتجارة تُتداول فيها مليارات الدولارات , لدرجة أنّ البعض يذهب إلى أنّ البُنِّ / القهوة يحتلّ المركز الثاني - بعد النّفط - في ترتيب أكثر السلع تداولاً على مُستوى العالم و ما حديث (كوستا) و (ستار بكس) ببعيد ,

مُعظم الناس ينظرون للقهوة , نظرتهم لسائر المشروبات , ببساطة و أريحية , لكنّ البعض يعتبر القهوة طُقساً , له مراسيم و ترتيبات و أجواء , بروتوكولات تبدأ باختيار أنواع مُعيّنة من حُبِّ البُنِّ : إثيوبي / يمني / برازيلي , و بعدها يميزون بين درجات التحميص : فاتح / وسط / غامق , ثم نصل لمحطّة التحويل , و هذا بابٌ فيه تفصيل و كمّ من خلطات بُهارات و أعشاب يمكن مزجها بالبن بمقادير معيّنة , على الساخن أو البارد و في مواسم بذاتها فإذا وصلنا لمرحلة التسوية على النار , فإنّ أهل الكيف من محبّي القهوة , يفضلون استعمال الماء البارد في إناء (كنكة) نحاس , على نار الحطب / الفحم أو موقد الكحول , دون أي سكر , على أن تُصنّب في فنجان خزفي بمُراعاة الحفاظ على طبقة الوجه , و تُشرب على مهل , مع سحبات شهيق خفيفة مُوسّقة , حتى تُنهي سلافة القاع (التنّة) , فإذا انتُهكت أيّ من إجراءات ذلك البروتوكول , فأنت بين جاهلٍ أو مُجذّف !

على مُستوى آخر , ثمّ أناسٌ يربطون بين القهوة والتّدخين , و آخرون لا يستغنون عنها عقَب وجبات الطّعام , و هناك من يستفتح بها صباحه أو دوام عمله , و بعضهم تتابع معه فناجيئها بلا فواصل , و أعرّف صديقاً لا يستمتع بقهواه , إلّا إذا كانت صنّع يُمناه , و آخر يُكرّر قهوة البيوت , و يقصرُ اعترافه على قهوة محال الخارج (مقه / فنادق / مطاعم) ,

على المستوى الشخصي ، أعد نفسي من أهل الشاي ،
احترم القهوة ، ولكني لا أحبها ، لا أطلبها و لا أرفضها ،
و أعتبر كل زخرفة فيها باللبن أو القشدة أو الثلج ،
تهريجاً يخل بما لها من قيمة و وقار !

و اَرْكَبَ الحَنْطُور .. و اَتَحْنَطِرْ

و الحَنْطُور , بالجوز الخيل و العربيّه ,

و الفوانيس و الأجراس ,
و الأمبريللا و السِّلْم المتبَطَّن جُلْد ,

و السَّايِس أبو طَرْبُوش بالكُزْباج المِطْرَقع ,
و تزريق العَجَلات الخَشَب مع وَقْع حوافِر الاخْصِنه ,

كان بالنَّسبه لجيلنا الشَّهيد من مواليد السَّبْعينات ,
جَلَم من فانتازى لاند ,
أو حواديت ألف ليله و ليله و رحلات ابن بطوطه ,
و أضابير ابن إياس و الجَبْرَتى و حتى مقامات المويِّلحى و حديث عيسى بن هشام ,

بس تخطى العتبه , و تطلع سلّم الحَنْطُور , و تنجّص فى الكنبة الجلد ,
و يترجرج ضهره على إيقاع حوافر الخيل , اللى بتحمم على تيمبو رنة الجرس
تحس كأنك ركبت بَساط ريح سحرى , يطوف بيك المكان و الزَّمان ,

و لا أجدع باشا عثمانى أو بيه مملوكى أو إقطاعى بخراوى أو شيخ عرب صعيدى ,

و لا عزاء للأوتومبيلات و السّوارِس و التّرامويات و التاكسيات و الكازيتات و
التّكاتِك , أو خاملى الذِّكر (أوبر) و (كريم) و (إن درايفر) !

و عُقْدَةُ الْخَوَاجِه لَمَّتْ مَا خَلَّتْ , حَتَّى فِي الطَّيُورِ

الدَّيْكَ الرَّومِي - وَأُنْثَاهُ الدَّجَاجَةُ الرَّومِيَّةُ وَ صَغِيرُهُ الْبَيْبِيُّ - هَذَا الْكَائِنُ اللَّطِيفُ ,
بِلُحْيَتِهِ الْحَمْرَا وَ مَرْوَحَةِ رِيشِهِ الطَّاوُوسِيَّةِ وَ صَوْتِهِ الْعَجِيبِ وَ مَشْيِهِ الْوَفُورِ
وَ الزَّايِدَةِ الْجَلْدِيَّةِ الْمَدْلِيلَةِ مِنْ مُنْقَارِ الدَّكُورِ !

دا غير أسمائه الكثير :
(حَبَشَ & عَزَّ & تُرْكِي & فِسْيَفِس & دَجَاجُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ...)
وَ جَنَسِيَّاتِهِ اللَّيِّ مَالِهَاشِ حَصْرُ :
(أَمْرِيكِي & هُولَنْدِي & بَرْبُون & بَلْدِي)

كَانَ مِلْخَبَطْنَا أَيَّامَ الطِّفُولَةِ , بِشَكْلِهِ الْمُخْتَلِفِ - ذَكَرَهُ أَكْبَرُ حَجْمًا وَ أَزْهَى أَلْوَانًا مِنْ
أُنْثَاهُ - عَنِ الْفِرَاحِ وَ الْبَطِّ وَ الْوَزِّ , وَ زَنَّهُ فِي الْمُعْدَلِ 4 : 5 كَجَم , وَ تَصِلُ لَضَعْفِ
ذَلِكَ الْوِزْنِ وَ أَحْيَانًا تَتَجَاوَزُ الْعِشْرِينَ كَجَم , وَ لَحْمُهُ مَنُجَمُ زَنْكٍ وَ فَوْسَفَاتٍ وَ غَنَى
بِالْبَرُوتِينَاتِ وَ الْأَحْمَاضِ الْأَمِينِيَّةِ , وَ يَضَعُ 130 بَيْضُهُ فِي السَّنَةِ , وَ لَكِنْ يَعْيبُهُ
حَسَّاسِيَّةُ صَحَّتِهِ وَ إِفْرَاطُهُ فِي الْحَرَكَةِ وَ احْتِيَاجُهُ لِمَسَاحَةِ أَكْبَرِ مِنْ بَقِيَّةِ الطَّيُورِ
مَعَ تَوَجُّسِهِ فِي التَّعَامُلِ مَعَهَا !

مَا كُنَّا بِنَرْتَاكِحَ كِمَانِ لِعَصَبِيَّتِهِ وَ تَنَاقُظِهِ فِي التَّعَامُلِ , وَ تَدْلِيلِ أُمَهَاتِنَا لِيَهُ عَنْ بَقِيَّةِ
الطَّيُورِ وَ حَتَّى عَنْ أَطْفَالِ الْبَيْتِ , لِدَرَجَةِ حَمَلِهِ وَ الطَّبْطَبَةِ عَلَيْهِ وَ إِطْعَامِهِ الْبَيْضَ
وَ الْخَسَّ فِي الْوَقْتِ الَّلِي الْعِيَالُ يَتَفَطَّرُونَ فَوْقَ وَ طَعْمِيَّةٍ !

دا غير اننا كُنَّا بِنُشَوِّفُهُ طَوِيلَ الْوَقْتِ فِي الْعِشِّ وَ السَّطُوحِ ,
وَ نَادِرًا مَا شَفْنَاهُ عَلَى الطَّبَالِي وَ طَرَابِيزَاتِ السُّفْرِهِ !
وَلَمَّا أَكْلَانَهُ , مَا لَقِينَا شَرْقَ بَيْنِهِ وَ بَيْنَ بَاقِي الطَّيُورِ ,
طَبَّ عَلَى آيَةِ الْعَوْجَانِ دَا كُلَّهُ !

وَ كُلُّهُ كُومٌ وَ قَنَاعَتُنَا إِنَّهُ مَا يَبْجِشُ اللَّوْنَ الْأَحْمَرَ وَ يَبْهَاجُ اللَّيِّ لَابِسَهُ
كُومَ تَانِي , أَحْسَنَ , خَلَّى الْأَهْلَؤِيَّةَ يَنْبُطُوا !

الدِّينُ لِلَّهِ , وَ الشَّاتِ لِلْجَمِيعِ

" فى مُناسبةٍ رُسميّةٍ كُبرى , كانَ الحُضورُ كثيفاً , من جميع الطَّبقاتِ و الجهات , استوقفنى وسطَ كُلِّ ذلكِ الصَّخَبِ , انشغال الجميع طوَالَ الوقتِ وحدَّ الهوسِ بهواتفهم النّقالة , مُحادثَةً و مُكاتبةً , و تجاوزتُ – مُستاءاً - عَنْ تلكَ الظّاهرة المُمضّة , حتّى صُدِمتُ بمِراى رَجُلٍ دِين (شيخٍ & قِسٍّ) بالصفِّ الأوّلِ , و بالأُردية البروتوكولية المُميّزة , لاهيين عن المَنصّة و الحُضور , و هُما يعبثان بأزرار هاتفيهما النّقالين , ففاضَ الكيل "

فى البيت و الغيط فى الجامع و الجامعه ,
فى الديوان و الميدان فى الصّحرا و البُستان ,
فى المواصلات و المُدرّجات فى المطاعم و الكافيهات ,
فى اسكندريه و أسوان جازدن سیتی و بين السّرايات ,
فى السّراير و الأنتريهات , حتّى السُّفره و الحمّامات ,
هوس اسمه (فونمانيا)
ما نجيش منه , الهاجع و لا النّاجع و لا النّایم على صرصور ودنه !

#يسقط الأيوس و الأندرويد

ماما حُلُوهُ

" .. كُلّ إنسان لازم يكون له موقف ,
يركب منه و ينزل فيه ! "

عن ناس كثير حوالينا , مطيّاتيه ,
لا ليهم في الطور و لا في الطحين ,
يهزروا في مواضع الجد ,
و يطبّطبوا عمّال على بطّال ,
لا يقطعوا عِرْق و يسيّحوا دمه
و لا يعينوا ظالم و لا ينصّفوا مظلوم ,
و واهمين إنّ البشاشه أو المُجاملة ,
تغنّى عن طيب الفِعال !
صحیح الكلام الزّين , يسد في الدّين ,
لكن السّيف أصدقُ إنباء من الكُتُب ,
و حُط ف عينك حصوة ملح ,
أنا مش هاكل و اشرب و أصرف كلام !

جَبْرُ الْخَوَاطِرِ

الدِّينُ الْحَنِيفُ يَتَشَعَّبُ إِلَى الْعَقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ ,
و إِذَا كَانَتْ الْأُولَى مَحَلًّا لِلْقَلْبِ وَالْعَقْلِ , وَالثَّانِيَةُ فَرَائِضُ وَ نَوَافِلُ وَ طَاعَاتُ بَيْنَ
الْعَبْدِ وَ رَبِّهِ فَإِنَّ الثَّالِثَةَ مَرْجِعُهَا الْأَخْلَاقُ وَ مدارها بَيْنَ الْعَبْدِ وَ مجتمعه
وَ هِيَ حَقِيقَةُ الشَّرِيعَةِ وَ غَايَتُهَا , إِذْ أَنَّ الدِّينَ الْمَعَامِلَةَ .

وَإِذَا كَانَ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ , أَنْ تَوَدَّى الْوَاجِبَ وَتَقْتَضَى الْحَقَّ ,
فَإِنَّ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ , أَنْ تُبَادِرَ بِمَكَارِمٍ لَا يُلْزَمُكَ بِهَا نَقْلٌ أَوْ عَقْلٌ ,
فَقَطَّ عَلَى سَبِيلِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِتَوَلِّيفِ الْقُلُوبِ وَجَبْرُ الْخَوَاطِرِ ,
وَ قِيلَ أَنَّهُ لَمْ يُعْبَدْ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ جَبْرِ الْخَوَاطِرِ ,
وَ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ,
يَجْبِرُ خَوَاطِرَ عِبَادِهِ وَيَأْمُرُهُمْ بِجَبْرِ خَوَاطِرِ بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ ,

فهذا الحبيبُ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه و سلم) يَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ مَخْذُولاً مُطَارَداً ,
فَيَجْبِرُهُ رَبُّهُ :

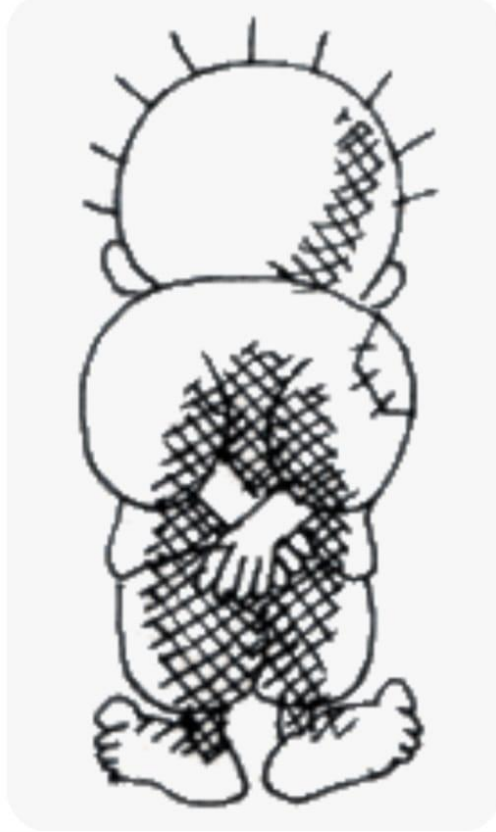
"إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ", وفي موضع آخر من الذِّكْرِ الْحَكِيمِ:
"فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا" , وَ فِي سُورَةِ (عَبَسَ) , يُعَايِبُ الْمُؤَلَّى عَزَّ وَجَلَّ
مُصْطَفَاهُ , عَلَى كَسْرِهِ خَاطِرَ (عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ) مُؤَدِّنَهُ الضَّرِيرَ حَالَ انْشِغَالِ
النَّبِيِّ بِدَعْوَةِ بَعْضِ وَجْهَاءِ قُرَيْشٍ , وَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ يَوْمَ الرِّسُولِ عَشِيرَتَهُ وَيَغْفُو
عَنْهُمْ وَ يَجْبِرُ خَاطِرَ سَيِّدِ الْقَوْمِ (أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ) , بِالمَسَاوَةِ بَيْنَ دَارِهِ وَ
الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ فِي تَأْمِينِ الْقَوْمِ ,
وَ حَالَ النَّظَرِ فِي أَسْرَى الْمُشْرِكِينَ فِي (غَزْوَةِ بَدْرٍ) , يَجْبِرُ الصَّحَابَةَ خَاطِرَ نَبِيِّهِمْ
بِإِطْلَاقِ سَرَّاحِ زَوْجِ ابْنَتِهِ (زَيْنَبَ) وَ يَرُدُّوْا لَهَا قِلَادَتَهَا
الْمُورُوثَةَ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ الرَّاحِلَةِ (حَدِيجَةَ) ,

بَلْ إِنَّ جَبْرَ الْخَوَاطِرِ يَرُدُّ عَلَى الْحَيَوَانِ وَالْجَمَادِ , فَقَدْ بَشَّرَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ بِالْجَنَّةِ ,

إمراً عطفً على كلبٍ و روتَ ظمأه , و كُلُّنا يعلمُ أنينَ جِزعِ النخلةِ الذي كانَّ
يخطبُ النَّبِيُّ فوقَه لفراقِه لما بُنِيَ له منبرٌ ,
فإذا بالمُصطفى يربُّ على الجِزعِ و يتلطفُ به !

و هلْ هناك أجبر للخواطرِ مِنَ الأمرِ بوصلِ ذوى القُربى واليتامى و المَساكين
الذين يحضرون قِسْمَةَ التَّركاتِ بعطيَّة ,
مع الحُضِّ على أن نقولَ لَهُم قولاً مغروفاً , و السَّعي في قَضاءِ حوائجِ النَّاسِ يُعدُّ
من أكرمِ صورِ جَبْرِ الخواطرِ مع التَّبسُّمِ في الوجوه و اللطفِ في القولِ وإجابةِ
الدعوةِ والعطيَّةِ و الهديةِ والصَّبْرِ على الأذى والعفو عند المَقْدرة .

مُتُونُ السِّيَاسَةِ



- تَفْهَمُ فِي السِّيَاسَةِ , يَا واد يا زَيْكَا ؟

- اَفْهَمَ فِي السِّيَاسَةِ , أَنَا الشَّعْبُ !

الفصل بين السلطات

على طاولة مَطْعَم مَشَوِيَّاتٍ لَطِيفٍ , على ضِقَّةِ الذَّيْلِ , التَّنَمُّ شَمْلُ الأُسْرَةِ ,

و عَندَما بدأ الذَّادِلُ فى صَفِّ أَطْباقِ المُقَبَّلَاتِ و السَّلَاطاتِ ,

حَرَصَتْ صُغْرَى بِناتى على (الفصل بين السلطات)

وإعادة توزيعها بالمواعمة مع الذَّظام و أمْرِجَةِ الحُضورِ ,

فشاغِبْتُها قَائِلاً : كانَ ذلكَ أوَّلَ مَبْدَأٍ تَعَلَّمْنَاهُ فى القانونِ الدِّستورى

بالسَّنةِ الأولى بِكُلِّيَّةِ الحَقُوقِ , ارْتَبَكَ الجَمِيعُ و لَمْ تَصْلُهمُ الرِّسالةُ ,

أو ذُكِّتْهُ التَّلَاعِبِ بِالْجِناسِ بَيْنَ (السَّلَاطاتِ) و (السُّلطاتِ) ,

خَتَمْتُ وَصْلَةَ الدُّعَابَةِ بِالْقَوْلِ , بِأَنَّا أَكْتَشَفْنَا بَعْدَ التَّخَرُّجِ ,

أَن ما يُدْرَسُ فى الجامِعةِ (حَمادَه) ,

و ما يَحْدُثُ على أَرْضِ الواقِعِ (حَمادَه تانى خالِص) ,

و غُمَّ عَلَيْهِمُ الفَهِمُ , و قَبَّلَ أَنْ يَبادِرُوا بِالاسْتِفْصارِ

أو أَتَوَرَّطَ أنا فى مَزِيدٍ مِنَ الشَّرْحِ أو حَتَّى (الأَلَش) أنْقَذَنِى الذَّادِلُ ,

حِينَ وَصَلَ حَامِلاً شَوَايَاتِ الفَحْمِ فَوْقَها الكَبابِ المُدَخَّنِ ,

فَتَوَجَّهْتُ العَيُونَ و الأَذانُ و الأَكْفُ و الأَذْهانُ , تَلْبى نِدَاءِ سَيِّدِ الطَّعامِ !

قصر الوالي , طبعاً عالي , مليان حتى , لو الكون خالى

[و بعد وفاة عبد الناصر فجأة - فى 28 سبتمبر 1970 , و فى فورة العواطف , قررت دول (مصر & السودان & ليبيا & سوريا) الاندماج فى كيان واحد , بقرارات فوقية , لم تُصاحِبها أية إجراءات سيادية أو تنفيذية على الأرض , و كما ظهر الاتحاد فجأة , اختفى - بعد شهر - فجأة , و لم يبق من آثاره إلا مقره الذي سُمي قصر الاتحادية و صار لاحقاً مقرّ عمل للرئيس المصري .]

فتح المسلمون مصرَ عام 642 م بجيش يقوده عمرو بن العاص , فى عهد الفاروق عمر بن الخطاب , و منذ ذلك التاريخ , ظلّ مقرّ الحاكم - أيّاً كان مُسمّاه - فى عُقْدَةٍ تفرّع النيل على الشاطئ الشرقى منه (منطقة مصر القديمة حالياً) , حتّى صعد الأيوبيون به لقلعة صلاح الدين , على قِمّة هضبة المُقَطَّم , و ذلك فى أواخر القرن الثانى عشر , وظلّ هناك - نحو سبعة قُرُون - , حتى نزل به الخديوى إسماعيلُ إلى قصر عابدين جنوب مصر القديمة فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر , و عبرَ به مجلس قيادة الضباط الأحرار , إلى الشاطئ الغربى للنيل لنحو عامين , و بعدها اتجهَ به ناصر , إلى الشمال الشرقى بمنزله الكائن فى منطقة منشية البكرى , و بعدها عاودَ السّادات عبورَ النيل غرباً , ليحكم من منزله الكائن على نيل الجيزة , و فى مطلع الثمانينات عادَ مباركُ إلى قصر الاتحادية بمصر الجديدة , حيثُ سكن بجواره , و عقبَ خلع مبارك , ولنحو عامين , أدارَ المجلس العسكرى البلادَ من مقرّ وزارة الدفاع بحى قصر القبة , و منزل المُشير طنطاوي بالحلمية , و بعدها تولى مُحمّد مرسى المسئولية , فعَمِلَ بقصر الاتحادية مع استمراره فى السّكن بمنزله المُستأجر فى التّجمّع الخامس شمال شرق القاهرة , مع حضور لا يُغفل لمكتب الإرشاد بهضبة المُقَطَّم , و عقبَ خلع مرسى , و عقب ثورة 30 يونيو 2013 أدارَ الرئيس المؤقتُ المُستشارُ عدلى منصور البلادَ لمدّة عامٍ من قصر الاتحادية , ليستمرّ الرئيسُ السّيسى فى ذاتِ المقرّ عقبَ انتخابه رئيساً للجمهورية فى يوليو 2014 , مع الشّروع فى تأسيس العاصمة الإدارية الجديدة أقصى شمال شرق القاهرة .

صِنَاعَةُ الْقَادَةِ

كُنْتُ أَتَصَفَّحُ مَجَلَّةً قَدِيمَةً , حِينَمَا طَالَعْتُ بَعْضَ الصُّورِ لِقَادَةِ أُورَبِيِّينَ ,
 ثَنَائِيَّاتٍ مِنْ عَيْنَةٍ (هَيْلَمُوت كُول & أَنْجِيلَا مِيرَكِر) , (نَجْمُ الدِّينِ أَرْبَكَان &
 رَجَب طَيِّب أَرْدُوجَان) وَ (فِرَانْسُوَا مِيْتِرَان & جَاك شِيرَاك)
 فَشَرَدْتُ بَيَّ الْخَوَاطِرُ وَ انْدَاحَتْ دَوَامَاتُ الْأَفْكَارِ
 وَ عَادْتُ بَيَّ الذِّكْرِيَّاتِ , إِلَى أَيَّامِ حِزْبِ الْوَفْدِ الْمِصْرِيِّ ,
 يَوْمَ كَانَ لِسَعْدٍ بَاشَا زَغْلُولُ , عَشْرَاتٌ مِنَ الشَّرَكَاءِ وَ الْمُسَاعِدِينَ ,
 الَّذِينَ اسْتَوْفُوا الْمَوَاهِبَ وَ الْمُؤَهَّلَاتِ , خَاضُوا التَّجَارِبَ وَ رَاكَمُوا الْخِبْرَاتِ ,
 فَكَانُوا عِنْدَ حُسْنِ الظَّنِّ , عِنْدَمَا وُسِّدَتْ إِلَيْهِمُ الْأُمُورُ , بَعْدَ رَحِيلِ الرَّئِيسِ الرَّمَزِ ,
 عَذْلَى يَكُنْ & عَبْدُ الْخَالِقِ ثُرُوت & عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَهْمَى & مُصْطَفَى النَّحَاسِ &
 مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ & عَلِيٌّ مَاهِرٌ & أَحْمَدُ مَاهِرٌ & النُّفَرَاشِيُّ & مَكْرَمٌ عَبِيدٌ
 وَ وَقَرَ فِي قَلْبِي وَ لَاحَ فِي عَقْلِي ,
 أَنَّ الْقَائِدَ , لَا يَهْبِطُ مِنَ السَّمَاءِ , وَإِنَّمَا يَنْبُتُ مِنَ الْأَرْضِ ,
 وَ لَا يَكْفِي التَّعْوِيلَ عَلَى مَلَكَاتِهِ وَ مَوَاهِبِهِ ,
 إِنَّمَا الْأَوْفَقَ , أَنْ يَنْضَجَ عَلَى نَارِ التَّجَارِبِ وَ نُورِ الْخِبْرَاتِ ,
 وَ إِذَا كَانَتْ الدَّوْلَةُ تُعَانِي عَلَى صَعِيدِ اسْتِقْلَالِ الْمُؤَسَّسَاتِ وَ اسْتِقْرَارِهَا ,
 وَثَقَافَةِ الْمُجْتَمَعِ يَنْقُصُهَا مَقَوِّمَاتُ الْعَمَلِ الْجَمَاعِيِّ وَ مَبَادِئُ تَوَاصُلِ الْأَجْيَالِ ,
 فَإِنَّ السَّاحَةَ الْعَامَّةَ , تَضْحَى سَيْرَكَأً لِلْأَلْعَابِ الْحِمْلَانِ وَ النَّعَامِ ,
 وَ مُغَامِرَاتِ الضَّبَّاعِ وَ الطَّوَاوِيسِ !

دُهْمَاء ماء ... ماء

و إذا كانت فِكْرَةُ الْبَطْلِ الْفَرْدِ الْقَدِّ , قد فَقَدَتْ الْكَثِيرَ مِنْ مِصْدَاقِيَّتِهَا وَ جاذِبِيَّتِهَا ,
 فعلى النَّقِيضِ مِنْ ذَلِكَ , فَإِنَّ فِكْرَةَ قُطْعَانِ السُّدُجِ الْمَهْوَوسِينَ ,
 يَسَاراً أَوْ يَمِيناً وَ شَرْقاً أَوْ غَرْباً وَ قَدِيماً أَوْ حَدِيثاً ,
 مع الْأَسْفِ , لازالتْ تَحْمِلُ ذاتِ الْفُذْرَةِ على إثارةِ الْفَوْضَى وَ نَشْرِ الْحَرَابِ ,
 وَ الْقَطِيعِ فِكْرَةَ مَرْفُوضَةٍ ,
 بَعْضِ النَّظَرِ عَمَّا إِذَا كَانَ الدَّلِيلُ , يَغْتَمِرُ عَمَامَةً أَوْ يَتَقَلَّدُ رُبَّةً ذاتِ سَيْوْفٍ وَ نَجُومٍ وَ
 نَسُورٍ , أَوْ حَتَّى يَرْتَدِي عَوِينَاتٍ لَطِيفَةً وَ يَتَهْتَهُ بِرِطَانَةٍ أَعْجَمِيَّةٍ !
 وَ على طُولِ الرِّحْلَةِ وَ مَدَارِ الدَّرْبِ ,
 أَيْ مَكَانٍ (كَتَيْبَةٍ / مَسْجِدٍ / حِزْبٍ / صَالُونٍ / نَادَى / دِيْوَانٍ)
 طالِبِنِي فِيهِ أَوَّلُو الْأَمْرِ , بِالنِّقَةِ الْمُطْلَقَةِ وَ الطَّاعَةِ الْعَمِيَاءِ ,
 مع بَعْضِ التَّسْلِيمِ مِنْ هُنَا وَ الْإِدْعَانِ مِنْ هُنَاكَ ,
 كُنْتُ أُسَارِعُ بِسُحْبِ كَفِّي , وَ مَعَهُ عَقْلِي وَ قَلْبِي وَ جَسَدِي , مُغَادِرَا بِلَا عَوْدَةٍ
 أَيَّاماً كَانَتْ الْإِغْرَاءَاتُ أَوْ التَّهْدِيدَاتُ أَوْ الْعَوَاقِبُ أَوْ حِسَابَاتُ الرِّبْحِ وَ الْخَسَارَةِ !
 لِأَنَّهُ لَيْسَ أَنْكِي , مِنْ أَنْ تَهْبِطَ مِنْ عَلَيَّاءِ عَقْلِكَ , وَ تَنْتَازِلَ عَنْ سِرِّ خِلَافَتِكَ لِلَّهِ فِي
 الْأَرْضِ , لِتُنْحَشِرَ فِي صَفُوفِ قَطِيعٍ , تَضْحَى فِيهِ مَحْضَ رَقْمٍ أَوْ آلَةٍ ,
 تُنْفِذُ أَوَامِرَ وَصِيِّ مُتَعَالٍ , يَعْمَلُ لِصَالِحِ ذَاتِهِ فَقَطْ أَوْ حَتَّى زُمْرَتِهِ وَ الْحَاشِيَةِ.

الخِيطُ الرَّفِيعُ

" الشَّريفُ حُسينُ بنِ عَلِيٍّ الهاشمي (1853:1931) مَلِكُ الْعَرَبِ ,

قَائِدُ الثَّوْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْكُبْرَى ضِدَّ الْخِلَافَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ خِلَالَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى
(1914 : 1918) ,

تَحَالَفَ مَعَ الْإِنْجِلِيزِ (مُرَاسِلَاتِ الْحُسَيْنِ - مَکماهون) , ضِدَّ الْأَثْرَاكِ سَعِيًّا لِإِقَامَةِ
مَمْلَكَةِ عَرَبِيَّةٍ عَلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَ الشَّامِ وَ بِالْفِعْلِ تَمَّ تَنْصِيْبُهُ مَلِكًا عَلَى الْحِجَازِ , وَ
جَلَسَ أَبْنَاؤُهُ عَلَى عُرُوشِ سُوْرِيَا وَ الْعِرَاقِ وَ الْأُرْدُنِّ , وَ لَكِنْ سُرْعَانَ مَا انْقَلَبَ عَلَيْهِ
الْإِنْجِلِيزُ وَ الْفَرَنْسِيَّوْنَ بَعْدَ أَنْ عَقَدَا فِيمَا بَيْنَهُمَا اِتِّفَاقَ (سَايْکَس - بِيْکُو) لِتَقْسِيْمِ النِّفُوْذِ
فِي الْمُسْتَعْمَرَاتِ الْعَرَبِيَّةِ تَحْتَ ذَرِيعَةِ نِظَامِ الْاِئْتِدَابِ مِنْ قِبَلِ عُصْبَةِ الْأُمَمِ , فَفَقَدَ أَبْنَاءُ
الْحُسَيْنِ سُوْرِيَا وَ الْحِجَازَ - لَصَالِحِ فَرَنْسَا وَ آلِ سَعُوْدٍ عَلَى التَّرْتِيْبِ - ثُمَّ خَلَعَ الْعَسْکَرُ
سُلَالَتَهُ مِنْ حُكْمِ الْعِرَاقِ عَامَ 1958

وَ لَمْ يَتَبَقْ لَهُمْ سِوَى الْأُرْدُنِّ .. "

وَ فِي السِّيَاسَةِ لَا وَزْنَ لِلْمَبَادِيءِ أَوْ الْحَقُوقِ , وَ إِنَّمَا الْعِبْرَةُ بِالْمَصَالِحِ وَ مُوَازِيْنِ
الْقُوَى , وَ ثَمَّةُ خِيطٌ , أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَ أَحَدُ مِنَ السَّيْفِ ,

عَلَى كُلِّ حَرَكَةٍ تَحَرُّرٍ أَوْ ثَوْرَةٍ وَطَنِيَّةٍ , أَنْ تُمَيِّزَهُ بِبَصِيرَةٍ وَ تَجْتَازَهُ بِسَلَامٍ ,

وَ هُوَ التَّنْسيقُ مَعَ مَرَاكِزِ الْقُوَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ , وَ أَقْطَابِ النِّفُوْذِ الْخَارِجِيَّةِ , لِتَأْمِيْنِ
الْمَعْلُومَاتِ وَ تَدْبِيرِ التَّمْوِيلِ , وَ تَحَاشِيِ سُوْءِ الْفَهْمِ وَ الدَّسَائِسِ ,

لَكِنْ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ , لِلْأَسَفِ غَالِبًا مَا فَشَلَتْ تِلْكَ

الْحَرَكَاتُ وَ الثَّوْرَاتُ فِي إِدْرَاكِ ذَلِكَ الْخَطِّ وَ عُبُورِهِ بِنَجَاحٍ

وهو ما أفضنى إلى التّورطِ فى الصّفقاتِ المشبّوهة و المُحاصصةِ المذمومة ,
فتحوّلتُ إلى مَطيّةٍ مُسخّرةٍ لمُستعمرٍ مُستغلٍّ أو مُغامرٍ أفاقٍ مشروعٍ طاغية ,
و لا عِزاءَ للأوطانِ و المُجتمعاتِ ,
التي تُسدّدُ ثَمَنَ ذلكِ الفشلِ من وجودِها و حُرّيّاتها و ثروّاتها و مُستقبلِها .

أنا الدَّولةُ , و الدَّولةُ أنا

" لويس الرّابع عشر , المَلِكُ الشَّمْسُ , الذي جَلَسَ على عَرِشِ فَرَنْسَا لما يَزِيدُ على نِصْفِ قَرْنٍ مُفْتَتَحَ القَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ , نُسِبَتْ إِلَيْهِ تِلْكَ العِبَارَةُ , التي تَنْضَحُ دِيْكَتَاتُورِيَّةً وَ تَنْشَعُ جَبْرُوتَا

و تُرْجِعُ سُلْطَةَ الحُكْمِ فِي الدَّوْلَةِ إِلَى التَّقْوِيضِ الإِلَهِيِّ , وَ تَمْسُخُ وَجُودَ الشَّعْبِ وَ تُزْرِى بِالْأَرْضِ لِيَضْحَى المَلِكُ , هُوَ مَحَوْرُ الحَيَاةِ وَ أَصْلُ الوجودِ , وَ هِيَ أَفْكَارٌ وَ مُمَارَسَاتٌ أَفْضَتْ إِلَى نَشُوبِ الثَّوْرَةِ الفَرَنْسِيَّةِ فِي عَامِ 1789 وَ خَلَعَ لُويْسَ السَّادِسَ عَشَرَ وَ إِعْدَامِهِ مَعَ المَلِكَةِ مَارِي أَنْطُونِيَّتِ وَ إِنْهَاءِ مُلْكِ سُلَالَةِ البُورْبُون ... "

حَدُوتُهُ مُمِلَّةٌ حَذَّ السَّخَفِ ,

أَبُونَا الَّذِي فِي المَعْسَكَرَاتِ ,

يُرَاوِدُنَا عَنْ الكَرَامَةِ بِاللُّقْمَةِ ,

وَ يُهَشِّمُ جَنَاحَ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ , حَتَّى يُحَلِّقَ بِجَنَاحِ التَّنْمِيَةِ ,

فَيَقَعُ الوَاقِعُ , وَ يَمُرُّ العُمُرُ ,

وَ يَظِلُّ الوَطَنُ كَسِيحاً أَسِيرَ القَيْصَرِ ,

الَّذِي لَمْ يُطْعِمَهُ مِنْ جُوعٍ أَوْ يُؤَمِّنَهُ مِنْ خَوْفٍ

نَاصِر & سِيْسِي سِيْكَو & بُو رَقِيْبِهِ & مُوجَابِي

قَمِيصُ عُثْمَانَ وَ مِسْمَارُ جُحَا

و الشَّعْبِيَّةِ مِشْ بَدِيلَ لِلشَّرْعِيَّةِ ,

و الاثْنَيْنِ مَا يَغْنُوشُ عَنْ سِيَادَةِ الْقَانُونِ أَوْ الْحُكْمِ الرَّشِيدِ ,

وَلَا تُغْنِي شَرْعِيَّةُ الْبُلُوغِ وَالتَّمَكُّينِ , عَنْ شَرْعِيَّةِ الْإِنْجَازِ وَالاسْتِقْرَارِ ,

تَدَاوُلُ السُّلْطَةِ هُوَ لُبُّ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ , وَجَوْهَرُ الْمُمَارَسَةِ السِّيَاسِيَّةِ ,

فِيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَعْنَى بِالشَّأْنِ الْعَامِ , أَنْ يَفْهَمَ وَيَقْبَلَ مُثَلَّثُ الْحُكْمِ ,

تَفَوُّزُ بِحُكْمِ الْقَانُونِ , وَتَحْكُمُ بِمُقْتَضَى الْقَانُونِ , وَتَرْحُلُ طَبَقاً لِأَلْيَاتِ الْقَانُونِ ,

بِدُونِ تَمْيِيزٍ أَوْ إِقْصَاءٍ أَوْ قَمْعٍ أَوْ مُصَادَرَةٍ أَوْ تَلَاغِبٍ أَوْ اخْتِكَارٍ ,

فَالدِّيْمُقْرَاطِيَّةُ لَيْسَتْ قَمِيصُ عُثْمَانَ أَوْ لَافِتَةٌ خِدَاعٍ أَوْ مِسْمَارُ جُحَا أَوْ عَصَا وَجَزَرَةٍ

وَلَيْسَ مَقْبُولاً أَنْ تَكُونَ مَقَدَّرَاتُ الدَّوْلَةِ وَحُقُوقُ الْمُجْتَمَعِ وَحُرِّيَّاتِهِ

مَحَلٌّ رِهَانٍ مُغَامِرٍ أَوْ تَجْرِبَةٍ فَائِثِلٍ أَوْ رَهِينَةٍ لِمُسْتَبَدٍّ ,

فَلُغْبَةُ السِّيَاسَةِ لَهَا قَوَاعِدٌ , بَسِيطَةٌ وَعَادِلَةٌ , وَ مُعْلَنَةٌ وَمُلْزِمَةٌ لِلْكَافَّةِ ,

و عَلَى الْجَمِيعِ التَّزَامُ تِلْكَ الْقَوَاعِدِ قَدْرَ الْإِمْكَانِ وَ إِلَّا ,

فَالْعَاقِبَةُ وَخِيْمَةٌ وَ الْأَثْمَانُ بَاهِظَةٌ ,

و عَلَى الْخَائِنِ وَ الطَّاعِي , تَدَوُّرُ الدَّوَائِرِ

كُلُّ شَعْبٍ , يَنَالُ الْحُكُومَةَ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا

"وَمِنْ عَجَائِبِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ الْحَدِيثَةِ , أَنَّهُ قَدْ يَحْدُثُ أَنْ تَكْسِبَ
حَرْباً عَالَمِيَّةً طَاجِنَةً , ثُمَّ تَخْسِرُ أَوَّلَ انْتِخَابَاتٍ تَشْرِيعِيَّةٍ بَعْدَهَا ,
فَللْحَرْبِ ضَرُورَاتٌ وَ لِلسَّلَامِ مُتَطَلِّبَاتٌ # وينستون تشرشل "

و بعد ما تشرشل (1874: 1965) دَفَعَ كُرْسِي رِئَاسَةِ وِزَرَاءِ بَرِيطَانِيَا الْعُظْمَى
فِي انْتِخَابَاتِ 1945 ضِدَّ حِزْبِ الْعُمَّالِ بِرِئَاسَةِ كَلِيمَنْتِ اِتْلَى , ثَمَّناً لِلدِّيمُقْرَاطِيَّةِ ,

طُغَاءُ الْعَالَمِ - شَرْقاً وَ غَرْباً - وَ عَوَا الدَّرْسَ , وَ حَرَصُوا عَلَى مَسْأَلَتَيْنِ ,
يَكْفُلُوا قَمْعَ شُعُوبِهِمْ وَ اسْتِمْرَارَ نُظُمِهِمْ :

- 1- حُرُوبُهُمْ - أَيَّامَ كَانَ الْعَدُو - أَبَداً مَا تَنْتَهِيشِ ,
- 2 - وَ انْتِخَابَاتُهُمْ - لَوْ تَمَّتْ - تَبْقَى لِعِبَةِ تَحْتَ السَّيْطَرَةِ !

[159]

اللَّهُوَ الْخَفَى

طَبَقاً لأصولِ السِّيَاسَةِ وَمَبَادِئِ القانونِ , فَإِنَّ كُلَّ سُلْطَةٍ , يَجِبُ أَنْ تُقَابِلَهَا مَسْئُولِيَّةٌ ,
و كُلُّ صَلاحيَّةٍ وَاُمْتِيَاظٍ , يَسْتَلْزِمُ رَقَابَةً و التَّزَامَ ,
و إِذَا انْتَفَى أَحَدُ طَرَفِي الْمُعَادَلَةِ أَوْ تَعَيَّبَ , اخْتَلَّ الْمِيزَانُ ,
و كُنَّا فِي مُوَاجَهَةٍ , جَبَّارٍ فَاشِيٍّ أَوْ خَيَالٍ مَائَةٍ مَهْزُوزٍ
و الشُّعُوبُ حِينَ تَنْتَخِبُ الْحُكَّامَ , لَا تَنْتَخِبُ مَعَهُمْ حِزْمَةً وَاحِدَةً ,
الزَّوْجَاتِ و الْأَنْسِبَاءِ و الْأَصْنَهَارَ و الْأَصْدِقَاءَ
بَلْ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ , يَجِبُ أَنْ تُحَدَّ حُرِّيَّاتُهُمْ وَحُقُوقُهُمْ فِي (الْعَمَلِ الْعَامِ) ,
تَوْقِيراً لِمَقَامِ مَنْصَبِ الرِّئَاسَةِ , طَوَالَ مُدَّةِ الْوَلَايَةِ ,
هَذَا مِنْ حَيْثُ الْمَبْدَأُ وَ بِحَسَبِ الْأَصْلِ الْعَامِ ,
أَمَّا عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ , وَ فِي وَطَنِنَا الْعَرَبِيِّ الْبَاهِرِ , مِنْ الْمُحِيطِ الْهَادِرِ إِلَى
الْخَلِيجِ الثَّائِرِ ,
فَإِنَّ مُؤَسَّسَاتِ الرِّئَاسَةِ وَقُصُورِهَا - فِي عِدَّةِ دُولَ - ,
تَزْدَحْمُ بَ (هَؤُلَاءِ) الَّذِينَ لَا نَعْرِفُ مُوَهَّلَاتِهِمْ أَوْ خِبْرَاتِهِمْ أَوْ وَظَائِفَهُمْ ,
- دَعَاكَ مِنْ لَقَبِ (الْمُسْتَشَارِ) الَّذِي انْتَهَكَتْ حُرْمَتَهُ -
فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُدِيرُونَ فِيهِ مَلَفَاتٍ خَطِيرَةً ,
و يَتَلَاعَبُونَ بِمُقَدَّرَاتِ الدَّوْلِ و مَصَائِرِ الشُّعُوبِ ,
بَلْ قَدْ يَطْمَعُ أَحَدُهُمْ فِي تَصَدُّرِ الْمَشْهَدِ ,
سِوَاءٍ عَلَى وَاجِهَةِ الْمَسْرَحِ , أَوْ مِنْ وَرَاءِ الْكُوَالِيسِ !

أَنَا مِنْكُمْ وَ بِكُمْ

" عَنْ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ الْهَزْلِيِّ الْمُلَقَّقِ , الْعَابِرِ لِلْجِنْسِيَّاتِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ
لِزَعِيمِ سِيَاسِي , يَلْتَقَى - صُدْفَةً - بِبَعْضِ الْمَوَاطِنِينَ الشُّرَفَاءِ ,
فِي تَبَاسُطٍ مَعَهُمْ وَ يَتَجَاذِبُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ ,
بَلْ قَدْ يُشَارِكُهُم الطَّعَامَ أَوْ الشَّرَابَ فِي أُرْيَحِيَّةٍ وَ لُطْفٍ "

الطُّغْيَانُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ ,
وَ الطُّغَاةُ سَقِيمُو خِيَالٍ , فُقَرَاءُ مُؤَهَّبَةٌ ,

يَظُنُّ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ إِذَا عَسَّ عَلَى قَدَمَيْهِ , أَوْ اسْتَقَلَّ دَرَاجَةً أَوْ حَافِلَةً ,
أَنَّهُ سَيَتَوَاصَلُ مَعَ النَّاسِ , فَيَأْسِرُ قُلُوبَهُمْ وَ يَسْحَرُ أَلْبَابَهُمْ ,

وَ يَغْفُلُ الطُّغَاةُ وَ يَنْسَوْنَ , أَنَّ الْعَامَّةَ أَصْحُ مِنْهُمْ فِطْرَةً وَ أَنْبَعُ قَرِيحَةً ,
فَضْلًا عَمَّا تَتَمَتَّعُ بِهِ الشُّعُوبُ مِنْ ذَاكِرَةٍ حَافِظَةٍ تَبْرُ الْجِمَالَ وَ تَفُوقُ الْأَفْيَالَ ,

فَيَا غُصَّابَ الْكَرَاسِيِّ وَ سَفَاكِي الدِّمَاءِ وَ نَهَابِي بَيُوتِ الْمَالِ :
نَقْبِكُمْ عَلَى شَوْنِهِ , الْعَبُوا غَيْرَهَا !

النُّورُ و النّار

بينَ الثُّوراتِ و الإنقلاباتِ , ما بينَ السّماءِ والأرَضِ ,
و ما بينَ المَلَحمةِ والجَريمةِ ,
فالحَرَكتانِ - بالتّعريفِ - هُما تَغْيِيرٌ فى رأسِ السُّلطةِ ,
قد يتلَوْنانِ بالأبيضِ (السِّلْمِيَّة) أو الأحمرِ (العُنف)
فإذا اقتصَرَ التَّغْيِيرُ على مُؤسَّسة الحُكْمِ , و لم يَمْتَدُ أو يَتعمَّقِ ,
حتَّى سائرِ السُّلطاتِ و التَّركيبِ الإجماعى و الإقتصادى للدولةِ , فذلكَ (إنقلاب) ,
أما إذا شَمَلَ ما سلفَ , و طَوَّر إدراكَ الدولةِ لمُوضِعِها و موقِعِها فى الإقليمِ و العالمِ ,
فتلكَ هيَّ (الثُّورة) ,

و إذا كانَ وارداً أنْ تتحوَّلَ إحداهُما إلى الأُخرى ,
فببقَى خَطُّ الديمُقراطيةِ - فى الداخلِ - والإستقلالُ - عن الخارجِ - ,
الذى هو رقيقٌ كالشَّعْرهُ و حادٌّ كالسِّيفِ , هو الفِصلُ بينهما ,
و هو ما لا يُمكنُ أخفاؤه أو التَّضليلُ بشأنه طويلاً ,
ويكفى للبيانِ فى هذا المقامِ ,

أنْ نذكرَ قديماً الثورتينِ الفرنسيَّةَ 1789 والرُوسِيَّةَ 1918
و حديثاً ثورةَ كوبا 1957 , و ثورةَ إيرانِ 1979

بينما تعددتِ الإنقلاباتُ فى أربعةِ أركانِ الأرضِ فَمَنْ يَنسَى إنقلاباتِ سورياَ
مُنْتَصَفَ القرنِ العشرينِ و العراقِ 1958 و ليبيا و السُّودانِ و الكونغو و
الجابونِ و نيجيريا و تشاد و أمريكا اللاتينيَّة (الأرجنتين , فنزويلا ..)
و انقلاب شيلي 1973 (أوجست بينوشيه & سلفادور الليندى) 1969 .

الكائنُ الراسبوتين

" (راسبوتين) الكاهنُ الرّوسيّ الأشهرُ , فى بداية القرن العشرين , تضخّم تأثيرُهُ الكهنوتيّ , و نفوذُهُ السياسى , و تلاعبَ بالقيصر نيّقولا و أسرته , وكانَ سبباً مِنْ أسبابِ سُقوطِ سُلالةِ (رومانوف) على أيدى الثّوارِ البولشيفيك بعدَ اغتِياله مُباشرةً "

و راسبوتين مِش اختراع رُوسى , و لا لازم يكون كاهن , مُمكن يبقّى مُستشار أو جنرال أو شهبندر أو فيلسوف أو كاتب

و كلّ نظام سياسى , قديم أو حديث , شرقاً أو غرباً , عنده راسبوتين يتاعه , شخص أو أكثر , يثقُ فيه ولّى الأمر صانع القرار , يسمع نصايحه و يراعى تحذيراته , و مسموح له بالكثير من المَعلومات و النّفوذ ,

و مُقابل كلّ الصلاحيات دى , مفيش أىّ حدود أو مَسئولية , كونه لا يشغل موقِعاً رسمياً أو منصبه الرّسمى لا يخوّله كلّ ذلك الدّور و التأثير !

و عشان تستمر هذه العلاقة القَلقة غير المُقنّنة , يلجأ الكائنُ الراسبوتين لحيلٍ عديده , غالباً مُبتكَرة و أحيانا غير مشروعة , زىّ تزديد الكلام المُحبّب لولّى الأمر , بصرف النظر عن صِحّة ذلك الكلام – أو نفعه – مِن عدمه , و كذا تنفِيز الأعمال القَدرة – غير المشروعة أو الموائمة - نيابةً عنه , وصولاً إلى التآمر على الحاكم إذا فاضَ الكيلُ بالشَّعب أو حتّى فى حالة ظُهور مُنافس أقوى و فُرصه أكبر , فى التعلّب و السيطرة على مَقاليد الأمور ,

و طبعاً كلّما كانت الدّولة قويّة و مُتقدّمة , و الشعب حاضر فى المشهد السياسى , و حريّة تداولِ المَعلومات مَكفولة , بيقلّ التأثير السيّى للراسبوتينات , إنّما يصعبُ اختفاؤهم نهائياً ,

لأنّ أفة إيثار أهلِ (الولاء و الثّقة) على أهلِ (الكفاءة و الأمانة) و النّزوع الطّبيعىّ للموالاة و النّفاق و الفساد , ما نجيش منها حاكم فى أىّ زمان أو مكان .

كُذِبَ مَسَاوِي وَلَا صِدْقَ مَنَعَكَش

المُعاصرة حِجَابٌ وَ كَذَلِكَ بُعْدُ الْأَمَدِ ,
 وَ نَادِرًا مَا يَتِمُّ سَرْدٌ وَ تَوْثِيقٌ وَاقِعَةٍ تَارِيخِيَّةٍ بِدَقَّةٍ وَشُمُولٍ وَإِنصَافٍ ,
 فَالزَّمَنُ دَوَّارٌ , وَاللَّيَالِي حَبَالِي يَلْدَنَ كُلُّ عَجِيبٍ , كَمَا إِنَّ آفَةَ الرَّأْيِ الْهَوَى ,
 وَ تَقْصَى حَقِيقَةُ سِيَاسَةٍ مَا أَوْ قَرَارٍ مُعَيَّنٍ فِي ثَنَايَا التَّارِيخِ ,
 أَشْبَهُ مَا يَكُونُ بِالْبَحْثِ عَنْ قِطْعَةٍ سُودَاءٍ فِي غُرْفَةٍ مُظْلَمَةٍ , وَ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى فَإِنَّ :
 (الْأَكَاذِيبَ الْمُنَمَّقَةَ الْمَرِيحَةَ أَكْثَرُ قَبُولًا وَانْتِشَارًا مِنْ الْحَقَائِقِ الشَّاذَةِ الْمُتَعَبَةِ)
 وَ كَثْرَةُ تَزْدَادٍ فَرِيَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَ الْإِلْحَاحُ عَلَيْهَا فِي الصَّبَاحِ وَالْعَشِيِّ
 يَحُولُهَا إِلَى حَقِيقَةٍ ثَابِتَةٍ لَا تَقْبَلُ التَّشْكِيكَ أَوْ الْمُنَازَعَةَ !
 وَ تَارِيخُ الْعَالَمِ حَافِلٌ بِالْأَخْطَاءِ الشَّائِعَةِ وَالْأَكَاذِيبِ الْفَاجِشَةِ وَ مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ
 لَا الْحَصْرَ : - (عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) لَمْ يَحْرِقْ مَكْتَبَةَ الْأُسْكَندَرِيَّةِ عِنْدَ فَتْحِ مِصْرَ
 وَ إِنَّمَا حَرَقَهَا (يُولْيُوسُ قَيْصَرُ) قَبْلَ ذَلِكَ بِسِتْمِائَةِ عَامٍ .
 - (كُولُومْبُوسُ) لَمْ يَكُنْ أَوَّلَ أَوْرَبِيٍّ يَكْتَشِفُ أَمْرِيكََا وَلَمْ يَجِدْ (هُنُودًا خُمْرًا) هُنَاكَ بَلْ
 وَصَلَهَا قَبْلَهُ عِدَّةٌ مُكْتَشِفِينَ وَمَنْ كَانُوا هُنَاكَ هُمْ قِبَائِلُ السُّكَّانِ الْأَصْلِيِّينَ الَّذِينَ أَبَادَهُمُ
 الْمُهَاجِرُونَ الْأَوْرَبِيُّونَ .
 - لَعْنَةُ الْفَرَاغَةِ أَسْطُورَةٌ وَ لَمْ يَقُمْ الدَّلِيلُ عَلَى سِرِّ مَوْتِ نَابِشِي قُبُورِهِمْ وَ تُجَارِ
 كُنُوزِهِمْ وَ إِذَا مَاكَانَ ذَلِكَ يَرْجِعُ لِسَحْرِ أَوْ تَعَاوِيذٍ أَوْ مُرَكَّبَاتٍ كِيمِيَائِيَّةٍ .
 - الْفِلَسْطِينِيُّونَ لَمْ يَبِيعُوا أَرْضَهُمْ أَوْ يَتَخَلَّوْا عَنْ وَطَنِهِمْ
 بَلْ أُجْبِرَهُمُ الصَّهْيَاوِيُّونَ عَلَى الرِّحْلِ بِالْمَذَابِجِ الْوَحْشِيَّةِ وَالْإِبَادَةِ الْجَمَاعِيَّةِ
 دُونَ إِغْفَالِ تَأْمَرِ الْغَرْبِ وَ تَخَاذُلِ الْعَرَبِ .
 - الضَّرْبَةُ الْجَوِّيَّةُ لَمْ تَكُنْ أَسَاسُ نَصْرِ أَكْتُوبَرِ 1973 بَلْ إِنَّ مُسَاهِمَتَهَا
 فِي الْحَرْبِ تُعَدُّ مَحْدُودَةً جِدًّا بِالمُقَارَنَةِ مَعَ إِنْجَازَاتِ وَ تَضَحِيَّاتِ أَسْلِحَةٍ أُخْرَى
 عَدِيدَةٍ مِنْهَا الْمَشَاةُ وَ الدِّفَاعُ الْجَوِّيُّ وَ الْمُدْرَعَاتُ وَ الْمُهَنْدَسُونَ الْعَسْكَرِيُّونَ
 وَ الصَّاعِقَةُ وَ الْقَوَاتُ الْخَاصَّةُ
 وَ لَكِنَّهَا بُرُوبَا جَانْدَا دَوْلَةَ (مُبَارَك) .
 - (نَابِلْيُونُ بُونَابَرْت) لَمْ يُحِطِّمْ أَنْفَ (أَبِي الْهَوْلِ) أَثْنَاءَ الْحَمْلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ عَلَى مِصْرَ
 وَ إِنَّمَا هَشَّمَهَا (صَائِمُ الدَّهْر) أَحَدُ شَبَوَخِ الْأَعْرَابِ مِنْ زَعَمَاءِ قِبَائِلِ الْبَدْوِ الْمُتَاخِمَةِ

للحدودِ المَصْرِيةَ حالَ نزاعِهِ مع (على بك الكبير) قبلَ وصولِ نابليون إلى مِصرَ
بعْشراتِ السنين .

- مِثْلُ ذَلِكَ العَدِيدُ مِنَ الأساطيرِ , ف (كليوباترا) لم تكنْ جميلةً و (عيسى العوّام)
لم يكنْ مسيحياً و (قراقوش) لم يكنْ أحمقاً عتياً و جبلُ الجليدِ لم يُغرق (تيتانيك)
و(هتلر) اضْطَهَدَ اليهودَ - و سِوَاهُمْ مِنْ كُلِّ الأعْراقِ غيرِ الأريّة - و لكنّه لم
يُحرقْهم في أفرانِ الغاز .

و بعدَ كُلِّ ما سلفَ , عليكِ تقصّي الحَذَرِ و إعمالُ العقلِ و تحكيمُ المنطقِ و
مُراجعةُ أهلِ الذِّكرِ و الإختصاصِ و لا تُصَدِّقِ كُلَّ ما يُعْرَضُ عليكِ أو تُرَدِّدُ كافّةً
ما يصلُ إلى عِلْمِكَ .

شَرَفُ الْخُصُومَةِ .. وَ خُصُومَةُ الشَّرَفِ

خَوْضُ الْمَعَارِكِ , لَيْسَ غَايَةً فِي ذَاتِهِ ,
و لَكِنَّهَا تُخَاضُ لِعِلَّةٍ وَ رِسَالَةٍ ,
بِحُسْبَانُهَا وَ سَبِيلُهُ إِضْطْرَارِيَّةٌ , لِإِحْقَاقِ الْحَقِّ وَ إِبْطَالِ الْبَاطِلِ

وَ إِذَا كَانَ الْعَاقِلُ لَا يَسْعَى إِلَيْهَا ,
فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْحُرَّ لَا يَتَخَاذَلُ عَنْهَا أَوْ يَجْبُنُ فِيهَا ,
وَ الْعَاقِلُ الْحُرُّ الْكَرِيمُ لَا يَفْجُرُ أَوْ يَغْلُو فِيهَا ,
وَ الْأَيَّامُ دَوْلٌ , فَعِنْدَمَا تَعْلُو , يَعْرِفُ النَّاسُ قَدْرَكَ ,
وَ عِنْدَمَا تَكْبُو , تُدْرِكُ قَدْرَكَ عِنْدَ النَّاسِ !

ثَمَّةَ حُرُمَاتٍ , تَسْمُو عَلَى الصِّرَاعَاتِ ,
فَلَيْسَ مِنَ الْمَرْوَةِ أَوْ النَّبْلِ , أَنْ تَقْسُو عَلَى غَرٍّ أَوْ تُنْكِلَ بِأَسِيرٍ أَوْ تُمَثِّلَ بِصَرِيحٍ ,

وَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ,
عِنْدَمَا لَطَمَ أَبُو جَهْلٍ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ , خَشِيَ أَنْ تَلُوكَ الْأَلْسُنُ سُمْعَتَهُ ,
قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : اكْتُمُوها عَنِّي , لِئَلَّا تَقُولُ الْعَرَبُ أَنَّ سَادَةَ قُرَيْشٍ يَلْطَمُونَ النِّسَاءَ ,
فَهَلْ نَطْمَعُ فِي هَذَا الزَّمَانِ , بَبْغَضٍ مِنْ أَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ !!

عيش الغراب

الانفجار النووى يعمل سحابه شبه المشروم ,
و فيه ناس كتير تستحق تكون في جذر المشروم , ساعة الانفجار ,
خُذ عندك : مُعْظَم السَّاسِه & و الإِعلاميين & و تُجَّار الدِّين & وسماسرة الأوطان
& كذابين الزَّفه & مصاصي دماء الشَّعْوب &
و الطُّبَّاط السَّاديين & القُضاه الجَهْلَه و الفاسدين &
و مُدعى الفنّ و الأدب مِن الأَرْزَقِيه والقَوَّادين
والْحَبَل عَلَى الْجَرَّار.....

ايحييتومانيا & ايحييتوفوبيا

أتى على الوطن حينٌ من الدهر , كانَّ فيه النَّفَى لِبِلادِ الأعاجم عُقُوبَةً ,

ثمَّ دارَ الفَلَكُ , و أصبحَ الخُرُوجُ غايةً لا تُدْرَكُ , و المنعُ مِنَ السَّفَرِ عُقُوبَةً !

وإذا كانَّ حُبُّ الوَطَنِ غَرِيزَةً إنْسانِيَّةً و فِطْرَةً بَشَرِيَّةً , وَهُوَ حَقٌّ وَ واجِبٌ في آنٍ مَعًا ,

فإنَّ ذلكَ الشُّعُورَ , وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بالبشرِ وَالْحَجَرِ وَالزَّهَرِ وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالذَّاتِ وَالْآخِرِ
وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ ... لا يَحُولُ - عِنْدَ ذَوِي الوَعْيِ وَالْبَصِيرَةِ - دُونَ النَّقْدِ وَ
التَّقْيِيمِ , على سبيلِ الصَّدَقِ مَعَ النَّفْسِ , وَالرَّغْبَةِ فِي الإِصْلَاحِ وَالتَّطْوِيرِ ,
على أن يَتِمَّ ذلكَ بِتَوْسُطِ واعتدالٍ , دُونَ شَوْفِينِيَّةٍ وَتَعْصَبٍ أَوْ رَخَاوَةٍ وَتَبَدُّلٍ .

وَعَوْدٌ على بَدْءٍ , فَإِنَّ المُفَارَقَةَ بَيْنَ المَاضِي وَ الحَاضِرِ ,

بَعْدَ أَنْ صَارَ ما صَارَ - مِمَّا أَنْتُمْ فِي غِنَى عَنْ بَيَانِهِ وَأَنَا فِي حِلٍّ عَنْ تِرْدَادِهِ - ,

فإنَّ الايحييتومانيا - بِمَعْنَى جنونُ الوَلَعِ بِمِصْرَ - ,

تَرَدَّتْ إلى الايحييتوفوبيا - بِمَعْنَى الهَلُوعُ مِنْ تَمْضِيَةِ بَقِيَّةِ العُمُرِ فِي مِصْرَ !

قُوَّةُ السِّلْسِلَةِ , مِنْ عَزْمِ أَوْعَفِ حَلَقَاتِهَا

يُحْكِي أَنَّ (نابليون بونابرت) الشَّاويش الكورسيكى , الذى فَتَحَ نِصْفَ دُولِ أُوْرُوْبَا و أنْشَأَ سُلَالَةً إِمْبْرَاطُورِيَّةً , خُلِفَتْ سُلَالَةُ (البُورِبُون) بَعْدَ أَقَلِّ مِنْ عِقْدَيْنِ عَلَى الثَّوْرَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ

و نَصَّبَ نَفْسَهُ و إِخْوَتَهُ مُلُوكًا , عَلَى عُرُوشِ عِدَّةِ دُولِ أُوْرُوْبِيَّةِ ,
و كَانَ مِنْ عُظْمَاءِ الْقَادَةِ الْحَرْبِيِّينَ , حَتَّى نُسِبَتْ إِلَيْهِ بَعْضُ الْاِسْتِرَاطِيَجِيَّاتِ وَ التَّكْتِيكَاتِ ,
خَسَرَ بُونَابِرْتَ عَرْشَهُ وَ أَهَمَّ مَعَارِكِهِ , بِسَبَبِ قَائِدٍ تَأَخَّرَ بَضْعَ دَقَائِقٍ
عَلَى جِسْرِ فِى مَعْرَكَةِ (ووترلو) عَامَ 1815 ,
لِيُنْهِيَ الْإِمْبْرَاطُورُ حَيَاتَهُ بَعْدَهَا بِسِتَّةِ أَغْوَامٍ وَحِيدًا مَرِيضًا - وَ قِيلَ مَسْمُومًا -
فِى مَنْفَى سَانْتِ هِيلَانِه , فِى مَجَاهِلِ الْمُحِيطِ الْأَطْلَنْطِيِّ !

و بَعِيدًا عَنْ مَأْسَاةِ إِمْبْرَاطُورِ فَرَنْسَا , فَإِنَّ قَضِيَّةَ اخْتِيَارِ الْوُكَلَاءِ وَ الرِّفَاقِ وَ
المُسَاعِدِينَ وَ تَشْكِيلِ فِرْقِ الْعَمَلِ وَ إِدَارَةِ عَمَلٍ جَمَاعِيٍّ , يُحَافِظُ عَلَى مُقَوِّمَاتِ السَّيْطَرَةِ
وَ التَّخْطِيطِ وَ الْمُرُونَةِ وَ الْإِبْدَاعِ , تَبْقَى إِشْكَالِيَّةً بِالْغَةِ الْأَهْمِيَّةِ وَ شَدِيدَةُ الْخُطُورَةِ
قَدْ تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا - فِى لَحْظَةٍ مُعَيَّنَةٍ - مَصِيرُ الْأُمَمِ وَ حَيَاةُ الْأَفْرَادِ .

الْمُفَارَقَةُ , أَنَّ الْمَرءَ - غَالِبًا - , لَيْسَ لَدَيْهِ تَرَفُّ اصْطِفَاءِ الرِّفِيقِ اخْتِيَارِ الْمُعِينِ ,
تَحْتَ ضَعْفِ الْحَاجَةِ أَوْ الصُّدْفَةِ أَوْ الْإِدْعَانِ لِلسُّلْطَةِ أَعْلَى ,
لَكِنْ مَا يَجْبُرُ تِلْكَ الْمُفَارَقَةَ , أَنَّهُ حَتَّى فِى أَخْلَاقِ الظُّرُوفِ ,
يُمْكِنُ لِلْمَرءِ تَجَنُّبَ مَنْ يَشْكُ فِى كِفَائَتِهِ , وَ حَجَبَ الثِّقَةِ عَمَّنْ يَتَوَجَّسُ مِنْ خِيَانَتِهِ .
و يَبْقَى الْقَدْرُ سِنْفًا مُعَلَّقًا عَلَى رِقَابِ الْجَمِيعِ , لَا يَذْفَعُهُ مِنْ مَكْرٍ أَوْ يَنْقِيهِ مِنْ حَذَرٍ .

[168]

مُنَاوَرَة

اليأسُ خِيَانَةٌ ,

و التَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ , كَبِيرَةٌ ,

و لَكِنْ يَحْدُثُ أَنْ يَفِرَّ الْمَرْءُ , لِيُحْسِنَ الْكَرَّ

و قَدْ يَبْتَغِدُ أَحْيَانًا , لِيَزْدَادَ اقْتِرَابًا !

و مِنَ الْحِكْمَةِ , حُسْنُ اخْتِيَارِ وَقْتِ الْجَلَادِ وَ مَكَانِهِ ,

و عَلَيْكَ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ , أَنْ تَسِيحَ فِيهَا

أَوْ أَنْ تَنْحَازَ إِلَى طَائِفَةٍ , فِي بِلَادِ اللَّهِ , خَلَقَ اللَّهُ .

الْحَوَكَمَة

" بَيْتٌ بَسِيطٌ مِنْ ثَلَاثَةِ طَوَائِقَ بِحِرَاسَةٍ مُتَوَاضِعَةٍ , مُنْشَأٌ مُنْذُ ثَلَاثَةِ قُرُونٍ كَائِنٌ فِي 10 دَاوْنِيْنِجٍ سَتْرِيْتٍ وَسَطَ مَدِيْنَةٍ لُنْدُنَ , قَرِيْباً مِنَ الْبَرْلَمَانِ (قَصْرٍ وَيِسْتَمْنِيْسْتَر) وَ قَصْرٍ بَاكِئِنْجَهَامِ (مَقَرِّ الْمَلِكِ) , هُوَ مَقَرُّ رِئَاسَةِ وِزْرَاءِ بَرِيْطَانِيَا الْعُظْمَى مُنْذُ عَقُوْدٍ طَوِيْلَةٍ "

فِي بَرِيْطَانِيَا الْعُظْمَى , الْإِمْبَرَاطُورِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ لَا تَغِيْبُ عَنْهَا الشَّمْسُ , حَيْثُ الْمَلِكُ يَمْلِكُ وَالشَّعْبُ يَحْكُمُ , يُحَاسِبُ الْمَسْئُولُ عَنْ الْمَالِ الْعَامِ ,

ثَمَّةَ ضَبْطٍ لِلنَّفَقَاتِ الْعَامَّةِ يَصِلُ أَحْيَاناً لِحَدِّ التَّقَشُّفِ , فَلَا مَكَاتِبَ بِإِذْخَةٍ أَوْ مَرَكَبَاتٍ فَارِهَةٍ أَوْ حَاشِيَةٍ مُتَرَهِّلَةٍ أَوْ وَلَائِمٍ مُسْرِفَةٍ ,

قَدْ يُسَائِلُ الْوَزِيْرُ نِيَابِيّاً وَقَضَائِيّاً وَإِعْلَامِيّاً , عَنْ تَذَكْرَةِ سَفَرٍ هُنَا أَوْ نَفَقَاتِ أَجَازَةٍ هُنَاكَ أَوْ مَا يُشَابِهَ مِنْ تَعْيِيْنَاتٍ وَ تَرْقِيَّاتٍ وَ مُكَافَأَاتٍ , صِغَارِ الْمُوظَّفِيْنَ قَبْلَ كِبَارِهِمْ

وَ فِي الْمُقَابِلِ , يَتَعَامَلُ الشَّعْبُ بِاعْتِدَالٍ فِي تَصَرُّفَاتِهِمْ مَعَ الْمُنْشَأَاتِ وَالْمَرَافِقِ وَالْمَوَارِدِ الْعَامَّةِ ,

فَالنَّاسُ عَلَى دِيْنٍ مُلُوكِهِمْ , وَ إِذَا صَلَحَ الْحَاكِمُ , رَشِدَتْ الرِّعْيَةُ .

حَقُّ النِّقْدِ وَ مُخَاطَبَةُ السُّلْطَاتِ الْعَامَّةِ

و نَقْدُ الْحَاكِمِ وَ مُجَادَلَتُهُ بِالْحُسْنَى , وَالْإِعْتِرَاضُ عَلَى سِيَاسَاتِهِ وَ قَرَارَاتِهِ وَ تَصَرُّفَاتِهِ , قَضِيَّةٌ فِي مُنْتَهَى الْخُطُورَةِ وَالْأَهْمِيَّةِ , وَيتَوَجَّبُ التَّعَامُلُ مَعَهَا بِالتَّقْدِيرِ الْبَالِغِ وَالْحَذَرِ اللَّازِمِ , وَذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّوْفِيقِ بَيْنَ الْمَصَالِحِ الْمُتَعَارِضَةِ , وَ التَّرْجِيحِ بَيْنَ الْإِعْتِبَارَاتِ الْمُتَشَابِكَةِ , فَحَاكِمِ الْبِلَادِ , وَ إِنْ كَانَ يُصَنَّفُ فِي عِدَادِ الْمُوظَّفِينَ الْعُمُومِيِّينَ ,

إِلَّا أَنَّهُ يَبْقَى رَأْسُ السُّلْطَةِ وَرَمُزُ الدَّوْلَةِ , وَ يَتَعَيَّنُ حِفْظُ مَقَامِهِ وَ تَوْقِيرُ جَنَابِهِ , وَ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ , فَإِنَّ مُخَاطَبَةَ السُّلْطَةِ وَ نَقْدَهَا , وَ حُرِّيَّةَ الرَّأْيِ وَالتَّعْبِيرِ فِي مُوَاجَهَتِهَا , تُعَدُّ حَقُوقٌ مَكْفُولَةٌ لِكُلِّ مُوَاطِنٍ , بِمُقْتَضَى أَحْكَامِ الدُّسْتُورِ وَ نَصُوصِ الْقَانُونِ , علاوةً عَلَى أَنَّ ذَلِكَ التَّقْدِ يُفَعِّلُ دَوْرَ الرَّأْيِ الْعَامِ , وَ يُرْشِدُ أَدَاءَ السُّلْطَةِ , وَ فِي الْمَاضِي الْقَرِيبِ , كَانَ عَبْدُ النَّاصِرِ ذَا جاذِبِيَّةٍ وَسَطَوَةِ , فَلَمْ يُوَاجِهْ التَّقْدِ مِنَ الْأَغْلَبِيَّةِ الْمُوَالِيَةِ أَوْ الْأَقَلِّيَّةِ الْمُنَاوِيَةِ – إِلَّا قَلِيلًا - , حَتَّى إِنَّ نُكُتَةً مَشْهُورَةً تَرَدَّدَتْ , أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ فِي السَّنَتَيْنِ , كَانُوا يَخْلَعُونَ ضُرُوسَهُمْ مِنْ آذَانِهِمْ , إِذْ لَا يَجْرُو أَيُّْ مِنْهُمْ عَلَى فَتْحِ فَمِهِ ! وَ فِي السَّبْعِينَاتِ , كَانَ السَّادَاتُ مُولِعًا بِلُعبِ دَوْرِ كَبِيرِ الْعَائِلَةِ وَ رَائِدِ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ , لَكِنَّهُ كَانَ يَضِيقُ بِأَدْنَى إِعْتِرَاضٍ مِنْ مُخَالَفِيهِ , فَاطْلَقَ عَلَيْهِمْ كُتْبَةً الْأَرَادِلِ وَتَوَعَّدَهُمْ بِالْفَرْمِ !

حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَحْتَمِلْ مُصَارَحَةً بَرِيئَةً وَ شُجَاعَةً مِنْ طَالِبِ طَبِّ عَشْرِينِي (عبد المنعم أبو الفتوح) عِنْدَمَا طَعَنَ - فِي اجْتِمَاعٍ شَهِيرٍ بِجَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ - فِي الْحَاشِيَةِ الْمُنَاقِقَةِ : فَصَرَخَ فِيهِ السَّادَاتُ : الزَّمْ مَحَلَّكَ , قِفْ مَكَانَكَ , أَنْتَ تُخَاطِبُ رَئِيسَ الْجُمْهُورِيَّةِ !

أما في ثلاثينئة مُبارَك , فقد زهَدَ الناسُ السِّيَاسةَ وأنشغلوا بالاقْتِصاد , و أَحْكَمَ
النِّظامُ قَبْضةَ الأَمْنِ وحِيلَ البرُوباجاندا , و مالتِ السُّلطةُ لقاعدةٍ [ليقولوا ما
يَشاؤون , و لنفعلُ ما نَشاء !)

مع سَقْفٍ غيرِ مُعلنٍ , باستثناء شَخْصِ الرئِيسِ وأُسْرَتِهِ , والتَّسامحِ في نَفْدِ سِواهم
أَيَّ كانتِ المُستوياتُ و المُسمَّياتُ , معَ مِواءماتٍ خاصَّةٍ لِلجِهاَتِ السِّياديَّةِ !
أَمَّا بَعْدَ 2011 , فهذا حَدِيثٌ شَرَحُهُ يَطُولُ , و أنا اللَّيْلَةُ مَشْغُولٌ

الحَقِيقَةُ الْمُرَّةُ

" فرانكلين روزفلت (1882 : 1945) الرئيس الأمريكي الثاني والثلاثون كان رجلاً استثنائياً بكلِّ معاني الكلمة , خريج جامعة هارفارد وابن عم الرئيس الأمريكي السادس والعشرين تيودور روزفلت , الرئيس الأمريكي الأوحْدُ , الذي تمَّ انتخابه لأربعة مرَّاتٍ وإن كان قد توفَّى في مُفتتح الدَّورة الرَّابعة - , واجه الكساد الكبير و انتصرَ في الحربِ العالميَّة الثانية

و لكنَّه خسرَ معركته معَ مرضِ الشَّللِ , فَحَكَمَ أمريكا من فوقِ كُرسيِّ مُدوَلب " نُسِبَ إلى روزفلت قولُه : (رؤساءُ الجُمهوريَّة لا يُنْتخبون , ولكنهم يُنْصَفون ويُصْطَفون !)

و هي حَقِيقَةُ مُرَّةٍ وواقِعٍ صادمٍ , تُؤكِّده مُجرباُتُ الأحوالِ و خريطةُ السِّياسةِ الدَّوليَّةِ , فالعَمليَّةُ الدِّيمُقراطيَّةُ في مُعظمِ الدُّولِ , بما تَفترضُه من حُرِّيَّةِ تعبيرٍ عن الرأى و مُخاطبةِ السُّلطاتِ العامَّةِ و مُمارَسةِ حَقِّ التَّنْظِيمِ السِّياسيِّ في أحزابٍ و هيئاتٍ و كُتَلٍ و نِقاباتٍ و جُمعيَّاتٍ و مُنْتدياتٍ , وصولاً إلى تَقنينِ حَقِّ التَّرشيحِ و الانتخابِ و الاختكامِ إلى صناديقِ الاقتراعِ , بِمُعادلاتٍ مُنظَّمةٍ و مُنْصِفةٍ و شفافَةٍ , تجعلُ نَتِيجَةَ الانتخاباتِ مِرآةً صادِقَةً و مُعبِّرةً عن الواقعِ الاجتماعيِّ و الاقتصاديِّ والسِّياسيِّ في الدَّولةِ و تُراعى حُقوقُ الأَقليَّاتِ و الجَماعاتِ المُختلِفةِ و تُرَشِّدُ أداءَ وسائلِ الإعلامِ و تضبِطُ التَّمويلَ السِّياسيَّ , بما يُرسِخُ مبدأ تَدَاوُلِ السُّلطةِ على نحوٍ دُوريٍّ وفقاً لِلدِّستورِ و القانونِ فيصعدُ الحُكَّامُ إلى السُّلطةِ و يباشرون سُلطاتِهِم طَبَقاً للقانونِ و يُغادِرون السُّلطةَ على مُقتضى القانونِ ,

, ذلكَ كُلُّه في إطاره العامِّ وأحكامه التفصيليَّةِ , ليسَ أَكثَرَ مِن وِهمٍ شائعٍ وظنٍّ مُتخيلٍ و مَسرُحيَّةٍ مَحْبُوكَةٍ في بَعْضِ الدُّولِ , و سَمَجَةٍ مَكشُوفَةٍ في غالِبِها , وهو ما يُعزى إلى صراعِ الوجودِ و التَّفوُّدِ بينَ أَقطابِ الاستعمارِ - في شَكْلِهِ الحديثِ - و كارتلاتِ الأسلحةِ و النِّفْطِ و الغِذاءِ و الدَّواءِ و الجِنسِ و أباطرةِ الإعلامِ ,

لنُخْلِصُ من ذلك كُلِّه إلى أنَّ : الانتخابات الرئاسية , هي شَيْءٌ لا يَناسِبُ سِوى ,
الدَّولَ الْمُتَحَضِّرَةَ الْمُتَطَوِّرَةَ مُتَوَسِّطَةَ الأَهَمِّيَّةِ و الخُطُورَةَ , فإذا تَعَلَّقَ الأمرُ بالدَّولِ
العُظْمَى وأَقْطابِ المناطقِ من جِهَةٍ , و بالدولِ النَّامِيَّةِ والعالمِ الثالثِ و جُمهُورِيَّاتِ
المُوزِ من جِهَةٍ أُخْرَى ,
فالمَوْضُوعُ بَعِيدٌ بَعْدَ المَشْرِقَيْنِ , علاوةً على كونه مُعَقَّدٌ و شَرَحُهُ يَطُولُ !

أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ

" .. و ما بينَ البطلي (أحمد عرابي) و ثورته المَدَنِيَّة و العَسْكَرِيَّة على الخديوى توفيق و نُخبته من الأتراك و الشَّرَكَس و الأرناؤوط و الإقطاعيين المَصْرِيِّين و الجاليات الأجنبيَّة صاحبة الامتيازات الإقْتِصادِيَّة و الفَضائِيَّة المدعومة بالنّفوذ البريطاني و الفرنسي في مُفتَتَح ثمانينات القرن التاسع عشر , و بين الزَّعيم (سعد زغلول) الذّى كَوّن حزبَ الوفد - عقبَ نهاية الحرب العالمية الأولى - كجبهةٍ وطنيّة عريضةٍ للمطالبة بالاستقلال من الاحتلال الإنجليزي ,

و الديمُقراطيَّة في ثوبِ المَلَكِيَّة الدُّستوريَّة , حَمَل شُعْلَةَ الكِفاحِ الوطنيّ , رجالٌ كُنُرُ , على رأسهم المُحامى الشاب خريجُ الشُّربون صديقُ الخديوى , (مُصطفى كامل باشا) , و بعد رحيله شاباً , خَلَفَه على رأسِ الحَرَكَةِ القُومِيَّة و الحزبِ الوطنيّ , الحسيبُ النَّسيبُ شهيدُ العُربة (مُحمَّد فريد) ...

فَتَحِيَّةٌ لأزواجِ الجَميعِ في بَرَزَخِ الخلود "

و على مدارِ التَّاريخِ المِصرِيِّ الحديثِ , إعتباراً من القرنِ الثامنِ عشر ,

تَحَرَّكَ مُؤَشِّرُ (القيادةِ المُجتمعيَّة) , جيئةً و ذهاباً ,

بدءاً برجالِ الدِّينِ و مَشايخِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ مِنْ أبناءِ (الجامع الأزهر الشريف) و مَنْ دارَ في مدارهم , مِنْ (الأشرافِ) سُلالةِ أَهْلِ البَيْتِ النَّبَوِيِّ و كذا أَتْباعِ الطُّرُق الصُّوفيَّة , ثم (الأفوكاتِيَّة) , مِنْ رجالِ القانونِ قُضاةً و مُحامون و مَنْ أَقْتَرَنَ بِهِمْ مِنْ أَهْلِ الإدارةِ و الأدبِ و الفنِّ , مِنْ الثَّلَاثِ الأخيرِ للقرنِ التاسعِ عشرِ حتّى مُنتَصَفِ القرنِ العشرينِ , حينَ ظَهَرَ (العسْكَرُ) مِنْ رجالِ الجِيشِ في يوليو 1952 , فتصدَّروا المَشْهَدَ باكتِساسِ حَتَّى عَصَرْنَا الحاضِرَ ,

و لا ننسى حضورَ (الأعيان) من إقطاعيي العائلات العريقة و القبائل القديمة علاوةً
على (شاهبندرات التجارة و الاقتصاد) من رجال المال و الأعمال ,
و إن ترجَّح الأثرُ السلبيّ على مثيله الإيجابيِّ للقطاعين الأخيرين .

الدِّيمُقْرَاطِيَّة

بَيْنَ الْخُرَافَةِ وَ الْمُوَامَرَةِ

و تحت سَطْوَةِ الْمَدْفَعِ أَوْ الْمُنْبِرِ أَوْ الذَّهَبِ أَوْ الْمِيدِيَا ,
تَضْحَى الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ , شَيْئاً يَتَرَاوَحُ بَيْنَ الْخُرَافَةِ وَ الْمُوَامَرَةِ !
الْأَفْتُ لِلنَّظَرِ وَ الْمُثِيرُ لِلانْتِبَاهِ ,
هِيَ الْمَفَارِقَةُ , فِي كَيْفِيَّةِ مَسْخِ تِلْكَ الْمُقَوِّمَاتِ وَ الْأَرْكَانِ ,
مِنْ وَسَائِلِ دَعْمٍ وَ تَمْكِينٍ وَ اسْتِقْرَارٍ وَ تَطْوِيرٍ لِلدِّيمُقْرَاطِيَّةِ ,
إِلَى مَعَاوِلِ نَقْضٍ وَ جُبُوبِ مُقَاوَمَةٍ ,
وَ طِفْلِيَّاتِ مَرَضٍ , تَعِيشُ عَلَى عَطَايَاهَا وَ مَزَايَاهَا ,
وَ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ تَلْتَفُّ عَلَى غُنْفِهَا , لَتَمْتَصَّ دِمَائَهَا وَ خَيْرَاتِهَا ,
لَتَنْتَكِسَ مِنْ : (حُكْمِ الشَّعْبِ بِوَسْطَةِ الشَّعْبِ وَ لِصَالِحِ الشَّعْبِ) ,
وَتَضْحَى : (تَمْكِينُ طَائِفَةٍ / مَذْهَبٍ / طَبَقَةٍ / فِرْقَةٍ / جَمَاعَةٍ / حِزْبٍ ...
مِنْ مَصِيرِ الْوَطَنِ وَ حَاضِرِهِ وَ مُسْتَقْبَلِهِ , وَ إِنَّ أَمْكَنَ مَاضِيَهُ وَ تَرَاتُّهُ
وَ رَفَعَ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ , بِالْحِيلَةِ وَ الْمُوَامَرَةِ أَوْ الْقَمْعِ وَ التَّجْبَرِ ,
لِتُصَادِرَ حُقُوقَ الشَّعْبِ وَ ثَرَوَاتِهِ) !
وَ كَأَنَّ ثُبُوتَ الْحَالَةِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ , وَ اسْتِقْرَارَهَا فِي دَوْلَةٍ مَا ,
يَتَطَلَّبُ كِفَالَةَ وَلاَةٍ (الْمَدْفَعِ & الْمُنْبِرِ & الذَّهَبِ & الْمِيدِيَا)
أَوْ فِي أَضْعَفِ الْإِيمَانِ , تَحْيِيدُهَا ,
وَ ذَلِكَ فَرَضٌ نَظَرِيٌّ , هُوَ لِلْخَيَالِ أَقْرَبُ مِنْهُ لِلْوَاقِعِ !

الرَّجُلُ الثَّانِي

بَيْنَ الْأَوَّلِ مُكَرَّرٍ وَ الشَّمَاشِرِجِيِّ

فِي أَيَّةِ مَنْظُومَةٍ أَوْ كِيَانٍ , يَظَلُّ إِخْتِيَارُ الرَّجُلِ الثَّانِي أَوْ إِفْرَارُ ذَلِكَ الْإِخْتِيَارِ , مُعْضِلَةً عَوِيصَةً , فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ , تُعْزِي الْإِشْكَالِيَّةَ إِلَى غِيَابِ الْمُرْشَحِ الَّذِي يَسْتَوْفِي مُقَوِّمَاتِ التَّاهِيلِ وَ الْخُبْرَةِ الْإِلَازِمَةِ , وَ فِي أَحْوَالٍ أُخْرَى , تَضْحِي الْمُقَوِّمَاتُ – رَغْمَ ثَبُوتِهَا وَ كِفَايَتِهَا – هِيَ عَلَةُ الْإِسْتَبْعَادِ ,

إِذَا اسْتَعْرَقَتْ الرَّجُلَ الْأَوَّلَ , حَسَابَاتِ الْوَلَاءِ وَ الْمُوَامَرَةِ !

وَ عَلَى مَدَارِ التَّارِيخِ الْحَدِيثِ , يَنْزِعُ الرُّؤَسَاءُ وَالْقَادَةُ , إِلَى اخْتِيَارِ وَكَلَاءِ مُوَالِينِ ضُعْفَاءِ الْهَمَّةِ , تَنْفِيذِيِّينَ أَكْثَرَ مِنْهُمْ مُحْطَطِينَ , بَدَلًا مِنْ اعْتِمَادِ نَوَابِ مُفَوِّضِينَ لَدَيْهِمْ الرُّوْيَةُ وَ الشَّجَاعَةُ , لِتَخْطِيطِ السِّيَاسَاتِ وَ تَنْفِيذِهَا ,

وَ إِذَا كَانَ الْقَلَقُ وَ التَّخَوُّفُ مِنَ الْمُنَافَسَةِ , وَ التَّحَرُّزُ مِنَ الْمُوَامَرَاتِ , يُعَدُّ أَمْرًا مَفْهُومًا وَ مَقْبُولًا , فَإِنَّ مَا لَيْسَ مَفْهُومًا أَوْ مَقْبُولًا , هُوَ إِهْدَارُ مُقَوِّمَاتِ الصَّالِحِ الْعَامِ , بِتَوْسِيدِ النَّيَابَةِ وَ الْوَكَالَةِ إِلَى إِمْعَاتٍ هُمْ إِلَى السِّكْرَتَارِيَّةِ وَ مُدِيرِي الْمَكَاتِبِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ إِلَى كَوَادِرِ الصَّفِّ الثَّانِي وَ شُرَكَاءِ التَّارِيخِ وَ الْمَصِيرِ !

وَ الْمُؤَكَّدُ أَنَّ اسْتِقْرَارَ أَيِّ نِظَامٍ وَ اسْتِمْرَارَهُ , يَتَوَقَّفُ عَلَى عِدَّةٍ مُقَوِّمَاتٍ , مِنْ أَهْمِّهَا وَجُودُ آلِيَّاتٍ وَاضِحَةٍ وَ نَاجِحَةٍ وَ شَفَافَةٍ لِتَدَاوُلِ السُّلْطَةِ وَ تَسْلِيمِ وَ تَسَلُّمِ رَايَةِ الْقِيَادَةِ , وَ تَأْمِينُ ذَلِكَ الْإِنْتِقَالَ هُوَ مَا يَوْفِّرُ مَزَايَا التَّرَاكُمِ وَ مَنَافِعِ التَّخْطِيطِ طَوِيلِ الْأَجْلِ ,

وَ إِلَّا كَانَ عَلَى النِّظَامِ فِي نَهَايَةِ كُلِّ حِفْظَةٍ وَ خِتَامِ كُلِّ وِلَايَةٍ , أَنْ يَبْدَأَ مِنْ جَدِيدٍ أَوْ يَتَعَرَّضَ لِمَخَاطِرِ الدَّسَائِسِ الْخَارِجِيَّةِ وَ الْمُوَامَرَاتِ الْدَاخِلِيَّةِ , لِأَصْحَابِ الْأَجْنَدَاتِ وَ نَهَازِي الْفُرْصِ .

البدايات و المآلات

" إياكم و الانخداع ببراءة البدايات , و بساطة المظاهر ,
إبليسُ كانَّ - يوماً - مِنْ الْأَتْقِيَاءِ الْمُقَرَّبِينَ "

ثمَّ إجماعٌ شاملٌ و توافقٌ متواترٌ , على أن إرتقاء المرءِ قِمَّةِ النِّظامِ السِّياسيّ
و جلوسه على عَرشِ السُّلْطَةِ , يضعه في حالةِ صَدْمَةٍ و انعدامِ وزنٍ ,
لفترةٍ قد تطولُ أو تقصُرُ , و بدرجةٍ قد تكبرُ أو تصغرُ وفقاً لعواملٍ عديدةٍ مُركَّبةٍ
و مُعقَّدةٍ , شَخْصِيَّةٍ و عامَّةٍ و بمُراعاةِ ظروفِ الزَّمانِ و المكانِ .
و بمدِّ الخطِّ على استقامته , فإنَّ البقاءَ على رأسِ السُّلْطَةِ لفتراتٍ طويلةٍ ,
له عواقبُ وخيمةٌ على المرءِ , مهما كانَّ نُبلُ أخلاقه و متانةِ أعصابه ,
حالة تَعَقُّدِ البيئةِ السِّياسِيَّةِ المحليَّةِ و الدوليَّةِ ,
عواقبُ قد تبدأ بالمرضِ العِضْوِيّ أو النَفْسِيّ , و قد تصلُ إلى السَّادِيَّةِ أو الجنونِ
بل قد تصلُ إلى التَّأَلُّهِ في بعضِ الأحيان !
و وردَ في الأثرِ , أنَّ أحدهمَ مِنْ ذَوِي الْأَصْلِ الْمُتَوَاضِعِ , عَضَّهُ الْفَقْرُ في بدايةِ حياتِه ,
ثمَّ أبلى بلاءاً حَسَناً في عَمَلِه , ففقرتْ بِهِ الصُّدْفَةُ و حُسْنُ الطَّالِعِ إلى رأسِ السُّلْطَةِ
و عَرِشِ الْبِلَادِ فَتَمَنَّعَ و تَعَقَّلَ و سارَ في النَّاسِ سِيرةً حَسَنَةً لِيُضَعَ سَنِينَ ,

ثُمَّ لَعِبْتُ بِهِ نَفْسُهُ الْأَمَّارَةُ بِالسَّوَاءِ , مَعَ بَطَانَةِ الْبَاطِلِ وَ حَاشِيَةِ النَّفَاقِ ,
 بَعْدَ أَنْ لَبِثَ فِي الْقَصْرِ عُقُودًا عَدَدًا , وَ بَعْدَ أَنْ كَانَ النَّاسُ يَتَنَدَّرُونَ بِمَنْ كَانَ مَازَقَهُ
 فِي مَطْلَعِ وَلَايَتِهِ , يَوْمَ تَقَاعَدَ مِنْ وَظِيفَتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يَتَقَلَّدَ مَنْصِبَهُ السِّيَاسِي ,
 أَنْ يَوْمَ لَوْلَدِيهِ سَكَنًا لَاثِقًا مِنْ مُكَافَأَةِ نَهَايَةِ خِدْمَةِ هَزِيلَةٍ لَا تُعْطَى ثَمَنَ عَقَارَيْنِ ,
 ثُمَّ دَارَ الْفَلَكَ دَوْرَتَهُ , وَ تَبَدَّلَ الْحَالُ ,
 فَتَعَدَّدَتْ الْقُصُورُ الْجُمْهُورِيَّةُ وَالْإِسْتِرَاحَاتُ الرَّئَاسِيَّةُ , وَ تَفَاقَمَتْ مَظَاهِرُ الشَّطَطِ وَ
 الْبَذْخِ فِي الْمَأْكَلِ وَ الْمَشْرَبِ وَ الْمَلْبَسِ مِنْ أَرْقَى بَيُوتِ الْأَزْيَاءِ الْعَالَمِيَّةِ لِلْأَزْيَاءِ وَ
 الْمُجُوهَرَاتِ , حَتَّى إِنَّ اسْمَ الرَّئِيسِ وَ لَقَبَهُ ,
 كَانَ يَطْبَعُ عَلَى ثَنَائِيَا قِمَاشِ الْجِلِّ وَ رَابِطَاتِ الْعُنُقِ !
 وَ فِي الْعَقْدِ الْأَخِيرِ , زَهَدَ عَاصِمَةُ بِلَادِهِ , وَ دَوَاوِينَ أَجْهَازَتِهَا ,
 لِيَنْتَقِلَ إِلَى مَدِينَةٍ سَاحِلِيَّةٍ قَاصِيَةٍ , عَذَّهَا عَاصِمَةٌ غَيْرَ رَسْمِيَّةٍ , لِيَسْهُلَ تَأْمِينُهَا وَ
 إِبْعَادُهَا عَنْ ضَجِيجِ وَ غُبَارِ عَوَامِ النَّاسِ ,
 وَ هَذَا الْحَازِمُ الْخَشِينُ , الَّذِي حَظَرَ عَلَى ذَوِي قُرْبَاهِ مُمَارَسَةَ السِّيَاسَةِ أَوْ الْعَمَلَ بِالتَّجَارَةِ ,
 لَمْ يَسْتَطِعْ الْحَيْلُولَةَ بَيْنَ أَنْجَالِهِ وَ أَصْنَهَارِهِ وَ اسْتِغْلَالِ اسْمِهِ وَ تَوْظِيفِ نَفْوَذِهِ ,
 حَتَّى فَاحَتْ رَوَائِحُ عُمُولَاتٍ مِلْيَارِيَّةٍ وَ ثُرَوَاتٍ فَاحِشَةٍ فِي بُنُوكِ سُوَيْسِرَا وَ أَمْرِيكََا
 وَ شَرَكَاتِ (الْأَوْفِ شُور) وَ جَنَّاتِ غَسِيلِ الْأَمْوَالِ وَ التَّهْرَبِ الضَّرِيْبِي !

رابعُ المُستحيلات

بعيداً عن تَحَرُّصاتِ التَّفَاوُلِ وهواجِسِ التَّشَاوُمِ ، التى لا تُستندُ لوقائعِ التَّاريخِ
و حساباتِ المَنطِقِ و سياقِ الواقعِ و تَعْقيداتِ الظُّروفِ و إشكاليَّاتِ المؤامراتِ ،
فإننى – المُتسائِلُ أبداً ، مُتسائِمُ العَقْلِ مُتفائِلُ القلبِ – على قناعةٍ ،
بأنَّ الاختِبارَ الحقيقى لموقفنا الرّاهِنِ مِنَ الحُرِّيَّةِ و حُظُنّا مِنَ الدِّيمُقِراطيَّةِ ،
هو قدرُنا على تطبيقِ مَبْدَأِ (تداولِ السُّلطةِ) بإنصافٍ و حوكمةٍ و شفافيةٍ
دونَ إدعاءٍ أو تجزئةٍ أو بعضِ التمييزِ و الفرزِ مِنْ هُنا ، و بعضِ العُقَدِ و الثَّاراتِ
مِنْ هُناكَ .

كانتْ تلكَ خواطرى ، و أنا أتصَفِّحُ بعضَ الصُّورِ لعددٍ من رؤساءِ الجُمهُوريَّةِ
السَّابِقينَ للولاياتِ المُتَّحِدةِ الأَمَريكيَّةِ (جيمى كارتر & بيل كلينتون & جورج دبليو
بوش & باراك أوباما) مُجتمعينَ على قَيْدِ الحُرِّيَّةِ و السُّمعةِ – بل و التَّكريمِ و
الحَفَاوةِ – داخلَ بلادِهِم ، يتبادلونَ الأحاديثَ بِلِ و القَهَقَهاتِ ، بل إننى وجدتُ صُورَةً
للرئيسِ الفَرَنسِىِّ الأَسْبَقِ ،

الراجلِ (فاليرى جيسكار ديستان) ، فى عَقْدِهِ التَّاسِعِ مِنَ العُمُرِ ، على خَشَبَةِ مَسْرَحٍ
فى مواجهةِ الجُمهُورِ و الكاميراتِ ، خَلَّى البَالِ بِاسْمِ السِّنِّ ، يَغزِفُ فى أُرِيحيَّةٍ و براعةٍ
آلَةً (الأَكُورديون) و هو أَمْرٌ يَعدُّ فى وطننا العربىِّ النادرِ – مِنَ الخليجِ الحائرِ إلى
المُحيطِ العائرِ – ضَرْباً مِنَ الخيالِ العَلَمِىِّ !

و مَعَ استثناءِ الدَّولِ التى تَعْتَنِقُ النِّظامَ المَلَكِىَّ – و مُشتَقَّاتِهِ – فى بلادِ بنى يَغْرُبِ

و التي تنمُ الخِلافةُ فيها و انتقالُ السُّلطةِ , طبقاً لآلياتٍ خاصّةٍ داخلِ القبيلةِ و العائلةِ و الأسرةِ و الطبقةِ وفقاً لمعادلاتٍ و تسوياتٍ تتراوحُ بين البدائيةِ و المؤامرةِ و تقبيلِ الخُشومِ و أحياناً نحرُ الأعناقِ !

فإنَّ سائرَ الدّول التي تعتنقُ النّظمَ شَبهَ الدّستوريّةِ الحديثةِ و الآلياتِ شَبهَ الدّيمقراطيّةِ , لا زالتٍ تتعثرُ في مزالقِ الانتقالِ من كياناتِ العصورِ الوسطى , إلى دولِ الألفيّةِ الثالثةِ بمقوّماتِ الحداثَةِ و الحُكمِ الرّشيدِ , و هي - وفقاً لأكثرِ التّقديراتِ تفاوُلاً - تُصنّفُ تحتَ مُسمّى (الجَمَلَكِيّاتِ) بمعنى الكياناتِ الهجينّةِ المُشوّهةِ أو الوسيطةِ بين الملكيّاتِ و الجُمهوريّاتِ !

و على مدارِ مئةِ عامٍ من العزلةِ و الاختراقِ و التجريبِ و المُغامراتِ , منذُ عشرينيّاتِ القرنِ العشرين , و بعدَ استقْرارِ الاستعمارِ الأوروبي - و صفقاتِهِ في سايكس/ بيكو و ما لَفَّ لُفّها - في ربوعِ الوطنِ العربيّ بعدَ انسحابِ و تراجعِ الخِلافةِ العُثمانيّةِ (رجلُ أوروبا المَريضِ) الذي سدّدَ ديونَ و تسوياتِ الهزيمةِ في الحربِ العالميّةِ الأولى ,

في سوريا و العراقِ و بعدهما مصرَ ثم الجزائرِ
و تونس و المغربِ و اليمنِ و ليبيا

بدأتْ ملاحِمُ آباءِ الاستقلالِ و مُغامراتِ العسْكرِ و نُخبِ المُتفقيينِ و الطلائعِ الحزبيّةِ اليساريةِ مع حُضورٍ لافتٍ للتنظيّماتِ الإسلاميّةِ التي تبدأ دَعويّةً سَلْميّةً و لا تَلبُثُ أن تتحوّلَ لحزبيّةٍ بأجنحةٍ عسْكريّةٍ , تدّعى بأنّها (الفرقةُ النّاجيةُ) التي تحتكرُ صُكوكَ الغُفرانِ و لديها مفاتيحُ الفلاحِ في الدُّنيا و النّجاةِ في الآخرةِ !

ذلك المشهد الحافل و المشوش بتفاصيله الصادمة و المؤزنة ,
تكرّر بأشكالٍ مُتنوّعة و درجاتٍ مُتفاوتة فى عواصم الوطن العربى
بحسب مراحل التطور و عناصر الصراع المحلى و الإقليمى و العالمى ,

مع التحفظ بالانتباه و الحذر من أعراض إشكالية خطيرة و مُتكررة
تخلط بين الديموقراطية و (الصندوقراطية) ,

فالأولى بالتعريف هى (حكم الشعب بواسطة الشعب و لصالح الشعب)
و توجب أن يتقلد الحكم سُلطاتهم ومسئولياتهم بمقتضى القانون و يباشرونها طبقاً
لأحكام القانون ثم يسلمونها لسواهم من ممثلى الشعب فى المدد وبالإجراءات التى
يقرها القانون ,

بينما يقتصر الحال فى الصندوقراطية على إسناد السلطة إلى حزب (أو جماعة
أوطبقة أو جهة) دونما التزام بمباشرتها أو تسليمها طبقاً لأحكام القانون ,
فهى ثلث ديموقراطية و بالأحرى ديكتاتورية كاملة !

بما يجعل قضية بناء مؤسسات للدولة و تقنين التفاعل و الصراع السلمى بين
مكونات المجتمع جنباً إلى جنب مع تحديات الاستقلال و التنمية و الانتفاع بمزايا
التحديث و التراكم , أقرب إلى مأساة (سيزيف) فى الميثولوجيا اليونانية ,

و تلك الغاية النبيلة الراقية (التداول السلمى الشرعى للسلطة) , دونها و لا شك
خرط القتاد , و تستوجب تضحيات عظيمة على صعيد العرق و الدمع و الدّم ,
تدفع أثمانها أجيال تتطور أفكارها و ممارساتها على وجه التدرج و التراكم ,
و بغير تلك التضحيات و ذلك التراكم ,

تكون الأمة كمن يحرث البحر أو يطارد السراب !

[177] الخدمة العامة

و التَّطَوُّعُ لِلْعَمَلِ و الخدمةُ بالشَّانِ العامِ , مَسْأَلَةٌ مِش سَهْلَةٌ أَبَدًا , و لا مَوْضُوعَ هَيِّنٍ , عِشَانِ التَّبَرُّعِ بِالْوَقْتِ وَالْجُهِدِ وَالْمَالِ , عِلَاوَةً عَلَى تَحْمُلِ سُلْبِيَّةِ الْآخَرِينَ و تَحْمُلِ نَفْذِهِمْ , مُغَامَرَةٌ , لا يُقَدِّمُ عَلَيْهَا إِلَّا قَدِيسٌ , عِنْدَهُ مَخْزُونٌ وَعَى و صَبْرٌ و شَجَاعَةٌ وَتَضْحِيَةٌ وَإِدَاعٌ و ضَبْطُ نَفْسٍ , أَمَّا إِذَا غَابَتْ الْمَحَاسِنُ الْمَذْكُورَةُ , فَنَحْنُ أَمَامَ حَالِمٍ سَادِجٍ أَوْ شَجِيعٍ سَيِّمًا مَنفُوخٍ عِ الْفَاضِي أَوْ عَبْدِهِ مُشْتَقٍ أَوْ مُعْرِضٍ صَاحِبِ أَجْنَدَةٍ أَوْ شُرَابَةٍ خُرْجٍ مَغْلُوبٍ عَلَى أَمْرِهِ , و فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ , الْقَافِلَةُ هَتَبْرَكَ , و هَنَنْتَهَى بِمَهْزَلَةٍ أَوْ فَضِيحَةٍ وَيُمْكِنُ مُصِيبَةٌ أَوْ جَرِيْمَةٌ !

بَيْنَمَا عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ , أَسْهَلُ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا , الْأَنْتَخَةُ وَ قَعْدَةُ الْكَنْبَةِ وَ التَّنْظِيرُ عِ الْفَاضِي وَ التَّخْفِيلُ عِ الْغَيْرِ , مَعَ بَعْضِ فَنْجَرَةِ الْبُقِّ مِنْ هُنَا وَ تَثْبِيْطُ الْهَمِّ مِنْ هُنَاكَ ! أَغْلَبِيَّةُ النَّاسِ بِيَعِيشُوا وَ يَمُوتُوا , مِنْ غَيْرِ مَا يَشَارِكُوا فِي أَيِّ عَمَلٍ عَامٍ أَوْ مَصْلَحَةٍ جَمَاعِيَّةٍ أَوْ قَضِيَّةٍ وَطَنِيَّةٍ , مَلَفَاتٍ مِنْ قَبِيلِ : اجْتِمَاعَاتِ مَجَالِسِ الْأَبَاءِ أَوْ إِتْحَادِ الْمُلَّاكِ & نَشَاطَاتِ النَّقَابَاتِ وَ الْجَمْعِيَّاتِ الْخَيْرِيَّةِ , انْتِخَابَاتِ النَّوَادِي الرِّيَاضِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ أَوْ حَتَّى الْإِنْتِخَابَاتِ النِّيَابِيَّةِ وَ الرِّئَاسِيَّةِ وَ الاسْتِفْتَاءَاتِ وَ النَّتِيجَةُ الْمُنْطَقِيَّةُ وَ الْعَادِلَةُ لِلْكَسَلِ أَوْ اللَّامُبَالَاةِ أَوْ الْبُخْلِ , تَجَاهُ التَّطَوُّعِ لِلشَّانِ الْعَامِ , إِمَّا إِنْ الدُّنْيَا بِتَخْرَبَ وَ الْمَصْلَحَةُ بِتَضِيعَ وَ كُلُّنَا بِنَدْفَعِ التَّمَنَ ,

أَوْ إِنْ الْمَشْهَدُ بِيَتَصَدَّرُهُ غَيْرُ الْأَكْفَاءِ أَوْ الْإِنْتِهَازِيَّيْنَ وَ يَبْجُرْجِرُونَا وَرَاهِمَ فِي الْخَرَابَاتِ أَوْ الْمَتَاهَاتِ , وَ بَرَضُهُ كُلُّنَا بِنَدْفَعِ التَّمَنَ , طَيِّبٌ وَ بَعْدِينَ , إِيْهِ الْحَلِّ ؟

مَفِيشَ حَلٍّ سِحْرِيٍّ , فِيهِ حَلٌّ وَاقِعِيٌّ وَ عِلْمِيٌّ , بَسَّ مُرْتَبِطٌ مَعَاهُ تَمَنٌ غَالِيٌّ لَازِمٌ يَذْفَعُهُ الْأَفْرَادُ وَ الْمُجْتَمَعُ , خَلْطَةٌ مُتَجَانِسَةٌ مِنْ تَحَابِيْشِ مُتَفَاوِتَةٍ : وَعَى + شَجَاعَةٌ + تَخْطِيطٌ + تَوْزِيْعُ أَعْبَاءٍ + أَلْيَاتٌ وَاضِحَةٌ لِلتَّوَابِ وَ الْعِقَابِ وَ تَسْلِيمٌ وَ تَسَلُّمٌ الْمَسْئُولِيَّاتِ + حُرِيَّةُ رَأْيٍ وَ تَعْبِيرٌ + شَفَافِيَّةٌ + وَقْتُ وَصَبْرٍ , عِشَانِ مَا فَسَدَ عَلَى مَرِّ السَّنِينَ , يَحْتَاجُ فِي إِصْلَاحِهِ لِسَنِينَ .

عُنُقُ الزُّجَاجَةِ

و فكرة الحياة داخل زُجاجة , قاعها أو العُنُق , مِش وَهَم و لا تَجَنِّ , إِنَّمَا بَتُّعْتَبَر
مِن إشْكَالِيَّاتِ الْمُجْتَمَعِ وَالنِّظَامِ فِي مَصْر , و لو الأَوَّلُ أَنْكَرَهَا , يَبْقَى سَاذِجٌ
و مَوْهُومٌ , و الأَخِيرُ لَوْ نَفَاها , يَبْقَى مُرَوَّاعٌ و كَذَّابٌ !

الزُّجاجة ليها 100 شَكْل و لَوْن و مَقَاس , إِنَّمَا دى تفاصيل على الهامِش ,

العِبْرَةُ بالوظيفة و التأثير , بِمَعْنَى إِنِّها فى الحَقِيقَةِ و النِّهاية , مُجَرَّد حِيلَةٌ نَفْسِيَّةٌ
للتَّعْوِيزِ و التَّبَرِيرِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُجْتَمَعِ , و آليَّةٌ لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى الوَعْيِ الجَمْعِيّ و الرأى
العام أو بالأحرى توجيهِه و تضليله , بِالنِّسْبَةِ لِلنِّظَامِ , و الأمرُ إجمالاً ليسَ إِلَّا
تطْبِيقٌ لِنَظَرِيَّةِ المُوَامَرَةِ , و مِن ثَمَّ الزُّجاجة مُمكن تَبْقَى حاجاتٌ كَثِيرٌ :

الحَرْبُ الصَّليبيَّةُ & التَّدخُّلاتُ الأَجْنِبيَّةُ & الأَزْمَةُ الاقْتِصادِيَّةُ & المُشْكِلةُ السُّكَّانِيَّةُ
& الصِّراعاتُ الطَّبَقِيَّةُ & النَّيلُ / البِيئَةُ / المُواصلاتُ / التَّعْلِيمُ / الإسْكانُ

و الحَبْلُ عَلَى الجُرَّارِ ,

و إِذا كَانَتْ المُشْكِلةُ ليها الطَّبِيعَةُ دى و التأثيرُ دا , يَبْقَى الحَلُّ إِيَّه ؟

مَفْيِشَ حَلٍّ سِحْرِيٍّ , يَخْلُصُنَا مِنْها فى يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ , لَكِنْ فِيهِ حَلٌّ عِلْمِيٌّ عَمَلِيٌّ مُحْتَاجٌ
وَقْتُ وَتَكَائُفٍ لَأَنَّ ما يَفْسُدُ عَلَى مَدَارِ السِّنِّينِ , يَحْتَاجُ سَنِينَ لِإِصْلاحِهِ ,

لَازِمُ (المُجْتَمَعِ) , يَتِمَسِّكُ بِوَعْيِهِ و إِرَادَتِهِ ,

و إِنْ كانَ ذَلِكَ يُشْبِهُ القَبْضَ عَلَى الجَمْرِ !

و لا بُدَّ (النِّظَامِ) , يُراعى الحَوَكَمَةُ و الشَّفَافِيَّةُ و يُدْرِكُ إِنَّه مَحَلٌّ مُراقِبَةٍ و مُساءلةٍ ,

و ضَرُورَى (النُّخْبَةِ) , تَقُومُ بِواجِبِها فى التَّنَوُّيرِ و المُواجَهَةِ ,

و واجِبُ (المُواطِنِ) , إِنَّه يَحْرُصُ عَلَى الإِيجابِيَّةِ و المُبادَرَةِ .

و مَشِيَّتِ مِنْ حُفْرَةِ لُدْحُدِيرِهِ , وَمِنْ فَحٍّ لَفَحٍّ , الدُّنْيا تَأْخُذْنِي و تَهْذِبنِي , طَاخُ
طَوْخُ طَيْخِ طَاخُ

برؤباجاندا

العربى عُموماً و المِصرىّ خُصوصاً - فى تَفْديرى - يميلُ للبساطةِ و التَّنْميْط ,
هو ما يُعزى - غالباً - لتَقْدِيسِ التُّراثِ و تَقْدِيرِ الأَسلافِ و مُراعاةِ الأَعْرافِ
جَنباً إلى جَنبِ مع الكَسَلِ العَقْلِى و سُهولةِ الإِنقيادِ و سطْحِيَّةِ التَّفْكيرِ ,
و فى بيئَةٍ ثقافيَّةٍ , ووسطِ نَفْسِيٍّ كَهذا , سيكوْنُ لوسائِلِ الإِعلامِ - عُموماً - و الأمْثالِ
الشَّعبِيَّةِ و الحِكمِ الأدبِيَّةِ و الشِّعاراتِ الفَنِيَّةِ - خُصوصاً - انتِشارٌ واسعٌ و حُضورٌ
لافتٌ و أثرٌ عميقٌ .
و بخلْطَةٍ مُكوْنَةٍ من : قَليلٍ من التعمُّقِ فى تَحليلِ الوضعِ مع بَضْعَةٍ منابِرَ رَأى
بأنواعها - مرئيَّةٍ و مسموعةٍ و مقروءةٍ و إلكترونيَّةٍ - مع قَدْرٍ مُناسبٍ مِنَ التَّمْويلِ ,
يُمكنُ لأىِّ صاحِبِ مَصْلَحَةٍ - بريئَةٍ أو آثِمَةٍ - وطنيٌّ أو أجنبيٌّ ,
أنْ يَخْلُقَ / يَصْطَنَعَ حَدِيثَ سَاعَةٍ (تريُنْد) ,
و يروِّجُه لأهميَّته و خطورته حقّاً و صدقاً ,
أو على سبيلِ التَضليلِ و التَعْمِيَةِ عن قضايا أُخرى و ظواهر مُختلِفة ,
يُراُدُّ لها أنْ تمرَّ بهدوءٍ دونَ انْتباهٍ , تحتَ سِتارِ دخانِ حَدِيثِ السَّاعَةِ المُصْطَنَعِ
و لا عزاءَ لِمُجْتَمَعٍ و شَعْبٍ , يَفَرِّطانِ فى الوَعى و الإِيجابِيَّةِ .

البرؤباجاندا : فى المُصْطَلَحِ الأدبىِّ و السياسىِّ و الإِعلامىِّ هى الدَّعاية الكثيفة المُوجَّهة لخلقِ رَأى عامٍ و
توجيهه على نحوٍ مُعينٍ بشكلٍ مُستمرٍّ أو حتّى بشأنِ قضيَّةٍ بذاتها و تنشِطُ تلكَ الدَّعايةُ عبرَ وسائِلِ الإِعلامِ
المتعددة باستخدامِ آلياتٍ مُحددةٍ منها القَوْلِيَّةُ و التَّنْميْطُ و الشِّعاراتُ و الإحصائياتُ و توظيفُ المشاهيرِ و
النجومِ و قادةِ الرَأى .

لامبروزو .. لاوى بوزو

" .. و فى السنة الأولى بكليّة الحقوق , درسنا علم الإجرام و العقاب أحد فروع القانون الجنائي , و أدهشنا من نظرية لعالم إيطالى يدعى (سيزار لامبروزو) ضمنها كتابه (الإنسان المجرم) الذى أصدره عام 1876 , و يذهب فيه إلى أن : بعض الناس يولدون مجرمين بالفطرة و يكون لهم ملامح فسيولوجية و سمات سيكولوجية , يمكن تمييزها و التنبؤ بمآلها , و لكن النظرية لم تصمد للنقد الشديد من رجال القانون و علم النفس , و تخطتها الدراسات و الأبحاث فأصبحت طرفة و قصة تُحكى فى تاريخ تطور القانون و العلوم ... "

الكلام دا كان زمان , لما كان اللبس والمظهر , وظيفته يمثل ويعبر ,
اليومين دول , الدنيا اتغيرت والظروف اتعقدت ,
وبقى المظهر وظيفته يُستُر و يحور !

وعلى خلاف الوضع زمان , مجرمين الزمان الأول كان يمكن التنبؤ بيهم أو تمييزهم
بخشونة الملامح وراثية الزى , فى الألفية الجديدة ملامح المجرمين بقت مرسومة
وناعمة : الشعر مصقّف بعناية , و العطر باريسى , والبدل براندات من أعرق بيوت
الموضة , والسيجار كوبي , و ما عادوش بيستخبوا فى الأنفاق و العيش , و
يتحركوا فى العشوائيات والسكك المقطوعة , أبداً , أبسليوتلى , ممكن تشوفهم فى
مكتب حمامة فاخر أو فى استديو برنامج (توك شو) بفضائية مملوكة لشيخ خليجي
أو ملياردير (نوفو ريش)

ممكن كمان على منبر جامع , بيئن من خلطة الدين بالسياسة , أو مكتب قائد زهد
مُعسكره فى الصحرا , وقرر يشتغل فى وسط البلد , وأحياناً بيكونوا فى مكاتب
الأحزاب والنقابات بيبيعوا ويشترىوا من غير سوق أو دلال !

والخلاصة : إنَّ الحواس قاصرة , والمظاهر خدّاعه , والحذر واجب ,
و العبرة بالمقاصد والمعانى , مش بالأشكال و المبانى !

قانون ساكسونيا

و في غابر ظُلُمَاتِ العُصور الوسطى ,

كانت (ساكسونيا) إحدى مُقاطعات (أَلَمانيا)

كيانٌ إقطاعيٌّ يتحكَّم فيه النبلاء , وينقسمُ مجتمعه إلى طبقاتٍ ,

و بينَ تلكَ الطبقاتِ , فروقٌ شاسعةٌ في كُلِّ شيءٍ , الدينِ و القانونِ و الاقتصادِ ,

فإذا تعلَّق الأمرُ بجريمةٍ , ثبتتُ فيها الإدانةُ وتوجَّبَ توقيعُ العقابِ ,

طَبَقَ (قانونُ ساكسونيا) , بمعنى تَفْرِيدُ العقوبةِ بحسبِ تصنيفِ طبقةِ المُجرِمِ ,

فإذا كانَ منَ الفقراءِ ,

نالَتِ العقوبةُ شَخَصَه الفَعْلَى , رَقَبَتَه أَوْ ظَهْرَه أَوْ حُرَيْتَه أَوْ ماله

أَمَّا إذا كانَ المُجرِمُ منَ النبلاءِ أَوْ منَ ألْحَقَ بِهِمْ , يَتِمُّ تَنْفِيزُ العقوبةِ على (ظِلِّه) !

فيَقِفُ المُجرِمُ المُدانُ في الشَّمْسِ ,

و يَفْطَعُ الجَلَادُ رَأْسَ الظِّلِّ , أَوْ يَبْتَرُ كَفَّ الظلِّ أَوْ يَجْلِدُ ظَهْرَ الظِّلِّ أَوْ يَدْخُلُ السِّجْنَ

مِنَ البابِ الأماميِّ , لِيَخْرَجَ بَعْدَ لِحْظَاتٍ مِنَ البابِ الخَلْفِيِّ !

أَيْنَ هَذَا الجورَ و ذَلِكَ العسفَ مِن شريعةِ الإسلامِ ,

التي قال مُصْطَفَاهَا الصَادِقُ المَصْدُوقُ :

" إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ

و إِذَا سَرَقَ الْفَقِيرُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ , وَ أَيْمَ اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ

مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقُطِعَتْ يَدَاهُ "

صدقَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم.

أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ , و هذهِ الأنهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي , أَفَلَا تُبْصِرُونَ

" .. و جاءَ على مِصْرَ حِينُ مِنَ الدَّهْرِ , قَبْلَ نَحْوِ قَرْنٍ مِنَ الزَّمانِ أَوْ أَقْلَ ,
كَانَ النَّيْلُ يَجْرِي تَحْتَهَا هَوْنًا , وَ كَانَ عَرْشُهَا يُعْرَضُ عَلَى رِجالِها فَيَتَمَنَّعُونَ صِدْقًا
وَ يَتَأْتُونَ .."

في تاريخِ مِصْرَ الحديثِ صفحاتٍ مَطْوِيَّةٌ , وَ رَبِّما مَسْكُونًا عَنْها , بِالْعَقْلَةِ أَوْ
المُؤامَرَةِ وَ قَدْ لا يَعْرِفُ كَثِيرُونَ , أَنَّ عَرْشَ مِصْرَ قَدْ عُرِضَ عَلَى أَحَدِ رِجالِها ,
فرفضَهُ الرَّجُلُ بِكُلِّ يَقِينٍ راسِخٍ وَ ضَمِيرٍ مُستريحٍ , تَكَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ :

- عام 1914 , على الإِقطاعيِّ الصَّعِيدِيِّ مُحَمَّدٍ باشا سُلَيْمان - وَالِدِ مُحَمَّدٍ باشا
مُحمود صاحبِ اليَدِ الحَديدِيَّةِ , الَّذِي تَوَلَّى لاجِقًا رِئاسةَ الوِزراءِ غيرَ مَرَّةٍ - وَالَّذِي
أَبى أَنْ يَحْكُمَ مِصْرَ , تَحْتَ سَطْوَةِ الجِرابِ الإنجليزِيَّةِ إِبَّانَ الحَرْبِ العالَمِيَّةِ الأولى.

- وعام 1917 تنحَّى الأميرُ كَمالُ الدِّينِ حُسين , وَلِئِ عَهْدِ أَبِيهِ السُّلطانِ حُسين
كامل , عَنِ العَرْشِ , تَفْضِيلًا لِعَرامِهِ بِامْرَأَةِ فَرَنْسِيَّةٍ ,
فَظُلَّ خاتَمَ زواجِها , على تاجِ مِصْرَ !

وَ قَدْ سَبَقَ بِذَلِكَ المَلِكُ إدْواردُ الثَّامِنَ , الَّذِي تَنازَلَ عَنِ عَرْشِ بَرِيطانيا العُظْمى
عام 1936 , تَفْضِيلًا لِلزَّواجِ مِنَ المُطلَّقةِ الأَمْرِيكيَّةِ مِسرِ سَمْبسون , وَ يُذَكَّرُ
لِلأَميرِ كَمالِ الدِّينِ حُسين وَلَعَهُ بِالفنونِ وَ الآدابِ وَ التَّصوِّفِ , إِذْ أَنشَأَ مَدْرَسَةَ
الفنونِ الجَمِيلَةِ بِحَيِّ الرُّمالِكِ وَ أَصْدَرَ أَطْلَسَ جُغرافيًّا لِقَارَةِ إفريقيا .

- وعام 1954 اعْتَذَرَ أستاذُ الجِيلِ , (لُطْفى باشا السَّيِّد) المُفَكِّرُ وَالأديبُ وَ
الفيلسوفُ مؤسِّسُ حِزْبِ الأُمَّةِ , عَنِ قَبولِ عَرْضِ بِكباشِيَّةِ يُوليو (مَجْلِسُ قِيادَةِ
الحَرَكَةِ المُبارَكَةِ)

نأياً بنفسه , أن يكونَ واجهةً مغلوبٍ على أمره , لنافذين يتحكّمون سراً في مقاليد الأمور , و هو ما فطنَ إليه ألبرت آينشتاين , صاحبُ نظريّة النّسبيّة عندما رفضَ عرضَ مؤسّسَي الكيانِ الصّهيونيّ , ليكونَ أولُ رئيسٍ للدّولة العبريّة فذهبَ المنصبُ إلى حاييم وايزمان .

آفةُ حارتنا النُّكران

و فى مِصرَ آفةٌ , مُنذُ قديمِ الأزل ,
 تمنعُ تواصلَ الأعمالِ , و تراكمُ الإنجازِ ,
 إذْ يحرصُ الخلفُ على إنكارِ السلفِ , ووصمه بكلِّ نقیصةٍ ,
 و بدأ الأمرُ بتخريبِ الفرعونِ الجدیدِ , لمعابدِ الفرعونِ الرَّاحِلِ و مَسَلَّاتِهِ ,
 و تکرَّرتِ المأساةُ و تواترتِ الفجیعةُ , على مَرِّ العُصورِ ,
 حتى وصلنا فى العصرِ الحديثِ ,
 فأنكرَ مُصطفى كاملُ أحمدَ غرابی و سقَّهَ عملَه و أزرى بثُورِتهِ ,
 و أهملَ سعدُ ز غُلُولُ مُحَمَّدَ فَرِيدَ خَلِيفَةَ مُصطفى كاملِ ,
 و طَرَدَ عَبْدَ النَّاصرِ المَلِكِ فاروقَ و عَزَلَ مُصطفى النَّحاسَ باشا
 و وضعَ اللِّواءَ مُحَمَّدَ نَجِيبَ قَيِّدَ الإقامَةِ الجَبْرِیَّةِ ,
 و بعدها حاکَمَ السَّاداتُ حوارِیَّ ناصرَ و أراملَه و مَشى على خَطِّه بِمَمْحَاةٍ !
 و هكذا دوالیکَ , لا یختَرِزُ السلفُ و لا یَتَّعِظُ الخلفُ .

الحق فوق القوة .. و الأمة فوق الحكومة

ولعى بالتاريخ عموماً , و شَغَفَى بتاريخ المَحْرُوسَةِ خُصُوصاً , علاوةً على اهتمامى بالتَّجْربَةِ الحِزْبِيَّةِ فى مِصْرَ و التى كانتَ موضوعَ رسالتى – المُجْهَضَةِ – للحصولِ على درجةِ الدُّكْتُوراهِ فى القانونِ الدِّستُورِىّ , جَعَلْنِى أَتَوَقَّفُ حَزِيناً فى حَىِّ الدَّقِىِّ أَمَامَ مَقَرِّ الحِزْبِ ,

قَصِرَ غَدَا كالأطلالِ , بعدَ العُمُرَانِ و التَّوَهَّجِ ,
مائةُ عامٍ و نيف , مرَّتْ على تَأْسِيسِ حِزْبِ الوَفْدِ و ثورَةِ المِصْرِيِّينَ فى مارسِ 1919 ,

نشأ الحِزْبُ - بداءةً - كجبهةٍ قَوْمِيَّةٍ لِلْكِفَاحِ ضِدَّ المُسْتَعْمِرِ الإنْجِلِيزِىِّ الَّذِى نَكَثَ عن الوَفَاءِ بوَعْدِهِ بالانْسِحَابِ مِنْ مِصْرَ و مَنَحِهَا الاستِقلالَ بعدَ تحالُفِها معه فى الحِزْبِ العالَمِيَّةِ الأولى , عاقِبَ الإحتلالُ قَادَةَ الوَفْدِ , بالنِّفَى خارجَ الوطنِ , فاشتعلتِ البلادُ مِنْ أَقْصَاها لأقْصَاها ,

و بعدَ ثلاثَةِ أعوامٍ مِنَ المِفاوِضاتِ , اعترفتْ بَرِيطانِيا باستِقلالِ مِصْرَ و سحبتْ قُواتِها مِنَ القَاهِرَةِ إلى مُدُنِ القَنَاةِ , و فى أوَّلِ انتِخاباتِ نِيابِيَّةٍ , فازَ الوَفْدُ باكتِساحٍ و شَكْلَ سَعْدُ زَغْلُولَ

الوِزارَةَ , و خلالَ ثلاثَةِ و ثلاثِينَ عاماً سَابِقَةً على ثورَةِ يوليو 1952 ,

اقتَصَرَ وجودُ الوَفْدِ فى الوِزارَةِ على سَبْعَةِ أعوامٍ ,

و تشَطَّى إلى ثلاثَةِ أحْزابٍ (الوَفْدُ & الأحرارُ الدِّستُورِيِّينَ & السَّعْدَى)

و أنْهَكَته أَمْرَاضُ السُّلْطَةِ ,

و التَّجْربَةُ الحِزْبِيَّةُ فى مِصْرَ بَينَ ثورتِى 1919 و 1952 أثارتِ الجَدَلَ الشَّدِيدَ ,

بينَ مَنْ يراها مَحطَّةً إيجابيّةً أثرتُ الحياةَ السّياسيّةُ , و على الطّرفِ الآخر , ثَمّة
مَنْ يَعتَبِرُها مُمارساتٍ سلبيّةٍ دارتْ حولَ شُخُوصِ الزّعاماتِ السّياسيّةِ , وحفِلتْ
بالفسادِ و التّنَفّيعِ و نَجَمَ عنها قَفْزُ العَسْكَرِ على السُّلْطَةِ , و يَبْقَى الحُكْمُ للتّاريخِ ,
الذى سيشهّدُ للتّجربةِ بما لها وما عليها
#جادك الغيثُ إذا الغيثُ هَمى , يا زمانِ الوصلِ بالمحرّوسة

سِلْسِلَةُ التَّامِرِ وَ مُتَوَالِيَةِ الْخُذْلَانِ

و بعدَ سبعين عاماً و نيف ، على الحَرَكَةِ المُبارَكَةِ ،
التي بدأتْ إنْقِلَاباً عَسْكَريّاً ، ثم تطَوَّرَتْ - مع الوقتِ - إلى ثورة يوليو 1952 ،

لأزالِ جِرَابِ حَوادِيتِها مليئاً ، بالأسرارِ والصَّدَمَاتِ و العِبرِ ،

يَكْفَى أَنْ تَتَأَمَّلَ التَّفَاعُلَ الْمُتَسَلِّسِلَ لِلتَّامِرِ وَ مُتَوَالِيَةِ الْخُذْلَانِ ،
التي كَانَ لَاحِقِهَا ضَحِيَّةٌ لِسَابِقِهَا على التَّرْتِيبِ :

يُوسُفُ صِدِّيقِ مَنصُورٍ / مُحَمَّدَ نَجِيبٍ / عَبْدَ الحَكِيمِ عامِرٍ / جَمالُ عَبْدِالنَّاصِرِ /
أَنُورُ السَّادَاتِ

مع فَخٍ هُنا ، لَعَبْدِ المُنْعِمِ عَبْدِ الرَّؤُوفِ ، وَ شَرَكِ هُناكَ ، لَخَالِدِ مُحْيِي الدِّينِ ،
وَ أَلَاعِيْبِ بَلَاطٍ ضَدَّ عَبْدِ اللَّطِيفِ البُعْدَادِي وَ كَمالِ الدِّينِ حُسَيْنِ
وَ حَسَنِ إِبْرَاهِيمِ وَ زَكَرِيَّا مُحْيِي الدِّينِ وَ غَيْرِهِمْ ...

لَتُنْذِرَكَ أَنْكَ : إِذَا دُرْتُ مَعَ المَصْلَحَةِ ، وَ لَمْ تَنْتَبُثْ على المَبْدَأِ ،

سَتَصْرُخُ يَوْماً : أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلَ الثَّورُ الأَبْيَضُ !

إِنِّي أَرَى الْمَلِكَ صَرِيعًا

ظَهْرُهُ يَوْمَ خَرِيفِي , وَقَفَّةُ وَقْفَةِ عِيدِ الْأَضْحَى (1401 هـ) سَنَةِ 1981 ,
الْأَجْوَاءُ الْعَامَّةُ مُلَبَّدَةٌ بِالنُّوتْرِ , (كَامِب دِيْفِيد) وَ قِمَّةُ بَغْدَادِ وَ الثُّورَةُ الْخَوْمِينِيَّةُ فِي
إِيرَانِ

ثُمَّ اعْتِقَالَاتُ سِبْتَمْبَرِ , مَعَ شَطْحَاتِ عِبَثٍ مُتَكَرِّرَةٍ مِنْ عَيْنَةٍ :
مَنْعُ ذَنْبِ الْمَاشِيَةِ لِمُدَّةِ شَهْرٍ وَ تَفَاقُمُ إِجْرَاءَاتِ الْمُقَاطَعَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِمِصْرَ وَ تَغْلِيْقُ
عُضُوبِهَا بِجَامِعَةِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ بَعْدَ نَقْلِ مَقَرِّهَا إِلَى تُونُسِ ,

أُمِّي فِي غُرْفَةِ الْفُرْنِ تُعَدُّ حَبِيزَ الْعِيدِ , وَ أَنَا صَبِيٌّ فِي الثَّامِنَةِ ,
أَمَامَ التِّلِفِزْيُونِ أَتَابِعُ الْعَرْضَ الْعَسْكَرِيَّ لِاحْتِفَالَاتِ نَصْرِ أُكْتُوبَرِ
بِمَنْصَةِ النَّصَبِ التِّذْكَارِيِّ لِلْجُنْدِيِّ الْمَجْهُولِ ,
طَرِيقَ النَّصْرِ / مَدِينَةِ نَصْرِ بِالْقَاهِرَةِ ,

ارْتِبَاكٌ فِي الْمَشْهَدِ , وَ عُطْلٌ فِي سَيَّارَةِ عَسْكَرِيَّةٍ , شَوْشٌ عَلَيْهِ أَرِيزُ الطَّائِرَاتِ ,
طُلُقَاتُ مَدَافِعِ رَشَاشَةٍ مَفَاجِئَةٍ , وَ فَوْضَى فِي الْمَنْصَةِ , كِرَاسٌ مَقْلُوبَةٌ
وَ رَدُّ فِعْلٍ مُتَأَخَّرٌ وَ بَطْئٌ مِنْ جَرَّاسَاتِ التَّأْمِينِ , قَطْعُ الْبَيْتِ الْمُبَاشِرِ ,
بِبَرَاءَةِ الْأَطْفَالِ وَ فِرَاسَتِهِمْ , أَدْرَكَتُ الْمُوَاطَرَةَ ,
وَ تَفَافَرْتُ مِنَ الْإِثَارَةِ فِي أَرْجَاءِ الْبَيْتِ صَاحِحًا : قَتَلُوهُ , وَ اللَّهُ الْعَظِيمُ قَتَلُوهُ !

أُمِّي – بِحَرِصِهَا الْمُعْتَادِ - تَرَكَتُ الْعَجِينَ فِي الْفُرْنِ , وَ بِيَمِينِهَا كَتَمْتُ فَمِي ,
" اسْكُتْ يَا ابْنِي , لَا يَأْخُذُوكَ مَا تَجِيشُ " !

وَ عَلَى مَدَارِ الْعُمُرِ , نَفَذْتُ مُعْظَمَ نَصَائِحِهَا , عَدَا تِلْكَ النَّصِيحَةَ ,
لَا بَاغْرَفَ أَغْمَضَ , وَ لَا أَقْدَرَ أَسْكُتُ !

عزرائيل يتورط فى السياسة

" صورة تذكارية لزعيم الأمة الراحل سعد باشا زغلول
مع تلميذيه وحوارييه , أحمد ماهر باشا و محمود النقراشى باشا
وجميعهم تولوا رئاسة مجلس وزراء المحروسه ... "

لكنّ المفارقة , أنّ سعداً الذى جاهد القصرَ و الإنجليز , عُقوداً طويلة , ماتَ فى
فراشه بينما كانت نتيجة اختلاف الأخيرين , مع الأحزاب و الجماعات المصرية ,
أثناء الحرب العالمية الثانية , و مباشرة قبل ثورة يوليو 1952 ,
أنّ تمّ إغتيالهما بأيدي مصرية ,

و هى مفارقة , لم تقع فقط مع زغلول وحوارييه , وإنما هى سُخْريّة القدر ,
والمفارقة بين جنة السياسة الوطنية و جحيم السياسة الحزبية
التي تحتفظ - بحدّ أدنى - من شرف الخصومة ورقى الخلاف , فى الحالة الأولى ,
و أجيج نار الفتنة وسعير الكيد والنار , فى الحالة الثانية ,
مفارقة , سمحت لزعماء عديدين , نافحوا المستعمر الأجنبى , بالموت فى السرير
بينما تلطّى زعماء ووزراء آخرون بنار الإغتيال السياسى ,
و القائمة طويلة تبدأ بعبّاس حلمى الأول , و تتضمن بطرس غالى , حسن البنا ,
أمين عثمان , و لا تنتهى بيوسف السباعى و عبد الحكيم عامر و أنور السادات و
رفعت المحجوب ...

أولاد الكامب

" و رغم أن مُعاهدة (كامب ديفيد) كانت تبدو وكأنها إنجاز كبير لأطرافها ,
 إلا أن الثابت أن جميع من وقّعوا وثيقتها في 1978/9/17 , قد أصابتهم اللّغة ,
 فاختفوا من المسرح السياسي خلال سنتين من الاختفال الذي نالوا عنه جائزة نوبل
 للسلام جيمى كارتر (الرئيس الأمريكى) لم يُعاد انتخابه عام 1981 ,
 و مناحم بيجين (رئيس وزراء الكيان الصهيونى) , اُكتأب و انزوى ,
 و تقاعد فجأة فى أغسطس 1983 , و أنور السادات استشهد في منصّة العرض
 العسكرى بين جنوده و ضباطه , فى الذكرى الثامنة لانتصاره العظيم ... "

و كأنّ تاريخ الأحداث والوقائع , يصدرُ في (طبعتين) ,
 طبعة رسميّة , للساسة , يُدجّون فيها ما يشاؤون أو يتمنّون ,
 و طبعة شعبيّة , للعامة , يرصدُ فيها المُستنيرون ما جرى على أرض الواقع ,
 مما أفلت من التّمويه و التشويه ,
 و تبقى الإشارة إلى أن : المُعاصرة حجابٌ ,
 و أنّه وللعجب , كلّما ابتعدنا عن مظهر الحدث , زماناً و مكاناً ,
 نفترّب من جوهره , كُنْها و تأويلا !

حِسْبَةُ بَورْما

الحَقِيقَةُ نِسْبِيَّةٌ , و الواقعُ حَمَالُ أوجه ,
و نظرُنا للأشخاصِ و الوقائعِ , و تَقْدِيرُنا للدلالاتِ و المَعانِي ,
يتوقفُ على زاويةِ الرُّؤيةِ وسابِقةِ الخِبرةِ , بِمُراعاةِ الظُّروفِ و السِّياقِ ,
و على سَبِيلِ المِثالِ : كُنْتُ أَطالِعُ صُورَةً بالأَبْيَضِ و الأَسْوَدِ , تَرَجُّعٌ إلى خُمُسِيَّاتِ
القَرْنِ العِشرِيْنِ , لَجَمالِ عَبدِ النَّاصِرِ و مَعهُ جَواهِرُ لالِ نَهرو رَئيسُ وزراءِ الهِنْدِ ,
في ضِيافةِ رَئيسِ وزراءِ (بَورْما) بالزَّيِّ الوَطَنِيِّ البَورْمِي
يُشارِكانِ في طَقْسِ ثُرائِيٍّ (عِيدِ المائِ في العَقِيْدَةِ البُوذِيَّةِ) ,
و لِلإِنصافِ , يَبْدُو الرِّجْلانِ العَظِيمانِ , كَشَحَّاذِيْنِ أو مُهَرِّجِيْنِ ,
تَركِيبَةٌ لو صَدَرَتْ عَنِ القَذافيِّ أو إرْدوغانِ أو مُرْسِيٍّ , لكانَتْ مَحَلًّا لِلنَقْدِ و
السُّخْريَّةِ , و لكن (الكاريزما) و الشَّعْبِيَّةُ , تَجْعَلُ الصُّورَةَ لَيسَتْ فَقطُ مَحَلٍّ قَبُولِ ,
و لكنْ أَيْضاً مَدْعَى لِلْمَحَبَّةِ و التَّقْدِيرِ ,
إِذا تَمَّ تَأويلُها على مَحْمَلِ تواضِعِ العُظماءِ و قَبُولِ الآخرِ ,
و التَّفَاعُلِ بَينَ الأديانِ و الحَضاراتِ و التَّقافاتِ .

أثر الفراشة , لا يُرى , أثر الفراشة , لا يزول

كُنْتُ شَابًا يافِعًا دُونَ الثَّلَاثِينَ , عُضُوًّا بِهَيْئَةٍ قِضَائِيَّةٍ , مَسْئُولًا عَنِ الإِشْرَافِ عَلَى لَجْنَةِ إِنْتِخَابِيَّةٍ , بِإِحْدَى قُرَى شَمَالِ الصَّعِيدِ , فِي مَطْلَعِ الْأَلْفِيَّةِ الْجَدِيدَةِ ,

وَ إِذْ لَمْ يَكُنِ الْإِقْبَالُ كَبِيرًا عَلَى التَّصَوُّيْتِ ,

فَقَدْ مَكُنْتُ أَتَحَايِلُ عَلَى الْمَلِّ , بِمُطَالَعَةِ كِتَابِ

أَوْ الْعَبَثِ فِي الْهَاتِفِ النَّقَالِ , أَوْ التَّرْثَرَةِ مَعَ أُمْنَاءِ اللَّجْنَةِ وَ مَوْظَفِي الْمَدْرَسَةِ مَقَرِّهَا , فَجَاءَ , إِزْدَحَمَ الْمَشْهُدُ بِجَمْعٍ غَفِيرٍ , يَتَقَدَّمُهُ عُمْدَةُ الْقَرْيَةِ وَ أَعْيَانُهَا وَ ضَبَاطُ حِرَاسَةِ مَقَرِّ اللَّجْنَةِ , يَتَوَسَّطُهُمْ رَجُلٌ مُسِنَّ شَدِيدُ الْوَجَاهَةِ , فِي بَزَّتِهِ الْمَدْنِيَّةِ وَ عَصَاهُ الْأَبْنُوسِ , وَ يَنَادِيهِ الْكَافَّةُ (سَيَادَةُ اللَّوَاءِ) , رَحَّبْتُ بِالْجَمِيعِ , وَ وَجَّهْتُ بِتَنْظِيمِ الْإِجْرَاءَاتِ بِهَدْوٍ حَتَّى يَتِمَكَّنَ مَنْ يَرِيدُ التَّصَوُّيْتِ , مِنْ أَدَاءِ الْوَاجِبِ ,

عِنْدَمَا عَرَفَنِي الْعُمْدَةُ بِسَيَادَةِ اللَّوَاءِ , أَحَدِ أُمْنَاءِ رِئَاسَةِ الْجُمْهُورِيَّةِ , فِي عَهْدِ الرَّئِيسِ الْأَسْبَقِ السَّادَاتِ , أَنْدَهَشَ الرَّجُلُ مِنْ مَعْرِفَتِي بِاسْمِهِ وَ إِحَاطَتِي بِدَوْرِهِ الْخَطِيرِ فِي وَاحِدَةٍ مِنْ أَحْرَجِ مَرَاكِزِ انْتِقَالِ السُّلْطَةِ وَ الصِّرَاعِ عَلَيْهَا فِي مُفْتَتِحِ السَّبْعِينَاتِ , بَيْنَ عَزِيزِ مِصْرَ الْجَدِيدِ وَ أَرَامِلِ الْقَيْصَرِ الرَّاحِلِ , إِذْ وَصَفْتُهُ بِأَنَّهُ كَانَ (الْمَفْصَلُ) الَّذِي دَارَتْ عَلَيْهِ بَوَابَةُ الْحُكْمِ , لَتَتَغَلَّقَ فِي وَجْهِ الْحَرَسِ الْقَدِيمِ وَ تَتَفْتَحَ لِلْفِرْعَوْنَ الْجَدِيدِ , إِذْ نَفَخَ نَفِيرَ الْإِنْذَارِ وَ دَقَّ نَاقُوسَ الْخَطَرِ وَ سَلَّمَ تَسْجِيلَاتِ أَسْرَارِ النُّخْبَةِ الْمُسَيِّطِرَةِ لِلْوَرِيثِ الْمُرْتَبِكِ , فَغَرَ الرَّجُلُ فَاهًا , وَأَزْدَفَ وَ هُوَ يَبْتَسِمُ :

لَعَلَّكَ لَمْ تَكُنْ وَ لِدَّتْ بَعْدُ يَا سَيَادَةَ الْمُسْتَشَارِ ,

وَكَانَ مُحِقًّا فِي حَدْسِهِ , إِذْ وَقَعَتْ تِلْكَ الْأَحْدَاثُ فِي

5 / 1971 وَوُلِدَتْ بَعْدَهَا فِي 10 / 1973 ,

و تَمْتَمَ فِي قِنَاعَةٍ : لَمْ أَفْعَلْ سِوَى وَاجِبِ الْإِنْحِيَاذِ إِلَى الشَّرْعِيَّةِ , وَعَقَبَ تَنَاوُلِ قَهْوَتِهِ ,
سَلَّمَ وَ انْصَرَفَ , بَعْدَهَا عَادَتِ اللِّجْنَةُ إِلَى الْهُدُوءِ ,
فَتَدَاعَتْ أَفْكَارِي فِيمَا يُسَمَّى بِأَثَرِ الْفَرَاشَةِ !
وَ كَيْفَ أَنَّ هَذَا الْكُؤْنَ , لَيْسَ إِلَّا مَنْظُومَةٌ وَاحِدَةٌ مُتْرَابِطَةٌ فِي تَنَاسُقٍ وَ إِحْكَامٍ , تَجْعَلُ
لِرَفَّةِ فَرَاشَةٍ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ - بِالتَّدرِيجِ وَ التَّتَابُعِ وَ التَّعَاضُطِ - نَتَائِجَ عَظِيمَةً وَآثَارَ
مُتْرَامِيَّةَ كَبُرْكَانٍ أَوْ إِعْصَارٍ فِي الطَّرْفِ الْآخِرِ لِلْكُؤْكِبِ ,
وَ هُوَ خُلِقَ وَ تَدَبَّرَ - لَوْ تَعْلَمُونَ - عَظِيمٌ .

زَمْنُ الْأَدَبِ الْجَمِيلِ

قُلْ مَا شِئْتَ عَنْ جَدَلِ الدِّينِ وَ السِّيَاسَةِ فِي مِصْرَ وَ عِلَاقَةِ السُّلْطَانِ بِالشَّيْخِ
وَ مَا يَتَنَاقَشُ عَلَيْهَا مِنْ فَنَاتِ مَدٍّ وَ جَزَرٍ , وَ تَعَاوُنٍ يَصِلُ إِلَى حَدِّ الْوَلَاءِ وَ التَّوَحُّدِ ,
وَ نِزَاعٍ يَتَطَرَّفُ إِلَى الْقَتْلِ وَ النَّفْيِ مِنْ جِهَةٍ , وَ خَلْعِ الْبَيْعَةِ وَ التَّكْفِيرِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى .

لَكِنْ ثَمَّةُ ثَوَابِتٍ , لَا مَفَرَّ مِنَ التَّمَتُّسِ حَوْلَهَا وَ الْإِيَابِ إِلَيْهَا كُلَّمَا اذْلَهَمَ الْوَاقِعُ وَ غَامَتْ
الرُّؤْيَا , فَرِغَمَ الْمَكَانَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي يَحْظِي بِهَا الدِّينُ فِي التُّرَاثِ وَ الثَّقَافَةِ الْمِصْرِيَّةِ ,
إِذْ يُعْتَبَرُ الْمِصْرِيُّونَ مِنْ أَوَائِلِ الشَّعُوبِ الَّتِي عَرَفَتْ تَوْحِيدَ الْإِلَهِ وَ بُعِثَ عَلَى أَرْضِهَا
النَّبِيُّ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ زَارَهَا أَبُو الْأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ دَرَجَ عَلَى
تُرَابِهَا يُوسُفُ وَ مُوسَى وَ هَارُونُ , وَ زَارَهَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ – عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
– وَ أَوْصَى الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ – بِأَهْلِهَا خَيْرًا , وَ انْفَرَدَتْ بِذِكْرِهَا
صَرَاحَةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ وَ تَجَلَّى الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَلَى أَحَدِ
جِبَالِهَا بِطُورِ سَيْنَاءَ , إِلَّا أَنَّهُ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ , فَالدُّوْلَةُ فِي مِصْرَ مَرْكَزِيَّةٌ وَ الْحَاكِمُ
لَهُ مَكَانَةٌ مُبْجَلَةٌ – تَكَادُ تَكُونُ مُقَدَّسَةً – وَ تَوْقِيرُهُ وَ طَاعَتُهُ تَكَادُ تَكُونُ عَقِيدَةً فِي عُقُولِ
وَ قُلُوبِ الْمِصْرِيِّينَ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ .

وَ الْقَاعِدَةُ أَنَّهُ إِذَا رَأَيْتَ الْعُلَمَاءَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ , فَقُلْ بِئْسَ الْمُلُوكُ وَ بِئْسَ الْعُلَمَاءُ ,
وَ إِذَا رَأَيْتَ الْمُلُوكَ عَلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ فَقُلْ : نِعَمَ الْمُلُوكُ وَ نِعَمَ الْعُلَمَاءُ .

و فى هذا الصددِ ثَمَّةَ مواقفٍ لا تُنسى للملوكِ و الأمراءِ و الرؤساءِ المِصريين تؤكدُ على تَوقيرهم لمَقامِ عُلَماءِ الشريعةِ و رجالِ الدينِ و مُقرئِ القرآنِ الكَريمِ ,

فَمَنْ يَنسى حِرصَ المَلِكِ فاروقِ على حُضورِ جَلِساتِ تِلَاوةِ القرآنِ الكَريمِ بقصرِ عابدين

و جلوسه على مَقعدٍ أصغرَ وأدنى مِن مَقعدِ قارىءِ السَّورةِ , و قَبْلَها فى مُفَتِّحِ القَرْنِ العِشرين كانَ الأميرُ مُحَمَّدٌ على تَوفيقِ ولئى عَهدِ أخيه الخديوى عباسِ جِلمى الثانى , و ثَمَّةَ صُورَةٍ مشهورةٍ لولئى العَهدِ – مِن الوَضْعِ واقِفاً - مع الإمامِ مُحَمَّدِ عبده مُفتى الدِّيارِ المِصريةِ - مِن الوَضْعِ جالِساً - و اللَّقْطَةُ مُجَلَّلَةٌ بالوَقارِ و المودَّةِ مِنَ الرَجَلينِ الكَبيرينِ ,

و حتى بَعدَ ثُورَةٍ يُوليو 1952 , وَسطَ رَخمِ الأَحداثِ المُتواليةِ , حَرَصَ الرَّئيسُ جَمالُ عبدِ النَّاصِرِ فى مَطْلَعِ السَّتيناتِ على إِصدارِ قانونِ تَطويرِ الأزهرِ رَقمَ 301 لِسنةِ 1961 و الذى تَضمنِ إِدخالَ العلومِ الحَديثةِ و التَّطبيقيةِ لجامعةِ الأزهرِ جَنباً إلى جَنبِ معِ علومِ الشريعةِ و اللُّغةِ , و مَدّاً لِلخَطِّ على اسْتقامَتِهِ و حِفاظاً على السِّياقِ , فثَمَّةَ صُورَةٍ مشهورةٍ للرَّئيسِ جَمالِ عبدِ النَّاصِرِ - و رئيسِ مَجْلِسِ الأُمَّةِ وقتها - أَنورِ السَّاداتِ عَقِبَ أداءِ الصَّلَاةِ , يُعِينانِ شَيْخَ الجامعِ الأزهرِ مُحَمَّدَ شَلْتوتِ على النُّهوضِ و القِيامِ فى تَبْجِيلِ كَريمِ لِمقامِهِ و شَيْخوخَتِهِ .

دَعَكَ مِن مُخاشِشاتِ السَّاداتِ لاحتِقاَ للشَيْخِ أَحْمَدِ المَحَلَّوى أو الشَيْخِ عبدِ الحَميدِ كِشْكِ أو للبابا شَنودةِ , فَهذهُ أَشياءٌ تَعدُ خارجَ السِّياقِ ,

و كانتْ جُزْءاً مِن مُناخِ مَشْحوونٍ مُتَوَرِّينَ فى أَجْواءِ تَغييرِ المَسارِ السِّياسى و الاقْتِصادى لِلدولةِ عَقِبَ حَرْبِ أَكْتوبرِ 1973

و التَّوجُّهُ نَحْوَ الانْفِتاحِ الاقْتِصادى و تَطْبِيعِ العِلاقاتِ معِ الكِيانِ الصُّهْيونى فالمُجْتَمَعُ بِكاملِ أَطْرافِهِ عانى مِن ارْتِباكِ السَّاداتِ و إِجْراءاتِهِ القَمْعيةِ وَصولاً إلى الانفجارِ فى

حَادِثِ الْمَنْصَّةِ , بَعْدَهَا , وَعَقِبَ تَوَلَّى مُبَارَكِ السُّلْطَةِ , بِالنَّفْسِ الْهَادِيَةِ وَ الْأَدَاءِ
الرَّتِيبِ , عَادَ لِلْمَشْهَدِ السِّيَاسِيِّ
وِ الْاجْتِمَاعِيِّ الْهَدْوِ وَ السَّكِينَةِ , وَ ارْتَدَّتْ عِلَاقَةُ الْحَاكِمِ وَ رِجَالِ الدِّينِ إِلَى الْوَضْعِ
التَّقْلِيدِيِّ الْمَتَوَاتِرِ فِي مِصْرَ بِمَقَوِّمَاتِ الْإِحْتِرَامِ الْمُتَبَادَلِ وَ التَّوْقِيرِ الْمَعْهُودِ ,
وَ لَكِنَّا نَشْكُ فِي اِحْتِمَالِيَّةِ تِكْرَارِ وَاحِدَةٍ مِنْ الصُّوَرِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا سَلْفًا وَ الَّتِي كَانَتْ
فِي سِيَاقٍ وَ ظُرُوفٍ وَلَّتْ وَوَلَّى عَصْرُهَا , زَمَنُ الْأَدَبِ الْجَمِيلِ .

الفرص الضائعة

و حياة البشر و تاريخ الأمم و مصير الدول ,
بصورة أو بأخرى , ليس إلا سلسلة عشواء من الفرص الضائعة ,

يقف الزمان على مفترق طرق , و تزبو الأمة على الحافة ,
و يصبح المصير رهن اختيار الوجهة و مناط الانحياز ,

تغيم البصيرة و ترتعش الأيدي و الأقدام و يعيب اللسان ,
ترتبك الحسابات و تدور المساومات و تندس المؤامرات ,
يختلط الثابت بالمتحول و يتفنع الخاص بالعام و يتسرّب العاجل بالأجل

تقع الواقعة , و يغيب المشير الخبير و يبعد الناصح الأمين ,
و يوسد الأمر إلى غير أهله , فيميل الميزان و يطيش الرهان
يتجلد الفاجر و يعجز الثقة , فيحصص الباطل و يطم الخسران المبين ,

أيام الشؤم و ليال النحس تلك , تكررت في تاريخنا المعاصر , مرّات و مرّات ,

- يوليو 1805 , يتأخر العالم العامل الحسينب النسيب الشيخ عمر مكرم
عن المطالبة بحكم مصر , و يقدم الضابط الأرنأوطي المغامر تاجر الدخان
(محمد على) ليؤسس الأخير سلالة حاكمة
تجلس على عرش مصر مائة وخمسين عاما !

- سبتمبر 1882 , الجيش المصري الثائر على الخديوى توفيق و امتيازات الضباط
الأجانب يخسر معركة النيل الكبير بسبب خيانة عديدين , على رأسهم الضابط على
يوسف (خنافس باشا) و رئيس مجلس النواب محمد سلطان باشا زعيم الإقطاعيين

المصريين , و بعد إعلان السلطان العثماني عصيان عرابي , اختل الإنجليز مصر
لما يزيد عن سبعين عاما !

- مارس 1954 , ينقسم ضباط حركة يوليو الحاكمة إلى فريقين , بشأن الاستمرار
في الحكم أو العودة للتكنات وتسليم السلطة للمدنيين , و ينحاز رئيس الجمهورية
اللواء محمد نجيب و معه الرائد خالد محيي الدين - منفردين - للاتجاه الثاني فيتم
إبعاد الأول من السلطة و نفي الثاني إلى سويسرا , و يعتدى على الفقيه الدستوري
عبد الرزاق السنهوري رئيس مجلس الدولة في مكتبه , و تخرج مظاهرات عمال
النقل تلعن الديمقراطية , فتستمر جمهورية ضباط يوليو عشرات السنين !

- يناير 1977 , السلطة تعلن عن إلغاء دعم بعض السلع الأساسية و رفع أسعارها ,
و الشعب ينزل إلى الشوارع في مظاهرات اعتراض عمّت القاهرة و الإسكندرية
و سموها (انتفاضة الخبز) , بعد أن فاض به الكيل من تبخر وعود الرخاء
الاقتصادي بعد سنوات الحرب العجاف و فشل سياسات الانفتاح , و السادات
المصدوم من جحود الجماهير للفرعون المنتصر , يعود من أسوان على عجل ,
يلغي القرارات الاقتصادية و يعزل وزير الداخلية و يأمر الجيش بضبط الأمن و
السيطرة على الحشود الغاضبة و يطلق على الاضطرابات
(انتفاضة الحرامية) , و بعد سقوط نحو مائة ضحية , يلقي القبض على المئات و
يُحالوا إلى المحاكمة الجنائية ,
فيصدر القضاء الأحكام ببراءة الجميع , و تجهز ثورة الجماهير لتعود بعدها
بنصف قرن تهتف في ميدان التحرير : (عيش & حرية & عدالة اجتماعية) .

صُدْفَةٌ

و التَّارِيخُ زَاخِرٌ بِالْأَحْدَاثِ الْعَجِيبَةِ وَ الْوَقَائِعِ الْمُدْهِشَةِ , الَّتِي لَا تَجْدُ تَفْسِيرًا أَوْ تَعْلِيلًا لَهَا سِوَى الصُّدْفَةِ , بِمَعْنَى الْقَدَرِ الْمُسَيِّطِرِ الْمُلْغِزِ وَ الْإِرَادَةِ الْعَلِيَّةِ الْمُبْهَمَةِ ,

الَّتِي تَفْرُضُ وَاقِعًا مُعَيَّنًا يَخْرُجُ عَنْ سِيَاقِ الْمَجْرَى الْعَادِي لِلْأُمُورِ ,
بَلْ وَ أَخْيَانًا يُنَاقِضُهُ , وَ تَحْكُمُ الْمَشِيئَةَ الرَّبَّانِيَّةَ ,

فَلَا مُعَقَّبَ عَلَى حُكْمِهَا , وَ تَقْضَى , فَيُنْصَاغُ الزَّمَانُ وَ الْمَكَانُ وَ الْإِنْسَانُ وَ الْأَكْوَانُ .
فَفِي مِصْرَ الْقَدِيمَةِ , كَانَ لَوَالِيهَا (مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجِ الْإِخْشِيدِ) , عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مَخْصِيٌّ
فَاجِمُ السَّوَادِ مَثْقُوبُ الشِّفَةِ السُّفْلَى ,

يُسَمَّى (أَبُو الْمَسْكَ كَافُور) التَّحَقَّ بِبِلَاطِ الْحَاكِمِ , وَ أَظْهَرَ الْوَلَاءَ وَ الْكَفَاءَةَ حَتَّى
أَصْبَحَ أَحَدَ قَوَادِ الْجَيْشِ ثُمَّ وَصِيًّا عَلَى أَوْلَادِ الْإِخْشِيدِ الْقُصَّرِ ,

وَ فِي عَامِ 946 م , كَانَ الْحَاكِمُ الْفِعْلِيُّ ثُمَّ الرَّسْمِيُّ لِلْبِلَادِ وَ دَامَ حُكْمُهُ وَاحِدًا
وَ عِشْرِينَ عَامًا كَانَ يُكْنَى خِلَالَهَا (بِالْأَسْتَاذِ) وَ مَدَحَهُ (الْمُتَنَبِّيُّ) ثُمَّ هَجَاهُ , وَ قَدْ حَصَلَ
عَلَى إِقْرَارِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ فِي بَغْدَادِ الَّذِينَ لَمْ يُثْنِتُوهُ أَوْ يَخْلَعُوهُ !

وَ بَعْدَهَا وَ فِي عَامِ 1035 , كَانَتْ الْخِلَافَةُ الْأُمَوِيَّةُ بِالْأَنْدَلُسِ تُصَارِعُ الْهَبُوطَ وَ
الْإِنْحِلَالَ , وَ عَلَى الْعَرْشِ الْخَلِيفَةُ الْعَاشِرُ (هِشَامُ الْمُؤَيَّدُ بِاللَّهِ) الَّذِي كَانَ يُعَانِي مِنْ
صِرَاعِهِ مَعَ أُمَرَاءِ (قَشْتَالَةِ) مِنْ جِهَةٍ , وَ نَفُوذِ وَسَيْطَرَةِ وَزِيرِهِ وَحَاجِبِهِ (الْمَنْصُورِ بْنِ
أَبِي عَامِرٍ) مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ,

و انتهت ولايته الأولى بعد أن أعلن أولو الأمر وفاة الخليفة , لحاجة في نفوسهم و صراعهم على السلطة , و بعدها بثلاثية و عشرين عاما ,

دبر (المُعتمد بن عباد) المُتغلب على حُكم إشبيلية شبيهاً له من عامة الناس يُدعى (خلف الحصري) و بُويع بالخلافة مُجدداً و ظلَّ يحُكم باسمه لما يزيدُ عن العشرين عاما و هو حبيبُ القصر لا أمرَ له و لا نهى !

و في مطلع القرن التاسع عشر , كان (مُحمَّد على باشا) يُنبت دعائم دولةٍ حديثة في مصرَ على جميع الأصعدة و المستويات ,

و كان من أركان حُكمه , (لاظ أوغلي باشا) ,
الذي تقلب بين وزاراتٍ عدَّة - الماليَّة و الأشغال و الحربيَّة - كما رأس مجلس
النظار - الوزراء - لسنواتٍ طويلة ,
و كذلك كان ينوب عن الوالى أثناء فترات غيابه عن البلاد ,

و تكريماً له تمَّ نحت تمثالٍ على هيئته ,
يُنصب في الميدان المُسمَّى على اسمه بوسط القاهرة ,
و تحيط به عدَّة وزاراتٍ و سفارات و معالم ,
و الطريف أن التمثال الذي تمَّ نَحْته بعد سنواتٍ طويلةٍ من وفاة صاحبه , تمَّت
الاستعانة فيه برجلٍ من عامة الناس كان يعملُ (سقاء للماء) و كان يُشبه الباشا
مَلامحاً و إهاباً , فكتبَ له الخلود و الشهرة دون مسوغ أو مُبرر !

على صعيد آخر , جرث العادة أن تصدر أوراق العملة في جميع دول العالم , مطبوعاً عليها صور الملوك و الرؤساء أو أشهر معالمها الطبيعية أو مزاراتها التاريخية , ما عدا مرةً وحيدةً لورقة نقد من فئة الجنيه المصري , تم إصدارها عام 1924 بعد الاستقلال عن الاحتلال البريطاني , في عهد الملك فؤاد ملك مصر و السودان و حمل الوجه الأول للورقة صورة جامع المنصور قلاوون بينما حمل الوجه الثاني صورة فلاح أقصرى بسيط يدعى إدريس , كان يعمل بستانياً في حاشية الأمير أحمد فؤاد ابن الخديوى إسماعيل و تنبأ له بالجلوس على عرش مصر , فى وقت كان الأمير فيه شريداً مفلساً محجوباً عن ولاية العهد بالأمير كمال الدين حسين ابن السلطان حسين كامل , فلما توفى الأخير فجأة عام 1917 و اعتذر الأول عن التاج , تحققت رؤية إدريس و صار فؤاد سلطاناً ثم ملكاً على مصر و كرم خادمه بطبع صورته على أوراق العملة ليخلد سيرته !

شَرَعِيَّة .. شَرْعِي .. شَرَع .. شَر .. ش

[.. كُلُّ الْحِكَايَةِ , سُتْرَةٌ تُفْتَحُ أَزْرَارُهَا – زَهْوًا – فِي الْمِيدَانِ ,
و بَعْدَ عِلْمٍ , تُغْلَقُ السُّتْرَةُ - إِرْتِبَاكًا – فِي الْمَحْكَمَةِ ,
لَا تَحْتَ الْقُبَّةِ , شَيْخٍ , وَ لَا فِي الْجِرَابِ , نَهْضَةً !
و لَيْسَ سِوَى الشَّبَقِ الْمَرَضِيِّ لِلْكُرْسِيِّ وَ الصَّوْلَجَانِ ,
و لَوْ عَلَى تِلَالِ الْجَمَاجِمِ , وَ أَنْهَارِ الدَّمَاءِ]

فِي صَيْفِ 2013 , وَ بَعْدَ إِعْلَانِ فَوْزِ الرَّاحِلِ د. مُحَمَّدٍ مُرْسَى كَأُولِ رَئِيسٍ مَدَنِيٍّ
مُنْتَخَبٍ لْجُمْهُورِيَّةِ مِصْرَ الْعَرَبِيَّةِ , أَقْسَمَ الْيَمِينُ الدُّسْتُورِيَّةَ قَبْلَ مُبَاشَرَةِ صِلَاحِيَّاتِ
الْمُنْصَبِ الرَّفِيعِ , أَمَامَ الْمَحْكَمَةِ الدُّسْتُورِيَّةِ الْعُلْيَا – نَتِيجَةً لِعَدَمِ وَجُودِ بَرْلَمَانٍ مُنْتَخَبٍ
قَائِمٍ – , وَ لَمَّا كَانَتْ الْجَمَاعَةُ وَ حِزْبُهَا وَ رَأِيسُهَا الْمُنْتَخَبُ , فِي حَالَةٍ نُفُورٍ أَقْرَبِ
لِلصِّدَامِ مَعَ الْمَحْكَمَةِ الْمَذْكُورَةِ , فَقَدْ حَرَصَ الرَّئِيسُ عَلَى أَنْ يُكْرِرَ الْقَسَمَ غَيْرَ مَرَّةٍ ,

مَرَّةً فِي ظَهْرِ ذَاتِ الْيَوْمِ – 2013/6/30 - فِي جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ ,

وَأُخْرَى عَشِيَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَشْهُودِ , فِي مِيدَانِ التَّحْرِيرِ ,

لَكَى يَنْتَحِلَ شَرَعِيَّةً مُسَاوِيَةً وَ مُوَازِيَةً , مِنْ أَعْرَقِ الْجَامِعَاتِ الْمِصْرِيَّةِ وَ الْعَرَبِيَّةِ ,
وَ النُّخْبَةِ الْمِصْرِيَّةِ , عِلَاوَةً عَلَى رَمْزِيَّةِ الْمِيدَانِ كَنْعٍ لِلثَّوْرَةِ الْمِصْرِيَّةِ
وَ جَبْهَةِ افْتِرَاضِيَّةٍ تَضُمُّ كُلَّ دُعَاةِ التَّغْيِيرِ وَ خَلْعِ نِظَامِ مُبَارَكٍ وَ أَذْنَائِهِ ,

فِي مَشْهَدِ مِيدَانِ التَّحْرِيرِ ,

خَطَبَ الرَّئِيسُ بِكَلِمَاتٍ مُفَعِّمَةٍ بِالتَّلَقَّائِيَّةِ وَ الْحَمَاسَةِ وَ الْأَمَلِ :

أنّه يتعهّد بتنفيذ كلّ غايات الثورة و مطالب الثّوار ,
و عندما تدخّل الحراس ليحولوا بينه و بين الجماهير ,
نحّى الحرس و فكّ أزرار سُتْرته ,
كنايةً عن الزّهو و الالتحام بنبض الجماهير و سواعد الثّوار ,

بعد نهاية أحداث ثورة 30 يونيو 2013 , تمّ القَبْضُ على رئيس الجُمهوريّة
و احتجازه و تقرر خَلْعُه في 2013/7/3 , و تقدّمه للمحاكمة الجنائيّة
بتهمة الضّلوع في أعمال عنفٍ نتجَ عنها قتلى و جرحى
بمُحيط قصر الاتّحاديّة , مساء يوم 5 ديسَمبر 2012 ,

و انعقدتُ أولى جلسات المُحاكمة بمقرّ أكاديميّة الشرطة يوم 4 نوفمبر 2013, وإذا
بالرئيس السابق / المُتّهم , يَصِلُ لمقرّ المحكمة في عرَبيةٍ بائسة (مايكروباس)
و يَحْرِصُ فورَ نُزوله منها , على أن يُغلقَ أزرارَ سُتْرته – مُرتبكاً – يَحاولُ جاهداً
أن يُحافظَ على الوقار , و هيبة المَنصبِ الذي أصبحَ خَبِراً بعدَ عَيْن !

نقطة الضعف

[..أتاتورك عَوَجَ لسان تُركيا مِن العَرَبى لِلاتينى, وَقَلَعَ رجالُها الطَّرْبُوشَ وحرَّيَها الحِجابَ , بس ما قَدَرش على حَرَمه (لَطيفه هانم) اللى اخْتَفَظت بِاسمها الجَميل و حجابها الأَجْمَل حتى و لو كان التَّمَن , طَلاقها مِن دِيكتاتور البِيسْفور و الدَرْدَنيل ..]

قالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ :

" الولدُ ثَمَرَةُ القلبِ و إِنَّه مَجْبُنةٌ مَبْخَلَةٌ مَحْزَنَةٌ . "

صدقَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ , و معنى الحديثِ أَنَّ قُلُوبَ الأَباءِ مُعَلَّقَةٌ بِوجودِ و سَعادةِ الأَبناءِ , ما قَدْ يُفْعَدُ الأَباءُ عَنِ الجِهادِ فى سَبيلِ اللهِ أو البَذْلِ و الإنفاقِ جِرساً على مُرافقةِ أبنائهم أو تَأْمينِ مُستقبلهم , علاوةً على أَنَّ أهونَ خَطَرٍ أو ضَرَرٍ يُحْدِثُ بالولدِ أو يُلْحَقُ به يُحْزِنُ قلبَ الأبِ , و ما يَسْرى على الأَبناءِ يَنْطَبِقُ

- بِصُورَةٍ أو بِأُخْرى - على أَقربِ الأَقربين مِنَ الأَباءِ والأَزْواجِ و الإِخْوةِ و الأَحْفادِ و أحياناً الأَصْدَقاءِ .

و إذا كُنا قَدْ افْتَتَحنا المَقالَ بالإِشارةِ إلى حديثِ مُصْطَفى كَمالِ أَتاتورك (الذَّنْبِ الأَغْبَرِ) مَعَ حَرَمه لَطيفه هانم , فَإِنَّ المَلِكَ فاروقَ الأوَّلَ - و الأخيرَ - مَلِكَ مِصرَ و السُّودانَ تَبَقى قِصَّتُه حالَةً ظاهِرَةً فى القِضِيَّةِ المَعْرُوضَةِ , ففاروقَ كانَ ابناً وحيداً على أَرْبعِ بناتٍ - علاوةً على أُخْتٍ غَيرِ شَقِيقَةٍ - لوالده المَلِكِ فُؤادِ , فَنشأَ مُحاطاً بِالْحُبِّ الزَّائِدِ و التَّدْلِيلِ المُبَالِغِ فيه , حَتَّى أَثَّرَ ذلكَ بِالسَّلْبِ فى تَكْوِينِهِ النَفْسِىِّ , و هِى مُشْكَلةٌ تَفاقَمَتْ بِرحيلِ فُؤادِ و ارْتقاءِ فاروقِ العَرْشِ

و هو ابنُ ستّة عشر عاماً لا يزيدُ , بعدها فوجيء بمغامراتٍ و نزواتٍ والدته الملكة نازلى , الأزملة الطروب التي حبسها فؤادُ ستّة عشر عاماً فى قُمْفُم , غيرةً على جمالها الباهر , فانطلقت بعد رحيله , تُعوضُ ما فاتها , الأمر الذى أفضى لاحقاً إلى حرمانها من اللقب الملكى و المخصّصات المالىّة بعد أن هاجرت

إلى أمريكا مع صُغرى بناتها فتحيّة – و قيلَ ارتدّت عن الإسلام و تنصّرت - وارتبطا بعلاقة مُعقّدة مع موظّف دبلوماسى قبطى بسيط يدعى (رياض غالى) , تزوّج فتحيّة و بعد سنواتٍ قتلها و حاول الانتحار ففشلت محاولته !

هذا عن الملك فاروق , أمّا من خلفه فى حُكم مصر , اللّواء مُحَمّد نجيب أولُ رئيس جُمهوريّة للدولة المصريّة , وأولُ حاكمٍ لمصر من أبنائها بعد ملوكِ القراعنة منذُ آلاف السنين فقد كان مَصيرُ أبنائه أجمعين , مأساةً تُحطّم القلب , بعد خلع أبيهم من السُلطة ووضعِهِ تحت الإقامة الجبريّة , فقد كان (على) أكبرُ أبنائه , يدرُس فى ألمانيا و له نشاطات حقوقية فى مناصرة القضايا العربية عامة و المصرية و الفلسطينية خاصة , و تمّ اغتياله دهساً و ضرباً عام 1968 , أما (فاروق) محمد نجيب فقد وقعت بينه و بين أحد رجالِ البوليس مُشادةً

بعد أهانٍ الأخير اللّواء نجيب و تقه من مقامه و دوره فدافع فاروق عن سُمعة أبيه فتمّ الزّجُّ به فى سجن طرة , فلم يَحتمل الضّغوط و ماتَ بأزمة قلبية بعد خمسة شهور , و يبقى (يوسف) أصغرُ الأبناء , الذى آثر السّلامة و ابتعد عن كلّ عملٍ عام , و ارتضى بوظيفة سائق أجرة و هو ابنُ رئيس جُمهوريّة !

الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كانت علاقاته بأبنائه الخمسة طبيعىّة و جيّدة , مع التّحفظ بتوتّر علاقته بأشرف مروان زوج منى عبد الناصر , و هو ما تبين صحة حدس عبد الناصر بشأنه بعد رحيله , و ما كُشِف عنه لاحقاً من مُغامراتِ مروان فى سكرتارية مكتب جمال عبد الناصر و أدواره العربيّة و المُخابراتيّة فى عهد أنور السادات ثم تورّطه فى المال و الأعمال و تجارة السّلاح , حتّى مصرعه الغامض فى لندن عام 2007 ,

خالد جمال عبد الناصر , كَانَ أستاذًا في كُليَّة الهندسة , وتورَّط في تنظيم سياسيّ جمعه ببعض رجالِ المُخابرات العامة السابقين , لمُكافحة النِّشاط الصِّهْيونيّ في مِصرَ بعدَ مُعاهدة كامب ديفيد , و نُسِبَ إلى التنظيم اغتيالُ عِدَّة دُبلوماسيين إسرائيليين , وتمَّ كَشْفُ التنظيم و القبضُ على أعضائه الذين أصرّوا على تَبَرُّة ساحة (خالد), و سُمِحَ للأخير بالخروج إلى يوغُسلافيا حيثُ أمضى ثلاثة أعوامٍ عادَ بعدها لمِصرَ و حصلَ على بَراءة قضائيَّة , ثمَّ رحلَ في هُدوء عام 2011 , أمَّا (هُدى) فقد تدرَّجت في العمل كاستاذة بكلية الاقتصاد و العلوم السياسيّة

و تعتبر القِيَمَةُ على ثَراثِ أبيها و تُنافِخُ عنه في كُلِّ مَحفلٍ عام ,

بينما ركَّزَ عبدُ الحكيم و عبدُ الحميد على أعمالِ المُقاولات

و العقارات و تجاوزَ حُجْمُ أَعْمَالِهما

المليارات - قيلَ بِمُساعداتٍ عربيَّة - و هُما نَجَلَى زعيمِ الاشتراكيَّة العربيَّة !

أما الرئيسُ أنور السادات فقد كَانَ لَهُ سَبْعَةُ أبناء , ستة بنات (رُقِيَّة & راوية & كاميليا & لُبْنَى & جَمال & نُهى & جيَّهان) الثلاثُ الأولى مِن زَوجَتِهِ إقبال ماضى و الأربعةُ اللاحقون مِن جيَّهان صَفُوت رؤوف , التي حملتْ لُقَبَ زَوجِها لاجِقاً لتَصريرِ جيَّهان السادات ,

بناتُ السادات مِن زَوجَتِهِ الأولى كانَ حظُّهم قليلاً في التعليم و الزَّواج و الاعتراف الأدبيّ الإجتماعي , على الرِّغم مِن أن رُقِيَّة قامتْ بِتأليفِ كِتاب عن أبيها عُنوانه

(ابنته) و كذا أنشأتْ كاميليا (مركزُ السادات للسلام) , بينما كانَ حظُّ أبناء السادات مِن جيَّهان السادات أوفرَ و أطيبَ في التعليم و الزَّواج الاعتراف الأدبيّ , فقد صاهرَ السادات عائلاتٍ عريقةً مِن ذَوى الحيثية (عبد الغفار & سيِّد مَرعى & عُثمان أحمد عُثمان & محمد شغلان) و التزمَ جمال أنور السادات بنصيحةِ والدِه في البُعدِ عن مُستنقعاتِ السِّياسة ,

لكنَّ المَصاعِبَ و المُشاغبات صَدَرتْ مِن أبناءِ عُمومَتِه

(أنجال طلعت و عصمت) .

أما عن الرئيس الأسبق , حسنى مبارك , فكانت أحاديثه العائلية , ذات شجون , فقد كانت علاقته بأسرته جافة بل خشنة , بعد وفاة والده السيد مبارك الموظف بمحكمة طنطا عام 1960 و تردد أن السيدة / نعيمة أحمد إبراهيم والدته , اضطرت إلى مقاضاته لإلزامه بنفقتها الشرعية , و قد توفيت إلى رحمة الله عام 1978 حين كان مبارك يشغل وظيفة نائب رئيس الجمهورية , و بينما لزم أخوته (عصام & فوزى & سامية) الهدوء و التوارى عن الأنظار , بتعليمات الرئيس الراحل , فقد كانت علاقته مضطربة بشقيقه سامى مبارك رجل الأعمال الذى كان نائباً بمجلس الشعب عن حزب الوفد المعارض خلال الفترة من 1982 إلى 1987 , حتى قيل أن مبارك أجبره على مغادرة البلاد إلى ألمانيا ليتخلص من متاعبه ,

ابنا مبارك كانا مدللين و لم يستطع الرئيس الوالد إجبارهما على ما فرضه على عائلته من النأى عن السياسة و التجارة , فقد كان لكليهما نشاط واسع و عريض فى حقل المال و الأعمال و كان لأصغرهما نشاطاً و طموحاً سياسياً مُعلن ,

أما عن نشاط أصهار مبارك (منير ثابت & مجدى راسخ & محمود الجمال)

فى دنيا المال و الأعمال , فذلك حديث آخر ذو شجون و هموم .

كُلُّ يُغْنَى عَلَى لَيْلَاهُ .. وَ أَنَا عَلَى لَيْلَى أُغْنَى

بالأمس القريب , كانت ذكرى زواجي , العيد العشرين (2021/9/9)
و إذ احتفلنا بالمناسبة السعيدة , انداحت دوائر الذكريات ,
يوم شرعنا في السعى على الدرب , القلوب جذلانة و النفوس متفائلة ,
بعد يومين من الزفاف , توافد الأهل لتهنئة العروسين , مثرعين بالبشر ومحمّلين
بالهدايا , إن هـي إلا دقائق , حتّى إنقلب الحال رأساً على عقب ,
إذ تواردت الأنباء , عن هجوم جوي خطير مريب ,
تتعرض له الجهات السيادية والمالية في الولايات المتحدة الأمريكية ,
البيت الأبيض والبنطاجون والكونجرس ومركز التجارة العالمي
الرؤية تغزى إلى غموض الجهة المسئولة عن الهجوم , علاوة على ابتكار فكرته ,
بينما ترجع الخطورة , إلى حساسية المنشآت محل الهجوم و كونه واسع التدمير ,
و يُعدُّ أول اختراق و هجوم على أراضى العمّ سام ,
و هو ما لم يجرؤ عليه هتلر أو موسوليني أو هيروهيتو !

نَسَى الجَمِيعُ العُرُوسِينَ , وَ تَحَوَّلُوا فِي غَمْضَةِ عَيْنٍ ,
إِلَى خُبْرَاءٍ عَسْكَرِيِّينَ وَ مُحَلِّلِينَ اسْتِرَاتِيجِيِّينَ ,

بَيْنَ حَزِينٍ عَلَى الصَّحَايَا الْأَبْرِيَاءِ ,
وَ مُتَشَفِّ فِي جَيْشِ أَبْرَهَةَ , الَّذِي تَعَصَّفَ بِهِ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ !

انْتَحَيْتُ جَانِباً بِأَبْوِيَا , فَتَبَسَّمَ الشَّيْخُ وَ هُوَ يُنَمِّتُمْ : مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ ,

مُنْذُ ثَلَاثِينَ عَاماً , كُنَّا نَحْتَفِلُ بِزَفَافِنَا , بَعْدَ لَأَى ,
وَ إِذَا بِالرَّحِيلِ الْمُبَاغِتِ لِعَبْدِ النَّاصِرِ (1970/9/28)
يَحُولُ الْوَطْنَ مِنْ أَقْصَاهُ إِلَى أَقْصَاهُ , لِسُرَادِقِ حُزْنٍ عَمِيمٍ ,

وَ أَمَنْتُ الْغَالِيَةَ عَلَى كَلَامِهِ , مُضَيِّفَةً : بَعْدَهَا بِثَلَاثَةِ أَغْوَامِ (1973/10/6) ,
كَانَ الْجَمِيعُ يَرْقُصُونَ طَرَباً فِي الشُّوَارِعِ , بِمُنَاسَبَةِ انْتِصَارِ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ ,

بَيْنَمَا أَرْجَفُ أَنَا فَرَقاً وَ لَهْفَةً عَلَى وَلِيدِ مَرِيضٍ لَا نَدْرِي عِلَّتَهُ ,
وَ زَوْجِ حَبِيبٍ عَلَى الْجَبْهَةِ , لَا خَبَرَ يَقِينٍ عَنْ مَصِيرِهِ .

مَصْرُ لِلْمَصْرِيِّينَ وَ الْمُتَمَصِّرِينَ

واحد من لو غاريثمات المُجتمَع وأعاجيب التُّراث في مَصْر المَحْرُوسه هِي عُقْدَةُ
 الخَواجِه, و أَنَّ زَمَّار الحَيِّ لَا يُطْرَب بَيْنَمَا الشَّيْخ الغَرِيب سِرَّهُ باتِع !
 و مِش لازم تكون مَصْرِي أَباً عَن جَد عَشَّان تَحِب مَصْر و تَحْدِمها , و يَحِبُكَ
 المَصْرِيِّين و يَخْلِدُوا سِيرَتَكَ , مَصْر طُول عُمرها جَنِينَه على الغَرِيب ,
 و كمان فيها حاجه بتخَلِّي أبناء السبيل يَحْبُوها و يتوطِنوا فيها , خُذ عَنْدَكَ يا سِيدِي ,
 مَحْمُود فَهْمِي البارودي باشا (رَبُّ السَّيْفِ و القَلَمِ) و الممثل حسين فهمي أَصْلُهُم
 شَرْكَس , صلاح الدِّين الأيوبيّ و عَبَّاس مَحْمُود العَقَّاد و أَحْمَد شَوْقِي (أَمِيرُ
 الشُّعراء) أَصْلُهُم أَكْراد , و مُحَمَّد على باشا الكَبير و كُلُّ خَلْفائِهِ أَصْلُهُم أَلبان
 (أَرْنَأُوط) , و نُوبار باشا رَئيسُ الوزراء و فيروز و نيللي و لِبْلَبَة أَصْلُهُم أَرْمَن,
 عَذْلِي يَكُن باشا رَئيسُ الوزراء و شويكار و عادل أَدَهْم , أَصْلُهُم أَتْرَاك ,
 اللّواء مُحَمَّد نجيب و السَّادات و المُمثل إبراهيم خان و كابتن شَطَّة , نِصْف
 سُودانيّين , نجيب الرِّيحاني كان عِراقي و فَرِيد الأطْرَش دُرْزِي و أنور وَجْدِي
 سُورِي و الأديب على أَحْمَد باكتير يَمَنِي و المَخْرَج مُحَمَّد خان أَصْلُهُ باكستاني , و
 استيفان رُوستي و داليدا أَصْلُهُم طَلِيّاني و حَميد الشاعري لِيبي و كابتن مُحسِن
 صالح أَصْلُهُ إرِيترِي و الشَّاعر بَيرم كان تُونِسي و أَحْمَد مِكي جَزائري , و مُعْظَم
 أَوْلِياء الله الصَّالِحِينَ أَصْحَاب المَقامات و الأَضْرحة في مَصْر أَصْلُهُم مَغْرِبي و
 أحياناً أُنْدَلُسي إسباني :

(أبو العباس المُرسي & أحمد البدوي & أبو الحسن الشاذلي & البوصيري &
طلحة المغربي & عبد الرحيم القنائي & أبو الحجاج الأقفري .. و الشاطبي و
الطرشوشى ...)

و الخلاصة إن بلاد كثيره اتأثرت بالهجرات والغزوات , و اتبدلت شخصيتها و
لسانها و دينها لاتينى و انجلوساكسونى و عربى و فارسى , لكن المخرسة كانت
بتهميم و تمصر كل وافد عليها و ساكن فيها وتحوله لابن بلد شكلاً ولهجةً و ديناً
و فناً و أدبا .

[198]

عاشت الأسامي

و طوال عصر حُكم الأسرة العلوية للدولة المصرية (1805 : 1953) ,
على مدار نحو قرنٍ و نصف القرن من الزمان ,

تركَزَتْ تسمياتُ المُدن و الإنشاءاتِ , على الاشتقاقِ مِنْ أَسْمَاءِ الولاية و الحُكَّامِ مِنْ
أبناءِ الأسرة مع استثناءاتٍ نادرةٍ للبابِ العاليِ في عاصمةِ الخلافةِ العُثمانيةِ في
إسطنبول , و مِنْ ذَلِكَ على سبيلِ المِثالِ :

مَبْرَّةُ مُحَمَّدٍ على و شارعُ مُحَمَّدٍ على (محمد على باشا) و التَّرعةُ الإبراهيميةُ (
إبراهيم باشا) و حيّ العباسيةُ (عبَّاس جلمى الأول) و بورسعيد (سعيد باشا) و
الإسماعيليةُ (الخديوى إسماعيل) و بور توفيق (الخديوى توفيق) و بورفؤاد وكذا
مُديريةُ الفؤاديةُ / كفر الشيخ

(الملك فؤاد) , مع الإشارةِ للاستثناءاتِ العُثمانيةِ و مِنْها ترعة المَحموديةُ (
السُّلطان محمود) و شارعُ عبد العزيز (السلطان عبد العزيز) ,

و ليسَ بخافٍ , أَنَّ التسميةَ على أَسْمَاءِ الحُكَّامِ استمرتْ عقبَ إلْغاءِ المَلَكِيَّةِ و إعلانِ
الجُمهوريَّةِ في 1953/6/18 فهذه مَدِينةُ ناصِرٍ / نَصْر , و استنادِ ناصِرٍ و بُحيرةُ
ناصرٍ و بعد 1970 , و تولَّى أنور السادات حُكمَ مصر ,

رأينا مَدِينةَ السادات و أكاديميةُ السادات و معاشِ السادات ,

و لعلَّه مِنْ المآثرِ القليلةِ - التى لا يَخْتَلِفُ عليها أحد - فى دولةِ مُبارَكِ

تعفُّفه و عزوفه عَن تسمياتِ المُدن و المُنشآتِ باسمِهِ مع استثناءاتٍ نادرةٍ لِسُلْسِلَةِ
مَكْتَباتِ سوزان مُبارَكِ و مشروعِ مُبارَكِ / كول لتطوِيرِ التَّعليمِ الفَنِّى .

[199]

عَنْبَرُ الْعُقَلَاءِ

المصريين فيهم مزايا كثير , لكن كمان عيوبهم مش قَلِيلَه ,
ومن أشهر العيوب دى وأخطرها :
الكسل العقلى وسطحية التفكير واستسهال التعامل مع ظاهر الأشخاص والأشياء
دون تعمق بالتحليل أو التنظير , ونتيجة لهذا العيب ,
تلاقىهم يحبوا يصنّفوا الناس
فى قوالب جاهزة و أنماط ثابتة , عشان يفهموا كتالوجك و يحدّدوا معاملتك
وبعدّها يزموك فى مخزن الكراكيب فى عقولهم وقلوبهم ,
وتحليل المشكلة دى أساسه إن القولة والتّميّط أسهل كثير من التّدقيق
و التّفريد وأنسب للعقول الكسلانة و النفوس اللامبالية !
زّمان من 100 سنة , كان المصريّين مفسّومين لفرّيقين :
إمّا (سعدىست) نسبةً إلى سعد زغلول أو (عدلىست) (نسبةً إلى عدلى يَكُن
ودا كان صِهر للعيله المالكه و رئيس وزرا ومحطّ إعجاب ناس كثير
خُصُوصاً فى النُّخبَة و عِليَة القُوم ,
لكن على الجانب الآخر , زغلول الأزهرى الجورنالجى المحامى المُستشار
الوزير كان طاغى الشَّعبِيّة , و زعامته لحزب الوُفد و بلاغته فى الخطابة
وتاريخه الثّرى المُشرّف , سحروا الناس ,

اللى ما غَفَرْتش ل يَكُنْ إِنْحِدَارُه مِنْ أَصُولِ تُرْكِيَّة ,

بعدها و على مَدَارِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ و حتى الآن , هتلاقى نَفْسُكَ بِتَسْمَعِ أَسْئَلَةِ عَقِيْمَةِ
و مُتَوَرِّطِ فِي جِدَالَاتِ سَخِيْفَةٍ مِنْ عَيْنَةٍ :

نَاصِرِيٍّ وَلَا سَادَاتِي & غُرُوبِي وَلَا فِرْعَوْنِي & قَهْوَجِي وَلَا شَايَاتِي
& كُتْثُومِي وَلَا فَيْرُوزِي & يِنَايِرْجِي وَلَا يُونِيُوجِي & أَهْلَاوِي وَلَا زَمَالْكَوِي ...

ووسط كل الزَيِّطِطِه وَالزَّمْبَلِيْطِطِه دِي , مَا حَدِّشْ عَنْده اسْتِعْدَادِ يَسْمَعِ تَفَاصِيلِ أَوْ يُدَقِّقِ
فِي اعْتِبَارَاتِ , حَاجَاتِ زِي : أَنَا مِشْ مُهْتَمٌ .. أَوْ رَافِضِ الْخِيَارَيْنِ
أَوْ بِأَفْضَلِ حَاجَةٍ تَالْتِه.. أَوْ كُنْتُ مَعَ وَاحِدٍ وَعَدَلْتُ لِلتَّانِي

وَلَأَنْ أَسْهَلَ حَاجَه , نَقَسِمِ النَّاسِ وَالْحَاجَاتِ , لِأَبْيَضِ وَأَسْوَدِ , وَطَيِّبِ وَشَرِيرِ ...
و نَرِيحِ دِمَاغِنَا وَ نِفْصِلِ , بَسَّ الْحَقِيقَةِ غَيْرِ كِدَا خَالِصِ , وَالْوَاقِعِ مُخْتَلَفِ وَ مُعَقَّدِ
وَمُرَاوِغِ وَبَيْنِ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ , عَشْرَاتِ الدَّرَجَاتِ مِنَ الْأَلْوَانِ ,
وَكَمَا عَلَى الْأَرْضِ فِيهِ بَشَرٌ , مِشْ مَلَائِكُهُ أَوْ شَيَاطِينِ ,
وَكُلِّ وَاحِدٍ حُرٌّ , إِمَّا يَنْفَصِلُ عَنِ الْوَاقِعِ ,
أَوْ يَزْمِي نَفْسَهُ فِي الْخَلَّاطِ , وَ يَحَاوِلُ يَفْهَمُ وَيَنْصِفُ

عَشَانِ كِدَا , نَاسِ كَثِيرِ بَتَعْتَبِرِ مَصْرَ عَنَبَرِ عُقْلَاءِ كَبِيرِ ,
إِمَّا تَدْنِدِنِ فِيهِ مَعَ الْقَطِيعِ الْمَوَاوِيلِ الْمُقَرَّرَةِ ,
أَوْ تَنْعَزِلُ شُعُورِيًّا وَ تُحْمِي نَفْسُكَ , جَوْهَ قَلْعِهِ عَلَى جَزِيرَةٍ فِي خَيَالِكَ

اللَّغْنَةُ

تزاوجت النَّكْبَةُ و النَّكْسَةُ , فكانَ نِتاجُهُمَا (حَنْظَلَةٌ)
و لَمَّا نَكَّصَ الْعَرَبُ عَنْ كِفَالَةِ يُثِمِّهِ و إِيوَاءِ تَشَرُّدِهِ , أصابتنا لَغْنَتُهُ ,
فَكُلُّنَا الْآنَ - بِدَرَجَةٍ أَوْ بِأُخْرَى - (حَنْظَلَةٌ) , و لا عَزَاءَ لِنَاجِي الْعَلَى و أَحْمَدَ مَطَرٍ ,
دَعَّ عَنْكَ هَذَا الْعَبَثَ السَّخِيفَ ,
فِي كَوْنِنَا الْأُمَّةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَكْنَى هَزَائِمُهَا الْعَسْكَرِيَّةُ و تُكَرِّسُ لَهَا أَسْمَاءَ تَذَلِيلٍ ,
و تَطْهَرُ مَعِيَ , بِالْأَعْتَرافِ ,
بِذَنْبِ التَّقْصِيرِ و الْخُدْلَانِ ,
لِلْحَسِيبِ النَّسِيبِ الْمَقْدِسِيِّ الْعَرَّائِيِّ الْعَكَائِيِّ الْيَافَاوِيِّ الْخَلِيلِيِّ الْجِنِينِيِّ الْعَسْقَلَانِيِّ ابْنِ
الْأَقْصَى , حَتَّى صَارَ طَرِيدَ الْأَرْضِ يَتِيمَ التَّارِيخِ ,
و دَعْنَا نَتَدَبَّرُ كُلَّ هَذَا الْخَرَابِ و خِيَامِ الْإِيوَاءِ , شَرْقَ بَنِي يَغْرُبَ و غَرْبَهَا و شِمَالَهَا
و الْجَنُوبَ , مِنْ جَرَاءِ اقْتِنَالَاتِ الْبَسُوسِ و حُرُوبِ دَاجِسِ و الْغُبَرَاءِ ,
جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ غَارَاتِ أَبْنَاءِ الْعَمِّ و مُؤَامِرَاتِ بَنِي الْأَحْمَرِ و الْأَصْفَرِ ,
مَا نَجَمَ عَنْهُ تَكَاثُرُ الْحَنَاطِلَةِ شُرَكَاءِ التَّشْرِيدِ و الْقَمْعِ و الْفَاقَةِ و الضِّيَاعِ ,
حَتَّى قَالَ الْقَائِلُ : كُلُّنَا فِي الْهَمِّ حَنْظَلَةٌ !

لَبَّيْكَ قُدْسَاه

نادِراً ما أخلُمُ أخلاماً طويلاً , و الأُنْدَرُ , أن أتذكَّرَ تلكَ الأخلامَ ,
وبعدما جَرَتْ في النّهرِ مياةٌ غزيرةٌ ,
ظننّا معها , أنّه نَسَى المنْبَعِ والمَصَبَّ ,
رأيتُ فيما يرى النائمُ :

كأني فتى , يسعَى في رُبوعِ القُدسِ ,
يدورُ في حوارِها , و يتبلَّغُ بزَعترِها و الزَّيتونِ ,
و يُدبِّرُ مع رفاقٍ , لغزوةٍ و شهادةٍ ,
و ما لبثوا حتّى باعَتهمُ أخفادُ القردةِ والخنازيرِ ,
و إذ غيَّبَت السَّرايِبُ بنيَ غَزَّةٍ و الخليلِ ,
انفردَ بالفتى المُحقِّقُ الصَّهيونيّ و نخزه :
ماذا تفعلُ هنا أيُّها المصريّ ؟

سنكتفى هذه المرّة , بكسرِ سبّابةِ يمينِكَ ,
وشرعَ في تنفيذِ عقابه , فإذا بجهازِ التَّعذيبِ يتعطّل !
و انتبهتُ من منامى , أتصبَّبَ عرقاً و أتهلَّلَ بشراً .

الفرعون النوبي و الشاويش البدوي

" ذات النرجسية و الجبروت و النهاية الدامية "

عقب انتصار السادس من أكتوبر 1973 , كانت علاقة السادات بالقذافي , تمرُّ بشهر عسل - الأخرى هُدنة - مواءمة لظروف وحدة الصف العربي , خلف دول المواجهة مع العدو الصهيوني , وانتشاءً بطفرة ارتفاع أسعار النفط , و توج ذلك بمشهد العقيد بالزي العسكري

في البرلمان المصري , يحضر و يُشارك في تكريم أبطال ملحمة النصر العظيم , بعدها تلبدت الأجواء , بعد وضوح توجه السادات إلى الانسحاب من المعسكر الاشتراكي و الانتماء في أحضان أمريكا و المعسكر الرأسمالي ,

و التّنصل من إرث عبد الناصر بعد التّخلص من حواريه و أرامله , و المبادرة بحديث الصّلح مع الكيان الصهيوني

مروراً بزيارة تل أبيب و الخطبة في الكنيسة وصولاً إلى مُحادثات كامب ديفيد و معاهدة السلام المصريّة بما أفضى إلى تمزق الصف العربي و دعوة دول الرّفص - و منهم ليبيا - إلى مقاطعة مصر و طردها من جامعة الدول العربيّة ,

ثمّ تعددت التّحرّشات و المخاشنات المصريّة الليبية على عدّة جبهات ,

في الأرض المحتلّة و لبنان و السودان , وحتى داخل الأراضي المصريّة , بمغامراتٍ مخابراتية و تخريبية من هنا

و هناك حتى فاض الكيل بالسادات في يونيو 1977 , فدفع بالقوات المصريّة إلى عملية عسكريّة تأديبية داخل الحدود الليبية استمرت أياماً و أسفرت عن وقوع ضحايا من الطرفين و سيطرة على عدّة مَدُن , و انتهت بالانسحاب استجابةً لوساطة عربيّة.

و الخلاصة , أنّ الصّور الرسميّة للرئيسين أمام الكاميرات ,

بابتساماتٍ من الأذن للأذن

و أَحْضَانِ الْأَحِبَّةِ , لَا تَزِيدُ عَلَى كَوْنِهَا بَرُوبَا جَانِدَا وَعِلَاقَاتٍ عَامَّةٍ , بَيْنَمَا فِي الْقَلْبِ
و الْعَقْلِ , كَانَ السَّادَاتُ يَرَى الْقَدَافِي , مُهَرَّجاً مَخْبُولاً تَصْنَفُويَا
بَيْنَمَا يَرَى الْعَقِيدُ السَّادَاتَ , عَمِيلاً مُتَأَمِراً خَائِناً لِلْعُرُوبَةِ !
#السِّيَاسَةُ يَا عَزِيزِي أُيَيْكَ

الصندوق و الدّابة

" (أدولف هتّلر) , رئيسُ الوزراء / المُستشارُ الشابُ المُنتخبُ
مُبتسِماً مُطأطِئ الرّأس , يُصافِح الماريشال (باول فون هايندنبرج) رئيسَ ألمانيا ,
في الفترة ما بين الحربين العُظميين , قبلَ أن يُنقلبَ عليه , و يتَّهمهُ بالخيانةِ
والاستِسلام , بعدها سيُطرَ على السُّلطةِ في الرايخ الثّاني , و تقوَّى إقْتصادياً و
عسْكرياً و توسَّعَ حربيّاً في مناطق النُّفوذ الألمانيةِ في أوروبا , قبلَ أن يدفعَ
بالبشريّةِ إلى مَحرقَةِ الحربِ العالميّةِ الثّانيةِ "

هذا المأساةُ الملهأةُ , تَكَرَّرتُ مراراً ,
بإختلاف الزّمانِ والمكانِ و الأشخاصِ ,

و التّاريخُ لا يُكرِّرُ ذاته ,
و لكنّ البَشَرَ لا يتعلَّمون مِن أخطائهم ,

المُفارقةُ هُنا , إنّها ربّما تكونُ المرّةُ الوحيدةُ
التي يَقلبُ الطاولةَ فيها , صندوقُ انتخاباتٍ على دّابةٍ !

#التّاريخُ عِنْدما يُخرِجُ لِسَانَهُ للبَشَرِ.

أمريكا شيكا بيكا

وَحِلَافاً لِمُعْظَمِ الْبُلْدَانِ , فَإِنَّ أَمْرِيكَ لَيْسَتْ وَطَنًا ,
وَلَا هِيَ دَوْلَةٌ مُؤَسَّسَاتٍ , عَلَى نَفِيزِ الشَّائِعِ ,

إِنَّهَا كِيَانٌ خَلِيطٌ , بَيْنَ الشَّرَكَةِ وَالسَّيْرِكِ ,

الْجُمُهورُ فِيهَا وَحَامِلُو الْأَسْهُمِ , مِنْ دَافِعِي الضَّرَائِبِ , يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ وَ يُدِيرُونَ ,
بَيْنَمَا عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ , ثَمَّةُ كَارْتِلَاتِ بِيْزْنِسٍ وَ مِيدِيَا وَ جِنْرَالَاتِ ,
يَتَحَكَّمُونَ فِي الْمَسْرَحِ وَيُرْتَبِّونَ الْعُرُوضِ ,

وَبَعْدَ فَفْرَةِ الْمُهَرَّجِ الرَّنْجِيِّ - الَّتِي لَنْ تَتَكَرَّرَ غَالِبًا إِلَّا بَعْدَ عُقُودٍ طَوِيلَةٍ - ,
رُبَّمَا نَرَى فِي الْمَكْتَبِ الْبَيْضَاوِيِّ قَرِيبًا , إِمْرَأَةً بَرُوتَسْتَانْتِيَّةً وَ بَعْدَهَا سِينَاتُورَ يَهُودِيٍّ ,
وَلَيْسَ بِبَعِيدٍ أَنْ يَدْخَلَ فِي التَّدْوِيرِ , مُهَاجِرٌ صِينِيٌّ أَوْ لَاتِينِيٌّ , مَنْ يَدْرِي وَ مَنْ يَهْتَمُّ ,

طَالَمَا ظَلَّتْ خُيُوطُ اللَّعْبَةِ , فِي أَيْدِي أَشْبَاحِ الظِّلِّ بِكُلِّ السُّلْطَانِ وَ دُونِ مَسْئُولِيَّاتٍ !

[205]

نُوبِل

بَيْنَ السَّرَابِ وَ كَذِبَةِ إِبْرِيل

لَيْسَ ثَمَّةَ حَيَاةٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ,
و لَيْسَ ثَمَّةَ مُسَاوَاةٍ بَيْنَ الْجَانِيِ وَ الضَّحِيَّةِ ,
و لَكِنَّ آفَةَ الرَّأْيِ , الْهَوَى ,
وَلَأَنَّ الْجَوَائِزَ فِي الْعَرَبِ مُعْرِضَةٌ وَ مُلَوَّنَةٌ ,
فَلَيْسَ عَجِيبًا , أَنْ يَتَقَاسَمَ السَّادَاتُ وَ مَنَاحِمُ بَيْجِينَ ,
جَائِزَةَ نُوبِلَ لِلسَّلَامِ أَوَاخِرَ السَّبْعِينَاتِ , وَ فِي مَطْلَعِ التَّسْعِينَاتِ , تُمْنَحُ ذَاتُ الْجَائِزَةِ
مُشَارَكَةً بَيْنَ عَرَفَاتٍ وَ رَابِيعٍ وَ بَيْرِيز !

مِنْ عَالِمٍ مَحْكُومٍ بِالْأَهْوَاءِ السِّيَاسِيَّةِ , وَمَضْغُوطٍ بِكَارْتِلَاتِ الْبِيزْنِسِ ,
و مُتَلَاعِبٍ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَبَاطِرَةِ الْإِعْلَامِ ,
وْمُشَوَّشٍ وَمَفْتُونٍ بِوُكْلَاءِ الرَّبِّ (شِيُوخٍ / قَسَاوِسَةٍ / حَاخَامَاتِ)

فَإِنَّ الشَّعْبِيَّةَ لَيْسَتْ مِقْيَاسًا لِلشَّرْعِيَّةِ , وَ لَيْسَتْ دَالَةً عَلَى الْقِيَمَةِ ,
وَإِنَّمَا تَدُلُّ الْأَوَّلَى , عَلَى خِفَةِ رُوحِكَ وَمَهَارَةِ مُسْتَشَارِيكَ ,
وَتُؤَكِّدُ الثَّانِيَّةُ , عَلَى رِضَا الْعَرَبِ عَنْكَ ,
أَوْ إِتْقَانِكَ قَوَاعِدِ اللَّعْبَةِ ,
فَوْقَ الطَّائِلَةِ , وَتَحْتَهَا وَوَرَاءَهَا وَبَعِيداً عَنْهَا !

[206]

وَحْشٌ مِنْ قَشٍّ

حِكَايَةُ كُلِّ يَوْمٍ , وَنِهَائِيَّةُ كُلِّ طَاغِيَةٍ ,
مَا فَتَى الزَّمَنُ يُكَرِّرُ الدَّرْسَ , وَ أَبْدَأُ لَا أَحَدًا يَعِي الْعِبْرَةَ ,

يَبْدَأُ الدِيكَتَاتُور كَدِيكَ رُومِي زَاهٍ مَنفُوش ,
و يَنْتَهِي كَمِنْدِيلٍ مُسْتَعْمَلٍ , بَعْدَ أَنْ يُوْدِي دُورَهُ وَيَسْتَنْفِذَ أَغْرَاضَهُ ,
و تَزِيدُ تَكَالِيفُهُ عَلَى الطُّغَاةِ الْكِبَارِ ,
و يَمْلَأُ الْمَسْرُحُ وَ الْجُمْهُورُ ,
و لَعَلَّهُ مِنْ الْإِنْصَافِ وَمَنْطِقِ الْأُمُورِ وَاتِّسَاقِ النَّتَائِجِ مَعَ الْمُقَدِّمَاتِ ,

أَنَّهُ لَيْسَ لِمَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ فِي - الْبَدَايَاتِ - وَضْعَ الدُّمِيَّةِ ,
مَرْبُوطَةِ الرَّأْسِ وَالْأَطْرَافِ بِالْخِيُوطِ ,

إِلَّا مَصِيرَ الدُّمِيَّةِ - فِي الْمَالَاتِ - فَيَقَعُ فَرِيسَةَ النَّبْذِ وَالْوَحْشَةِ ,
بِرُكْنٍ مَهْجُورٍ فِي مَخْزَنِ أَوْ حَاوِيَةِ قِمَامَةٍ ,
أَوْ حَتَّى قَعْرٍ مَذْفَأَةٍ , تَتَلَطَّيْ فِيهَا أَشْلَاؤُهُ

#نُورِي المَالِكِي , بِالْأُخْرَى ظَلَامِي الْعُبَيْدِي

براجماتية

و فى السّياسة , لا صداقاتٍ أو عداواتٍ دائمة ,
فقط مصلحةٌ هنا , و منفعةٌ هناك ,
سوقٌ مجنونٌ , على مدار الساعة , فى أربعة أركانِ الأرض ,
لا مبادئٍ أو حقوقٍ أو واجبات ,
فقط موازينَ قوى و مناورات ,
و تبادلٍ و توافق , وفقَ ظروفِ الزّمانِ و المكان ,
مع بعضِ الثّاراتِ هنا , و بعضِ الرّهاناتِ هناك ,
أحياناً تعتمد ذاكرةُ السّمكِ , و أحياناً أخرى تُفعلُ ذاكرةُ الأفيال !
و لا تنسى التّحديثاتِ المُستمرّة , و التّسوياتِ الدّوريّة ,
مع التّعويلِ على النّفسِ الطّويل ,
و العبرةُ بالخواتيم ...

الآباء المؤسسون و الطُّغاةُ المخربون

" كُنْتُ أَطَالُحُ صُورَةً قَدِيمَةً لِلْمَارِيشَال (جوزيف بروز تيتو) رئيس ما كان يُعْرَفُ
بـيوغوسلافيا و العقيد (مُعَمَّر القذافي) رئيس ما كان يُعْرَفُ بِالْجُمَاهِيرِيَّةِ اللَّيْبِيَّةِ
الشَّعْبِيَّةِ الْإِسْتِرَاكِيَّةِ الْعُظْمَى

فَتَغَاضَيْتُ عَنْ جَمَالِ الصُّورَةِ وَ جاذِبِيَةِ الرَّجُلَيْنِ لِأَسْأَلَ نَفْسِي :

أَيْنَ يُوغُوسْلَافِيَا وَ كَيْفَ تَشَوَّهَتْ لِيُبَيَّا ؟ "

مِنْ حَيْثُ الْمَبْدَأُ , وَوَقْفًا لِلْمَجْرَى الْعَادِي لِلْأُمُور ,

فَإِنَّ بِنَاءَ الدُّوَلِ أَوْ نَقْضَهَا , عَمَلِيَّةٌ مُرَكَّبَةٌ تَرَاكُمِيَّةٌ ,

تَتَدَاخَلُ فِيهَا عَوَامِلُ عِدَّةٍ , وَ تَسْتَغْرِقُ أَمَادًا طَوِيلَةً ,
إِلَّا أَنَّ ثَمَّةَ دَوْلٍ وَ رِجَالٍ وَ ظُرُوفٍ , تَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ

وَ تَكْسِرُ تِلْكَ الْمُعَادَلَةَ سِوَاءَ إِيْجَابًا أَوْ سَلْبًا , وَ الْأُمْتَلَةُ عَلَى ذَلِكَ لَيْسَتْ قَلِيلَةً ,

فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلُ (صَفْرُ فُرَيْش) , أَسَاسَا دَوْلًا عَظِيمَةً
الشَّأْنِ فِي بَضْعِ سَنِينَ , وَ كَذَلِكَ فَعَلَ مُحَمَّدُ الْفَاتِحُ وَ سُلَيْمَانُ الْقَانُونِي وَ مُحَمَّدٌ عَلَى
بَاشَا وَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ سَعُودٍ

وَ زَايِدُ بْنُ سُلْطَانَ آلِ نَهْيَانَ , وَ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ لَنْكُولِنِ وَ سَيْمُونُ بُولِيفَارِ

وَ بَنُ جُورِيُونِ وَ غَانْدِي وَ هُوشِي مِنْهُ

بَيْنَمَا عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ , ثَمَّةَ رِجَالٍ كَانُوا أَدَاؤُهُمْ مُرِيْعًا وَ مَرْدُودُهُمْ كَارِثِيًّا ,

فَحَوَّلُوا بِلَادًا عَظِيمَةً وَ دَوْلًا ذَاتَ شَأْنٍ , إِلَى أَثَرٍ بَعْدَ عَيْنٍ , وَ خَرَائِبَ يَنْعَقُ فِيهَا
الْبُومُ ,

في ظَرْفِ سنواتٍ مَعْدُودَةٍ , و مِنْهُمْ موسولُيْنِي و هِتْلَر و القَدَّافِي و صَدَّام
حُسَيْن و تَيْتُو و ستالين و يِلْتَسِين
القائِمَةُ طَوِيلَةٌ , و غالِباً مُرَشَّحَةٌ لِلزَّيَادَةِ , في أَرْبَعَةِ أَرْكَانِ الأَرْضِ .

مَسِيحُ الزُّوْلُو , و أَمِيرَةُ الْقُلُوبِ

" كُنْتُ أَطَالُعُ صُورَةَ التَّقِطُتْ فِي بَدَايَةِ تِسْعِينَاتِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ ,

تَجْمَعُ بَيْنَ أَمِيرَةٍ وَئِلْز (ديانا سِينْسِر) و (نِيلْسُون مَانْدِيلَا) رَئِيسِ دَوْلَةِ جَنُوبِ
إِفْرِيقِيَا وَهُمَا يَتَبَادَلَانِ الْحَدِيثَ , وَ يُعْرِقَانِ فِي الضَّحْكِ , وَ الصُّورَةُ تُشَعُّ بِالْأَرِيحِيَّةِ
وَ الْبَهْجَةِ , فَوْقَ فِي قَلْبِي , أَنَّ شَطْرَ حَلَاوَةِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ فِي تِلْكَ اللَّقْطَةِ وَ أَنَّهُ :
(يَا بَخْتُ مِنْ بَاتٍ مَظْلُوم , وَ لَا بَاتٍ ظَالِم) "

الدُّنْيَا مَمَرٌ مِشْ مَقَرٌّ ,

وَ لِحَنَةِ إِمْتِحَانَاتٍ كَبِيرَةٍ , بِطُولِ الْعُمُرِ وَوَسْعِ الْكُونِ ,

وَ الْإِبْتِلَاءِ تَمْحِيطِ , بِبِجْيَاكَ عَلَى قَدِّ مُسْتَوَى رُوحِكَ وَ قَلْبِكَ وَ عَقْلِكَ ,

وَ الْمِيزَانَ , مِشْ شَرْطُ يَتَعَدَّلُ فِي الدُّنْيَا ,

عِشَانٍ فِيهِ حَيَاةٌ أُخْرَى , سَرْمَدِيَّةٌ ,

وَمُكَابَدَةِ رَهَقِ الْحَيَاةِ , كَاسٍ وَ كُلِّ النَّاسِ شَارِبِهِ ,

تَبْقَى ثَائِرُ زَنْجِي , يَنْسَجِنُ ظُلْمَ رُبْعِ قَرْنٍ ,

وَ بَعْدَهَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ عَلَى الدِّيَوَانِ , رَئِيسًا لِلْجُمْهُورِيَّةِ !

وَ تَحْذِلُهُ زَوْجَتُهُ , فَيُطْلِقُهَا فِي خَرِيفِ الْعُمُرِ ,

وَ يَعْتَزِلُ السُّلْطَةَ , بَعْدَ دَوْرَةِ حُكْمٍ وَحِيدَةٍ ,

أو أميرة عشرينية شقرا , تتجوز وليّ عهد إمبراطورية عجوز ,
و يخونها - على الملأ - مع حيزبون , من الطبقة المخملية ,
و تمرر الملكة عيشة الأميرة , لحد ما تنتهى حياتها بدرى ,
بنصّ مؤامرة نصّ مأساة ,

لِصِّ خَمْسَةِ نُجُومٍ

" كُنْتُ أَتَصَفَّحُ الْإِنْتَرْنِت بِلا هَدَفٍ , عِنْدَمَا اسْتَوْقَفْتَنِي صُورَةٌ ل (وِينْسْتُون تَشْرُشَل) فِي شَيْخُوخَتِهِ , وَ السَّيْجَارِ الْكُوبِيِّ يَتَدَلَّى مِنْ زَاوِيَةٍ فَمِهِ , وَ رَغَمَ الْوَسَامَةِ وَ الْجَاذِبِيَّةِ وَ تَارِيخِهِ الطَّوِيلِ كضَائِبٍ مُقَاتِلٍ , فِي خِدْمَةِ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَغْرُبُ عَنْهَا الشَّمْسُ وَ مُرَاسِلٍ حَرْبِيٍّ وَ صَحْفِيٍّ وَ بَرْلَمَانِيٍّ وَ أَدِيبٍ حَائِزٍ عَلَى جَائِزَةِ نُوبَلٍ فِي الْأَدَبِ , لَمْ أَرَهُ - هُوَ وَكُلُّ زُعمَاءِ الْغَرْبِ الْكُولِينَالِي - أَكْثَرَ مِنْ قَبْضَايَ وَقَاطِعِ طَرِيقٍ وَمَصَّاصٍ دِمَاءٍ ,

مَعَ بَعْضِ الْوَجَاهَةِ هُنَا , وَ بَعْضِ الْفَصَاحَةِ هُنَاكَ ! "

قَدْ يَنْتَدَثِرُ الْبَعْضُ بِمُسُوحِ الْكَارْدِينَالِ , أَوْ فُبُعَةِ الْجِنَرَالِ ,
وَقَدْ يَتَمَسَّحُ آخَرُونَ فِي مَجْهَرِ الْعَالَمِ أَوْ دَفْتَرِ الْأَنْثُرُوبُولُوجِيِّ أَوْ مَدْفَعِ الثَّائِرِ ,
لَكِنْ هِيَاهُنَا تَمُرُّ الْخُدْعَةُ أَوْ تَنْطَلِي الْحِيلَةُ ,
عَاجِلًا أَوْ آجَلًا , سَيَسْقُطُ الْقِنَاعُ , وَ تَبْدُو الْمَخَالِبُ وَ الْأَنْثِيَابُ ,
وَ يَبْدُو الْمَلِكُ عَارِيًا

لِصًّا & مُنَافِقًا & قَوَادًا & سَفَاحًا ,

وَ تَرَامِبُ وَ بَائِدُنَ وَ بُوْتِينَ وَ يَلْتَسِينَ وَ نَتْنِيَاهُو وَ بِيرِيْزَ وَ رَابِيْنَ وَ سُونَاكَ وَ
مَيْجُورَ وَ مَأكْرُونَ وَ سَارْكَوْزِي وَ حَتَّى إِرْدُوْغَان شَرِّ مِثَالٍ

وَقَفُونِي عِ الْحُدُودِ , قَالَ بَدْنُ هَوَيْتِي

" في أوروبا و الدُول الْمُتَقَدِّمَة , الحدود بين الدُول ,
ممكن تبقى شريط مرسوم على الأرضيّه
من غير حرس و لا سلاح و لا مُهَرَّبِينَ و لا أنفاق و لا .. و لا ..
بلجيكا & هولندا "

هذا هو الحال في القارة العجوز , التي اشتبك أبناؤها في حربين عالميتين في القرن
العشرين , أما (بنو عَرَب) , الذين تربط بينهم وحدة الأصل والدين واللغة والمصير,
فتقريباً لا توجد جارتان عربيتان , إلّا و بينهما خلافات على الحدود !
تصل أحياناً إلى حافة الصراعات المسلحة ,

(جُمهُوريّة الصّحراء بين المَغرب و الجَزائر & واحة جَعُوب بين مِصرَ و لِيبيَا &
مُثلث حلايب و شَلاتين بين مِصرَ و السُّودان & حُور عبد الله بين العِراق و الكُويت
& الجَزف القاري بين لِيبيَا و تُونِس & جزيرتا تيران و صَنافير بين مِصرَ و السَّعوديّة
& منطقة الخفوس بين قَطَر و السَّعوديّة & منطقة عَسِير بين اليَمَن و السَّعوديّة &
واحة البريمي بين السَّعوديّة

و الإمارات & المنطقة المُحايدة بين الكُويت و السَّعوديّة &)

و الفِتْنَة التي دسّ بِدُرْتِهَا الاستعمار قبل رحيله ,

يُوجِّعُ سَعِيرَهَا نَرَقَ الأنظِمةِ وَتَحْبُطُهَا , و أَيْقُونَةُ (الحدود) التي كتبها وأخرجها
المُبدِعان السورِيّان مُحَمَّد الماغوط و دُرَيْد لَحَام

منذُ نصفَ قرنٍ كفتازيا و كوميديا سَوداء , لازالتُ تُضْحِكنا و تُبْكينا !
حتى و إنْ تَجاوزها الواقعُ العَبَثي , مِنَ الخَليجِ البائِرِ إلى المُحيطِ العائِرِ ,

فنان فى الديوان

"و خلافاً لكلِّ دولِ العالمِ , فإنَّ رؤساءَ الجُمهوريَّةِ فى بلادنا السعيدة , تظهرُ عليهم أغراضُ الأدبِ بعدَ أنْ يستووا على مقاعدهم الرئاسيَّة , فجمال عبد الناصر كُتِبَ رواية (فى سبيلِ الحُرِّيَّة) وأنور السادات أصدرَ نحوَ عشرِ كُتُبٍ أشهرها (يا ولدى هذا عمُّك جمال)&

(وصيَّتِي) & (30 شهراً فى السِّجن) و (قصَّةُ الثُّورة كاملة) ...

و صدامُ حُسينَ أصدرَ أربعَ رواياتٍ أشهرها (زبيبة و الملك) & (القلعة الحصينة) و لا ننسى إصداراتِ العقيدِ القذافى :

(الكتابُ الأخضر) & (الكتابُ الأبيض , إسراطين) & رواية (القريةُ القريةُ , الأرضُ الأرضُ , و انتحارُ رائدِ الفضاء) "

فى الانتخاباتِ الرئاسيَّةِ عام 1981 بالولاياتِ المُتَّحدة الأمريكية , رشَّحَ الحزبُ الجُمهورى نِجَمَ هولنيوود و رئيسَ نقابةِ مُمثلى الشاشة و حاكمَ ولايةِ كاليفورنيا (رونالد ريجان) الذى أفلَحَ فى إزاحةِ الرئيسِ جيمى كارتر , ليُصبحَ ريجان الرئيسَ الأمريكى رقم 40 ,

و بعدَ نجاحِهِ مِنْ مُحاولَةِ اغتيالِ بالرصاصِ كادتْ أنْ تُودى بحياتِهِ , أفلَحَ فى إعادةِ الانتخابِ لولايةٍ ثانيةٍ , ليكونَ ليسَ فقطَ أَسَنَ مَنْ تَمَّ انتخابُهُ للمكتبِ البيضاوى - كسرَ (ترامب) الرقمَ لاحقاً - و لكنْ أيضاً أولَ رئيسٍ يُعادُ انتخابُهُ مُنذُ (دوايت أيزنهاور) , و بعدَ ثمانيةِ أعوامٍ حافلةٍ بالإنجازاتِ السياسيَّةِ و الاقنصاديةِ انتهتْ ولايتُهُ وشعبيتُهُ فى السَّماءِ بنِسبٍ لم يصلِ إليها سِوى (أيزنهاور) و (كلينتون) , و بعدَ خروجهِ مِنْ (واشنطن دى سى) على أعتابِ الثمانينِ , هاجمه الزهايمر حتى وافاه الأجلُ عام 2004 .

هذا في بلاد العمّ سام , و في أوروبا تولّى الأديبُ و المُخرجُ المَسْرَحِيّ (فاتسلاف هافيل) سُدّة الحُكْم في تشيكوسلوفاكيا أواخرَ ثمانينات القرن العِشرين ,

و في قارة آسيا , تولّى (عُمران خان) قائِداً مُنتخب الكريكت في باكستان والحاصل على بُطولة العالم فيها أوائل التسعينيات رئاسةَ مجلس الوزراء في بلاد السِنْد بين عاميّ 2018 و 2022 ,

حتى قارتنا السّمراء إفريقيا , يتولى حالياً لاعبُ كُرّة القَدَم المُعْتَزِل (جورج وايا) الحائِزُ على جائزة الكُرّة الذّهبيّة كأحسن لاعبِ كُرّة قَدَم في العالم , رئاسةَ الجُمهوريّة في لِيبيِريا ,

فهلْ يُمكن أن نرى يوماً أيّاً من أهلِ الأدبِ و العِلْمِ و الفَنِّ و الرّياضة ,
على كُرسيّ الحُكْم في بلادِ بني يَعْرُب ؟؟

مِنَ الْإِمَامِ لِلشَّاوِيشِ لِلرَّافِضِيِّ , يَا قَلْبِي لَا تَحْزَنَ

يقولون : الْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ , وَ لَا بَدَّ مِنْ صَنَعَا وَ إِنِّ طَالَ السَّقَرُ ,
وَالْيَمْنُ السَّعِيدُ لَمْ يَعُدْ سَعِيدًا بِالْمَرَّةِ , مُنْذُ أَرْمَانٍ سَحِيقَةٍ ,
بَعْدَمَا حَبَسَهُ الْأُئِمَّةُ وَالْجَنَرَالَاتِ وَشِيُوخُ الْقَبَائِلِ , فِي قُمْقُمٍ تَعِيسَ ,
لَا يَلِيقُ بِأَمَّةٍ ذَاتِ تَارِيخٍ تَلِيدٍ وَ مَوْقِعٍ فَرِيدٍ وَ تَحْضُرٍ مَجِيدٍ ,
أَيْنَ الْمَفَرِّ ؟

وَ مَنْ بِيَدِهِ الْأَمْرُ مِنْ شَبَابِ الْيَمْنِ وَشِيُوخِهَا
لَا يُدْنِدِنُونَ سِوَى لَحْنٍ بَنِيْسٍ , أَعْطَنِي الْقَاتَ وَ غَنٍّ ,
وَصَرِيْعُ الرِّئَاسَةِ (عَلَى عَبْدِ اللَّهِ صَالِحٍ) , دَرَجَ عَلَى دَرْبِ أَسْلَافِهِ , الْحَمْدَى وَ
الْغَشْمَى وَ قَاسِمٍ , وَ السَّادَاتِ وَ صَدَّامَ وَ الْقَذَّافَى ,
فَمَنْ عَاشَ بِالسَّيْفِ , بِالسَّيْفِ يَمُوتُ , وَ الطَّغَاةُ لَا يَتَدَبَّرُونَ التَّارِيخَ ,
وَ لَا يُدْرِكُونَ أَبَدًا : أَنَّ الشَّرْعِيَّةَ وَ الشَّعْبَ هُمَا الْمُؤَيَّلُ وَ السَّنْدُ ,
وَ أَنَّ لُغْبَةَ التَّحَالُفَاتِ وَ التَّوَازِنَاتِ فِي الدَّخْلِ وَ الْخَارِجِ , لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَسْتَمِرَّ لِلأَبَدِ ,
وَ أَنَّ كُلَّ رَاقِصٍ عَلَى رُؤُوسِ الثَّعَابِينِ , مَأْلَهُ إِلَى لَدَغِ السُّمُومِ وَ إِنِّ طَالَ الزَّمَنُ ,

م المَلالى المَلالى , مِنْ حُكْمِكَ وَ اللى جَرالى

" اللُّعْبَةُ قَدِيمَةٌ , وَ الْحِيلَةُ قَمِيئَةٌ , وَ رَغَمَ ذَلِكَ تَجِدُ مَنْ لَدَيْهِ مَا يَكْفَى مِنَ اللُّؤْمِ , لِيَلْعَبَهَا ,
وَ كَذَلِكَ تَجِدُ مَنْ لَدَيْهِ مَا يَكْفَى مِنَ السَّدَاجَةِ , لِيُصَدِّقَهَا ,
مَنْ يَبِينِعُنِي حَاضِرَهُ وَ مُسْتَقْبَلَهُ , نَظِيرَ صَاكِ غُفْرَانٍ وَ مِفْتَاحِ جَنَّةٍ ! "

فِي مِثْلِ تِلْكَ الْأَيَّامِ , مِنْ نَحْوِ نِصْفِ قَرْنٍ , حَطَّتْ طَائِرَةٌ فِي مَطَارِ طِهْرَانَ
تَحْمُلُ الْإِمَامَ الْخُومَيْنِيَّ , عَائِدًا مِنْ مَنَافَاهِ فِي فَرْنَسَا ,
كَرْصَاصَةٍ انْطَلَقَتْ مِنْ قَلْبِ الْقَرْنِ السَّابِعِ ,
لِتُرْدِيَ شَاهَ إِيرَانَ صَرِيحًا فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ !
وَ يَسْقُطُ مَعَهُ عَرْشُ الطَّاوُوسِ ,
وَ مَا هِيَ إِلَّا أَسَابِيعُ , حَتَّى تَخْلُصَ مَلَالَى الْحَوْزَةِ الشَّيْعِيَّةِ ,
مِنْ شُرَكَاءِ الثَّوْرَةِ وَ رِفَاقِ الْكِفَاحِ ,
يَسَارِيِّينَ وَ قَوْمِيِّينَ وَ لَيْبِرَالِيِّينَ , وَ أَغْلَنُوا قِيَامَ الْجُمْهُورِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ,

وَ بَعْدَ تَسْوِيَةِ أَرْمَةِ اخْتِجَازِ رَهَائِنِ الْبِعْثَةِ الدَّيْبِلُومَاسِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ فِي مَقَرِّ سِفَارَتِهَا
بَطِهْرَانَ مِنْ قَبْلِ طُلَّابِ ثَوْرِيِّينَ رَادِيكَالِيِّينَ , وَ هِيَ أَرْمَةٌ اسْتَمَرَّتْ لِمَا يَزِيدُ عَلَى
الْعَامِ وَ كَانَتْ السَّبَبَ الرَّئِيسِيَّ فِي جَرْمَانِ الرَّئِيسِ جِيْمِي كَارْتَرِ مِنْ إِعَادَةِ إِنْتِخَابِهِ
لِيَحِلَّ مَحَلَّهُ رُونَالْد رِيْجَانُ مُرَشَّحُ الْحَزْبِ الْجُمْهُورِيِّ فِي الْبَيْتِ الْأَبْيَضِ بَوَاشَنطُنَ ,

و ما هيّ إلا شهوراً, حتّى تورّطت الجُمهوريّة الجديدة - الّتي كانت تُنَبِّئُ أركانَ حُكْمِها و تُحاولُ تصديرَ ثورتِها في المَنطقة - في حربٍ عبثيّة ضروسٍ مع جارتِها العراق بعدَ أن مَزَقَ صَدّامُ حُسين و نثيقةَ إتفاقِ الجَزائرِ لِترسيمِ حُدودِ شَطِّ العَرَبِ بينَ الدَّولَتَيْنِ الجارتَيْنِ, على الهَواءِ مُباشرةً , و بعدَ ملايين الضّحايا و ملياراتِ الدَّولاراتِ على مَدارِ ثمانية

أعوامٍ, أُعْلِنَ الإمامُ الخُومينيّ قَبولَهُ وَقْفِ إطلاقِ النَّارِ , على جُنَهاثِ حربِ الخَلِيجِ الأولى , مُشَبِّهاً ذلكَ بأنَّه يُعادِلُ تَجَرَّعَ السُّمِّ الرُّعافِ !

استمرتْ أوهامُ تصديرِ الثَّورةِ - إقْلِيميّاً و عالميّاً - على مَدارِ السَّنواتِ الَّلاحِقةِ , تَسْتَنزِفُ عوائدَ تصديرِ النِّفطِ الإِيرانيّ , و تُهدِرُ ثرواتِ الجُمهوريّةِ الإسلاميّةِ وريثَةِ الإمبراطوريّةِ الفارسيّةِ, على مُغامراتٍ بطولِ الشَّرْقِ الأوسَطِ و عَرَضِهِ , في العراقِ و سوريا و لبنان و فلسطين و البحرين و كاملِ الخَلِيجِ العَرَبِيّ الّذي تُصِرُّ الجُمهوريّةُ الإسلاميّةُ على تسميتهِ الخَلِيجِ الفارسيّ !

و بعدَ نِصفِ قَرْنٍ على الثَّورةِ الإِيرانيّةِ , أَفْلَحَ المَلالِي في الحِفاظِ على النِّظامِ , بلْ و تَوْسيعِ دوائرِ نُفوذِهِ , و لَكِنَّ ذلكَ كانَ بِكُلْفَةٍ مُرهِقَةٍ و ثَمَنِ باهظٍ , تَحْمَلُ رَهَقَها و ناءَ بأعْبائِها المُواطنُ الإِيرانيّ, الّذي يُعانِي الفَقْرَ و القَمْعَ , في بِلَدٍ رَفيعِ الثَّراثِ و بالغِ الثَّراءِ , يَزْعُمُ تَطْبِيقَ الشَّرِيعَةِ الإسلاميّةِ - ولايةَ الفَقِيهِ - و تصديرَ الثَّورةِ العَقائِدِيّةِ ,

و هو في حَقِيقَةِ الأمرِ و واقعِ الحالِ, لَيْسَ أَكْثَرَ مِنْ نُسخَةٍ أوتوقراطيّةِ طائفِيّةِ مُتَعَصِّبَةٍ, مِنْ مَمالِكِ أوروبّا في العُصُورِ الوُسْطى , يَسْخَرُ فِيهِ المَلالِي الدِّينَ , لِلسَّيْطَرَةِ و التَّحْكُمِ في مَصيرِ إِيْرانِ البائِسةِ و ثرواتِ شَعْبِها المَغْلُوبِ على أَمْرِه .

التاريخ , بين المَعبدِ و السَّيرك

التاريخ مليءٌ بالمُفَارَقَاتِ الَّتِي لَا تُفْسِرَ مَنْطِقِيَّ لَهَا , وَ تَسْتَعْصِي عَلَى الْفَهْمِ , وَ فِي مُحَاوَلَةٍ بَائِسَةٍ لِلِإِدْرَاكِ وَ التَّحْلِيلِ , يَكُونُ مَرْجِعُ ذَلِكَ وَ عِلَّتُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ , أَنَّ مُعْظَمَ الشُّعُوبِ عَاطِفِيَّةٌ , تَتَفَاعَلُ بِمِشَاعِرِهَا , تُحِبُّ وَ تَكْرَهُ , أَكْثَرَ مِنْ كَوْنِهَا عَقْلَانِيَّةً , تُدْرِكُ وَ تُفَيِّمُ وَ تَنْقُذُ , بِالْعَقْلِ وَ الْمَنْطِقِ ,

وَ الشَّرِيحَةُ مَحَلُّ الدِّرَاسَةِ فِي حَالَتِنَا , هِيَ الْحَيَاةُ السِّيَاسِيَّةُ وَالْإِنتِخَابَاتُ الرَّئَاسِيَّةُ فِي الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ , وَ هِيَ دَوْلَةٌ – بِالْأُخْرَى قَارَةٌ – وَ إِنْ كَانَتْ حَدِيثَةً التَّكْوِينِ وَ النِّشَاةِ وَ لَمْ يَعْرِفْهَا الْمُجْتَمَعُ الدَّوْلِيُّ سِوَى مِنْ ثَلَاثَةِ قُرُونٍ , إِلَّا أَنَّهَا بَدَأَتْ مِنْ حَيْثُ انْتَهَى الْآخَرُونَ ,

فِي الْاجْتِمَاعِ وَ الْاِقْتِصَادِ وَ السِّيَاسَةِ , بَعْدَ أَنْ تَجَاوَزَتْ مَأْسَاءُ التَّطْهِيرِ الْعِرْقِيِّ لِلسُّكَّانِ الْأَصْلِيِّينَ لِلْقَارَةِ , وَ قَلَبَتْ الطَّوْلَةَ عَلَى مُسْتَعْمَرَاتِهَا السَّابِقَةِ بِرِيطَانِيَا الْعُظْمَى ,

لِتَتَبَادَلَ مَعَهَا أَدْوَارَ التَّابِعِ وَ الْمَتَّبِعِ , مِنْذُ نِهَايَةِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى فِي 1918 .

كَيْفَ اسْتَقَامَ لِلْأَمْرِيكَانِ , أَنْ يَنْتَخِبُوا فِرَانْكِلِينَ رُوْزْفِلْت – الرَّئِيسَ الْأَمْرِيكَى رَقْم 32 – الَّذِي عَبَّرَ بِهِمُ الْكِسَادَ الْكَبِيرَ وَ انْتَصَرَ فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ , لَكِنَّهُ – رَغْمَ الْمُؤَهَّلَاتِ الْفَرِيدَةِ وَ الْخِبَرَاتِ الْعَرِيضَةِ - كَانَ يُعَانِي مِنَ الشَّلَلِ فِي نِصْفِهِ السُّفْلَى مِنْذُ سِنِ الثَّلَاثِينَ وَ الثَّلَاثِينَ ,

بَلْ إِنْ الْأَمْرِيكَانِ اخْتَارُوهُ لِلرَّئَاسَةِ لِأَرْبَعِ فُتْرَاتٍ بَدَأَتْ عَامَ 1933 وَ انْتَهَتْ بِوَفَاتِهِ عَامَ 1945 فِي مَطْلَعِ الْفُتْرَةِ الرَّابِعَةِ , مَا اضْطَرَّ الْمُشَرَّعَ الْأَمْرِيكَى لِلتَّدْخُلِ وَ حَظَرَ تَجْدِيدِ الْوَلَايَةِ الرَّئَاسِيَّةِ سِوَى لِمَرَّةٍ وَحِيدَةٍ اعْتِرَافًا بِتَفَرُّدِ رُوْزْفِلْت وَ أَنَّ الزَّمَانَ – غَالِبًا – لَنْ يَجُودَ بِمِثْلِهِ مُجَدِّدًا !

فى عام 1960 كانت تُجرى الانتخابات الرئاسية لانتخاب الرئيس الأمريكى رقم 35 و كان (رينشارد نيكسون) نائب الرئيس آيزنهاور هو مرشح الحزب الجمهورى بينما كان النائب الشاب (جون فيتزجيرالد كينيدي) هو مرشح الحزب الديمقراطى , و طبقاً للمجرى العادى للأمور , فإن نيكسون كان الأوفر حظاً بمراعاة المؤهلات والخبرات والتاريخ

لكن الأمريكان فاجئوا الجميع بانتخاب الشاب الأحدث سناً والأكثر وسامةً وجاذبيةً, سليل العائلة الثرية ,

بعدَ مُناظرةٍ تليفزيونيةٍ كانت الأولى فى التاريخ و قلبت الموازين ,

لتبدأ ولايةً رئاسيةً مليئةً بالأمال العريضة انتهت فجأةً فى 22/11/1962 باغتيال كينيدي فى سيارةٍ مكشوفةٍ بمدينة دالاس / تكساس فى حادثٍ لا زال يكتنفه الغموض بعدَ كلِّ تلك السنين !

و من عجائب السياسة الأمريكية أيضاً, فى الانتخابات الرئاسية عام 1992 أن يُخفق جورج بوش الأب – الرئيس رقم 41 - فى تجديد ولايته الرئاسية على الرغم من تاريخه الممتد والمُشرف كضابط جيش و رجلٍ مُخابراتٍ و نائبٍ للرئيس رونالد ريجان لثمانى سنوات ,

بينما ينجح ابنه جورج بوش الابن – الرئيس الأمريكى رقم 43 – بسلاسةٍ وأريحيةٍ, فيما أخفق فيه والده على الرغم من أن الابن كان تافهاً و مهووساً دينياً و مدمناً سابقاً للمخدرات و مشهورٌ بمحدودية الذهن و الأفق !

بيل كلينتون الرئيس الأمريكى رقم 42 , دخل المكتب البيضاوى عام 1992 , بعد أن أقصى منافسه الجمهورى العتيذ جورج بوش الأب , يُصنّف كلينتون بأنه واحدٌ من أنجح الرؤساء الأمريكيين عبر التاريخ , خاصةً على الصعيد الاقتصادى , و اشتهر بالجادبية و الشعبية الطاغية لدرجة أن الشعب غفر له مُغامراته الجنسية فى البيت الأبيض , بل و حتى كذبه تحت القسم فى الكونجرس , بعد أن ذرف بعض

الذمّوع , فى حين أنّ جريمةً مُشابهةً ارتكبتها ريتشارد نيكسون قبلها بعشرين عاماً ,
أفضت إلى طرده من منصبه فى صفقةٍ سمّوها - صورياً - بالاستقالة لى يحصل
على الحصانة ضدّ المحاكمة !

تبقى إشارةٌ أخيرةٌ , للرئيس الأمريكى رقم 44 باراك حسين أوباما , الذى تقلّد
الرئاسة اعتباراً من 2009/1/20 بعد منافسةٍ شرسةٍ على صعيد الحزب
الديمقراطى مع هيلارى كلينتون , ثم فى الانتخابات العامة مع السيناتور جون
ماكين , أوباما كان أعجوبةً فى التراث السياسى الأمريكى , فهو أسود البشرة من
أصول أفريقيّة و مولودٌ لأبٍ كينى مُسلمٍ و ربّاه زوج والدته الأندونيسى المُسلم و
بعد أن برع فى دراسة القانون تخرّج ليعمل فى المحاماة

و تدريس القانون و الحقوق المدنيّة , و يشهدُ له الجميع بالنجاح فى عهده الرئاسيّة
علاوةً على حصوله على جائزة نوبل للسلام بعد أقل من عامٍ على انتخابه !

مُتَوْن الدِّكْرِيَات



على هامش السِّيرة

نوستالجيا

صُورَه صُورَه صُورَه .. كُنَّا كِدَا عَايِزِينَ صُورَه

عِنْدِي وَلَعٌ وَ افْتَتَانٌ بِصُورِ الْمَدَارِسِ الْجَمَاعِيَّةِ ,
و مَهْوُوسٌ بِمِلَاحَظَةِ تَفَاصِيلِهَا وَ أَسْرَارِهَا ,

و لُغَةُ الْجَسَدِ وَ رَسَائِلِ الْعَيُونِ , وَ مُعَادِلَاتُ الْبُعْدِ وَ الْقُرْبِ وَ جَدْلُ الْاِنْجِذَابِ وَ
النُّفُورِ , بِاعْتِبَارِهَا صُورَةً مُصَغَّرَةً وَ مُكَنَّفَةً لِلْحَيَاةِ ذَاتِهَا ,
فِيهَا ظُهُورٌ وَ اخْتِفَاءٌ وَ فِيهَا صُعودٌ وَ هبوطٌ ,
وَ فِي اخْتِلَاطِ الضِّحْكِ بِالدموعِ , سَتَلَمَحُ السَّعَادَةُ وَ التَّعَاسَةُ ,
وَ بِشَائِرِ السَّعْدِ وَ نُذُرِ النَّحْسِ ,

وَ لَاحِقاً وَ بَعْدُ مُرُورِ السِّنِينَ ,
يَمْتَدُّ الْفُضُولُ إِلَى تَتَبُعِ مَصَايِرِ الْبَشَرِ , وَ مَالَاتِ الْعِلَاقَاتِ وَ خَوَاتِيمِ الْمَشْرُوعَاتِ ,

وَ أَتَى عَلَيَّ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ , كُنْتُ أَتَحَيَّلُ , أَنْكَ لَوْ نَفَضْتَ الصُّورَةَ الْجَمَاعِيَّةَ بِشِدَّةٍ

– أو دَعَكْتُ مِصْبَاحَهَا – , سَيَتَساقَطُ مَعَ غُبارِ الزَّمنِ و فُتاتِ الورقِ و ذرّاتِ
الألوانِ , أرواحِ و أشباحِ الأولادِ و البناتِ
والمُعَلِّمينِ المُتِراصِّينِ في الصُّورة !

[٢١٧]

فِسْكَوْز

في مَطْلَعِ التَّسْعِينِيَّاتِ , كُنْتُ فِي مُفْتَتَحِ حَيَاتِي الجامِعِيَّةِ ,
أَنْضُو عَنِّي ثِيَابَ التَّلْمَذَةِ , وَ أَتَلَبَّسُ إِهَابَ الطَّالِبِ الجامِعِيِّ ,
بَلْ وَ رَجُلِ القانونِ , الَّذِي يَطْمَحُ أَنْ يَغْتَلِيَ مَنَصَّةَ الجامِعَةِ أَوْ القَضَاءِ ,
مع مَا يَفْتَضِيهِ ذَلِكَ الطُّمُوحُ , مِنْ تَحَقُّطٍ وَ وَقَارٍ فِي المَظْهَرِ وَ المَخْبَرِ ,
فِي ذَلِكَ الوَقْتِ , كَانَتْ صَرَعةُ المَوْسِمِ أَوْ المَوْضَعِ ,
هِيَ القُمْصَانُ المَشْجَرَةُ أَوْ السَّرِيَالِيَّةِ مِنْ قِمَاشِ الفِسْكَوْزِ ,
يَرْتَدِيهَا الكَبِيرُ وَ الصَّغِيرُ , وَ الوَزِيرُ وَ الخَفِيرُ ,
وَ تَاقَتْ نَفْسِي إِلَى إِحْدَاهَا , بِحُكْمِ نَوَازِعِ المُرَاهِقَةِ وَ صَبَوَاتِ الزَّيْنَةِ ,
فَإِذَا بِالجَمِيعِ حَوْلِي يُلْزِمُونَ الصَّمْتَ , وَ يَصْدُرُ الِاعْتِرَاضُ مِنْ إِحْدَى صَدِيقَاتِ
أَخَوَاتِي , وَ الَّتِي كُنَّا نَعُدُّهَا عَضْوًا فِي الأُسْرَةِ وَ فَرْدًا فِي العَائِلَةِ ,
أَرْعَدَتْ وَ أَبْرَقَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ رَفْضًا وَ تَأْنِيبًا :
هَذَا لَا يَنْسَقُ مَعَ النَّمَطِ , وَ لَا يَتَوَافَقُ مَعَ النَّمُودَجِ ,
أُخَوَاتِي وَ شَبَابُ العَائِلَةِ , يَعِدُّونَكَ قُدُوةً وَ مَثَلًا ,
فَلَا تَعْبَثِ بِالعُقُولِ وَ المُخَيَّلَاتِ , وَ لَا تُزْبِكِ الأفكارَ وَ التَّصَوُّرَاتِ !
وَ إِذْ أَدْرَكْتُ أَنَّهَا - رَغَمَ بَعْضِ التَّشَدُّدِ - عَلَى صَوَابٍ ,
فَضْلًا عَمَّا كَانَ لَهَا فِي العَقْلِ مِنْ ثِقَلٍ , وَ فِي الفُؤَادِ مِنْ وَدَادٍ ,
, سَلَّمْتُ لِرَأْيِهَا وَ اعْتَبَرْتُ نَصِيحَتَهَا ,
فَلَمْ أَرْتَدْ الفِسْكَوْزَ حِينَهَا , وَ لَا أَيَّ وَقْتٍ بَعْدَهَا .

ببلاش إلاً رُبْع

ما باحثِش الفِصال , بايع أو مُشترى , الفِصال بي فصلني ,

خُذْها أو سيبها و بلاش وَجع دِماغ , و المبدأ دا ثابت عندى ,

سواء زَمَان لَمَّا كُنْتَ صُغِير و الجِرَشَنَات ع القَد ,

أو دِلوقتى لَمَّا لَعِب الزَّهْر , و اتعدلت الاحوال ,

و موضوع الفِصال دا غِيَّه و مزاج عند بعض النَّاس , رَجَّاله و سِتَات ,

يعنى مُمكن يفاصلوا حتّى لو مِش عايزين أو قادرين يشتروا ,

و ليهم فى الباب دا , حيل و تفانين , من عِيَّنة :

(لازم تَكْرِمنا عشان احنا زباين) & (لازم تَكْرِمنا عشان أول مرّة نجيلك)

.. أو (ربّى زُبُون) .. على أساس إتهم زباين ناقصين رباية !

و على الناحية الثانية , التّجار باعُهم واسع , و جرابُهم مِلْيَان اشتغالات ,

يقول لك : (لو باض الدّيك , شُكُّك ما ادّيك) و (البيع غَدًا مَجَانًا) و غَدَا لا يأتى

أبدا , و (قَصْر يامولانا , قَطْمه و لا نَحْتُه) , و لو غُلِب خالِص يقول لك :

(الحاجه تقول : نيني نيني , لما ييجى اللى يشترينى) , و كُلُّه كوم والأوكازيون -

السّيل بتعبير اليومين دول - كوم تانى , مولد وصاحبه غايب , و اشترى قِطْعَه ,

تاخذ التّانيه مَجَانًا ,

و اشترى بألف جنيه , وُخْد كوبون بْتَلْتَمِيّه و الموضوع كُلّه اِشْتِغاله ,

التّجار عارضين الفُضْل و البواقى و رَدّ الموضه ,

و مزودين السّعر الضِّعْف , عشان يكتبوا (تخفيض خمسين ف الميه) ,

و مِنْ دَقْنَه , و افْتَلَلُو , و مِنْ قَرْنَه و اذْهَنْلَلُو !

جواهرُ الماسِ فى أغطيةِ الرأسِ

"... و أتى على الناسِ حينٌ من الدَّهرِ ,
كانَ يُعدُّ فيه , من نقصِ المَرُوءةِ و قُصورِ الجِشمَةِ
أنْ يخرِجَ المَرءُ على الناسِ حاسِرَ الرأسِ ... "

لَحَقْنَا الطَّرْبُوشَ لِمَامَا , وَ بَهَرْتَنَا بُرْنِيْطَةُ الْخَوَاجَاتِ ,

وَ عَاشِرْنَا الطَّاقِيهَ الْكِتَانَ , وَ تَقَبَّلْنَا الطَّاقِيهَ الْبَيْضَا الشَّبِيكَه ,

وَ وَقَرْنَا الْعِمَّةَ الشَّرْعِيَّةَ بِأَشْكَالِهَا , وَ اخْتَرَمْنَا اللَّاسَهَ الْبَلْدَى ,

وَ الْبِيرِيَهَ الْمِيْرَى , ضَرَبْنَا لَهُ تَعْظِيمَ سَلَامٍ ,

وَلَمَّا شَرَقْنَا فِي الْأَرْضِ , عَجَبْتَنَا الْغُثْرَةُ وَ الْعِقَالُ ,

وَبَعْدَهَا دَارَ الْفَلَكَ دَوْرَتَه ,

وَ فَشَا الْكَابُ الْمَلَكِي , عَلَى رُؤُوسِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ , وَ النِّسَاءِ وَ الرِّجَالِ

وَ خَاصَّةِ النَّاسِ وَ عَامَّتْهُمْ , الْعَرَبُ مِنْهُمْ وَ الْعَجَمُ ...

مَطْلُوب عَرُوسَه / عَرِيس

و طول عُمرى عِنْدَى فُضُول و وَلَع , بِقِرَاءَة و مُتَابَعَة إِعْلَانَات الجَوَاز ,
زَمَان , أَيَّام مَا كَانَتْ بَاب ثَابِت فِي صَفْحَة المُجْتَمَع فِي الجَرَائِد و المَجَلَّات ,

شَيْءٌ عَجِيب و صَعَب جِدَا إِنَّ بَنِي آدَم - رَاجِل أَوْ سِتَّ -
فِي كَام سَطَر- لِظُرُوف الطَّبَاعَة و التَّكْلُفَة -

يُقَدِّم تَعْرِيف لِنَفْسِهِ و تَارِيخِهِ و مُؤَهَّلَاتِهِ و طِبَاعِهِ
و كَمَا يُحَدِّد مُتَطَلِبَاتِهِ فِي شَرِيكَ العُمُر
مِنْ نَاحِيَةِ السِّنِّ و الشَّكْلِ و الدِّرَاسَة و الإِقَامَة و المَلَاءَة و خُطَط المُسْتَقْبَل !

و لِأَنَّا مِنْ جَيْلٍ , لَحَقَ كَارَاكَتَر (الخَاطِبَة) فِي الْوَاقِع ,
و أَتَفَرَّج عَلَيْهِ فِي أَفْلَام الأَبْيَض و الأَسْوَد , و حَتَّى فَوَازِير نِيَلِّي ,
و بَعْد المِئَلْيَنِيوم , أَدْرَكْنَا زَمَان مَوَاقِع و تَطْبِيقَات التَّعَارُف
و المُوَاعَدَة و الزَّوَاج عَلَى شَبْكَةِ الْإِنْتَرْنِت ,

فَمَرْحَلَة إِعْلَانَات الجَوَاز دَى - طَوَالَ السَّبْعِينَات و التَّمَانِينَات و التَّسْعِينَات -
عَامِلُهُ زَيَّ جِسْرٍ بَيْنَ الأَجْيَال و الأزْمَان , كَانَ تَطْوِيرَ المَاضِي و نُبُوءَة و بَشَارَة
لِلْمُسْتَقْبَل , و عَلَى أَرْضِ الْوَاقِع , عَرَفْتُ حَالَة نَجَاح و حَيْدَة لِتَطْبِيقَات الجَوَاز عُبْرَ
الْإِنْتَرْنِت بَيْنَ عَرِيسِينَ مِنْ جَنَسِيَّتَيْنِ عَرَبِيَّتَيْنِ ,
فِي مُقَابِلِ عَشْرَات و مِائَاتِ الحَالَاتِ لِلنَّصَبِ و المَشَاكِلِ , و أَخْيَانَا و العِيَادُ بِاللَّهِ
الْفَضَائِحِ ,
و الخُلَاصَة : إِنْ الجَوَاز سُنَّةٌ مُؤَكَّدَة و قِسْمَة و نَصِيبٌ ,
و لَازِمٌ يُبْنَى عَلَى أُسَاسٍ مَتِينٍ و بِخَلْطَة مِنَ الصَّبْرِ و التَّوْفِيقِ و التَّخْطِيطِ ,
بِدُونِ تَسْرَعٍ أَوْ مُخَاطَرَة .

يا خراشي ع المحاشي

و اختراع المحشى - في رأيي المتواضع -
يقف بمساواة أعظم الاكتشافات الإنسانية ,
زى النار و الكتابه والعجله !

بس أموت و اعرف , العبقرية - راجل ولا ست - اللي لقت أول صباع ,
و ستقت الرز بتحاييشه و بهاراته , جوه قميص الخضار ,
كانت عامله أى دماغ ؟

المفارقة : إنه زمان , و فى البلد ,
كان المحشى عامل زى طبق المش , كلّ ساعه ف الوش ,

إنما حالياً : فى القاهره ,
تجليات المحشى , زى مواسم المشمش ,
أسبوعين فى السنه , و بالطلب والحجز ,
بعد سداد الرسوم و الدمغه و الطوابع ,
وحاجه كذا أندر من الزبيق الأحمر !

#رول روك

أوتوستوب

" زَيِّ الأوتوستوب , الحياه قِسَم , و الصُّدْفَ أرزاق
مُمْكِن تَقَع فِي السَّعْد و الهَنَا , و مُمْكِن تَلْبِس فِي قَتَال قُتْلَى "

لَحْدَ سِنِينَ قُرَيْبِهِ , كُنْتُ بِكُلِّ بَرَاءة , تَصِلُ لَحْدَ السَّدَاجَةِ ,

مُمْكِن أَرْكَبَ مَعَايَا نَاسٍ مِنَ الطَّرِيقِ ,

عَلَى سَبِيلِ المُرُوءَةِ وَالنَّجْدَةِ وَ الصَّدَقَةِ ,

بِصَرْفِ النَّظَرِ , عَنْ أَيِّ اعْتِبَارٍ ,

لَيْلٌ أَوْ نَهَارٌ , فَرْدٌ أَوْ جَمَاعَةٌ , جَوَّهَ الْبَلَدَ أَوْ عَلَى الطَّرِيقِ السَّرِيعَةِ !

وَمَعَ الْوَقْتِ , أَدْرَكْتُ أَنَّ النَّاسَ وَ الْأَحْوَالَ انْغَيَّرَتْ ,

وَ حُسْنُ النِّيَّةِ دَا , مُمْكِنٌ يَكْلِفُ الْإِنْسَانَ , فُلُوسُهُ أَوْ سُمُوعُهُ أَوْ حَتَّى حَيَاتِهِ !

وَ لَمَّا كَانَ دَفَعَ الضَّرَرَ مُقَدِّمًا عَلَى جَلْبِ الْمَنْفَعَةِ ,

تُبْنَا وَ أَنْبْنَا , وَ بَطَلْنَا الَّتِي يَعْطَلُنَا .

فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَانصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

أَحِبُّ أَنْ أُرَتِّلَ الْقُرْآنَ , كَمَا أَحِبُّ أَنْ أُنصِتَ إِلَيْهِ ,
وكَمَا وَقَفَنِي اللَّهُ إِلَى وَرْدِ قِرَاءَةِ يَوْمِي مُنْتَظِمٍ ,
أَسْعَى إِلَى أَنْ أُنْتَظِمَ فِي وَرْدِ سَمَاعِ يَوْمِي ,
وَلَا أُنْسَى مَا عَلَّمُونِي إِيَّاهُ صَغِيرًا :
(إِذَا أَرَدْتُ أَنْ تُحَدِّثَ اللَّهُ , فَادْخُلْ فِي الصَّلَاةِ
وَإِذَا أَرَدْتُ أَنْ يُحَدِّثَكَ اللَّهُ , فَاسْتَمِعْ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) ,

فَإِذَا اسْتَوَيْتُ فِي مَجْلِسِ سَمَاعٍ , أَجِدُ نَفْسِي - لَا إِرَادِيًّا - وَقَدْ انْضَبَطَ إِهَابِي
وَانْطَوَتْ أَطْرَافِي
وَأُطْرِقْتُ عَيْنَايَ إِلَى الْأَرْضِ , وَتَرَاوَحَ رَأْسِي يُفْنَةً وَيُسْرَةً , وَلِلْأَمَامِ وَالْخَلْفِ
كَبْنَدُولٍ مُنْتَظِمٍ ,

فَإِذَا وَرَدَتْ آيَةُ تَرْغِيبٍ وَرَحْمَةٍ , انْبَسَطَ وَجْهِي وَانْشَرَحَ فُؤَادِي ,
وَإِذَا عَرَضَتْ آيَةُ تَرْهِيْبٍ وَنِقْمَةٍ , اخْتَلَجْتُ عَوَارِضِي وَاضْطَرَبَ جِنَانِي ,
حَتَّى إِذَا تَجَلَّتْ الْحِكْمَةُ وَتَمَّتِ النِّعْمَةُ , انْحَدَرْتُ دُمُوعِي , فِي خُلُوءٍ أَوْ عَلَى مَلَأٍ ,

وَمِنْ آدَابِ السَّمَاعِ أَيْضًا , أَنْ تَتَفَاعَلَ مَعَ آيَاتِ الذِّكْرِ ,
فَإِذَا عَرَضَ ذِكْرُ الْمُصْطَفَى , صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَيْهِ ,
وَكَذَلِكَ الْحَالُ , إِذَا وَرَدَ تَهْلِيلٌ أَوْ تَكْبِيرٌ أَوْ تَحْمِيدٌ أَوْ تَسْبِيحٌ أَوْ حَوْقَلَةٌ ,

وَأَهْمُ مِنْ أَنْ تَتَأَدَّبَ وَتَتَفَاعَلَ وَتَسْتَمْتَعَ , أَنْ تَعَى وَتَتَدَبَّرَ وَتَمْتَثِلَ ,
فَيَتَوَجَّبُ عَلَيْكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَوْ تَسْمَعَهُ , وَكَأَنَّهُ عَلَيْكَ أَنْزَلَ ,
فَتَلْتَزِمُ أَوَامِرَهُ وَتَتَجَنَّبُ نَوَاهِيَهُ ,
وَبَاعِثُكَ وَمَنْهَجُكَ فِي ذَلِكَ , الْاِمْتِثَالُ وَالْحُبُّ وَالْحَيَاءُ , قَبْلَ الرَّغْبِ وَالرَّهْبِ .

نَعِيمًا

حديثُ الحِلَاقَةِ ذو شُجُونٍ , وَ فَضْلاً عَنْ كَوْنِهِ مَتَخَمٌ بِالتَفَاصِيلِ , فَإِنَّهُ يُثِيرُ الْجَدَلَ , فَبَعْضُ الْمِهْنِ - وَ مِنْهَا الحِلَاقَةُ - رَغْمُ احْتِرَامِهَا وَ أَهْمِيَّتِهَا , لَا تَتَمَتَّعُ بِمَا تَسْتَحِقُّ , مِنْ قَبُولِ الْمُجْتَمَعِ وَ تَقْدِيرِهِ , وَ رَغْمَ أَنَّ أَيَّامَنَا لَا يَسْتَعْنِي عَنْ الحَلَّاقِ , فَإِنَّ الشُّبُهَاتِ وَ الاتِّهَامَاتِ بِالْبُرُودِ وَ التَّرْتُّرَةِ وَحَتَّى البَهْرَجَةِ وَ الحُنُوتَةِ , تَظَلُّ نُحُومٌ فِي الْأَجْوَاءِ , دُونَ مُسَوِّغٍ أَوْ بَيِّنَةٍ !

وَ عَلَى مَدَارِ العُمُرِ , تَعَامَلْتُ مَعَ نَمَازِجٍ عَدِيدَةٍ وَ مُتَنَوِّعَةٍ مِنَ الحَلَّاقِينَ , فَمِنْهُمْ السَّرِيحُ , الَّذِي يَسْعَى سَحَابَةً نَهَارَهُ , حَامِلاً أَدْوَاتِهِ دَاخِلَ حَقِيئَتِهِ , أَوْ يَتَرَدَّدُ آخِرَ اللَّيْلِ , عَلَى عُمَلَائِهِ الْقُدَامَى أَوْ الْمُهِمِّينَ , وَ مِنْهُمْ الْجَالِسُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ أَوْ فِي زَاوِيَةِ سَوِّقٍ , وَ هُنَاكَ مَنْ يُلَازِمُ حَانُوتَهُ البَسِيطِ , بِمَقْعَدِهِ الدَّوَارِ الْوَحِيدِ , وَ آخِرُ أَتْنَقٍ يَرْتَدِي زِيَّاً مُوَحِّداً

- مَعَ عُمَالِهِ وَ مَوْظَفِيهِ - وَ يُدِيرُ مَرْكَزاً مُتَكَامِلاً يُقَدِّمُ خِدْمَاتِ العِنَايَةِ بِالشَّعْرِ وَ الْبَشْرَةِ وَ الْأَظْفَارِ وَ التَّنْذِيلِكِ وَ مَا شَابَهُ , وَ كَمَا دَفَعْتُ مُقَابِلَ الخِدْمَةِ نَقْداً عَاجِلاً , سَدَّدْتَهُ - آجَلاً - غَلَّةً وَ حُبُوباً , وَ كَمَا - عَانَيْتُ مِرَاراً - أَثْنَاءَ الحِلَاقَةِ - مِنَ التَّرْتُّرَةِ وَ النَّمِيمَةِ , تَوَجَّسْتُ - خِيفَةً - عِدَّةَ مَرَّاتٍ , مِنَ الصَّمْتِ الْمُقِيمِ الْمُرِيبِ !

وَ شَأْنُ مُعْظَمِ أُنْبَاءِ الرَّيْفِ , نَشَأَتْ عَلَى احْتِرَامِ الحَلَّاقِ - نُطْلُقُ عَلَيْهِ الْمَزِيَّينَ غَالِباً - لِأَنَّ كَانِ يُقَدِّمُهُ مِنْ خِدْمَاتِ الطِّبِّ - الْبَشْرِيِّ وَ الْبَيْطَرِيِّ - وَ الْجِرَاحَةِ وَ التَّمْرِيطِ وَ الصَّيْدِلَةِ بِالْعَقَاقِيرِ وَ الْأَعْشَابِ , وَحَتَّى مُنْتَصَفِ الثَّمَانِيَّاتِ كَانَتْ عَمَلِيَّاتُ الْخِتَانِ لِلْجَنَسَيْنِ جِكرًا عَلَى الحَلَّاقِينَ !

وَ عَلَى الرِّغْمِ مِنْ أَنَّ الْمَلَلَ هُوَ سَيِّدُ الْمَوْقِفِ , دَاخِلَ صَالُونَاتِ الحِلَاقَةِ بِدَاعِي الْإِنْتِظَارِ , وَ اخْتِرَاقِ حَرَمِ مَسَاحَةِ خُصُوصِيَّةِ الْمَرْءِ إِلَّا أَنَّ الْوَضْعَ لَا يَخْلُو مِنْ ثَمَّةٍ طَرَافَةً هُنَا وَ اثَارَةً

هناك , ومن ذلك أنَّ أحدَ أطفالِ العائلةِ ذهبَ - مُنفرداً - للحِلاقةِ , وعندما أتمَّ الحَلاقُ عمله , بادرَ صاحبُنا بدفعِ مُقابلِ الخِدمةِ , فتجمَّلَ الحَلاقُ وقالَ له (خَلِّي) , فردَّ الصَّبِيُّ نُقودَه إلى جِيبِه و خرجَ جَذْلاناً و خَلَّفَ الحَلاقُ مَبْهُوتاً مِنَ الصَّدْمَةِ ! وثَمَّةُ طِفْلٍ آخرٍ, اصْطَحَبَتْهُ للحِلاقةِ فَأَزْعَجَنِي - طويلاً - وهو يتساءلُ- في بَرَاءَةٍ - : هل يَحْتَفِظُ الحَلاقُ بالشَّعرِ المُقْصُوصِ فَضْلاً عن تقاضيه جُنَيْهاتِ الأُتْعابِ ؟ وحدثَ ذاتَ مرَّةٍ , أنْ اِخْتَلَفَ الحَلاقُ مع العميلِ على مَسْأَلَةٍ ما - سياسيَّةٍ أو رياضيَّةٍ لا أَذْكَرُ و أبى الأوَّلُ أنْ يُتِمَّ حِلاقةَ رأسِ الأخيرِ , وتفاقمَ الأمرُ إلى شِجارٍ خَلَّفَ جُرُوحاً و كَدَماتٍ !

شاطرٌ و مشطورٌ و بينهما فنكوش

نشأتى الرّيفيّة خلّنتى أنظر للخُبز - بأنواعه ومُشتقاته - نظرة تقدير تقترب من التقديس , بدايةً من تسميته بالعيش , وكأنّه مُرادف للحياه على الإطلاق , مروراً باعتباره قرين و تجسيد لأرقى العلاقات الإنسانية كالعمل و الإعالة (أكل عيش) و الصّدّاقة و الجيرة (العيش والملح) , وصولاً إلى استخدامه في القَسَم والحلف كيمين مُغلّظة ,

هذه النظرة وتلك العقيدة , تضائلت جانبها كُلّ مُفردات المائدة , من بقول و لحوم و فواكه و حلويات ... لدرجة اعتبارها مُجرّد كماليّات و تحسينات , لو وُجِدَت يبقى خير و بركة , و لو غابت لا بأس , النَّاس بتغمّس , و القافلة تسير ! من ناحيه تانيه , فكرة طبليّة العيلة فى الوجبات الثلاث , كانت هى المنصّة اللى بيتم عليها الكلام و الوداد و الجدّ والهزار و الخطط و الترتيبات والبيع والشرا والجواز والسفر والتعليم و الميراث , كُلّ تفاصيل الحياه , بتتعرض ويُتفق عليها , ع الطبليه أول النهار أو آخر الليل !

رغم إننا كعرب ومصريين, عرفنا من زمان فكرة الساندوتش أو الشطيرة بالمصطلح الفصيح , - الخلايجة بيسمّوها صَمّون - , سواء كانت فطيرة لحم أو حواوشي أو رُقاق , إلا إن براءة اختراع الساندوتش - بمفهومه و شكله الحديث - ثابتة لنيل انجليزى , كان عايش فى القرن التمنتاشر فى مدينة ساندويتش بمقاطعة (كنت) , و لأنّه كان مُدمن قُمار , وما بيفارقش الطاولة الحَضْرَا , كان بياكل وجباته فى شكل شرايح لحم ملفوفه فى شطاير خُبز , و الفكره عجبّت النَّاس وانتشرت فى كُلّ انجلترا و منها للعالم , أجمع للسّهوله و التناسب مع إيقاع الحياه , بعد انتشار المَدنيّة و التصنيع ,

و لأننا أبطل العام فى التناقض , حُبنا لرغيّف الخُبز و لُقمة العيش , نتج عنه

الأُذراء للساندوتش والتعالى عليه مِن ناحيه , مع الولع بتقليد الغرب في كُل
مَظاهر الحياه , ورَطنا فى مَفرمة الساندوتشات , و من الناحيه الثانيه , أوتاد
التُّراث والتقاليد بتشدِّنا للَمَة
العيله و طَبليَّة البيت الكبير و المحمَّر والمشمَّر والمعَمَّر و المطجَّن ... ,
فبقينا نُمضِغ الساندوتشات , و الإحساس بالبؤس والدَّنب بيأرق ضمائرنا ,
كاننا هربانيين مِن المدرسه ,
وكأنَّه سِتّ بَطَّاله , لازم نُراوغ وننستَر و احنا بنتعامل معاها !

العَدْسُ اللَّيْلَهُ , اللَّيْلَهُ , لَيْلَةُ عَيْدِهِ
يَارَب تَبَارَكَ , تَبَارَكَ , وَ تَزِيدُهُ

أَوَّلُ تَمَانِ سِنِينَ مِنْ حَيَاتِي ,
كُنْتُ وَلَدٌ وَحِيدٌ , عَلَى أَرْبَعِ بَنَاتٍ ,
لَحْدًا مَا شَرَّفَ مُصْطَفَى أَخَوِيَا ,
وَ كَانَتْ عُقْدَتِي قَبْلَهَا ,
إِنِّي مِشَّ هَادِخِلِ الْجَيْشِ , وَ مِشَّ هَآكِلِ عَدْسٍ عَلَى مَزَاجِي !
بَعْدَ مَا كَبُرْتُ , وَ عَرِفْتُ الْحَاجَاتِ عَلَى حَقِّقَتِهَا ,
مُصْطَفَى وَ الْجَيْشِ وَ الْعَدْسِ ,
فَهَمْتُ قَدْ إِيهِ أَنَا كُنْتُ بَرِيٌّ وَ سَادِجٌ !

حِثَّةُ جَزْمِهِ , تَعْمَلُ أَرْزَمَهُ , مِنْ غَيْرِ لَازِمِهِ

و موضوعُ الأُخذيةِ رَغمَ بساطتِهِ ,
إِلَّا أَنَّهُ ثَرَاتِيًّا - وَ شَخْصِيًّا - يَتَحَوَّلُ - أَحْيَانًا - , إِلَى حَدِيثِ ذِي شُجُونٍ ,
فَمَنْ يَنْسَى نَعْلَ أَبِي الْقَاسِمِ وَ حُقَى حُنَيْنٍ وَ مَرَاكِبِ مَعْرُوفِ الْإِسْكَافِيِّ وَ حِذَاءِ
سِنْدْرِيالٍ ,

و مَنْ يَعْغُلُ عَنِ الْجَدَلِ الْمُحْتَدِمِ فِي الْعَشْرِيةِ الْمُنْصَرَمَةِ ,
بَيْنَ دِرَاوِيَشَ عَصَا الْمَارِيْشَالِ , وَ رَافِضَةِ بِيَادَةِ الْعَسْكَرِ ,

و عَلَى الْمُسْتَوَى الشَّخْصِيِّ , قَاوَمْتُ طَوِيلًا فِي صِبَايَ الْمُبَكَّرِ وَاجِبَ انْتِعَالِ حِذَاءِ ,
وَ كُنْتُ أَفْضَلُ السَّعَى وَاللَّعِبِ فِي قَرِيَّتِي الْجَمِيلَةِ , حُرًّا مِنْ قِيودِ الرُّبَاطِ وَ الْإِزْمِ !

و مِنْ جِرَابِ الْحَوَادِثِ , سَأَكْتَفِي بِسَرْدِ ثَلَاثَةِ مَوَاقِفٍ فِي هَذَا السِّيَاقِ :

- فِي امْتِحَانِ الْقَبُولِ (الشَّهَادَةِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ) ,
إِذْ كُنْتُ مُنْتَعِلًا حِذَاءً جَدِيدًا , وَ مَعْنَوِيَّاتِي فِي السَّمَاءِ , بِأَدَائِي فِي الْإِحْتِبَارَاتِ ,
و لَمَّا كُنْتُ أَنْهِيَ إِجَابَاتِي , قَبْلَ شَطْرِ الْوَقْتِ الْمُقَرَّرِ ,
فَقَدْ كُنْتُ أَبَدُّ الشَّطْرِ الْآخِرِ , فِي تَقْرِ الْأَرْضِ بِقَدَمَايَ فِي إِيقَاعِ مُنْعَمٍ (كَلَاكِيَتِ) ,
دُونَ اعْتِرَاضٍ مِنْ رَقِيبٍ أَوْ امْتِعَاضٍ مِنْ زَمِيلٍ !

- وَ بَعْدَهَا بِسَنَوَاتٍ , كُنْتُ ضَابِطًا عَامِلًا بِالْقَوَاتِ الْمُسَلَّحَةِ ,
وَعَلَى مَدَارِ النِّصْفِ الْآخِرِ مِنْ عَامِ 1996 , كُنَّا نَنْتَقِلُ بَيْنَ مَعَاهِدِ الْمُشَاةِ وَ
الْمَدْفَعِيَّةِ وَ الْمُدَرَّعَاتِ , وَ رَغمَ حِرْصِي عَلَى تَحْصِيلِ الدُّرُوسِ وَ ضَبْطِ الْهَيْئَةِ وَ
السُّلُوكِ إِلَّا أَنِّي لَا أَنْسَى يَوْمَ تَجَاوَزَ أَحَدُ قَادَةِ الْمُعَلِّمِينَ عَنْ دَرَجَاتِي الْمُرْتَفَعَةِ وَ
دَوَامِي الْمُنْتَظَمِ , وَوَبَّخَنِي عَلَى حِذَائِي الْمُخَالَفِ , كَوْنُهُ خِلَافَ الصَّرْفِيَّةِ !

- وَ آخِرُ الْحَوَادِثِ يَوْمَ كُنْتُ أَعِدُّ لِعُرْسِي ,
وَ أَجْهَزُ مَنْزِلَ الزَّوْجِيَّةِ فِي الْجِيزَةِ / الْهَرَمِ ,
وَ بَعْدَ سَهْرَةٍ شَاقَّةٍ مَعَ عُمَالِ التَّشْطِيبَاتِ ,

يَمَمْتُ وَجْهِي شَطْرَ مَجْلِسِ الدَّوْلَةِ / الدُّقَى , صَبَاحاً ,
لَاكْتِشَفَ - مُتَأَخِّراً - إِنِّي نَسِيتُ إِحْضَارَ زَوْجٍ مِنَ الْجَوَارِبِ ,
فَأَنْتَعَلْتُ الْجِدَاءَ عَلَى اللَّحْمِ !
و تَعَدَّرَ عَلَى شِرَاءِ جَوَارِبٍ فِي هَذَا الْوَقْتِ الْمُبَكِّرِ ,
وَ اضْطُرِرْتُ - عَلَى مَدَارِ النَّهَارِ - أَنْ أَتَحَمَّلَ فُضُولَ الْغُرَبَاءِ وَشَعَبِ الْأَصْدِقَاءِ !

شِفا و خَمير , يا عِرْقَسوس

عَنْدى مَيل طَبِيعِي لِحُب كُلِّ ما هُوَ شَعْبِي و تُراثِي ,
و رَغْم انْفِتاحِي على الآخر - مُطْلَق الآخر - , و تَقَبُّلي الاختلاف ,
و شَعْفِي للاكتشاف والتَّجْرِبَة و أحيانا المُغامرة ,
إلا إِنِّي إِذا وَصَلْتُ لمفارق طُرُق و مَناهات حَيْره ,
يَبْقَى (البَلَدِي يُوكَل , و يُشْرَب و يُسَمَع و يُرى و يُلبَس , و مِين فَاث قَدِيمُه تاه ,
هذه الثَّقافة و تِلْكَ العَقْلِيَّة المُسْتَقَرَّة المَرْتاحَة ,
لا تَمْنَعُنِي أحيانا مَن الجَنوح بَعِيداً عَن عُرْفِ أَجدادِنَا و سِلو بَلَدِنَا ,
و كَسَر بَعْضِ المَحْظُورات (التابوهات) ,
مَش مِن باب (خالِف تُعَرَف) , لَكِن مِن باب الصَّدق مَعَ النَفْس و الأمانَة مَعَ
النَّاس , كُلِّ هذه المُقَدِّمة الحَنجُوريَّة و التَّوْطِئَة الخُنفِشارِيَّة ,
عشان أَحكِيكُم عَن (العِرْقَسوس) و أَقول رَأْيِي فِيه !

و لَعَلَّ لا شَيْءَ يَصْدُقُ عليه المَثَل القائل (سَماعِكَ بالمُعَيَدِي خَيْرٌ مِن أن تَراهُ)
أَكْثَر مِن العِرْقَسوس , اللى اسْمُه كان مِلْخَبْطِنا فى الطِّفُوله ,
مِن ناحِيه كان فِيه مَرِّيكا و يُوحى بالأهميه ,
و مِن ناحِيه أُخْرى كان مِجْعَلْص و بيفَكِّرنا بالسَّوس و الهِكْسوس !
العِرْقَسوس مَشْرُوب شَعْبِي مِن فَصِيلَة الدَّوم و الحَرُوب و القَصَب و السَّوبِيَّا و
التَّمَر هِنْدِي .. أَقْلُهُم حَلاوَه و أَكْثَرُهُم إِثارَة لِلجَدَل !
عشان سَمْعْتُهُ أَجْمَل مِن صَنَعْتُهُ , و مَظْهَرُهُ أَجْمَل مِن مَخْبَرِهِ !
مُمْكَن يَكُون مُفِيد لِقَرَحَة المَعْدَة و أَمراض الصَّدْر و اضْطِرابات الطَّمْث ,
لَكِنَّه لَأسَف مُضَرٍّ لِمَرْضَى القَلْب و ضَعَط الدَّم المُرْتَفِع و الحَوائِل و المُرْضِعات
و بَيِّر جِل هُرْمونات الذِّكُورَة ,
باحبِّ أَتَفَرِّج على الزَّيِّ التَّقْلِيدِي لِبِياع العِرْقَسوس و خَلْطَة الحَرِير و الجُوخ و
النِّحاس و القِرْاز و طَرِيقَة الصَّاجات و هو بِيغْنِي (شِفا و خَمير يا عِرْقَسوس) ,
لَكِن لَوْ عَندى أَدْنى فُرْصَة لَتَجَنَّبَه , أَوْ اخْتِيار أَيِّ مَشْرُوب غَيْرِهِ ,

هآخذ الفرصة دى , عشان أنسى المرآت القليله , اللى شربته فيها و بقيت مختار
أصنّفه , يا ترى دا خلّ بلّسمى و لا زيت باكم !

آه يا لمونى , فى هواك ظلمونى

طول عُمرى باحبّ اللّيمون جدا , و كمان باحترمه ,
 و احطّه على كُلّ حاجه , فول و شُوربه و سَمَك و لَحْمه و باميه و مُلوخيّه
 وساعات باجرُشّه سادّه , زى عُبّال (ريّا و سَكِينَة) ,
 و رَغْم إنّ عَصْر (العَدَد فى اللّمون) فى الحاجات الحِلوه , ولّى و راح ,
 عُمرى ما اشْتُكيتُ مِنْ مَتَاهَات و جَوَارَات (دوْخِينى يا لمونه) الّلى بنبّات و نصْبَح
 فيها , و مُعْظَم الوقت (عاصِر على نَفْسى ليمونه) عشان أَتَحَمَّل ,
 الكائنات (البَيضَواحبّاطِيّة) , الّلى انتشرتْ و بقتْ أَكْثَر مِ الهَمِّ ع القَلْب ,
 حاجه واحده بسّ باتحَفّظ عليها , البَشَر الخَنِيْقَه المَعْوُوجَه ,
 الّلى لا شُفْنالهم علامه أو كَرَامَه ,
 و رَغْم ذَلِكَ عاملين فيها (ليمونه ف بَلَد قَرْفَانَه) !

[230]

مِصْرُ هِبَةِ الْفُولِ

و لِلْمِصْرِيِّينَ مَعَ الْفُولِ , حَوَادِثٌ وَحِكَايَاتٌ بَدَأَتْ مِنْ أَيَّامِ الْفِرَاعِينَ ,
و أَظْنُهَا لَنْ تَنْتَهِيَ !

و لَهُمْ فِي طَهْيِهِ , أَفَانِينَ تُشْبِهُ أَلْعَابَ الْحَوَاةِ ,
فَهُمْ يَأْكُلُونَهُ صَبَاحاً وَ عَصراً وَ فِي الْعَشِيِّ ,
مُدْمَساً : بِالسَّمَنِ أَوْ بِالزَّيْتِ وَاللَّيْمُونِ أَوْ بِالطَّمَاظِمِ , أَوْ بِالْبَيْضِ أَوْ السُّجُقِ ,
و تَطْرَفُ الْبَعْضُ فَأَكْلُهَا طَاجِنٌ بِاللَّيَّةِ (دُهْنُ الْخَرُوفِ) !
و قَدْ يَعْجِنُونَهُ وَيُضَيِّفُونَ إِلَيْهِ الْخُضَارَ وَ السُّمُسْمَ وَ يَقْلُونَهُ أَقْرَاصاً ,
يَسْمُونَهَا طَعْمِيَّةً وَ يُدْلِلُونَهَا فَلَايِلَ !

و أَخْيَاناً يَطْهُونُ الْعَجِينَ , وَ يَضَيِّفُونَ إِلَيْهِ الْبُهَارَاتِ وَ الْبَصَلَ فَيُصْبِحُ يَبْصَارَةً
و قَدْ يَسْتَنْبِطُونَهُ ثُمَّ يَسْلُقُونَهُ , فَيُضْحَى فَوَلاً نَابِئاً ,

و لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُقَدِّمُونَهُ عَصِيراً , أَوْ يَضْغَطُونَهُ أَقْرَاصاً وَ كَبْسُولَاتٍ ,
أَوْ يُسِيلُونَهُ , لِيُؤْخَذَ حَقْنًا فِي الْعَضَلِ أَوْ الْوَرِيدِ !

فُولِيزِم & فُولِيلُوجِي &# فُولْمَانِيَا

كِتَابُ أَبْلَهَ نَظِيرَه

و فيه حَرِيم كِدَا , لَمَّا تَدْخُل المَطْبَخ , يَرْكِبُهُمْ سُتْمِيت عَفْرِيْت ,
و يَأْخُذُوا كُلَّ التَّرْتِيبَاتِ وَالْإِحْتِيَاطَاتِ ,
زَيِّ مَا يَكُونُوا دَاخِلِينَ غُرْفَةِ عَمَلِيَّاتٍ أَوْ حَلَبَةِ مُسَابَقَاتٍ ,

جَوَانُتِي عَشَانَ البَصَمَاتِ , خُوْذِهِ عَشَانَ الصَّدَمَاتِ ,
رُكَبَ عَشَانَ الْاِخْتِكَاكَاتِ , زَعَانِفَ عَشَانَ الْبَلَاعَاتِ , مَرْيَلَهُ وَ نَضَّارَةَ لِحَامٍ وَ
مَاسَكُ أَكْسَجِينَ وَ سَمَاعَاتٍ وَدَان

المُضْحِكُ المُبْكِي بَقَى , إِنَّ المَقَارَنَةَ بَيْنَ إِنْتَاجٍ وَ مُخْرَجَاتِ مَطَابِخِ زَمَانٍ
بَالْكَانُونِ وَ بَاجُورِ الْجَازِ وَ النَّمْلِيَّةِ الْخَشَبِ وَ الْهُونِ الْحَجَرِ
وَحِلَّ النَّحَاسِ وَ بَلَالِيصِ الْجِبْنَةِ وَ الْعَسَلِ ...

و بَيْنَ مَطَابِخِ دِلَوَقْتِي , بِالْكَيْتِشِينَ مَاشِينَ وَ أَفْرَانِ المَايْكُرُووِيْفِ وَ حِلَّ الْبَرِيَسْتُو وَ
التَّلَاجِ وَ الدِّيبِ فَرِيْزِرٍ وَ التَّوَسْتَرِ وَ الْكَبَّةِ وَ الْفِلْتَرِ وَ الْحَبَشْتَاكَانَاتِ ...

هَتَلَقَى النَّتِيجَةَ , مَطَابِخِ زَمَانٍ كَسْبَانِهِ الْحَبَشْتَاكَانَاتِ هَيْيَفِي سَكُورٍ ,
و لَا عِزَاءَ لِأَجْيَالِ الْحَبَشْتَاكَانَاتِ !

إِكْسِيرَاتُ السَّعَادَةِ

و أتى على الدُّنْيَا حِينُ مِنَ الدَّهْرِ , شَعَلَتْ فِيهِ التَّوَابِلُ وَالبُّهَارَاتُ مَكَاناً عَلِيّاً ,
و عَلَتْ فِيهِ قِيَمَتُهَا عَلَى الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ , وَ فُتِحَتْ مِنْ أَجْلِهَا قَارَاتُ وَ دُولُ ,
و حُبِكَتْ مِنْ أَجْلِهَا الْمُؤَامِرَاتُ , وَ أُرِيقَتْ أَنْهَارُ الدِّمَاءِ ,
فَلَا تَجِدُ أَبَداً مَا لِهَذِهِ (الْجُذُورُ وَ السِّيْقَانِ وَ الْفُرُوعُ وَ الْأُورَاقُ وَ الْحُبُوبُ وَ
الْمَسَاحِيقُ وَ الزُّيُوتُ وَ الْمُسْتَخْلَصَاتُ وَ الْمُعْطَرَّاتُ وَ الْمُخْرَزَاتُ وَ الْمُرْكَبَاتُ)
مِنْ فِعْلِ السِّحْرِ ,
بِمَا تُسْبِغُهُ عَلَى الطَّعَامِ وَالدَّوَاءِ مِنْ نَكْهَاتٍ وَ رَوَائِحَ وَ أَصْبَاحٍ ,

و وافقنى الرأى أَنَّ جاذبيةَ تلكَ الأعاجيبِ , تَبْدَأُ بِمُسَمِّيَاتِهَا الطَّرِيفَةِ بَلْ الصَّادِمَةِ
أُخْيَاناً , وَ لَا تَنْتَهَى بِأَشْكَالِهَا الْمُوَحِّيةِ , وَ طُرُقِ تَخْزِينِهَا وَ عَرْضِهَا وَ وَزْنِهَا وَ
تَغْلِيفِهَا , الْأَمْرُ الَّذِى يُثِيرُ الْخِيَالَ وَ يَبْعَثُ الْفُضُولَ ,
وَ يَسْتَدْعِ إِلَى الذِّهْنِ تَمَتُّمَاتِ التَّعَاوِيدِ السِّحْرِيَّةِ وَ مُغَامِرَاتِ الْأَسَاطِيرِ الشَّعْبِيَّةِ ,
وَ يَسُوقُنِى كَالْمَنْدُودِ إِلَى أَسْوَاقِ الْبُهَارَاتِ وَ حَوَانِيتِ الْعَطَّارِينَ مِنْ آنٍ لِآخَرَ ,
أُخْيَاناً لِلشِّرَاءِ وَ التَّبَضُّعِ , وَ غَالِباً لِلْفُرْجَةِ وَ التَّأَمُّلِ وَ السِّيَاحَةِ فِي الْمَكَانِ وَ الزَّمَانِ ,
بَقَى أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّهُ مِنَ الْوَاقِعِيَّةِ وَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَتَرَفَّقَ الْمَرْءُ
وَ هُوَ يَتَعَامَلُ مَعَ التَّوَابِلِ وَ الْبُهَارَاتِ فَلَا يُحْمِلُهَا أَكْثَرَ مِمَّا تَحْتَمِلُ

و يَنْتَظِرَ مِنْهَا أَنْ تُعِيدَ الشَّيْخَ إِلَى صِبَاهُ أَوْ تَجْلِبَ الْحَبِيبَ أَوْ تَرَدَّ الْمُطْلَقَةَ أَوْ تَقْلِبَ
الْفِسِيخَ شَرِبَاتٍ , فَهِيَ – التَّوَابِلُ وَ الْبُهَارَاتُ – لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ مُكْمَلَاتٍ وَ
مُحَسِّنَاتٍ تَحْتَاجُ إِلَى أَصُولٍ وَ أُسَاسَاتٍ , وَ لَنْ يَسْتَقِيمَ الظِّلُّ وَ الْعُودُ أَعْوَجُ !

نَيْلُ الْمَارِبِ , فِي نُشُوءٍ وَ ارْتِقَاءِ الْجَوَارِبِ

و لنا مع الشَّرَابَاتِ - صَحَّتْهَا الْجَوَارِبِ , وَلَكِنِّي أَبْدَأُ لَمْ أُسْتَسْغِ الْلفظَ - ,
حواديتُ كُلُّهَا شُجُونٌ وَ جُنُونٌ ,

مِنْ صَدِيقٍ كَانَ يَحْتَرُمُهَا احْتِرَاماً شَدِيداً , وَ يُبَالِغُ فِي هِنْدَامِهَا وَ يُنْفِقُ عَلَيْهَا بِبَذْخٍ
غَيْرِ مَفْهُومٍ , إِلَى صَدِيقٍ آخَرَ كَانَ يُهْمِلُهَا بِالْأَسَابِيعِ , حَتَّى تَمُجُّهُ وَتَعَافَهَا الْعَيُونُ وَ
الْأَنْوْفُ , وَ فِي الْمِيرَى , عَانِينَا مِنْ حُسُونَةِ الشَّرَابَاتِ الْكَاكِي وَوَاقِي قَصَبَةِ السَّاقِ
الْمُرْتَبِطِ بِهَا (الْجَتَرُ)

و لما ارتدينا (الْحُلَّ الرِّسْمِيَّةَ) كُنَّا نُنْدَهَشُ مِمَّنْ يُنْفِقُ الْآلَافَ عَلَى بِرَاندَاتِ الْبَدَلِ وَ
الْكِرَافَتَاتِ , ثُمَّ يَتَغَافَلُ وَ يَتَكَاسَلُ فَيَسْتَرِيحُ الشَّرَابَاتِ , فَذَلِكَ الْبَائِسُ إِنْ نَجَا مِنْ
النَّقُوبِ , أَدْرَكَهُ التَّهْدُلُ , وَإِذَا عَافَاهُ اللَّهُ مِنَ الْاِثْنَيْنِ , اخْتَلَّ مِيزَانُهُ فَلَبَسَ الْقُطْنَ فِي
الشِّتَاءِ وَ الصَّوْفَ فِي الصَّيْفِ !

و لَا أَذْكَرُ أَنَّ أَحَدًا غَنَى لِلشَّرَابَاتِ إِلَّا الْجَمِيلَةَ شَادِيهِ :

(قَالَ إِلَيْهِ شَرَابِي مَدْلُولٌ , وَ كَاوِيهِ شَعْرِي بِمَكُوءَةِ رَجُلٍ) ,

وَ فِي الْخَلِيجِ , كَانُوا يُطْلِقُونَ عَلَيْهَا الدِّلاَغَ - جَمَعَهَا دِلَاغَاتُ -

وَ حَفِظْتَ الْمُفْرَدَةَ وَ لَكِنْ أَبْدَأُ لَمْ أَتَفَوَّهُ بِهَا ,

وَ تَبْقَى الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ هَذَا الْاِخْتِرَاعَ الْمُعَقَّدَ كَانَ يُسْتَعْمَدُ أحياناً فِي أَيَّامِ الْمُرَافَقَةِ وَ
الْإِفْلَاسِ كَمَخْبَأٍ مَمْنُوعَاتٍ , مِنْ عَيْنَةِ لُفَافَاتِ التَّبَعِ وَ الْمَدَى - قَصْدِي السَّجَائِرِ
وَالْمَطَاوِي - , وَ لَمْ يَتَوَصَّلَ الْعِلْمُ أَوْ يُثَبِّتِ الثَّرَاثُ ,

سِرَّ لُغْزِ الثُّقْبِ الْأَسْوَدِ أَوْ النَّدَاهَةِ، الَّتِي تُخْفَى بَعْضَ الشَّرَابَاتِ وَ تَتْرُكُ الْبَعْضَ الْآخَرَ
يُعَانِي الْوَحْدَةَ وَالْبَطَالَه !

و نَخْتُمُ بِنَادِرَةٍ كَانَ يَتَحَوَّلُ فِيهَا هَذَا الشَّيْءُ النَّكَرَةُ , مِنْ مَهْزَلَةٍ تَافِهَةٍ إِلَى مَأسَاةٍ
صَادِمَةٍ , حِينَ يَسْلُبُهُ ذُو نَفْسٍ خَبِيثَةٍ ,

و يُوْظَّفُهُ كَ (أَثَرٍ) لِإِيْذَاءِ صَاحِبِهِ بِأَعْمَالِ السِّحْرِ وَالشَّعْوَذَةِ !

[234]

ألو يا أمم

ظَهْرُهُ يَوْمَ خَرِيفِي هَادِي , عام 1980 ,
فُوجِنْتُ بِالْبَيْتِ يَتَحَوَّلُ إِلَى خَلِيَةِ نَحْلٍ , وضيوفُ يرتدون زِيَّ عَمَلٍ مَوْحَدٍ ,
يُثَبِّتُونَ مَفَاتِيحَ وَ يُمَدُّونَ أَسْلَاكَ ,
و يَحْتَفِي الْوَالِدُ بِهِمْ , بِالطَّعَامِ وَ الْإِكْرَامِيَّاتِ ,

ثُمَّ ظَهَرَ هَذَا الْجِهَازُ الْأَسْوَدُ الْفَخِيمُ
مُسْتَوِيًّا عَلَى رَفِّ عَالٍ وَ تَحْتَهُ مَقْرَشٌ رَقِيقٌ
وَ تَحْرُسُهُ بَطَارِيَّتَانِ ضَخْمَتَانِ , اسْتَقَرَّتَا خَلْفَهُ كَالدَّيْدَبَانِ !

لَا حَقًّا أَفْهَمَنِي الْوَالِدُ أَنَّ سِرَّ هَيْبَةِ ذَلِكَ الْجِهَازِ ,
تَكْمُنُ فِي كَوْنِهِ - مَعَ السَّلَاحْلِيكِ - بِمِثَابَةِ رَمْزٍ لِلسُّلْطَةِ
إِذَا كَانَ يَقْتَصِرُ وَجُودَهُمَا , عَلَى دَوَارِ الْعُمْدَةِ ,
ثُمَّ انْتَشَرَ الْهَاتِفُ تَدْرِيجِيًّا إِلَى بَيْوتِ الْأَعْيَانِ ,

فِي سِنِي الصَّغِيرَةِ وَطُولِي الْمَحْدُودِ , لَمْ يَكُنْ اسْتِعْمَالُ الْهَاتِفِ مُمَكِّنًا أَوْ مُتَاحًا لِي ,
خَاصَّةً وَأَنَّ الْأَمْرَ - قَبْلَ تَعْمِيمِ فُرْصِ الْأَرْقَامِ - , كَانَ يَقْتَضِي اسْتِعْمَالِ ذِرَاعِ يَدَوِيٍّ
(مَنَافِلِهِ) , تُنَبِّهُ عَامِلُ التَّخْوِيلَةِ , إِلَى رَغْبَتِكَ فِي اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ ,
وَ إِذَا كَانَ الرَّقْمُ الْمَطْلُوبُ مُتَاحًا أَمَامَهُ عَلَى لَوْحَةِ الْقَوَابِسِ , يَقُومُ بِتَوْصِيلِ الْخَطِّينِ
يَدَوِيًّا وَ يَطْمَنُّ عَلَى تَوَاصِلِ الْخَطِّينِ ثُمَّ يَنْسَحِبُ ,
فِي تَوْقِيتٍ يَتَنَاسَبُ عَكْسِيًّا مَعَ مِقْدَارِ فُضُولِهِ , وَ طَرْدِيًّا مَعَ دَرَجَةِ أَمَانَتِهِ !
هَكَذَا كَانَتْ الْإِجْرَاءَاتُ فِي الْمُكَالِمَاتِ الْمَحَلِّيَّةِ (دَاخِلِ الْمُحَافَظَةِ) ,
أَمَّا إِذَا كَانَتْ الْمُكَالِمَةُ تَسْتَلْزِمُ التَّوَاصُلَ مَعَ سِنْتِرَالِ مُحَافَظَةٍ أُخْرَى بِطَرِيقِ
(التَّرْنُوكِ) , فَذَلِكَ مَطْلَبٌ دُونَهُ خَرْطُ الْقِتَادِ ,
لَا يَقِلُّ صُعُوبَةً وَ نُدْرَةً , عَنْ النُّوقِ الْبَيْضِ الْعَصَافِيرِ , لِخَالِدِ الذِّكْرِ عَنْتَرَةَ بْنِ شَدَّادِ !

[235]

ضَغْطٌ عَالِي

رَئِى نَاسَ كَثِيرَ , عَنَدِى مُشْكَلَةٌ مَعَ الْأَمَاكِنِ الْمُزْتَفِعَةِ ,

يَعْنِى بِدَرَجَةِ بَسِيطَةٍ , بَاعَانِى مِنْ رَهَابِ الْمُزْتَفِعَاتِ (أَكْرُوفُونِيَا) ,

صَحِيحٌ دَا مَا مَنَعْنِيشَ مِنْ حَاجَةِ مُهَمِّهِ ,

يَعْنِى فِى طِفُولَتِى ,

كُنْتُ نِسْنَسَ , بَاطَلَعَ الشَّجَرَ وَ النَّخْلَ وَ عَوَامِيدَ الْكَهْرَبَا ,

وَ اتَدَخَّرَجَ مِنْ عَلَى الْجَبَلِ وَ اتَحَنَّجَلَ عَلَى الْأَسْوَارِ ,

إِنَّمَا مَا بَاكُونَشَ عَلَى رَاحَتِى !

وَ مَا انْسَاشَ لَمَّا اضْطَّرَيْتَ أَنْفِذَ (قَفْزَةُ الثِّقَةِ) ,

مِنْ ارْتِفَاعِ عَشْرَةِ مَتَرٍ , فِى حَمَامِ السَّبَّاحَةِ الْأُولِيمْبِىِّ بِالْأَكَادِيمِيَّةِ الْحَرَبِيَّةِ بِمَصْرِ
الْجَدِيدَةِ , وَ لَا لَمَّا رُوِّحِى طَلَعَتِ السَّمَاءَ ,

قَبْلَ مَا أَسَاسَنَسِيرَ (بُرْجُ الْقَاهِرَةِ) يُوْصَلُ آخِرَ دَوْرٍ ,

الْعِيْضُهُ بَقِىَ , لَمَّا اضْطَّرَّ أَرْكَبَ مَعَ أَوْلَادِى , السَّاقِيَّةِ فِى الْمَلَاهِى ,

وَ أَقْرَفَصَ عَلَى أَرْضِ الصَّنْدُوقِ , عَرَقِى مَرَقِى ,

وَ هُمَا مَقْضِيَّيْنَاهَا أَلْشَّ وَ اشْتِغَالَاتٍ ,

عَلَى سَبْعِ الْبُرُومَبَةِ اللَّيِّ انْكَشَفْنَ وَ بَانَ !

ظَرِيفُ الإسْكَافِي

بعيداً عن حُبْنَا للحَفَاء مُنْذُ الصَّغَرِ وَ حَتَّى الْآنَ ,
 وَ قَنَاعَتَنَا أَنْ الْأَحْذِيَّةَ لَيْسَتْ إِلَّا تَرَفّاً , يُمَكِّنُ الْاسْتِغْنَاءَ عَنْهُ ,
 مُروراً بِحَوَادِثَ مَعْرُوفِ الإسْكَافِي وَ خُفَى حُنَيْنٍ وَ نَعْلِ أَبِي الْقَاسِمِ
 الَّتِي أَثَارَتْ خِيَالَنَا فِي الطُّفُولَةِ ,
 وَ دَهَشَتِي الْبَالِغَةُ مِنَ الإسْكَافِيَةِ فِي قَرَيْتِي الصَّعِيدِيَّةِ ,
 اللَّذَيْنِ حَمَلَا - لِلْمُصَادَفَةِ - أَسْمَاءً عَجِيبَةً , إِذْ كَانَ الْقِبْطِيُّ مِنْهُمَا , يُسَمَّى يُونَانَ
 وَ الْمُسْلِمُ يُطْلَقُ عَلَيْهِ , أبا السُّعُودِ , فَمَالِ بِلَادِ الْإِغْرِيقِ بِهَذَا الدُّكَانِ الْبَائِسِ !
 وَ أَيْنَ هُوَ السَّعْدُ , فِي رَتَقِ الْمَرَكَيبِ الْبَائِسَةِ لِقَاءَ قُرُوشِ زَهِيدَةِ !
 وصولاً إلى أَجْمَلٍ وَ أَعْجَبِ إسْكَافِي رَأَيْتُهُ فِي حَيَاتِي , كَانَ صَدِيقاً حَمِيماً لِلْوَالِدِ -
 رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا - رَجُلًا صَعِيدِيًّا رُبْعَةَ الْقَوَامِ خَفِيفَ الرُّوحِ حُلُو الْمَعْشَرِ
 يَرْتَدِي الْمَلَابِسَ الْإِفْرَنْجِيَّةَ وَ يَضَعُ عَلَى عَيْنَيْهِ نَظَارَاتٍ طَبِيبَةً
 أَشْبَهَ فِي الْمَلَامِحِ وَ اللَّطْفِ وَالظَّرْفِ ب (فَوَادِ الْمَهْنَدِسِ)
 وَ (عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَبُو زَهْرَةَ) !

كَانَ مَعْرُوفًا ب (الدُّكْتُور كَمَالِ) , وَ يَنَادِيهِ الْجَمِيعُ بِهَذَا اللَّقَبِ تَوَدُّدًا وَ مَرَحًا ,
 وَمِنْ جَانِبِهِ , كَانَ يَحْرُصُ عَلَى اسْتِعْمَالِ مُفْرَدَاتِ الطِّبِّ : مِنْ جِرَاحَةٍ وَ بَنَجٍ وَ
 خِيَاطَةٍ وَ بَتَرٍ وَ عَنَاقِيَّةٍ مُرَكَّزَةٍ ... - فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْأَحْذِيَّةِ - بِجِدِّيَّةٍ مُصْطَنَعَةٍ تُثِيرُ
 الْبَهْجَةَ فِي جَوْ عِيَادَتِهِ - عَفْوَاً وَرَشْتَهُ - تِلْكَ الْوَرَشَةُ , الَّتِي كَانَتْ فِي أَجْمَلٍ وَ أَوْسَطِ
 شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ , وَ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهَا عَلَيْهِ الْقَوْمُ وَ أَغْيَانُ الْبَلَدِ لِلتَّصْلِيحِ وَ التَّلْمِيعِ ,

وَ أَعْجَبَ مِنْ أُنَاقَةِ الْمَكَانِ وَ رُقَى عُمَلَانِهِ ,
 كَانَتْ مُوَضَّوعَاتُ الْحَوَارَاتِ وَ مُسْتَوِيَاتُهَا
 وَ عُمُقُ وَ طَرَافَةُ آرَاءِ الدُّكْتُورِ وَ تَعْلِيقَاتِهِ , بِمَا كَانَ يُثِيرُ الْخِيَالَ وَ يَسْرُّ الْبَالِ .

جِيرَانُ الْهَنَا

جِيرَانُ الْهَنَا فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ , كَانَتْ تَغْلُبُ عَلَيْهِمُ الطَّيِّبَةُ وَالنَّمْطِيَّةُ ,
لَكِنْ ثَمَّةَ نَمَازُجٍ خَرَجَتْ عَنِ السِّيَاقِ وَكَسَرَتْ الرُّوتَيْنِ ,
وَإِنْ أَنْسَى لَا أَنْسَى , جَاراً لَنَا حَرَصَ أَبِي عَلَى تَحْذِيرِي مِنْهُ قَائِلاً :
لَا يَغُرَّتْكَ هَذَا الْبَشَوُشُ الصَّوَامُ الْقَوَامُ , فَهُوَ قَائِلٌ مَاجُورُ ,
وَآخِرًا كَانَ يَجْمَعُ فِي أَرْيَحِيَّةٍ بَيْنَ وَظِيفَتِهِ الْمُعْلَنَةِ كَخَادِمٍ مَسْجِدٍ وَمُقِيمٍ شَعَائِرِ ,
وَبَيْنَ نَشَاطِهِ السَّرِيِّ فِي عَمَلِ الْأَسْحَارِ وَالْأَحْجَبَةِ وَتَعَاوِيذِ الْجَلْبِ وَالرَّبْطِ ,
وَتَالِثَ أَغْزَبَ , بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ أَرْذَلَهُ ,
وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتَدَاوَلُ مَعْلُومَةً ارْتِبَاطُهُ بِقَرِينَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْجِنِ ,
تُغْنِيهِ وَتَمْنَعُهُ عَنِ الْأَنْسِيَّاتِ ,
وَمِنْهُمْ أَيْضاً عَجُوزٌ أَرْمِلٌ بِاسْمِ السِّنِّ عَذْبُ اللِّسَانِ ,
حَدَّرْنَا مِنْهُ الْكِبَارُ , بِمَظَنَّةٍ مُمَارَسَتِهِ دَاءَ قَوْمِ لَوُطِ ,
وَمِنْهُمْ مُسِنَّةٌ عَفَا حُسْنُهَا , كُنَّا نَتَعَجَّبُ مِنْ وَشْمِ ذَقْنِهَا وَخُزَامِ أَنْفِهَا وَحِنَّةِ كُفُوفِهَا
وَلَهْجَتِهَا الْغَرِيبَةِ الْمُؤَسَّقَةِ , وَزَالَ الْعَجَبُ بَعْدَ أَنْ عَلِمْنَا
أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ غَوَازِي الْعَجَرِ فِي شَبَابِهَا الْغَايِرِ ,
وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ

تذڪارات

"وَعِنْدَمَا يُهْدِينِي أَحَدُهُمْ رَابِطَةً عُثْقُ , أُصَنِّفُهُ آلياً إِلَى فَرِيقٍ مِنْ إِثْنَيْنِ
فَرِيقٍ طَوَّقَتْ عُثْقَنَا بِالْخَيْرِ , وَنُطَوِّقُ عُثْقَكَ بِالْحَرِيرِ ,
و فَرِيقٍ شَدَدَتْ عَلَيْنَا النُّكَيْرَ , فَخُذْهَا مَشْنَقَةً سَعِيرَ "

أَنْ يَهْتَمَّ بِكَ أَحَدُهُمْ - أَوْ إِحْدَاهُمْ - , فَيَتَكَلَّفُ عِبَاءَ التَّفَكُّيرِ فِي إِهْدَائِكَ شَيْئٍ , يُدْخِلُ
السُّرُورَ عَلَى قَلْبِكَ فَهَذَا - وَ اللَّهِ - فَضْلٌ عَظِيمٌ , فَإِذَا كَانَ لِهَذَا الْمُهْدَى سِعَةٌ مِنْ
خَيَالٍ وَ جَهْدٍ وَ مَالٍ ,

فَقَدْ نَكُونُ بَصَدِّدٍ وَاقِعَةٍ تَعْمُرُ - بِآثَارِهَا الزَّكَاةَ - سِنِينَ عَدَدًا ,
بَلْ قَدْ تَكُونُ وَاقِعَةً فَارِقَةً فِي حَيَاةِ الْمَرْءِ , تَفْصِلُ مَا قَبْلَهَا عَمَّا بَعْدَ ,
وَ عَلَى مَدَارِ الْعُمُرِ , تَفْضِلُ الْبَعْضَ عَلَيْنَا بِهَدَايَا مِنْ هُنَا وَ هُنَاكَ ,
قَرَّتْ فِي نِيَاطِ الْقَلْبِ , كَمَا يَقْرَأُ الْوَشْمُ فِي ثَنَائِ الْجِلْدِ , مُحَبَّةً وَ عِرْفَانًا ,
هَذِهِ أَلْعَابٌ وَدُمَى , وَتِلْكَ سَاعَاتٌ وَخَوَاتِمَ , ثُمَّ الْعَدِيدُ مِنَ الْكُتُبِ وَفَنَانِ الْعُطُورِ
وَ رَابِطَاتِ الْعُنُقِ ,

لَكِنْ نَمَّةٌ هَدَايَا كَانَتْ مِنَ الطَّرَافَةِ وَ الشَّعْفِ بِمَكَانٍ ,
بَحِيثٌ يَعْمُرُنِي الشُّرُودُ وَ التَّحْنَانُ حِينَ أُطَالِعُ بِقَايَاهَا أَوْ حَتَّى أَتَذَكَّرُ مُنَاسِبَاتِهَا ,
فَتُفَلِّتُ هُنَا , بِسَمَةِ عَلَى خَلْوَةٍ ,
وَ تَفِرُّ هُنَاكَ , دَمْعَةً عَلَى أَسَى !

وَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ : وَرَدَةٌ دَرَسَتْ بِتِلَاثِهَا , طَيَّ مُجَلِّدٍ عَتِيقٍ , أَعْلَى
رُفُوفِ الْمَكْتَبَةِ ,

وَ دِيوَانُ شِعْرِ لَمْ أُدْرِكْ فَخَوَى رِسَالَتَهُ فِي حَيْنِهِ , وَلَمَّا انْتَبَهْتُ , كَانَ الْوَقْتُ قَدْ فَاتَ
لِتَذَارُكَ أَيِّ شَيْءٍ , وَ هَذِهِ وَرَقَةٌ بِنُكُوتِ فِتْنَةِ الْجُنَيْهِ - كَانَتْ تَقْضِي أَوْطَارًا مُنْذُ ثَلَاثِ
قَرْنٍ - عَلَيْهَا إِهْدَاءٌ مَوْعٍ مِنْ مُعَلِّمٍ لُغَةٍ فَرَنْسِيَّةٍ كَانَ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - مَضْرَبُ الْمَثَلِ
فِي الْجِرْفِيَّةِ وَ الْجَفَاءِ ,

غَيْرُ بَعِيدٍ , بِوَرْتَرِيهِ سِلْوِيَّتٍ مِنْ فَنَانِ شَارِعٍ عَلَى شَطِّ جَلِيمٍ , رَفَضَ تَقَاضِي أُجْرَتَهُ

الزُهيدة عَنْهُ , و بجانبه صُنْدُوقُ سِجَارِ كُوبى مِنْ رَحالةِ صَدِيق , يَجْعَلُكَ تُصَدِّقُ
الشَّائِعةَ الشَّهيرةَ
عن بَرَمِ أَلْفافاتهِ فوقَ أَفْخاذِ العَذارى , وفى صَدْرِ المَكْتَبَةِ : دِرْعُ تَقْدِيرِ تَذْكارى ,
هانتْ مُقابِلَه دُهورٌ مِنَ العُرْبَةِ و العَسْفِ و العَنْتِ ,
و داخلَ الحَزَانَةِ , رابِطَةُ عُنُقِ قُرْمُزِيَّةٍ مُنْقَطَةٌ , كانتْ هَدِيَّةَ وداعٍ مِمَّنْ كُنَّا نَظُنُّ أَلَّا
حياةَ بَعْدَ فِرَاقِهِ , وها نَحْنُ نَقْصُ الرِّوايةِ فى ذِكرِها الخامِسةَ و العِشرِينَ !

سَبْعُ صَنَائِعٍ .. بَتْنَعِي

مَشَ بِسِّ السَّقَا أَلَّى مَات , دَا مِهَن و وَظَائِف و شُغْلَانَات كَثِيرَه مَاتَتْ ,
 بَعْدَ التَّطَوُّرِ الْكَبِيرِ فِي نَمَطِ الْحَيَاةِ وَ التَّكْنُولُوجِيَا آخِرِ خَمْسِينَ سَنَه ,
 حَاجَات كَثِيرَ شَفْنَاهَا فِي طِفْلَتِنَا وَ مَا عَادَتْشَ مَوْجُودَه , وَ دَلُوقْتِي لَمَّا نَجِيبُ سِيرَتَهَا
 أَوْ نَحْكِي عَنْهَا لِلْأَجْيَالِ الْجَدِيدَةِ , تَبَحَّلَقْ وَ تَبْرِيشْ مَا بَيْنَ الْإِنْدَهَاشِ وَ الْاسْتِنْكَارِ ,
 كَلَّمْنِي عَنْ مَبِیْضِ النَّحَاسِ وَ الْخُصْرَى وَ الْبِيَاعِينَ الْجَوَالِينَ لِلْجِيلَاتِي وَ غَزَلَ
 الْبَنَاتِ وَ الْعِرْقُسُوسِ وَ التَّسَالَى [اللَّبْ & الْفُولُ السُّودَانِي & التَّرْمِسُ & الدُّومُ ...]
 وَ بِيَاعِينَ الْجَرَائِدِ وَ التَّوَابِلِ وَ الْقَمَاشِ – بَتَشْدِيدِ الْمِيمِ – وَ فَنَانِينَ الشَّوَارِعِ :
 [حُوَاهِ & أَكْرُوبَاتِ & بَهْلَوَانَاتِ & أَرَاوُزَاتِ & مُدْرِيبِينَ حَيَوَانَاتِ & مُقَرَّنِينَ &
 مُنْشِدِينَ & مِغْنَوَاتِيَّةَ & عَوَالِمَ/غَوَازِي/ رَقَاصَاتِ ...]
 وَ فِينِ أَيَّامِ شَبَوُخِ الْكَتَاتِيْبِ وَ عَرِيفِيْهَا وَ رِفَاعِيَةِ التَّعَابِينِ وَ نَجَارِينَ السَّوَاقِي وَ
 الطَّنَابِيرِ وَ سَمَكْرِيَّةِ الْبَوَاجِيرِ/ الْمَوَاقِدِ وَ الْكُلُوبَاتِ وَ جَسَّاسِينَ الْبَهَائِمِ وَ طَّلَّاعِينَ
 النَّحْلِ وَ الْقَابِلَاتِ [الْمُؤَلَّدَاتِ] وَ حَبَازَاتِ الْأَفْرَانِ الْبَلَدِيَّةِ ,
 رَحَزَحَ الْقُوسِ وَ سَجَّلَ عِنْدَكَ , مَكْجُوجِي الرِّجْلِ وَ الْحَنْطُورَجِي وَ الْمَجْبَرَاتِي وَ
 الْمِنَادِي وَ ضَرَّابِ الطُّوبِ النَّيِّ وَ الدَّلَّالَةِ وَ كُودِيَّةِ الزَّارِ
 وَ الْكُومُسيُونَجِي [الْأَبُونِيَه] وَ عَطَشَجِي السِّكَّةِ الْحَدِيدِ وَ الْفِتْوَه وَ الْخَاطِبَه وَ
 الْخِرْتِيَه/ أَدِلَّةُ السِّيَاحِ

#و يَنْفَلْتُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا الزَّمَانِ , كَأَنَّهُ سَحْبَةُ قَوْسٍ فَ أَوْتَارُ كَمَانِ

دُفَى يَا مَزِيكَ .. وَ عَجُوزِهِ وَ مُهَنْدِسِينَ

و يَحْكَونَ أَنَّ فِرْقَةَ (حَسَبَ اللَّهِ) كَانَتْ مِنْ أَشْهُرِ فِرَقِ الْمَوْسِيقَى الشَّعْبِيَّةِ وَ رَفَّةَ الْأَفْرَاحِ عَلَى مَدَارِ الْقَتْرِ مِنْ مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ حَتَّى مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ , وَ كَانَتْ تُؤَدِّي اسْتِعْرَاضَاتِهَا فِي كُلِّ الْمُنَاسَبَاتِ , زِفَافٍ & سُبُوعٍ & طُهورٍ & حَجٍّ & نَجَاحٍ & شِفَاءٍ & انْتِخَابَاتٍ وَ إِفْرَاجٍ مِنَ السَّجْنِ وَ كَانَتْ الْفِرْقَةُ تَتَكَوَّنُ مِنْ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْأَعْضَاءِ يَغْرَفُونَ عَلَى عِدَّةِ آلَاتٍ أَهَمُّهَا آلَاتُ النَّفْخِ النُّحَاسِيَّةِ وَ الطَّبُولِ بِأَنْوَاعِهَا فِي زِيٍّ رَسْمِيٍّ مُوَحَّدٍ مُوَشَّى بِالْقَصَبِ أَقْرَبَ لِلزِّيِّ الْعَسْكَرِيِّ – كَانَ مُؤَسَّسُهَا وَمُدِيرُهَا (حَسَبَ اللَّهِ) شَاوِيشًا بِالْجَيْشِ - بِالْأَوْشَحَةِ وَ أَغْطِيَةِ الرَّأْسِ .

وَ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ , فَإِنَّ عَدَدَ الْعَازِفِينَ الْحَقِيقِيِّينَ الْمُجِيدِينَ لِلْمَوْسِيقَى كَانَ مَحْدُودًا جِدًّا لَا يَتَجَاوَزُ أَصَابِعَ الْيَدِ الْوَاحِدَةِ بَيْنَمَا يَتَوَاجَدُ مَعَهُمْ أَضْعَافُ عَدَدِهِمْ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَرْتَدُّونَ ذَاتَ الزِّيِّ وَ يَتَظَاهَرُونَ بِالْعَرْفِ عَلَى مَا يَحْمِلُونَهُ مِنَ آلَاتِ مُوسِيقِيَّةِ رَغْبَةٍ فِي الزَّخَمِ

وَ الْاِحْتِفَالِ وَ نَفْخِيمِ الْمَظَاهِرِ (الْبَهْرَجَةِ وَ الْكَرْنَفَالِ) !

وَذَلِكَ يُعْزِي إِلَى زِيَادَةِ الطَّلَبِ عَلَى الْفِرْقَةِ فِي أَمَاكِنَ مُتَفَرِّقَةٍ وَ نُدْرَةَ مَنْ يُجِيدُونَ فُنُونَ الْعَرْفِ عَلَى الْآلَاتِ الْمَوْسِيقِيَّةِ , وَ كَانَتْ الطَّائِفَةُ الْأَخِيرَةُ يُطْلَقُ عَلَيْهَا (لَايَسَ مَزِيكَ) وَ كَانَتْ إِدَارَةُ الْفِرْقَةِ – الشَاوِيشَ حَسَبَ اللَّهِ وَ خَلْفَاؤُهُ – تُمَيِّزُ فِي الْأَجْرِ بَيْنَ الْعَازِفِ الْحَقِيقِيِّ وَ لَايَسَ الْمَزِيكَ

بَعِيدًا عَنِ الْمَوْسِيقَى وَ التَّارِيخِ , وَ عَوْدَةً لِلْحَاضِرِ وَ الْوَاقِعِ , فَإِنَّ كُلَّ فَرِيقٍ عَمَلٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ – وَزَارَةٍ & شَرَكَةٍ & مُسْتَشْفَى & مَحْكَمَةٍ & هَيْئَةٍ- حَالَهَا كَحَالِ فِرْقَةِ حَسَبَ اللَّهِ ,

غَالِبًا مَا تَحْتَوِي عَلَى عَازِفِينَ حَقِيقِيِّينَ – لَدَيْهِمْ مَوْهَلَاتٌ وَ خِبْرَاتٌ وَ يُجِيدُونَ الصَّنْعَةَ – جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ عَدَدٍ أَكْبَرَ مِنْ (لَايَسَى الْمَزِيكَ) مِنَ الْأَعْضَاءِ الَّذِينَ

يَفْتَقِرُونَ إِلَى التَّاهِيلِ وَ الْخِبْرَةِ وَ لَا يُجَيِّدُونَ الصَّنْعَةَ , وَ يَتَوَقَّفُ انْتِظَامُ السَّيْرِ وَ
الْعَمَلِ بِفَعَالِيَةٍ وَ رُبَّمَا النَّجَاحُ وَ التَّطَوُّرُ عَلَى نِسْبَةِ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْآخِرِينَ وَ سَلَاسَةِ
التَّعَاوُنِ بَيْنَهُمْ وَ الْعَدَالَةِ الْمُبْصِرَةِ
فِي تَوْزِيْعِ الْمَغَانِمِ وَ الْأَعْبَاءِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ .

طوائف الصنایعیّة .. بین الماضي و الحاضر

و طوال العَصْر المَمْلُوكی - و بعده العَصْر العُثمانيّ - و حتّى عام 1890 رسمياً و مُنتَصَف القَرْن العِشرین واقعيّاً , اسْتَقَرَّ نِظامُ طوائِف الصَّنایعیّة و الشَّغِیلَة ,

فكانَ لِکُلِّ حِرْفَةٍ & طائِفَةٍ , شَیْخٌ , يُراقِبُ أَعْضائِها و یَمْنَحُهُمُ الاِعْتِمالَ و یَفْصِلُ فی خِلافاتِهِم و مِنْ ذلِکَ عَلى سَبیلِ المِثال :

الصَّاعَةُ & الحَدَّادونَ & العطارونَ & النجارونَ & النحاسونَ & العَرَبَجیَّة & خَدَمُ المَنازل و حتّى المِهن المُمیَّزَة , کالکُتَّابَة و السَّماسِرة و المَداحین کانتْ تُخضعُ لِذلِکَ النِّظامِ الذی سَرى حتّى عَلى النِّشَّالینَ و العاهِرات !

و کانَ یَجِبُ عَلى مَنْ یُرغِبُ فی العَمَلِ بِمِجالٍ مُعینٍ (کار) , أنْ یَتدرِّجَ فیهِ :

صَبی ثُمَّ نَقَرَ ثُمَّ مُعَلِّمٌ ثُمَّ شَیْخٌ ,

و تَبقی المِیزَةُ / المُشکَلَةُ فی ذاتِ الوَقْتِ , تَوْرِیثُ الصَّنَعَةِ ,

الذی وإنْ کانَ یُوفَّرُ لِلْمُبْتَدِئِ تَدْرِیباً مِثالِیاً و عِنايةً بِالشُّؤنِ العامَّةِ و الخاصَّةِ لِأَهْلِ الطائِفَةِ والانتفاعِ بِمَزايا التَّراکُمِ الوَظيفیِّ و الاجْتِماعیِّ ,

لِکَنِّهِ کانَ -عَلى صَعیدِ آخَر - بِمِثابَةِ (سِجْن) , یَصعُبُ الخُروجُ مِنْه

لِلْعَمَلِ بِمِهْنَةٍ أُخْرى , إِلَّا فیما نَدَرَ ,

و مِنْ المُضْجِکاتِ المُبْکِیاتِ ,

فی عَصْرِ ثَوْرَةِ المَعْلُوماتِ فی الأُلُفِیَّةِ الثَّالِثَةِ ,

أَنْ يَبْقَى نِظَامُ طَوَائِفِ الصَّنَائِعِيَّةِ - بِصُورَةٍ أَوْ بِأُخْرَى - مُسْتَمِرّاً عَلَى
غَالِبِ الْمُسْتَوِيَّاتِ الذَّوْعِيَّةِ وَالْمَحَلِّيَّةِ مَعَ بَعْضِ التَّعْدِيلَاتِ هُنَا وَ
التَّطَوُّيرَاتِ هُنَاكَ !

وَلَعَلَّ بَعْضَ الْمِهَنِ - الْوُظَائِفِ الْقَضَائِيَّةِ وَالْجَيْشِ وَالشُّرْطَةِ وَالْهَيْئَةُ الدِّبْلُومَاسِيَّةِ وَ
هَيْئَاتِ التَّدْرِيسِ بِالْجَامِعَةِ - عَلَى سَبِيلِ الْإِمْتَالِ لَا الْحَصْرِ - كَادَتْ أَنْ تَكُونَ وَقُفّاً
عَلَى أَبْنَاءِ الْعَامِلِينَ بِهَا

إِلَّا فَيَمَّا نَدَّرَ , وَ تَبَقَّى مُعْضِلَةٌ تَوْرِيثِ الصَّنْعَةِ فِي شَتَّى الْمِهَنِ وَالْوُظَائِفِ
بِمَثَابَةِ نِعْمَةٍ / نِقْمَةٍ , لَيْسَ لَهَا تَسْوِيَّاتٌ أَوْ حُلُولٌ فِي الْمَدَى الْمَنْظُورِ !!

حَدِيثُ خُرَافَةٍ

و إِذَا كُنْتَ زَيْي رَيْفِي مِنْ أَهْلِ الصَّعِيدِ , هَتَكُنْشَفَ مَعَ الْوَقْتِ , إِنَّ حَيَاتَكَ وَثُرَاتَكَ
مِلْيَانِينَ أَسَاطِيرَ وَخُرَافَاتٍ , مَلْهَاشَ أَصْلٍ وَ لَا عِلَّةَ فِي الدِّينِ وَ الْعِلْمِ وَ الْوَاقِعِ ,

حَاجَاتٍ مِنْ عَيْنَةٍ : أَكُلْ أَجْزَاءَ مُعَيَّنَةٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَ الطَّيُورِ لِأَعْرَاضِ بِذَاتِهَا

(بَيْضُ التَّمْسَاحِ & مَخَاصِي الثَّوْرِ & قَلْبُ الضَّبِّ & عُرْفُ الدِّيكِ ...) ,

وَ يُرَوَى أَنَّ التَّكْحُلَ بِذَنْبِ حَيَّهِ , يَحْدُ الْبَصَرَ , وَ أَنَّ مَنْ يَمُرُّ تَحْتَ سُلَمٍ , يُصِيبُهُ
النَّحْسُ وَ أَنَّ دَلْقَ الْقَهْوَةِ خَيْرٌ , وَ نَثْرُ الْمِلْحِ شَوْمٌ ,

وَ بِدُونِ وَغْيٍ , تَلَاقَى نَفْسُكَ بِنَتَفَائِلِ أَيَّامِ الْاِثْنَيْنِ وَ الْخَمِيسِ وَ الْجُمُعَةِ ,

وَ تَنْقَبِضُ مِنْ أَيَّامِ السَّبْتِ وَ الثَّلَاثِ , تَنْتَشَائِمُ مِنْ رَقْمِ ثَلَاثَاشِرٍ ,

وَ تَرْتَاحُ لِلْأَرْقَامِ الْفَرْدِيَةِ وَ الْخَمْسَةِ وَ مُضَاعَفَاتِهَا الْفَرْدِيَةِ وَ السَّبْعَةِ

وَ كُلِّ رَقْمٍ مَفِيهَشٍ غَيْرِ الْوَاحِدِ وَ الْأَصْفَارِ ,

تَسْتَبْشِرُ بِالْحَمَامِ وَ أَبُو قَرْدَانَ , وَ تَكْشُ مِنَ الْبُومِ وَ الْغُرْبَانِ , تَفْرَحُ بِالْيَمِينِ وَ الْعِيَالِ
الصُّغَيْرِينَ وَ فَوَاتِحَ الْأَلْوَانِ ,

وَ يَنْعَكِّرُ مَزَاجُكَ مِنَ الشِّمَالِ وَ غَوَامِقِ الْأَلْوَانِ وَ عَوَاجِيزِ السَّوَاءِ !

وَ مَا حَدَّثَ يَنْسَى حَفَلَاتِ سُبُوعِ الْمَوَالِيدِ , لَمَّا كُنَّا نُسَلِّقُ بَيْضَ وَ نَأْكُلُهُ لِأَكْبَرِ مُسِنَّ فِي
الْعِيْلَةِ عَشَانَ الْمَوْلُودِ يَعْمَرُ زَيْهَ , وَ لَمَّا يَكُونُ فِي الْبَيْتِ مُرْضِعُهُ , يَمْنَعُوا أَيَّ رَاجِلٍ
حَالِقٍ دَقْنَهُ مِنَ الدَّخُولِ عَلَيْهَا تَحَوُّطاً مِنْ قَطْعِ اللَّبَنِ ! وَ كُلَّ عَرِيسٍ كَانُوا يَنْصَحُوهُ
بِلَفِّ شَبَكَةِ صَيْدِ حَوَالِينَ وَسْطِهِ لِمَنْعِ الْعُكُوسَاتِ , أَمَّا الْبَنَاتُ الَّتِي يَتَأَخَّرُ عَدْلُهُمْ وَ

يَنْقَطِعُ طُلَّابُهُمْ , فَكَانُوا بِيَخْطُوا فَوْقَ مَنَاقِدِ الْبُخُورِ سَاعَةَ الْفَجْرِ وَوَقْتُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ ! وَالْعُرُوسُ الَّتِي يَطُولُ إِنْتِظَارُهَا لِلْحَمْلِ , فَكَانُوا بِيَسْتَنْفِرُوا حَوَاسِهَا وَهَرْمُونَاتِهَا بِتَغْرِيزِهَا لِلْخَضَّةِ , حَاجَهُ زَيْ النَّجَاهِ مِنَ الْخَطَرِ مَثَلًا قَطَرٍ سَرِيعٍ أَوْ حَيَوَانَ مَسْعُورٍ , وَبِاللَّيْلِ كَانَ فِيهِ مَحْظُورَاتٌ مِنْ عَيْنَةٍ : قَصَّ الضَّوَافِرِ وَفَتَحَ الْمَقَصَّاتِ وَابْحَلَّاهُ فِ الْمَرَايَاتِ وَنَفَخَ الصُّفَارَاتِ , وَكَانَ وَكَانَ وَكَانَ

- لماذا - إلى هذا الدَّرَجَةِ - تُحِبُّ الصُّورَ يا أبى ؟
 - لَأَنَّ كُلَّ صُورَةٍ - ياصغیرتى - , تَحْكِي قِصَّةً

مَعَ صُورَةِ الرَّضِيعِ العَارِى , وَ الصَّغِيرِ الَّذِى يُطْفِئُ شُمُوعَ كَعْكَةِ عِيدِ المِيلَادِ ,
 وَ المُرَاهِقِ الَّذِى يَفْقِزُ مِنْ أَعْلَى سُلَّمِ حَمَامِ السِّبَّاحَةِ , وَ الیافِعِ الَّذِى يَتَسَلَّمُ شَهَادَةَ
 التَّخَرُّجِ وَ المُجَنَّدِ الَّذِى يُشْهَرُ سِلَاحَهُ فَوْقَ تَبَّةٍ صَحْرَوَائِيَّةٍ ,
 وَ الكَهْلُ الَّذِى يَتَلَحَّفُ مَلَابِيسَ الإِحْرَامِ وَ يَتَعَلَّقُ بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ ,
 دُونَ حَاجَةٍ إِلَى الإِشَارَةِ , إِلَى صُورِنَا عَلَى ضِفافِ النَّيْلِ , وَ تَحْتَ أَعْتَابِ
 الأَهْرَامَاتِ وَ أَمَامَ أَقْفَاصِ الأَسْوَدِ وَ القُرُودِ وَ الزَّرَافِ بِحَدِيقَةِ الحَيَوَانَاتِ ,
 تَبْقَى صُورَةُ الزَّرَافِ , أَيْقُونَةٌ مِنْ أَيْقُونَاتِ أَلْبُومِ الذِّكْرِيَّاتِ ,
 بِصَرَفِ النَّظَرِ عَنْ الأَوْزَانِ المُخَاتِلَةِ وَ النِّظَرَاتِ المُرْتَبِكَةِ وَ الأَوْضَاعِ المُتَكَلِّفَةِ !

1.. ..2.. 3 Cheese

أزمة اللازمه

لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِّنَّا , شَخْصِيَّةٌ تَكُونُ عَلَى مَدَارِ عُمْرِهِ , تَتَرَاوَحُ فِيهَا نِسْبُ (المُوروث) مِنْ الْأَسْلَافِ وَ (المُكْتَسَب) مِنَ الْبِيئَةِ , وَ تَتَجَلَّى تِلْكَ الشَّخْصِيَّةُ , فِي مُسْتَوِيَّاتٍ مُتَرَاتِبَةٍ وَ مُظَاهِرَ عِدَّةٍ مِنْ أَهَمِّهَا قَامُوسُ الْكَلَامِ وَ لُغَةُ الْجَسَدِ , وَ إِذَا كَانَ غَالِبُ النَّاسِ يَتَشَابَهُونَ فِي تِلْكَ الْمُسْتَوِيَّاتِ وَ الْمُظَاهِرِ , إِلَّا أَنَّ لِبَعْضِهِمْ خُصُوصِيَّةً , تَسِمُهُمْ وَ تَجْعَلُ لَهُمْ بَصْمَةً

يَتَمَيَّزُونَ بِهَا بِحَيْثُ يُمَكِّنُ التَّعَرُّفُ عَلَيْهِمْ بِهَا وَ فَرَزَهُمْ عَنْ سَوَاهِمُ ,

أَشْيَاءٌ مِنْ عَيْنَةٍ مَنْدِيلُ السَّتِّ كَوَكَبُ الشَّرْقِ , نَخْنَحَةُ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَ تَسْبِيلُ الْعَنْدَلِيبِ عَبْدِ الْحَلِيمِ حَافِظُ وَ صَعْبَانِيَّاتِ فَرِيدِ الْأَطْرَشِ وَ هَزَّةَ رَأْسِ مُحَمَّدٍ فَوْزَى وَ غُرَّةَ (قُصَّة) شَادِيَةِ وَ (يَاسَلَام) كَابِتْنِ أَحْمَدَ عَفَّتْ وَ (مِشْ كِدَا وَ لَا آيَه) فَوَادِ الْمُهَنْدِسِ وَ تَقَعَّرَ مَخَارِجَ الْأَفَافِ مُفِيدُ فَوْزَى

وَ مَوْضُوعُ اللَّازِمَةِ دَا شَيْءٌ لَطِيفٌ جِدًّا سِوَا تَعَلُّقِ بَعَادَاتِ النُّطْقِ أَوْ لُغَةِ الْجَسَدِ ,

يَعْنِي مَثَلًا , كَانَ عِنْدِي أَسْتَاذٌ ابْتَدَأَ , بَيْنَ كُلِّ كَلِمَةٍ وَالتَّانِيَةِ , يَكْرِّرُ كَلِمَةً (لَا مَوَاقِفَ) وَ أَسْتَاذٌ تَانِي , كَانَ يَكْرِّرُ كَلِمَةً (بَقَى) طَوْلَ الْوَقْتِ , فِي الْجَامِعَةِ , كَانَ فِيهِ دُكْتُورٌ , يَبِشُّوْحُ بِأَيْدِيهِ بَعْصِيَّةَ طَوْلِ الْوَقْتِ , وَ وَاحِدَ تَانِي , كَانَتْ طَرُطُشَةُ لُعَابِهِ بَتَوْصِلُ الْبَيْنِشِ الْأَوَّلِ فِي الْمُدْرَجِ , وَفِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ , كَانَ شَيْخُ الْكُتَّابِ الْكَفِيفِ , يَتَفَرَّدُ بِطَرِيقَةٍ عَجِيبَةٍ فِي عِقَابِ الْمُقَصِّرِ فِي الْحِفْظِ وَ التَّسْمِيعِ , كَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - يَضَعُ حَصُونَةً خَلْفَ حَلْمَةِ الْأُذُنِ

ثُمَّ يَضْغُطُّ طَوِيلًا حَتَّى يَعْلُو صِرَاحُ الصَّغِيرِ وَ تَنْهَمُرُ دُمُوعُهُ !

وَ فِي الْمُحِيطِ الْعَائِلِي , لَدَى قَرِيبٍ تُشْبِهُ ضَحْكَتَهُ صَوْتُ بَقْبَقَةِ الْقُلُلِ ,

وَ آخَرُ حَادِّ الْمِزَاجِ ,

يُفْرَطُ فِي حَلْفِ يَمِينِ الطَّلَاقِ بِدُونِ دَاعِي أَوْ مُسَوِّغٍ !
أَمَّا أَغْمَامِي الْأَشِقَاءُ , فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَرْتَجِلُ الشَّعْرَ الْحَلَمَنْتِيَشِي ,
طَوَّلَ الْوَقْتَ بِكُلِّ أَرْيَحِيَّةٍ ,
وَكَانَ الْآخَرُ رَسَّامًا مُوْهَبًا لِلْبُورْتَرِيَّةِ وَ الْكَارِيكَاتِيرِ ,
وَ هُوَ مَا عَانَتْ مِنْهُ حَوَائِطُ الْمَنْزِلِ
وَ مَصَارِيْعُ (ضُلْف) الشَّبَابِيكِ وَ الدَّوَالِيْبِ .

خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ

على مدار أربعين عاماً من الإدراك , أقمتُ ما يزيدُ على ألفي صلاةِ جُمُعَةٍ ,
و أنصتُ إلى مئاتِ الخطباءِ , صليتُ في قرىتي و في القاهرة , و في مُعظم
مُحافظة الجُمهُوريَّة شماليّاً

و جنوباً , كما صليتُ خارجَ البلادِ , صليتُ في أقدمِ المساجِدِ و أفخمها , كما
صليتُ في مُصلّيات لا تعدو أن تكونَ عرائش أو سقائف , صليتُ في الحرمَينِ
المَكِّيَّ و المَدَنِيَّ , أتمنّى أن أصلي في المسجدِ الأقصى ,

بعضُ الخطباءِ , كانوا شيوخُ أزهر أو علماء دين , و البعضُ الآخر كانوا هُواةً
متطوّعين مِن أهلِ التدين و الثقافةِ الدينية العامة , و ثمةُ خطباءٍ كانوا مُؤدّين
يتراوَحون بين الاستِرزاق و إنقاذِ الموقفِ , بين هُؤلاء و أولئك , كانَ هناك طيفٌ
واسعُ التدرُّج و التباينِ , في العلمِ و البلاغةِ و الخطابةِ وحتّى الزيّ و الثِّقَّة و التّفكّه ,
بين مُسنّين وخطّهم المشيبيّ و أنحنّت مِنهم الظّهور , و كُهلٍ و شبابٍ , و حتّى
غلمانٍ حديثي سِنٍّ وخبيرة , البعضُ يتحكّم في موضوعه و رسالته و لغة جَسده
وإيقاع صَوته , فيُسيطرُ على جُموع السّامعين و يكتسبُ الانتباهَ و التقديرَ , و
البعضُ الآخرُ , يسترسلُ كحاطب ليلٍ , فيكِدسُ مِن هُنا و هُناك , ويُرجى الفراغُ
دونَ رابطٍ أو ضابطٍ , فيلتفتُ عنه الحُضورُ بينَ شارِدٍ وناعسٍ !
ثمَّ خطباءٌ يُوفّقون في اختيارِ الموضوعِ , أهميّةً و تنوعاً و ارتباطاً بالواقعِ , - ثم
يُجيدون تحضيرَه , فينتفعُ المُصلّون بالخطبةِ , و قد يستمتعون بها , و هذا النُّوعُ
مِن الخطباءِ , يضحي قِبلةً لبعضِ جُمهوره , يتتبعونه أينما حلَّ أو ارتحل !
و بينَ عديدِ الجُمعِ ثمةُ مواقف لا تُنسى , و أحداثٌ نُفِشت في العقلِ و القلبِ ,

فلا أنسى خطيباً كانَ يُقصرُ خطبته على آياتِ القرآنِ الكريمِ و أحاديثِ الرسولِ
صلى الله عليه وسلّم دونَ سواها و آخرَ كانَ يثُلو مِن ورقةٍ لا يحيدُ عنها بصرُه , و
ثالثٌ فقدَ الوَعى على المنبرِ , فتطوَّعَ أحدُ المُصلّين ليحلَّ محلّه , و في فرنسا ,
ألقيتُ علينا الخطبةَ , في فقراتٍ مُتتالِبةٍ بين العربيّةِ و الفرنسيّةِ (فرانكوأراب) !

و مراتٍ اندلعَ الجَدْلُ و دبَّ الشَّجَارُ بَيْنَ الخَطِيبِ و المُصَلِّينَ بِمُنَاسِبَةٍ حَدِيثٍ
مَوْضُوعٍ أَوْ نَزْعَةٍ طَائِفِيَّةٍ أَوْ مَذْهَبِيَّةٍ أَوْ سِيَاسِيَّةٍ !

مَشاوِير و تَمائِيل

و طول ما احنا دايرين فى شوارع القاهرة , بنَقْضى مصالح أو نَنفَسَح ,
بالعب لعبة التماثيل مع الأولاد , مين صاحب التمثال , و إيه سرّ شُهرتُه وتَكريمُه؟
مع غَمْزه عن قوة الملاحظة هُنا , و لَمْزه عن تاريخ الإنسان و الميدان هُناك ,

فى وسط البلد , إبراهيم باشا أبو أصْبَع , و طلعت حَرْب الّلى حلّ محلّ سليمان
باشا الفرنساوى , و القرينين مُصطفى كامل و محمد فريد ,

نُمر على وزارة العدل , ونسلّم على لاطو غلى باشا , و نكَمِّل ع التّحرير , نَضْرِب
تَعْظِيم سَلام لعبد المنعم رياض , فى طريقنا لمَجْلِس الدّولة , نحيّ الرّئيس الجليل
سعد زغلول ,

و بعد مِنّه , تلميذه أحمد ماهر باشا , حَظوتين نعدّى كوبرى الجلاء , نوصل
لتمثال عميد الأدب العربى طه حسين , فَرَكَة كَعْب على كورنيش الجيزه نعدّى
على كَرَمَة ابن هانئ

و تِمثال أمير الشعراء أحمد شوقى , وف طريقنا لنادي الزّمالك نُمر على تِمثال
نجيب محفوظ

نطلع كوبرى خمستاشر مايو و ننزل حىّ الزّمالك , نتصور مع تِمثال كوكب
الشرق أم كلثوم

و لَمّا رُحنا باب الشّعْرية , المُودام قالتلى مال تِمثال محمد عبد الوهاب
كارف على المُذيع (سيّد على) كِدا ليه ؟

أما النُّكْتةُ بقي , كُلَّ مرَّةٍ نعدى على جاردين سیتی ,
يسألوني عَنْ تِمثال سيمون بوليفار
مُحرِّر أمريكا اللاتينية , لا هُمَّا يبيِّنُوا المَعْلومه , و لا انا بازْهَق مِنْ التِّكرار !
يوم ورا يوم , لا بتخلِص المشاوير و لا تَنفد الحَواديت

خُنْفَسَةُ الرَّايخ

جَمِيلُهُ , السَّيَّارَةُ البَيِّتِل / فُولِكْس فَاچِن , حَدُّوتُهُ طَوِيلُهُ عَرِيضُهُ

الخُنْفَسَةُ كَانَتْ وَاحِدَهُ مِنْ أَسَالِيْب الدِّعَايَةِ لِلرَّايخ التَّالِتِ / النِّظَامِ النَّازِي فِي أَلْمَانِيَا
بَيْنَ الْحَرْبَيْنِ الْعُظْمَيَيْنِ ,

(أَدُولْف هِتْلَر) وَعَدَ الشَّعْبَ بِسَيَّارَةٍ قَوِيَّةٍ وَ رَخِيصَةٍ وَ مُوقِّرةٍ لِلبَنْزَرَيْنِ ,

و بَدَأَ التَّصْنِيعَ فَعَلًا , لَكِنْ التَّوْزِيعَ التِّجَارِيَّ اتَّأَخَّرَ بِسَبَبِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ

(1939 : 1945) , السَّيَّارَةُ الَّتِي كَانَ اسْمُهَا الْأَوَّلُ الرَّسْمِيُّ

(الْقُوَّةُ مِنْ خِلَالِ السَّعَادَةِ)

عَرَفَهَا النَّاسُ بِاسْمِ سَيَّارَةِ الشَّعْبِ , كَانَتْ بِمُحَرِّكِ خَلْفَى قُوَّةِ أَلْفٍ وَ مِئَتَيْنِ حُصَانٍ
وَبِتَسْتَهِلَّكَ خَمْسَةِ لِثْرِ بَنْزَرَيْنِ فِي الْمِيَةِ كِيلُو بِسُرْعَةٍ مِئَةِ كِيلُو فِي السَّاعَةِ وَ بِسِعَرِ
أَلْفِ مَارِك ,

الخُنْفَسَةُ اكْتَسَبَتْ شَعْبِيَّةً رَهِيْبَةً وَ حَقَّقَتْ مَبِيعَاتٍ هَائِلَةً وَ اكْتَسَحَتْ سَيَّارَاتِ (فُورْد)
الْأَمْرِيكَانِي جُوهَ أَمْرِيكََا ذَاتَهَا , لِدَرَجَةٍ إِنَّ (هُولِيُود) اسْتَغَلَّتْ شَعْبِيَّتَهَا وَ أَنْتَجَتْ
أَفْلَامَ كَثِيرَةً فِي السَّبْعِينَاتِ

وَ التَّمَانِينَاتِ كَانَتْ الخُنْفَسَةُ بَطْلَةً فِيهَا ,

مَعَ الْوَقْتِ , انْخَفَضَ الْإِنْتَاجُ وَ الْمَبِيعَاتُ لَحْدَ مَا تَوَقَّفَ نِهَائِيًّا فِي 2003

على المستوى الشخصي , ليّا ذكريات جميلة مع الخنفسه اللي اقتناها اُحد أعمامي
في أواخر الثمانينات و اتعلّمت المغامرات والسّواقه عليها وانا في اعدادى وشافّت
أوائل الطلعات و المغامرات ...

...ايبيه .. مادايم إلّا وجه الكريم .. الله يرْحَمك يا عمّى و يرْحَم معاك الخنفسه

بلوك ع الفايسنوك

على مدار العُمر , حرصتُ دوماً , على الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الجميع قدر
الإمكان , لقناعتي إن ألف صديق , نزرُ يسير , بينما عدو واحد , خطرٌ جَلَل ,
و من ثم راعيتُ شجرة معاوية , بيني وبين الناس ,
إن أرخوها , شددتها , وإن شدوها , أرخيتها .

و طوال مدة التواجد والنشر على مواقع التواصل الاجتماعي ,
ذلك التواجد الذي ارتبطتُ فترته الأولى بإعارتى في الخليج ,
و هو ما أتاح لى - من حيث المزاج و الفراغ - إمكانية للنشاط المكثف كما وكيفا
فنشرتُ عديدَ الموضوعات و تواصلتُ مع عديد البشر ,
من مختلف الجنسيات والأعمار والمشارب , هذا من ناحية ,
و من ناحية أخرى , تعاصرتُ هذه الفترة , مع فوران الربيع العربي
بصرف النظر عن تصنيفه , كفردوسٍ مفقود من قبل البعض , و فتنةٍ كبرى من
قبل البعض الآخر , و على الرغم من اعتراضى و تحفظى , على الكثير من
أنماط الأشخاص و الأفكار والمنشورات , إلا إنى غالباً ما أواجه ذلك بالنقد
الموضوعى - حال أهمية الناشر أو المنشور - أو بالتجاهل و الصمت في معظم
الأحيان , لكنى أبدأ لم أحظر أحداً !

على الجانب المقابل , اكتشفتُ - مؤخراً و متأخراً - أنى قد تمَّ حظري أربع مرات
- على حد علمى - مرتين من رجال و مثلهما من نساء ,
و لأسباب موضوعية , في الحالة الأولى , وشخصية في الأخيرة !
و دون تورط في تفاصيل - ليس من الحكمة كشفها - فإن شعورى بالصدمة و
الدّهشة , فاق شعورى بالإهانة و الحزن , إذ أن من حظروني كانت تجمعنى بهم
علاقات وثيقة و مُمتدة , و لم أكن أتخيل يوماً أن نتردى في هذا الجُب !

و لكنَّهَا الخِلاَفَاتُ فِي الآرَاءِ السِّيَاسِيَّةِ , وَ الخَلْطُ بَيْنَ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ , وَالْعَمَلِ وَ
المَشَاعِرِ , أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ,
الَّذِي يَنْزِعُ وَ يُوسَّوسُ وَيَدْسُ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ فَيُضْحِكُوا فُرقَاء !

مُخَطَّطٌ خَارِجِيٌّ & مُقَلَّمٌ دَاخِلِيٌّ
مُشَجَّرٌ مَحَلِّيٌّ & مُرَبَّعٌ إِقْلِيمِيٌّ

يقول لك : كُلُّ آلِي يَعْجِبُكَ , وِ الْبِسَ آلِي يَعْجِبُ النَّاسَ ,

وِ أَنَا بِأَقُولُ : كُلُّ وِ الْبِسَ عَلَى مَزَاجِكَ , وِ أَنْسَى النَّاسَ ,

طَبْعاً بِالْأَصُولِ وَالْمَعْقُولِ ,

وِ رَغْمَ حُبِّي لِلْحُرِّيَّةِ , إِنَّمَا فِيهِ حَاجَاتُ كِدَا , فَضَلْتُ بِالنِّسْبَالِي (تَابُو)

مَحْظُورَةٌ يَعْنِي , عَمْرِي مَا جَرَّبْتُهَا ,

مَثَلًا يَعْنِي مَثَلًا : الْجَلَابِيَّةُ & الصِّدِيرِي الْبَلْدِي ,

التَّيْشِيرَتِ الْكَتُّ أَوْ الْحَمَّالَاتِ ,

الْبَابِيُّونَ & الْبَالُطُو & الْكَالْسُونُ ,

الْمَايُوهُ الْمُتَلَتُّ & الْقِمَصَانُ الْفَسْكَوزُ وِ اللَّمِيعُ ...

الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ

ماحِدِّش بِيخْتار أُسْرَتَهُ أَوْ عَيْلَتَهُ ,
 إِنَّمَا مُمَكِّنَ تَخْتَارِ أَصْدِقَائِكَ وَخِلَانِكَ ,
 وَ بَعْضُنَا عَمْدًا أَوْ عَرَضًا , بِيَقَابِلِ فِ حَيَاتِهِ شَخْصٍ ,
 بِيَكُونُ - غَالِبًا - أَكْبَرَ مِنْهُ , سِنًّا وَوَعْيًا وَ مَقَامًا ,
 بِيَسَاعِدُهُ وَ يُوَجِّهُهُ وَ يَحِلُّ مَشَاكِلَهُ وَيَرْسِمُ طَرِيقَهُ ,
 وَ يَفْتَحُ عَيْنِيهِ عَلَى أَسْئَلَةِ الْوَاقِعِ الصَّعْبَةِ , وَ خِطِّ الْمُسْتَقْبَلِ الْغَامِضَةِ ,
 الشَّخْصَ دَا بِيَبْقَى مُرَكَّبٌ مِنَ الْأَبِّ وَ الْمُعَلِّمِ وَ الصَّاحِبِ ,
 وَلَعَلَّ أَفْضَلَ مُسَمًّى لِيهِ هُوَ الرَّائِدُ ,
 وَ لَوْ كَانَ الرَّائِدُ حَسَنَ النَّيِّهِ وَاسِعَ الرُّؤْيَا , يَبْقَى يَا بَخْتَ صَاحِبِنَا ,
 حَاجَهُ كِدَا , زِيَّ عِلَاقَةِ أَحْمَدِ شَوْقِي بِمُحَمَّدِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ,
 وَ جَمَالَ الدِّينِ الْأَفْغَانِيَّ أَوْ عَزِيزَ الْمَصْرِيِّ أَوْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَمَيْسِيَّ
 بِحَوَارِيِّهِمْ مِنَ السِّيَاسِيِّينَ وَ الْعَسْكَرِيِّينَ وَ الْأُدْبَاءِ وَ الْفَنَانِينَ ,
 الَّلِي دَارُوا فِي مَدَارِ تِلْكَ النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ ,
 أَنَا كَمَا كَانَ لِي الْحَظُّ , إِنِّي يَكُونُ لِيَا رَائِدِينَ فِي صِبَايَا وَ مُرَاهَقَتِي ,
 فَضْلُهُمْ عَلَيَّا كَبِيرٌ , وَ دَوْرُهُمْ فِي حَيَاتِي بَارِزٌ ,
 رَبَّنَا يَرْحَمْ الْأَوَّلَ , وَيَبَارِكْ فِ عُمْرِ التَّانِي .

غَرْبَلَة

كُنْتُ أَمْرٌ عَلَى شَرَكَةِ الْإِتِّصَالَاتِ ، لِأَشْتَرِيَ شَرِيحَةَ خَطِّ جَدِيدٍ لَصُغْرَى الْبَنَاتِ ،
و إِذْ ظَنَّ مُوظَّفُ الْخِدْمَةِ - خَطَأً - ،
أَنِّي أَهْدِفُ إِلَى اسْتِبْدَالِ شَرِيحَةِ هَاتِفِي الشَّخْصِيِّ ،
فَفَعَلَ ذَلِكَ - مُبَاشَرَةً - دُونَ مُرَاجَعَتِي ، وَ بَعْدَ تَدْخُلِي نَفَّذَ لِي طَلْبِي الْأَصْلِي ،
لَكِنِّي عُدْتُ إِلَى مَنْزَلِي ، وَ بِهَاتِفِي شَرِيحَةً جَدِيدَةً مُسْتَبَدَلَةً ،
لَا تَتَعَرَّفُ عَلَى قَائِمَةِ الْأَسْمَاءِ الْمُسَجَّلَةِ عِنْدِي سَلَفًا !

وَعَلَى مَدَارِ اللَّيْلَةِ ، تَلَقَّيْتُ عِدَّةَ اتِّصَالَاتٍ ، كَانَ عَلَى أَنْ أَحْزِرَ الطَّرْفَ الْآخَرَ فِيهَا ،
وَأَنْ أَقْبَلَ الْمُخَاطَرَةَ بِالْإِزْعَاجِ ، حِرْصًا عَلَى عَدَمِ تَقْوِيَتِ مُكَالِمَةِ هَامَّةٍ ،
تَجَاوَزْتُ انْزِعَاجِي الْأَوَّلِيَّ ، مِنْ فِكْرَةِ فَقْدَانِ قَائِمَةِ الْمُسَجَّلِينَ عَلَى هَاتِفِي ،
إِلَى أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ يَكُونُ عَلَامَةً عَلَى وَجُوبِ مُرَاجَعَةِ تِلْكَ الْقَائِمَةِ الطَّوِيلَةِ ،
الَّتِي يَفْتَقِرُ تَوَاصُلِي - الْمُبَاشِيرُ الْمُنْتَظَمُ - عَلَى عَشْرِ الْأَسْمَاءِ الْمُدَوَّنَةِ بِهَا ،

وَ إِذْ شَرَدْتُ بَيْنَ الْأَفْكَارِ ، وَ اتَّسَعَتْ زَاوِيَةُ الرُّؤْيَا ،
تَخَيَّلْتُ كَيْفَ يَكُونُ الْحَالُ ، لَوْ جَرَتْ هَذِهِ الْمُرَاجَعَةُ وَ التَّنْقِيَةُ وَ التَّصْفِيَةُ ،
لَيْسَ فَقَطْ عَلَى دَلِيلِ الْمُتَّصِلِينَ ، وَ لَكِنْ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْأَشْخَاصِ وَالْأَفْعَالِ
الَّتِي يُمَكِّنُ - أَوْ حَتَّى يُسْتَحْسِنُ - التَّخْلُصُ مِنْهَا ،
كَوْنُهَا حُمُولَةً زَائِدَةً - أحياناً ضَارَةً - عَلَى الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ وَ الْغَايَةِ مِنَ الْحَيَاةِ ،
ثُمَّ مَعَارِفَ كَانُوا مُهْمِينَ - يَوْمًا مَا - فِي مَسَارِنَا ، ثُمَّ فَرَّقَتْ بَيْنَنَا الْأَيَّامُ وَ تَشَعَّبَتْ
الْمَسَالِكُ ، وَ هُنَاكَ آخَرِينَ يَسْتَوِي وَجُودُهُمْ وَ الْغِيَابُ ، مُحَايِدِي الْحُضُورِ وَ التَّأَثُّرِ ،
إِنْ لَمْ يُضْضَرُوا فَلَنْ يَنْفَعُوا ، وَ ثُمَّ فَرِيقٌ ثَالِثٌ يَتَمَحَّضُ أَذَاهُمْ عَلَى شَبَكَةِ الْعِلَاقَاتِ ،
إِنْ لَمْ يُعَيِّنُوا سَعْيَنَا خَلْفَ الْحَقُوقِ وَ الْمَصَالِحِ ، فَإِنَّ طَاقَتَهُمُ السَّلْبِيَّةَ تُعَكِّرُ الْأَجْوَاءَ
وَيَتَعَيَّنُ التَّخْلُصُ مِنْهُمْ
أَوْ الْبَعْدُ عَنْهُمْ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ مَا اسْتَطَعْنَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ،

و على الرَّغْمِ مِنْ إِنْنِي أُمْتُكَ نُزُوعاً فِطْرِيّاً إِلَى الْاِقْتِنَاءِ وَ التَّكْدِيسِ , وَاسِعَ الْمَدَى
طَوِيلَ الْأَمَدِ , لِلأَشْخَاصِ وَ الْأَشْيَاءِ وَحَتَّى الْمَشَاعِرِ وَ الذِّكْرِيَّاتِ ,
إِلَّا أَنَّ الْخَاطِرَةَ بَدَتْ وَجِبْهَةً , وَقَابِلَةً لِلتَّطْبِيقِ الْعَمَلِيِّ وَ مُرَجَّةَ الْمَنْفَعَةِ ,
فَقَرَّرْتُ تَدْوِينَهَا وَ الْاِحْتِفَازَ بِهَا لِلْعَمَلِ عَلَيْهَا فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ وَ بِالطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى
ثُمَّ شَرَعْتُ فِي اسْتِكْمَالِ مَا بَدَأْتُهُ الْبَارِحَةَ ,
مِنْ مُرَاجَعَةِ قَائِمَةِ الْمُتَّصِلِينَ الْمُسَجَّلِينَ عَلَى هَاتِفِي بِرَوِيَّةٍ وَ تَرْكِيزٍ .

الْمُنْخُلُ وَ الْغُرْبَالُ فِي صِرَاعِ الْأَجْيَالِ

و بعدَ فترةٍ طويلةٍ مِنَ الزَّمنِ , مُعْظَمُ الْأَزْوَاجِ - بِحُكْمِ الْعِشْرَةِ وَوَحْدَةِ الْبَيْتَةِ
وَالظُّرُوفِ النَّفْسِيَّةِ وَ الْاجْتِمَاعِيَّةِ - يَبْقَرُّوْنَ مِنْ بَعْضِ فِي الْمَلَامِحِ وَ السِّلُوكِ
وَطَرَقِ التَّعْبِيرِ ,

التَّشَابُهُ بِيَكُونِ بِنَسَبٍ مُتَفَاوِتَةٍ , بِحَسَبِ عَنَاصِرٍ مُعَقَّدَةٍ , لَكِنْ - أَخْيَانًا -
الْمَوْضُوعِ بِبَزِيدٍ عَنْ حَدِّهِ , وَيَقْلِبُ كُومِيْدِيَا وَ كَارِيْكَاتِيْر ,
كُلَّ أَلَى فَاتِ بَيْسٍ , مِنْ غَيْرِ هَجَايِصٍ وَلَا تَهْيِيسٍ ,

الْهَجَايِصُ وَ التَّهْيِيسُ بِنَبْدَا , لَمَّا الْبَيْتُ يَكُونُ فِيهِ مُرَاهِقِينَ أَبَالِيسٍ ,
يَلْخُظُّوْنَ التَّشَابُهُ وَ التَّقَارُبَ دَا , وَ يَقَرَّرُوْنَ يِعَاكُسُوْا الْكُبَارَ ,
وَيَطْلَعُوْهُمْ عَلَى الْمَسْرَحِ ,
عَلَّشَانِ يَحْفَلُوْا عَلَيْهِمْ , سَاعَاتٍ بِالْبَثِّ الْمُبَاشِرِ لَايْفَ يَغْنَى , وَ سَاعَاتٍ بِالْأَدْلِيلِ
الْقَاطِعِ وَ الْبُرْهَانِ السَّاطِعِ عَشَانِ لَوْ حَدَّ أَنْكَرَ أَوْ نَارِزَ ,
يَبْقَى التَّسْجِيْلَاتِ مُوجُودَةٍ , أُوْدِيُوْا وَ فَيْدِيُوْا
كَشْكُشِيْهَا يَا مَامَا مَا تَعَرَّضِيْهَاشَ , وَ لِمَ الدَّوْرُ يَا بَابَا , سَيْدِيْهِكَ مَعَايَا !

الِاشْتِغَالُهُ بِسَيْطَةِ خَالِصٍ , اسْأَلُوْا الزَّبَايِنَ (بَابَا & مَامَا) ,
أَسْئَلَةً مُعَيَّنَةً , أَوْ خُطُوْهُمْ فِي مَوَاقِفٍ مُتَشَابِهَةٍ ,
بَشَرَطِ الْمُبَاغَةِ وَ الْحَبْكَ , وَ الْإِنْفِرَادِ بِكُلِّ ضَحِيَّةٍ بَعِيدٍ عَنِ التَّانِيهِ ,
وَ لَمَّا بَتِيْجِي الْإِجَابَاتِ وَ رَدُودِ الْأَفْعَالِ وَ التَّصَرُّفَاتِ تَقْرِيْبًا مُتَطَابِقَةٍ ,
فِي الْمَفْرَدَاتِ وَ الْاِخْتِيَارَاتِ وَ الْاسْتِجَابَاتِ حَتَّى لُغَةِ الْجَسَدِ ,

الْأَبَالِيسُ بِيقْلِبُوْهَا ضِحْكَ وَ تَهْرِيْجَ ,
وَ الضَّحَايَا بِيقْضُوْهَا حَسْبَنَةً وَ مَصْنَمَةً لِيُمُوْنَ !

يا بَيْتَ أبويَا , مَعَزَّتْكَ ف عَيْنِيَا

و زمان فى بيت جدى , البيت اللى اتولدت و عِشْتُ فيه لحدِّ الثانويَّة العامَّة ,
كانَ عَندنا - زىِّ مُعْظَم بيوت البَلد - ثلاث أَمَكن بِمُسْتَوِيَّات مُخْتَلِفَه لِلقَعْدَة و
اسْتِقْبَال الضيُوف :

- (الحَضِير) أو سَاحة البيت الوُسْطَانيه , اللى بتَطُل عليها مُعْظَم العُرف و مرَافِق
البيت , طَرْمَبه مِيّه و كَرار خَزِين و عِشش و حَظَاير و مُطْبَخ و حَمَّام
و كُنَّا بنَفْرشَه حَصِير و نَاكل فيه و نَشْرَب , و نِسْتَقْبَل القَرَايب و الجِيران
و الأَصْحَاب القَرِيبين , و السَّهْرَه لِلْفَجَر صَبَاحى ,

- أَوْضَة الكَنَب أو المَنْظَره - كونهَا فى مَكَان عَالى أو بَتَطُل على الشَّارِع - و دى
كانت مِن اسمِهَا - مَفْرُوشَه كَنَب بِمَفَارِش و أَرْضِيَّتَهَا كَلِيم أو مُوكِيت ,
و كانتْ لِيهَا حُرْمَة , و تَنْفَتِح بِحَسَاب لِلضيُوف المُهَمِّين أو العُربَا أو جَلِسات
الصَّفَقَات و الاتِّفَاقِيَّات و أحيانَا الدَّرُوس الخُصُوصِيَّة ,

- الصَّالُون و دا كَمان كان لازم يَبْقَى واسِع و بِيْطَلَّ على الشَّارِع , و مَفْرُوش بِطَقْم
المُوبِيلِيا المُذْهَب و السِّجَادَة العَجْمى و لازم يَكُون فيه نَتِيجَة و سَاعَة حَيْطَه و مرَايا
و صور طَبِيعِيَّه أو قُرْآن كَرِيم أو صُور الجِدُود , و طَبْعَا الصَّالُون كان قُدْس أَقْداس
, مُعَبَّق بِالْبُخُور , و قَدْ يَمِرَّ عَلَيْهِ الهَلال بَعْد الهَلال , لا يُفْتَح لَهُ باب أو تُضَاء لَهُ
نَجْفَه , و كان مُخَصَّص لِّلِاسْتِقْبَالَات الرِّسْمِيَّة و اِحْتِفَالَات الخُطُوبَة و عَقْد القُرْآن ,

عَدا عَن التَّلَات أَمَكن دى , كانتْ بَعْض البيوت مَحْظُوظَه بِديوان خَارِجى مُسْتَقِلَّ
أو مَصْطَبَه عَرِيضَه تَحْتَ تَعْرِيشَة عِنَب و كَمان كان بَعْضنا يَبْفِضَل قَعْدَة السَّطْح
فى الصَّيْف ,

دِلُوقْتِي خَلْتُ الْبُيُوتَ مِنَ الْكَنْبِ - إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي - وَ بَقِيَ اسْمُهَا كَالْوَيْتِش أَوْ
صُوفَا - وَ لَا عَادَ فِيهِ خَشَبٌ لِلْعِظْمِ وَ لَا قُطْنٌ لِلْمَرَاتِبِ وَالْمَخْدَاتِ , وَ النَّاسُ بَقَتْ
فَرِيقَيْنِ مَا بَيْنَ الْأَنْتَرِيَهَاتِ الْمُؤَدِرْنَ عَدِيمَةَ الدُّوقِ وَ الرَّاحَةِ , أَوْ الْقَعْدَةَ الْعَرَبِيَّ -
عَالِيَهُ أَوْ أَرْضِيَهُ - أَلَّى تَحْسِسْكَ إِنَّكَ هَجَرْتَ الصَّعِيدَ وَ الرَّيْفَ , وَ سَافَرْتَ الْعَرِيشَ
أَوْ مَرْسَى مَطْرُوحٍ !

مُهَاجِرُو السَّاحِلِ وَ أَنْصَارِ الصَّعِيدِ

على مدار الرِّحْلة , كَانَ لِي الْحَظُّ وَ الشَّرَفُ , أَنْ أَعْمَلَ فِي مُحَافَظَاتِ الْقَنَاةِ , بدأتُ بالإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَ ثَنَيْتُ بِالسُّوَيْسِ وَ خَتَمْتُ بِبُورِ سَعِيدٍ وَ بُكُلِّ بَلَدٍ طَيِّبٍ مِنْهَا , لِي أَصْدِقَاءُ وَ مَعَارِفُ وَ خَبِرْتُ فِيهَا ذِكْرِيَّاتٍ وَ مُوَاقِفَ , وَ لَكِنْ بِدَايَةِ تَعَارُفِي عَلَى الشَّخْصِيَّةِ السَّوَاخِلِيَّةِ تَرَجَّعَ إِلَى مَطْلَعِ الثَّمَانِينَاتِ فِي قَرِيَّتِي الطَّيِّبَةِ بَرِيْفِ الصَّعِيدِ , إِذْ كَانَ يُقِيمُ مَعَنَا , عَدَدٌ مِنْ مُتَضَرَّرِي الْحَرْبِ عَلَى طُولِ الْجَبْهَةِ مَعَ الْعَدُوِّ الصُّهُيُونِيِّ وَ الَّذِينَ تَمَّ تَهْجِيرُهُمْ مِنْ مُدُنِ الْقَنَاةِ بَعْدَ تَدْمِيرِ مُدُنِهِمْ فِي الْعَمَلِيَّاتِ الْحَرْبِيَّةِ , وَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ طُولِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ مُحَافَظَاتِهِمْ وَ بَنِي سُوَيْفٍ - مَنَاتِ الْكِلُومَتَرَاتِ-إِلَّا أَنَّ عَدَدًا مِنْهُمْ اسْتَقَرَّ فِي قَرِيَّتِي (أَشْمَنْتُ / بَنِي سُوَيْفٍ) وَكَانُوا مِنْ مُحَافَظَةِ السُّوَيْسِ دُونَ سَوَاهَا وَ عَرَفُوا (بِالْمُهَاجِرِينَ) , وَصَلُوا أَثْنَاءَ حَرْبِ الْاسْتَنْزَافِ , وَ عَادَ مُعْظَمُهُمْ عَقِبَ تَغْمِيرِ مُدُنِ الْقَنَاةِ فِي مَطْلَعِ الثَّمَانِينَاتِ وَلَكِنْ بَعْضُهُمْ لَمْ يُفَارِقْ (أَشْمَنْتُ) أَبَدًا , حَالِ التَّوْطُنِ أَوْ الدَّفْنِ بِهَا ,

كَطِفَلٍ دُونَ الْعَاشِرَةِ , كَانَ مُسَمًّى (الْمُهَاجِرِينَ) لَهُ وَقَعٌ عَجِيبٌ عَلَى أَدْنَى , يَسْتَدْعِي (مُهَاجِرِي مَكَّةَ وَ أَنْصَارَ الْمَدِينَةِ) ! كَذَلِكَ كَانَتْ لَهُجَّتُهُمُ الْعَذْبَةُ وَ هَيْئَاتُهُمُ الْمُتَمَيِّزَةُ وَ ثَرَاثُهُمُ الْمُخْتَلِفُ , تَلَفْتُ انْتِبَاهِي وَ تَثِيرَ فُضُولِي , إِذْ كَانُوا - خِلَافًا لَنَا- يَتَحَدَّثُونَ بِسُرْعَةٍ وَ يَنْغَمُونَ الْحُرُوفَ , خِلَافًا لِلَهْجَتِنَا الْبَطِينَةِ وَ حُرُوفِهَا الْمَمْطُوطَةِ مَبْتُورَةِ الشَّطْرِ الْأَخِيرِ , وَ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى كَانُوا يَرْتَدُّونَ الْأَرْيَاءَ الْحَضَرِيَّةَ مِنْ قُمْصَانٍ وَ بَنْطُلُونَاتٍ وَ أَفْرُولَاتٍ وَ بِيْجَامَاتٍ , فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ نَكُنْ نَلِيسُ فِيهِ سِوَى الْجَلَالِيْبِ , وَ كَذَا كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ الْعَجَلَ وَ الْمُوتُوسِيْكَلَاتِ (الدَّرَاجَاتِ الْهَوَائِيَّةِ وَ النَّارِيَّةِ) , بَيْنَمَا كَانَ (الْحِمَارُ) دَابَّتِنَا الْأَسَاسِيَّةَ وَ وَسِيلَةَ الثَّقَلِ الْمُعَوَّلِ عَلَيْهَا دَاخِلَ الْقَرْيَةِ وَ حَوْلَهَا

وَ عِنْدَمَا حَظَّ الضِّيَوفُ الرِّحَالَ , تَمَّ تَسْكِينُهُمْ فِي الْمَبَانِي الْحُكُومِيَّةِ , عَلَى أَطْرَافِ الْبَلَدِ (الْمُسْتَشْفَى / الْجَمْعِيَّةُ الزَّرَاعِيَّةُ / الْوَحْدَةُ الْمَحَلِّيَّةُ) وَ مَعَ الْوَقْتِ , قَامُوا بِاسْتِنْجَارِ بَعْضِ الشَّقِيقِ وَ الطَّوَابِقِ بِالْبُيُوتِ دَاخِلَ الْبَلَدِ , كَانَتْ ظُرُوفُ التَّهْجِيرِ وَ ثَرَاثُ مُوَطِنِهِمُ الْأَصْلِيِّ كُمُحَافَظَةِ مِلَاحَةٍ وَ صَيْدٍ وَ تَصْنِيعِ تَدْفِئِهِمْ لِلْعَمَلِ فِي الْأَنْشِيطَةِ الْحِرْفِيَّةِ وَ الْخِدْمَاتِ , وَلَمْ نَعْرِفْ مِنْهُمْ مُوَظَّفِي حُكُومَةٍ أَوْ عُمَالِ زِرَاعَةٍ , وَ لِأَنَّ شَرْعَنَا الْحَنِيفَ يَحْضُرُ عَلَى إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَ نَجْدَةِ ابْنِ السَّبِيلِ , تَلَقَّتْ الْقَرْيَةُ الْمُهَاجِرِينَ بِكُلِّ تَعَاطُفٍ وَ مَرْوَةٍ , وَ بَدَّلَتْ لَهُمْ كُلَّ مَا فِي الْإِمْكَانِ مِنْ تَسْهِيْلَاتٍ وَ مُسَاعَدَاتٍ , إِذْ كَانَتْ الدَّوْلَةُ كُلُّهَا عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ , فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِقَضِيَّةِ تَحْرِيرِ

الأرض وكرامة الوطن , وعدا عن بعض السلبيات البسيطة , من عينة ارتكاب
بعض هؤلاء المهاجرين عدد محدود من مخالقات القانون و انتهاكات العرف -
نتيجة لظروفهم المادية
الصعبة أو نظرة بعض أهل القرية لهم بتعالٍ أو تنمُّر ,
لافتقادهم مقومات الواجهة الاجتماعية
في صعيدنا المحافظ , من عشيرة حسينية نسيبة ,
وملكيات زراعية ذات زمام و ثمار
فإن التجربة - في المِجْمَلِ - وعلى مدار نحو عقدين من الزمان , كانت عامرة
بالأفكار والمشاعر ويذكرها طرفاها بالشَّجَن و الحنين .

مَلَاعِبِ الصِّبَا

و في الزمانِ الأوَّلِ , ببلادنا البعيدة , كانت كُرَةُ القَدَمِ لُعْبَتُنَا الأثيرة , و إذ لم تَكُنْ
المَلَاعِبُ الخَضراءُ المُسَوَّرةُ مُتاحةً لأمثالنا مِنْ أَطْفَالِ الرِّيفِ , فَإِنَّا كُنَّا نَسْتَعِلُّ أَيْةَ
مِساهةٍ مُناسِبةٍ لنحولها إلى ملعب بصرف النظر عن أية اعتبارات !
و في بعض الأحيان , كانت هَذِهِ المِساهةُ تضيقُ , فلا تَزِيدُ عَن رُذْهَةٍ أَوْ مَمَرٍ
داخِلِ البَيْتِ , و في أحيانٍ أُخرى كانت تَتَّسِعُ لتَصِلَ إلى أَفْدِنَةٍ مِنَ الأرضِ الفُضاءِ ,
و لم نَكُنْ نَتَوَقَّعُ عِندَ نِوَحِ الأَرْضِيَّةِ , ثُرَاباً كانت أَوْ رَمَلاً أَوْ عُشْباً أَوْ حَشَباً أَوْ
حَجَرٍ أَرَصِفَةٍ , و لم يَكُنْ يَغْنِينَا أَنْ تَكُونَ تِلْكَ المِساهةُ في شِوَارِعِ القَرِيَةِ و رَحَبَاتِهَا
أَوْ بِمَرَكِزِ شَبَابِهَا أَوْ بِساحَةِ سَوَاقِهَا أَوْ على ضِفافِ التُّرْعِ و النِّيلِ ,
و إذ لم نَكُنْ مَوْضِعَ تَرْحِيبٍ مِنْ جِيرَانِ المَلْعَبِ , لِمَا يَتَسَبَّبُ فِيهِ تَجَمُّعُ الصِّبِيِّ وَ
الشَّبَابِ مِنْ إِزْعَاجٍ وَضَجِيجٍ , وَشُبُهَةِ المَسَاسِ بِحُرَمَاتِ البيوتِ , و ما قَدْ يَنْجُمُ عَن
لُعْبِنَا مِنْ أَضْرَارٍ تَتِمَثَّلُ في تَكْسِيرِ زُجَاجِ النُّوافِذِ وَوَاكِهَاتِ الحَوَانِيتِ وَ إِتْلَافِ
المَصَابِيحِ وَ قَلْبِ الأَوَانِي وَ القُدُورِ ,

و قَدْ تَفُذُّ تِلْكَ الخَسَائِرُ , فَتَصِلَ إلى إصَابَةِ بَعْضِ الجِيرَانِ أَوْ إفسادِ زِراعاتِهِمْ ,
فَكَانَ لِزِمَانِنا عَلَيْنَا تَدْبِيرُ اسْتِرْدَادِ الكُرَةِ في الأحوالِ الَّتِي تَتَجَاوَزُ فِيهَا حُدُودَ المَلْعَبِ ,
فَيَتِمَّ اخْتِجَازُهَا أَوْ حُجْبُهَا عَنِ الأَنْظَارِ , و قد يَتِمُّ ذَلِكَ الاسْتِرْدَادُ تَوَدُّداً أَوْ حِيلَةً أَوْ
حَتَّى عُنُوءَةً , و لَمَّا كَانَتِ السَّيَارَاتُ في تِلْكَ الأَيَّامِ مَحْدُودَةَ العِدَدِ , فلم تَكُنْ تَمَثِّلُ لَنَا
مَشْكَلةً في هَذَا الصَّدَدِ ,

إِنَّمَا كَانَتِ المَشْكَلةُ تَتَوَرَّ , إِذَا تَوَجَّبَ عَلَيْنَا اسْتِرْدَادُ الكُرَةِ مِنْ جَارٍ عَصَبِيٍّ المِزَاجِ
عَنِيفٍ التَّصَرُّفِ أَوْ إِذَا تَحَتَّمْ عَلَيْنَا مُوَاجَهَةَ البيوتِ المَهْجُورَةِ أَوْ الأَسْوَارِ المُرْتَفِعَةِ
أَوْ الكَلَابِ الشَّرِّسَةِ أَوْ المِياهِ العَمِيقَةِ وَ في غَالِبِ الأَحْيَانِ كُنَّا نَفْلِحُ في مَسْعَانَا دُونَ
خَسَائِرِ , ثُمَّ نَعَاوِدُ اللَّعِبِ وَ في أحيانٍ أُخرى كَانَتِ تَعْيِي حِيلُنَا أَوْ يَخِيبُ الرَّجَاءُ ,

و في الحالاتِ الأخيرة , كانت تتراوحُ حَسائِرُنَا بينَ فُقْدَانِ الكُرَةِ ذاتِها
أو نَسْتَرْدُهَا شَرِيطَةَ انْفِصَاصِ الجَمْعِ والتَّعَهُّدِ بَعْدِ التَّنَامِهِ مُوقْتاً أو مُؤَبِّداً ,
و ثَمَّةَ حالاتٍ كانتِ تَنْقَلِبُ المَلْهَأُ فيها إلى مَأْسَاةٍ ,
فَيَفْقَدُ أَحَدُنَا سَلَامَتَهُ أو حَيَاتَهُ -عَرَضاً أو عَمداً-
في وَطَيْسٍ مُضَارِبَةٍ أو بَقَاعِ تُرْعَةٍ أو نَهْرٍ .

خَيْطُ دُخَانٍ

مَبْدئِيَّ كِدَا , و مِنْ غَيْرِ لَفٍّ أَوْ دَوْرَانِ , أَنَا مِشْ مُدْخِنٌ لَا سَجَائِرَ وَلَا شَيْشَهَ وَلَا أَى تَوَابِعَ أَوْ مُشْتَقَاتٍ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ إِنِّي مُحَاصِرٌ بِالمُدْخِنِينَ طَوْلَ الْوَقْتِ وَ فِي كُلِّ مَكَانٍ , وَ قِنَاعَتِي - مِنْ غَيْرِ سَفْسُطَةٍ أَوْ مُكَابِرِهِ - إِنَّ التَّدْخِينَ حَرَامٌ وَ عَيْبٌ , وَ دَا مَا يَمْنَعُشَ مِنَ الْإِعْتِرَافِ , إِنِّي - بِدِفَاعِ الْفُضُولِ أَوْ التَّهْرِيجِ أَوْ مُجَارَاةِ الظُّرُوفِ - جَرَّبْتُ التَّدْخِينَ وَ طَبَعًا بَبِيقَى وَاضِحٌ إِنِّي مُبْتَدِئٌ وَ دَخِيلٌ , مَعَ إِنِّي دَائِمًا حَرِيصٌ عَلَى السَّتْرِ قَدْرَ الْإِمْكَانِ , بِمَعْنَى عَدَمِ التَّدْخِينِ عَلَى مَلَأٍ , أَوْ عَلَى مَرَأَى مِنْ كَبِيرٍ بِاحْتِرْمِهِ أَوْ صَغِيرٍ بِاحْفَظٍ عَلَى صُورَتِي قُدَّامِهِ , وَ مُبَكِّرًا جِدًا , اكْتَشَفْتُ إِنَّ الْمَمْنُوعَ مَرْغُوبٌ , وَ إِنَّ نَفْسِي الْأَمَارَةَ بِالسَّوْءِ بِتَحِبِّ الْفُرْجَةِ عَلَى صُورِ الْمُدْخِنِينَ , أَيًّا كَانَتْ آلَةُ التَّدْخِينِ , شَيْشَهَ / سِجَارَهَ / سِجَارٍ / مَبْسَمٍ / بَابِيبٍ / شَبَكٍ

مَعَ التَّحْفُظِ بَعْدَ اسْتِلْطَافِي لِلْقَيْبِ , وَ مِشْ بَسَّ كِدَا , دَا أَنَا كَمَانٌ مَا عُنْدِي شُكْلَةٌ مَعَ رِيحَةِ الدُّخَانِ بِالْعَكْسِ بِاحْبَبَهَا ! يُمْكِنُ لِإِنِّهَا مَعَ صَوْتِ الْكَرْكَرِهِ , مُرْتَبِطِينَ فِي وَغْيٍ وَ تَارِيخِي بِحُضُورِ أَبَوِيَّ وَ جَاذِبِيَّتِهِ , وَ مَعَ السِّجَارِ الْكُوبِيِّ (كُوَهِيَا) لَيَّا حَدَوْتَيْنِ , بِفَاصِلِ خَمْسَةِ وَ ثَلَاثِينَ سَنَةً , الْأُولَى كَانَتْ زَمَانٌ وَ أَنَا صُغِيرٌ , كُنْتُ مُعْرَمٌ بِالْأَنْتَحَهِ فِي غُرْفَةِ الْوَالِدِ , كَانَتْ وَاسِعَةً وَ هَادِيَةً وَ عَالِيَةً وَبَشَبَاكَ عَلَى الشَّارِعِ , وَفِيهَا كُتُبٌ وَتِيلِفْزْيُونٌ , بِحُكْمِ السِّنِّ وَ الْفُضُولِ , كُنْتُ بِأَدْعَبَسٍ فِي الْأَذْرَاجِ , وَ مَرَّةً عِتْرَتْ فِي عَلَيْهِ خَشَبٌ فَخَمَهُ مَبْطَنُهُ بِقَطِيفَةٍ نَبِيئَتِي فَتَحْتَهَا لَقِيْتُ دَسْتَةَ سِجَارٍ مُغْلَفٍ مَرَصُوصٍ زِيَّ صَوَابِعِ الدِّينَامِيَّتِ ,

عَرِفْتُ بَعْدِينَ , إِنَّهَا مُهْدَاةٌ لِلْوَالِدِ مِنْ صَدِيقٍ رَاجِعٍ مِنَ الْخَلِيجِ , رَشَقْتُ صُبَاعَ الْكُفْتَةِ , فَصَدَى السِّجَارُ فِي بُقْيٍ , وَوَلَعْتُ الْكَبْرِيتَ , وَفِي لَحْظِهِ , شَبَّتِ الْحَرِيقَةُ , غُلَافُ الْقَرَّازِ وَلَعٌ فِي شَفَائِفِي , صَرَخْتُ بَعْلُو الصُّوْتِ وَ جَرِيْتُ زِيَّ الْمَجْنُونِ , يَا بَابَا يَا أُمَايَا ... الْحَقُورُ وَوَنِي , وَ طَبَعًا كَانَتْ جُرْسُهُ وَ عِبرُهُ , سَابَتْ عِلَامَاتٌ عَلَى شَفَائِفِي وَ عَقْلِي وَ قَفَايَا ! بَعْدَهَا بَعْشَرَاتُ السِّنِّينِ , وَ فِي الْكُوَيْتِ , كُنْتُ سَهْرَانٌ مَعَ مُهَنْدِسٍ مَصْرِيٍّ صَدِيقٍ رَجُلٍ أَعْمَالُ رَحَالِهِ شُغْلُهُ فِي (الْهَآي تِيكَ) خِلَآهُ يَلْفُ الْعَالَمِ , عَزَمَ عَلَيَّا بِسِجَارِ كُوَهِيَا , وَ بَحَرْفَنَهُ وَ خَبَرَهُ نَزْعَ الْغُلَافِ وَ قَصَّ الطَّرْفِ , رَشَقْتُهَا فَبُقْيٍ وَوَلَعْتُهَا , قَالَ لِي : عَيْشٌ يَا مَعْلَمُ ,

شِدِّ بِمَزَاجٍ وَ انْفُخْ بِالرَّاحَةِ , مَعَ الْوَقْتِ ,
حَضَرَتْ عَفَارِيْتُ كَاسْتَرُوْا وَ تَشْرِشِلْ وَ سِرَاجُ الدِّينِ
وَ هَيْكَلٌ وَ أُدْرِكْتُ الْفَرْقَ بَيْنَ حَطَبِ (مُوتُوسِيَانِ) , وَ تَبَغَّ الْغَابَاتِ الْإِسْتَوَائِيَّةُ فِي
هَافَانَا الْمَلْفُوفِ عَلَى أَفْخَادِ الْعَذَارَى , عَجَبْنِي الْحَالُ , وَ كُلُّ مَا أَسْهَرَ مَعَ
الْبَاشْمُھَنْدَسِ , أَطْلُبُ مِنْهُ إِكْسِيرَ السَّعَادَةِ الَّتِي يَبْنَعِشُ الْمَرَاكِزُ الْعُلْيَا لِلْإِحْسَاسِ ,
دُونَ الْمُرُورِ عَلَى الْأَفْوَاحِ وَ الْأَنْوْفِ وَ الرِّئَاتِ !

جَوَابُ آفَاقٍ , يَتَصَنَّعُكَ

التَّغْيِيرُ وَ التَّنْطُورُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ , وَ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ تَمُرُّ بِأَطْوَارٍ عَدِيدَةٍ , وَ
مَرَاجِلَ مُتَبَايِنَةٍ وَ الْعَاقِلُ مَنْ أَدْرَكَ طَبِيعَةَ الظُّرُوفِ وَ تَوَاقُمَ مَعَهَا ,
ثُمَّ اعْتَبَرَ مِنْهَا وَ بَنَى عَلَيْهَا , لِتَأْتِيَ الْمُسْتَحْدَاتُ وَ قَادِمُ الْأَيَّامِ ,

وَ حَدِيثُ السَّاعَةِ عَنْ أَيَّامِ الْاِكْتِشَافِ وَ التَّجْرِبِ وَ التَّنْدْرِيبِ وَ السَّيَاحَةِ وَ الْبَحْثِ
وَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الثَّوَابِتِ وَ الْمُتَغْيِرَاتِ وَ بَصْمَةِ الدَّاتِ ,
الْفَتَرَاتُ الَّتِي تَمْتَدُّ بَيْنَ مُحْتَتَمِ الْمُرَاحِقَةِ وَ مُفْتَتَحِ الْكُهُولَةِ ,
وَ هِيَ الْمُدَدُ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ نُطْلِقَ عَلَيْهَا (مَرَحَلَةَ الصَّعْلَكَةِ) ,

عَلَى الْمُسْتَوَى الشَّخْصِيِّ , وَ بِحُكْمِ اسْتِقْرَارِي فِي مَنْزِلِ الْعَائِلَةِ طَوَالَ فَتَرَاتِ
الدِّرَاسَةِ – بِاسْتِثْنَاءِ فَاصِلٍ قَصِيرٍ / مَوْسِمِ دِرَاسِيٍّ فِي الْأَكَادِيمِيَّةِ الْحَرْبِيَّةِ – إِضَافَةً
إِلَى عَدَمِ تَوْفِيقِي الْمُرْمَنِ

فِي الْحُصُولِ عَلَى فُرْصَةِ عَمَلٍ مُوقَّتٍ أَيَّامِ الْأَجَازَاتِ الدِّرَاسِيَّةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ
جَدِيدَةِ الْبَحْثِ وَ تِكْرَارِهِ , وَ هُوَ مَا أَفْضَى إِلَى إِنْحِسَارِ (مَرَحَلَةِ الصَّعْلَكَةِ) فِي
الْفَتْرَةِ الَّتِي أُعْقِبَتْ التَّخَرُّجَ مِنَ الْجَامِعَةِ إِلَى الزَّوْاجِ وَ الْأُسْتِقْرَارِ الْأَسْرِيِّ , بِمَا
يَقَارِبُ سُنَّةَ أَعْوَامِ ,

لَيْسَ ثَمَّةُ كَثِيرٌ يُقَالُ أَوْ طَرِيفٌ يُحَكَّى , بِمُرَاعَاةِ الطَّبِيعَةِ الْمُضْبِطَةِ وَ التَّرْبِيَّةِ
الْمُحَافِظَةِ , إِنَّمَا هِيَ عِدَّةُ تَجَارِبٍ (لِلسَّكَنِ الْجَمَاعِيِّ) مَعَ نَمَازِجَ بَشَرِيَّةٍ شَاسِعَةٍ
التَّفَاوُتِ وَ بِالْغَةِ التَّبَايُنِ
يُمْكِنُ تَصْنِيفُهَا تَحْتَ بُنُود :

المَسْجِدُ وَ الْمَلْعَبُ وَ الْمَكْتَبَةُ وَ الْمَسْرَحُ وَ السَّيْرُكُ
وَ الْمُؤَرِيسْتَانُ وَ الْكَهْفُ وَ الْمَرِيخُ !

وَ عَلَى مَدَارِ مَحَطَّاتٍ : بَنَى سُوَيْفُ / الْهَرَمُ / السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ / عَيْنُ شَمْسٍ /
الإِسْمَاعِيلِيَّةُ / الْفَنْطَرَةُ شَرْقُ / مَرْسَى مَطْرُوح سَاكَنْتُ وَ التَّقِيْتُ طُلَّابَ عِلْمٍ
مُجِدِّينَ وَ أَصْحَابَ كَيْفٍ وَ مَزَاجٍ وَ دَرَاوِشَ صُوفِيَّةٍ وَ مَهَاوِيسَ فَنٍّ وَ رِيَاضَةٍ وَ
عَرَبٍ وَ أَجَانِبٍ وَ بَنَاتِ عَائِلَاتٍ وَ نِسَاءَ طَرِيقٍ !

وَ الْقَاعِدَةُ فِي مُسْتَوِطَنَاتِ السَّكَنِ الْجَمَاعِيِّ , أَنَّهُ (لَا قَاعِدَةَ) !
فَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا حَظُّ مَنْ يُسَاكِنُونَكَ , مِنَ الْأَخْلَاقِ وَ التَّرْبِيَّةِ وَ الْوَعْيِ وَ الضَّمِيرِ ,
بَعْضُهُمْ كَانَ فِي ذُرَى عَالِيَةٍ مِنَ اللَّيَاقَةِ وَ النَّظَافَةِ وَ الْحَيَاءِ وَ الْمَرْوَةِ وَ الْكَرَمِ ,
وَ مُعْظَمُهُمْ كَانَ هَارِباً مِنْ جَبَلِيَّةِ قُرُودٍ فِي أَدْغَالِ الْحَبَشَةِ ,
فَلَمْ يَعْرِفْ شَيْئاً عَنِ الْمَسْئُولِيَّةِ وَ الْخُصُوصِيَّةِ وَ احْتِرَامِ الذَّاتِ وَ مُرَاعَاةِ الْحُرُمَاتِ ,

بَحِيثٌ أَذْكَرُ أَنَّنِي أَمْضِيْتُ بَعْضَ اللَّيَالِي , يَنْهَشُنِي التَّوَجُّسُ خِيفَةً , عَلَى حَيَاتِي وَ
حَيَاتِي وَ جُنَيْهَاتِي الْمَعْدُودَةِ , عَادِيكَ عَنْ غُلْبِ الزَّبَادِي فِي النَّلَاجَةِ وَ قُمْصَانِي وَ
جَوَارِبِي فِي الدُّوَلَابِ !

و لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُخْتِمَ هَذَا الْحَدِيثَ دُونَ أَنْ أُسَرِّدَ وَاقِعَةً , مَرَّةً عَلَيْهَا أَكْثَرُ مِنْ رُبْعِ قَرْنٍ , وَ لَا أَنْسَاهَا مَا حَيِّثُ , إِذْ اجْتَمَعْتُ فِيهَا جَوَانِبُ الْمَأْسَةِ وَ الْمُهْهَةِ !

فِي نِهَایَةِ التَّسْعِینِیَّاتِ , كُنْتُ أَعْمَلُ فِي سِلْكِ النِّيَابَةِ الْعَسْكَرِیَّةِ , یَوْمَ صَدَرَ الْقَرَارُ الْجُمْهُورِیُّ بِتَعْیِینِی قَاضِیاً فِی مَجْلِسِ الدَّوْلَةِ , وَ إِذْ مَضَتْ إِجْرَاءَاتُ اسْتِقَالَتِی مِنْ الْوِظِیفَةِ الْأُولَى , بِطِیْنَةٍ مُتَعَبِّرَةٍ , أَثَرْتُ أَنْ أَنْتَفِعَ بِالْوَقْتِ فِی إِتْمَامِ دِرَاسَاتِی الْعُلْیَا / الْمَاجِسْتِیرِ فِی جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ ,

فَكَنْتُ عَقِبَ نِهَایَةِ دَوَامِی بِمُجْمَعِ الْقَضَاءِ الْعَسْكَرِیِّ بِالْحَىِّ الْعَاشِرِ بِمَدِینَةِ نَصْرِ , أَهْرَعُ إِلَى كُلِّیَةِ الْحُقُوقِ بِالْجِزَةِ , مَعَ مَبِیْتِی بِشَقَّةٍ مَفْرُوشَةٍ بِحِیِّ شُبْرَا , یَسْتَأْجِرُهَا أَصْدِقَاءُ دِرَاسَةٍ وَ عَمَلٍ ,

فِی وَجُودِ الْأَصْدِقَاءِ , لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ مُشْكَلَةً , أَمَا فِی غِیَابِهِمْ , فَكَانَ التَّرْتِیبُ أَنْ أُسْتَلَمَ مَفَاتِیحُ الشَّقَّةِ مِنْ جَارَةٍ (مُسِنَّةٍ طِیْبَةٍ) تُقِیمُ فِی شَقَّةٍ مُقَابِلَةٍ بِذَاتِ الطَّابِقِ فِی ذَاتِ الْمَبْنِیِّ ,

وَ عَقِبَ یَوْمِ عَمَلٍ وَ دِرَاسَةٍ , غَايَةً فِی الطَّوْلِ وَ الْإِزْهَاقِ , عُذْتُ إِلَى شُبْرَا , وَ لَمَّا كَانَ الرِّفَاقُ قَدْ غَادَرُوا إِلَى الْمِنِیَا , فَطَرَفْتُ بَابَ الشَّقَّةِ الْمُجَاوِرَةِ , وَ انْفَتَحَ الْبَابُ عَنْ حَسَنَاءَ ثَلَاثِینَةَ لَعُوبٍ , فِی قَمِیصٍ أَحْمَرَ یُصَرِّحُ وَ لَا یُلْمِحُ , فَوَجِئْتُ بِزِیِّ الْعَسْكَرِیِّ ,

فَارْتَجَّ عَلَيْهَا , عَرَفْتُهَا بِنَفْسِی وَ طَلَبْتُ الْمَفَاتِیحَ , فَبَدَا وَاضِحاً أَنَّهَا لَمْ تُدْرِكْ عَنْ أَىِّ شَیْءٍ أَتَحَدَّثُ , لَكِنَّهَا غَابَتْ لِذِقَائِقِ فِی الدَّاخِلِ , ثُمَّ عَادَتْ وَ نَاولَتْنی مُفْتَاَحاً ,

شَكَرْتُهَا عَلَى عَجَلٍ , وَوَلَّيْتُ وَجْهَی صَوْبَ الشَّقَّةِ الْمُقَابِلَةِ ,

عَالَجْتُ الْبَابَ وَ دَلَفْتُ لِلدَّاخِلِ ,

وَ عَلَى الرَّغَمِ مِنْ سَابِقَةِ زِیَارَتِی لِلشَّقَّةِ غَیْرَ مَرَّةٍ , إِلَّا أَنَّنِی لَمْ أُنْعَرَفْ عَلَى الْمَكَانِ

و لم أجد أيّاً من مُتعلّقاتي أو أغراض الرِّفاق , فأُسْقِطُ في يَدَي !
لم تكن الهوائِفُ المَحْمُولَة قد انتشرتْ بعد , حتّى أراجع أصدقائي في المِنيا ,

لَحْظَاتٍ , و عادتْ ذاتُ الرِّداءِ الأحمر , تفتَحُ المَدخلَ المَفْتُوحَ بِجُرأةٍ و دَلال ,
و تُسأِّلُنِي إنْ كُنْتُ في حاجَةٍ إلى شَيْءٍ , أَى شَيْءٍ ؟

عَمَرَنِي العَرَقُ , و ثَقُلَ لِسَانِي , و قَرَرْتُ تَجَاهُلَ المَرأة , و الإنسحابَ فَوْرًا ,
قَبْلَ وَقوعِ ما لا تُحْمَدُ عُقباه , فَخَطَفْتُ حَقِيبةَ أَوْرَاقِي , و البِيرِيه (غِطاءَ رَأْسِي)
و تَقافَزْتُ السَّلامَ هَبوطاً , أَرْبعاً في أَرْبع , على نَفْسٍ وَاحِدٍ , في غَمْضَةٍ عَيْنٍ ,

صَبِيحَةَ اليَوْمِ التَّالِي , عَرَفْتُ مِنَ الأَصْدِقَاءِ , أَنَّ مُجْمَعَاتِ (بلوكات) المَباني لها
أَرْقامٌ مُرَكَّبَةٌ بِحُرُوفٍ مُلْحَقَةٍ و مَدَاخِلَ أَمَامِيَّةٍ و خَلْفِيَّةٍ ,
و أَنِّي أَخْطَأْتُ الرِّقَمَ و المَدخل ,

أَما عَنْ بَقِيَّةِ ما حَدَثَ في اللَّيْلَةِ السَّعِيدَةِ / المَشْنُومَةِ , مع حَسَناءِ شُبْرًا ذاتِ المُفْتاحِ
المُتاحِ , فَكُنَّا نُعَرِّبُ في المِزاحِ و القَهْقَهَةِ , قَبْلَ أَنْ نَتَقَصَّى سِرِّها و تَفَاصِيلَها

[258]

الخبينة

على مدار أربعين عاما من التردد على باعة الكتب القديمة و المستعملة ,
الذين يفترون نواصي الشوارع و الميادين و يلتصقون بأسوار الجامعات و
الحدائق , فى الأزبكية و الأورمان و رمسيس و الجيزة و ميدان حارث
تصادف مرات و مرات , حال الفرز و التصفح ,
لتلك الدرر المتربة و الكنوز المجترمة ,
أن أكتشف فى طوايا الأغلفة و ثنايا الصفحات ,
خبينة ملغزة أو إشارة مبهمه من مرسل مجهول ,
قد يكون على بُعد خطوتين , أو مرّ حذائى منذ دقيقتين ,
و ربّما تفصلنى عنه قارّات و محيطات ,
و تكدّست فيما بيننا السنون و العقود و القرون ,
بعضهم خطّ ملاحظاتٍ و هوامش ,
تتراوح بين الفقه و الإبداع من جانب ,
و الخرف و السذاجة من جانب آخر !
هذا طبع بصمة بنائه , و ذلك لَوْن الصّفحة بقطر دمه ,
ثمّ مُودع خطابٍ إلى مجهولٍ أو معلوم ,
و رابع دسّ جبابٍ أو طلسم تعويذة أو صورة خليعة ,
و مراتٍ ورقة نقدٍ أو وردة جورّية أو شجرة نسبٍ ...
حتى أنى فوجئت ذات مرّة بوثيقة زواج عُرْفى و أخرى بصكّ أملاك

مُرَبَّعُ الْأُنْسِ وَ الشَّجَنِ

مِنْ وَقْتُ اللَّتَانِي , وَ كُلِّ مَا سَمَحْتُ الظَّرُوفَ , بِأَحَبِّ أَتَمَشَّى فِي شَوَارِعِ وَسْطِ الْبَلَدِ ,
عَلَى رَجْلَيَا , مَعَ الْمُودَامِ , وَ يَاحِبِّذَا لَوْ الْوَقْتُ نَهَارَ وَ الْفَصْلُ شِتَا ,
وَسْطِ الْبَلَدِ , مِشَ رَوَكْسَى وَ لَا شَارِعَ 9 فِي الْمَعَادَى ,
وَ بِالتَّأَكِيدِ مِشَ حَنْقَةِ الْمُؤَلَّاتِ , بِالزَّحْمَةِ وَ الْحَيْطَانِ , وَ الْمَظَاهِرِ الْكَدَّابَةِ وَ السِّلْعِ
الْمُسْتَفْزِهِ , بِأَحَبِّ وَسْطِ الْبَلَدِ , عَشَانِ لَيَا هِنَاكَ تَارِيخَ وَ ذِكْرِيَاتِ ,
مُرَبَّعِ شَرِيفِ & قَصْرِ النَّيْلِ & طَلَعَتْ حَرْبُ / سَلِيمَانِ بَاشَا & 26 يُولِيُو / فُؤَادِ ,
طُولِ التَّمَانِيَّاتِ وَ التَّسْعِيَّاتِ , لَمَّا كَانَ اللَّيْ يَحِبُّ يَنْتَمِي لِلنُّحْبَةِ , أَوْ يَنْشَبُهُ بَيْنَهُمْ ,
وَ يَقْعُدُ عَلَى قَهَاوِي الْمُتَقَفِّينَ وَ الْأُدْبَا
(رِيْشَ & جُرُوبَى & الْأَمْرِيكِيْنَ & زَهْرَةَ الْبُسْتَانِ & وَادِي النَّيْلِ)
وَ يَشْتَرِي مُتَطَلِبَاتِ الشَّيَاكِهِ وَ الرَّوْشَنَةِ وَ يَدْخُلُ سِينِمَاتِ وَيَقْتَنِصُ الْكُتُبَ الْقِيَمَةَ وَ
الْمَمْنُوعَةَ , لِأَزِمِ يَحِجُّ لَوْسَطِ الْبَلَدِ ,

تَخِيلُ يَا مُؤْمِنَ , النَّقْلَةَ اللَّوْذَعِيَّةَ وَ الصَّدْمَةَ الْحَضَارِيَّةَ ,
مِنْ حَوَارِي قَرِيهِ صَعِيدِيَّةَ , إِلَى فَتَارِينَ مَمَرٍ بِهَلْرِ وَأَعَاجِيبِ الشَّوَارِبِي وَ جَالِيزِيَّاتِ
الْأَنْتِيكَاتِ , وَ مَدَاخِلِ وَأَبْهَاءِ عِمَارَاتِ الْإِيْمُوبِيلِيَا وَ اللَّوَاءِ وَ يَعْقُوبِيَانِ ,
وَ كُلُّهُ كُومَ , وَمَتَاهَاتِ سِرْدَابِ مَكْتَبَةِ مَذْبُولِي وَأَكْشَاكَ سُورِ الْأَزْبَكِيَّةِ كُومَ تَانِي !

العالم السحري دا ما اكتشفتوش لوحدى ,
و لا كان عندى الوعى و الجزأة إننى أكتشفه و أتحرك في تلافيفه ,
كان عندى عزاب , أب روى , بالدم و الهوى ,
خذ بإيدى , وفتح عينيا ووسع مداركى ,
و علمنى الأدب و القانون و الفن و السياسة ,
و حتى الإيتيكيت و البروتوكول , و كمان الصغلكه ,
عزابى / عمى , كان مكتب المحاماه بتاعه , على ناصية شريف/ قصر النيل ,
و دى كانت نقطة المركز ومحور الحركة وملاذ الرجوع ,
عمى لحق بالرقيق الأعلى , فى خريف 2012 ,
وقت ما كنت فى تغريبه – بالأحرى تشريقه – خليجيّه , سعيّاً وراء الماء و الكلاء ,
و ما كانش ليّا شرف تكريمه ووداعه لمثواه الأخير ,
دلوقتى كل ما اتمشى فى وسط البلد , أوصل لمبنى المكتب ,
و أتملى فى يافطة الاسم , اللى بقت يتيمه تنعى صاحبها ,
و كلّ مرّه , تسبح دموعى ,
عين بتتبسم من حلاوة الذكريات , و عين بتبكي من وجع الفراق ...

جدو محمد

جدودي كانوا عَجَبَهُ , شَخْصِيَّاتٍ لَطِيفَةٍ مُفَعِّمَةٍ بِالْأَصَالَةِ وَالْحَنَانِ ,
 واحدٌ مِنْهُمْ كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَالصُّحُفَ بِنَضَارِهِ بَعِينٍ وَاجِدَةٍ , وَ الْآخِرُ كَانَ لَا
 يَتَخَلَّى عَنْ عَصَا أَرْوٍ بِرَاسِ أَبْنَوْسٍ , وَثَالِثُهُ كَفِيفُهُ ,
 لَمْ يَكُنْ لَهَا أَوْلَادٌ , فَتَبَنَّتْ حَمْسٌ قِطَطُ !
 وَ جَدِّ رَابِعٌ سَافِرٌ إِلَى الْحِجَازِ عَلَى الْجَمَالِ لِيُؤَدِّيَ فَرِيضَةَ الْحَجِّ , وَ جَلَبَ مِنْ مَكَّةَ
 نُسْخَةً مَكْتُوبَةً بِخَطِّ الْيَدِّ مِنْ (صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ) كَانَ يَعْتَبِرُهَا كَنْزَهُ الْأَدْحَرِ , وَ
 خَامِسَةٌ شَفَرَاءُ زُرْقَاءُ الْعَيْنَيْنِ - لَمْ يَرِثْ أَحَدٌ مِنْ شَفَرَتَيْهَا - ظَلَّتْ تَتَفَاخَرُ عَلَى الْجَمِيعِ
 , أَنَّ كَوَكَبَ الشَّرْقِ (أُمُّ كُلْثُومٍ) هِيَ مَنْ أَحْيَتْ حَقْلَ زَرْفَافِهَا !
 أَمَّا الْمَرْحُومُ جَدِّي لِأَبِي , فَاسَافَتَصِرَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى غَرَضَيْنِ مِنْ أَغْرَاضِهِ ,
 سَاعَةِ الْجَيْبِ وَ سَرِيرِ النَّحَاسِ , فَقَدْ كَانَتْ لَهُ سَاعَةٌ بِكَاتِنِهِ , تَتَدَلَّى مِنْ سِلْسِلَةٍ فِضَّةٍ
 تَسْكُنُ جَيْبَ الصَّدِيرِ مُعْظَمَ الْوَقْتِ , وَ تَخْرُجُ مَرَّاتٍ مَعْدُودَةٍ عَلَى اسْتِخْيَاءٍ , يُدِيرُ
 الزُّنْبُرَكَ مَرَّةً فِي الْيَوْمِ حَتَّى يَطْمِئِنَ لَوْفَعِ حَرَكَةِ عَقَارِبِهَا الرَّشِيقَةِ , عَلَى نَحْوِ بَطِيءٍ
 مُنْتَظَمٍ يَأْخُذُ بِالْبَابِ الْحَفِيدِ الْمَسْحُورِ !
 وَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ , مِنْ سَبْعِينَ الْقُرُونِ الْعِشْرِينَ كَانَ مَجْلِسُ جَدِّي وَ مَرْقَدُهُ ,
 سَرِيرُ نَحَاسٍ مُشْغُولٍ بِخَلِيَّاتِ نَبَاتِيَّةٍ , عَالِي الْأَعْمَدَةِ وَ مُحَاطٌ بِنَافِيسٍ , الْمَرْتَبَةِ
 قُطْنٍ وَ الْعِطَاءِ لَا يَغِيبُ صَيْفًا أَوْ شِتَاءً وَ صَوْتُ أَزْرِجِ الْمَعْدَنِ الْمُمُوسَقِ يُرَافِقُ كُلَّ
 حَرَكَةٍ , مَعَ اسْتِغْلَالِ الْمَرْتَبَةِ كَخَزَانَةٍ لِلْأَوْرَاقِ الْهَامَّةِ وَ أحياناً يَسْتُخْدِمُ قَلْبَ الْأَعْمَدَةِ
 كَمَخْبَأٍ لِلنُّقُودِ وَالْحُلِيِّ الدَّهْبِيَّةِ !
 كَانَ الرَّاجِلُ دَائِمَ الْإِبْتِسَامِ قَلِيلَ الْكَلَامِ , وَكُنْتُ سَمِيَّةً وَ أَوَّلَ أَحْفَادِهِ الذُّكُورِ , فَحَظِيثُ
 بِامْتِنَازِ النَّوْمِ فِي أَحْضَانِهِ وَالْعَبَثِ فِي مُتَعَلِّقَاتِهِ , نَظَارَتِهِ وَ سَاعَةِ الْجَيْبِ وَ الْقَلَمِ
 الْكُوبِيَا وَ مَسْبَحَةِ الْكَهْرَمَانِ وَ غُلْبَةِ التَّبَغِ
 وَ إِذْ لَمْ يَكُنْ طَوِيلَ الْقَامَةِ , فَعِنْدَمَا وَهَنْتُ فُؤَادَهُ , تَبَتُّوا لَهُ كُرْسِيًّا خَشَبِيًّا قَصِيرَ الْقَوَائِمِ
 لِيَرْقَى عَلَيْهِ السَّرِيرَ الْعَالِي , وَ كَانَ هَذَا الْكُرْسِيُّ مَصْنُوعِيٍّ وَ مَنْزَلِيٍّ ,

أَثْوَى تَحْتَ جَنَاحِ الرَّجُلِ وَ هُوَ يَتْلُو الْقُرْآنَ مِنْ مُصْنَفِهِ أَوْ يَتَصَفَّحُ (الأهرام) وَ
(الأخبار) , وَأَنَا مَشْدُوهُ مِنْ عِطْرِهِ , شَارِدٌ فِي رُسُومَاتِ أَصْغَرِ أَعْمَامِي عَلَى
الْأَبْوَابِ وَالنَّوَاغِيزِ وَ قِطْعِ الْأَثَاثِ , وَفِي خِيَالِي أَصْدَاءٌ مِنْ مُغَامِرَاتِ حَوَادِثِ
الشُّطَارِ وَ الْعُشَّاقِ , الَّتِي كَانَ أَوْسَطُ أَعْمَامِي يُخَذِّرُنِي بِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ قَبْلَ الْمَنَامِ !
كُنْتُ مُوَلَّعًا بِسَاعَةِ الشَّيْخِ وَ نَظَّارَتِهِ وَ سَرِيرِهِ وَ حَوَادِثِهِ ,
حَتَّى مَاتَ فِي إِبْرَيْلِ 1981 ,

وَ وَرِثْتُ كَثِيرًا مِنْ سُمُعَتِهِ وَ بَعْضَ عَقَارَاتِهِ ,
وَ لَكِنْ تَبَخَّرَتِ السَّاعَةُ وَ تَلَاشَى السَّرِيرُ !

طُوبَى لِلطَّيِّبِينَ

مِنْ آنِ لآخرَ , استحضِرْ قِصَّةَ هَذَا الرَّجُلِ , الَّذِي سُمِّيَتْ عَقِبَهُ ,
و عاصِرَتُهُ ثَمَانِيَةَ أَعوامٍ , ابنِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ (1899: 1981) بأفكارِهِ
وَمُواقِفِهِ , فيَعْمُرُنِي الْحُبُّ وَ يُحَلِّقُ بِي الْفَخَارُ ,

وُلِدَ الرَّجُلُ فِي بَيْتٍ يُسَرُّ وَسِعَةً , سَمَّوْهُ مُحَمَّدًا وَ كَنَّوْهُ أبا الْمَجْدِ , ابنا أَكْبَرَا بَيْنَ
عَشْرَةِ إِخْوَةٍ لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُدَلِّلاً أَوْ مِثْلَافًا , تَرَكَ ذَلِكَ لِأَحَدِ إِخْوَتِهِ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى
الْجَمِيعِ - ذَلِكَ الْأَخَ , كَانَتْ تُنادِي الْأُمَّ بِاسْمِهِ , علاوَةً عَلَى كَوْنِهِ خِيَالُ الْعائِلَةِ
وَفَارِسُهَا وَ واجِهَتُهَا ,

حَصَلَ عَلَى الشَّهَادَةِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ الْقَدِيمَةِ , فزَوَّجَهُ أبُوهُ , وَ هُوَ ابْنُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا ,
بَكَرَ بِأَنْثَى وَ فَارَقَ بَعْدَ عَامٍ , تَعَدَّدَتْ زِيَجَاتُهُ حَتَّى بَلَغَتْ خَمْسَ مَرَّاتٍ ,
لَكِنَّهُ لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ تَحْتَ سَقْفِ دَارِهِ , أَنْجَبَ عَشْرًا مَاتَ مُبَكَّرًا نَصْفُهُمْ ,
وَ عَمِلَ بِالْبَلَدِيَّةِ حَتَّى تَقَاعَدَ آخِرَ الْخَمْسِينِيَّاتِ ,

كَانَ حَيِّياً لَطِيفاً خَفِيفَ الصَّوْتِ , باراً بِأَهْلِهِ حُلُو الْمَعَشَرِ
صَاحِبَ طُرْفَةٍ , يَصْنَعُهَا وَ يَحْكِيهَا ,
لَا تَنْقُصُهُ الشَّجَاعَةُ , قَانِعاً بِالْيَسِيرِ , رَغْماً عَنْ سِيعَةِ الطُّفُولَةِ وَالصِّبَا ,

يَذْكُرُ لَهُ مَعاصِرُوهُ , كَيْفَ تَحَدَّى عُمْدَةَ الْقَرْيَةِ ذَا الْعُنْفُوانِ ,
الَّذِي طَمَعَ فِي فَدانِ أَرْضٍ , وَرَثَهُ أَوْلادُهُ عَنْ الْمَرْحُومَةِ زَوْجَتِهِ ,
فَلَجَأَ إِلَى الْقَضَاءِ سَنِينًا عَدَدًا , حَتَّى رِيحَ الْقَضِيَّةِ دُونَ زَلَلٍ أَوْ وَجَلٍ ,
فَكَأَنَّهُ : ذَلِيلٌ أَهْلُهُ عَزِيزٌ عَلَى الْغَيْرِ !

نشأت في جُبره , و أسرتني بسمته ونظاراته , و خطُّ يده البديع في العَرَبِيَّة و
الفرَنسِيَّة , وحرصه اليومي على مُتابعة الصُّحف , لم أره يوماً عابساً أو غاضباً ,
عَمَرَ حتَّى الثمانين , كسائر إخوته إلّا واجداً , و رحلَ في هُدوء في إبريل 1981

أفندينا

شيخ مشايخ الطرق العائليّة , و بطريزك الكرازة العكاشيّة

تكون مَحْظُوظاً إذا ولدتَ لرجلٍ مُنظَّمِ الفِكرِ مُنضِيطِ السُّلُوكِ ,
 فإذا كانَ ذلكَ الرَّجُلُ خَفِيفَ الرُّوحِ لَيِّنَ المَعْشَرِ , فَإِنَّكَ - واللهِ - لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ,
 و خِلالَ طفولتي و صِباي , كانتُ هَيبَةُ المَرَحُومِ والدي , تَحُولُ بَيْنِي و بَيْنَ
 التَّوَاصلِ المُبَاشِرِ مَعَهُ , عادِيكَ عَنِ التَّدَلِّي و التَّفَكِّهِ , وَكُنْتُ أُؤَثِّرُ التَّعَامُلَ مَعَ أُمِّي ,
 فَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرُ حَزْماً , إِلَّا أَنَّهَا أَوْفَرُ مَرُونَةً و أَوْسَعُ حِيلَةً , وَ يَكْفِي تَذْلِيلاً
 عَلَى ما سَلَفَ : أَنِّي لَا أَذْكَرُ إِطْلَاقاً أَنِّي تَلَقَيْتُ مِنْهُ مَصْرُوفاً أَوْ طَالَنِي عِقَابٌ ,

طَوَالَ ثَمَانِيَةِ و عِشْرِينَ عَاماً عِشْتُهَا تَحْتَ ظِلِّ حَيَمَتِهِ !
 و لَعَلَّهُ كَانَ يَعْذُ ذَلِكَ مِنَ التَّفَاصِيلِ البَسيِطَةِ , الَّتِي تُغْنِي بِهَا الأُمَمَاتُ ,
 وَ لَا أَدْرِي كَيْفَ كَانَ يُمارِسُ طُقُوسَهُ وَ نَشَاطَاتِهِ فِي سَكِينَةٍ وَ تَسَامٍ ,
 دُونَ أَنْ أَلْحَظَ خُطَطَهُ وَ تَرْتِيبَاتِهِ رَغْماً عَنْ أَنْ حَظَّيَ مِنَ الْفِطْنَةِ وَ الْيَقَظَةِ لَمْ يَكُنْ
 أَبَداً يَسِيرُ , فَالرَّجُلُ لَدَيْهِ العِشْرَاتُ مِنَ التَّلَامِيذِ المُبَاشِرِينَ , الَّذِينَ أَصْبَحُوا رِجَالاً
 دَوَى حَيَنِيَّةٍ , وَ لَمْ أَرَهُ يَوْماً يُعَلِّمُ فِي حَلْفَةٍ دَرَسٍ خُصُوصِيٍّ , وَ هُوَ يَذْهَبُ إِلَى
 مَدْرَسَتِهِ يَوْمِيّاً حَرِيصاً عَلَى الزَّيْنَةِ وَ الوَجاهَةِ وَ لَا أَدْرِي أَيْنَ كَانَتْ تُخْزَنُ كُلُّ تِلْكَ
 الخُللِ وَ رابِطَاتِ العُنُقِ ؟

كَمَا أَنَّ لَدَيْهِ مَكْتَبَةٌ ذَاخِرَةٌ وَ ذَاكِرَةٌ حَافِظَةٌ , وَ لَمْ أَرَهُ فِي أَيِّ حِينٍ يُطَالِعُ كُتَاباً !
 وَ كَانَ دَوْماً مُعْتَدِلَ الوَزنِ وَ القَوَامِ عَلَى الرَّغَمِ مِنَ اعْتِرَافِهِ لِي أَنَّهُ - أَبَداً -
 لَمْ يُمارِسْ أَيَّةَ رِياضَةٍ , مِنْ قَبِيلِ كُرَةِ القَدَمِ أَوْ حَتَّى الدَّرَاجَاتِ الهَوَائِيَّةِ !
 يَوْمُهُ يَبْدَأُ مُبَكِّراً بَعْدَ صَلَاةِ الفَجْرِ , يَغُفُّهَا حَمَامٌ بَارِدٌ - يَحْرُصُ عَلَيْهِ صِيْفًا وَ شِتَاءً -
 - وَ وَجِبَةُ الإفطارِ لَدَيْهِ مَقْدَسَةٌ - خِلافاً لِلغَداءِ وَ العِشاءِ - , وَ فِي كُلِّ الأَحْوالِ كَانَ
 يَكْفِيهِ النَزَرُ اليَسِيرُ

وَ لَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَتَبَلَّغَ الطَّعامُ , كَانَ يَحْرُصُ عَلَى أَنْ يَزْدَرِدَ الجَمِيعُ ,
 رَشَفَاتٍ مَنقُوعِ الشَّيْخِ

وَ مِلْعَقَةً عَسَلٍ وَ لَا بَاسَ بِفَصَّيْ ثَوَمٍ وَ قِطْعَتِي فَحْمٍ ,
 وَ طَوَالَ الوَقْتِ كَانَ يَعْلُكُ حَصَى اللَّبَانِ المُرِّ !

مَآثِرُهُ مَعِيَ لَا تُنْسَى وَ أَفْضَالُهُ عَلَيَّ لَا تُحْصى , وَ لَكِنِّي أَذْكَرُ لَهُ وَاقِعَتَيْنِ مُفْصَلَتَيْنِ
 فِي حَيَاتِي : يَوْمَ خَاصَمَنِي التَّوْفِيقُ فِي الثَّانَوِيَّةِ العامَّةِ , وَ نَكَصْتُ عَنْ تَحْقِيقِ التَّفَوُّقِ

المُعْتَادِ , و إِذْ قَدَّرَ عَدَمَ تَقْصِيرِي , فَقَدْ حَرَصَ عَلَى تَكْرِيمِي , و نَظَمَ لِي حَفَلًا غَيْرَ
مَسْبُوقٍ , دَعَى لَهُ الْاَهْلَ وَالْاَصْدِقَاءَ وَهُوَ اَمْتِيَاظٌ لَمْ اَحْظُ بِهِ قَبْلًا اَوْ بَعْدًا , بَعْدَهَا
بَنَحُو عَشْرَ سَنَوَاتٍ عِنْدَمَا تَخَرَّجْتُ ضَابِطاً مِنَ الْاَكَاذِمِيَّةِ الْحَرْبِيَّةِ لِأَحْقِيقَ لَهُ حُلُمًا
مُجْهَضًا حَالَتْ وَفَاةُ اُمِّهِ / جِدْتِي - الْمُفَاجِئَةُ - دُونَ بُلُوغِهِ
و عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَقِفْ ضِدَّ رَغْبَتِي فِي الْاِسْتِقَالَةِ مِنَ الْقَضَاءِ الْعَسْكَرِيِّ
بَعْدَهَا لِأَلْتَحِقَ بِمَجْلِسِ الدَّوْلَةِ و أَحْقِيقَ حُلُمِي الْخَاصَّ ,
أَلْفُ قُبْلَةٍ و إِكْلِيلُ غَارٍ عَلَى رَأْسِ أَبِي - أَسْكَنَهُ اللهُ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى - و عَلَى
رَأْسِ كُلِّ أَبٍ مِثْلِهِ , أَدَّى الْأَمَانَةَ وَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ #يَوْمُ الْأَبِ 21 يُونِيُو

الأفعى و الغلام

وَلِدْتُ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الصَّعِيدِ ,
و نَشَأْتُ فِي بَيُوتِهَا الْعَتِيقَةِ , وَ تَرَدَّدْتُ عَلَى الْحُقُولِ وَالْحَدَائِقِ
فَكَانَتْ لِي مَعَ الثَّعَابِينَ حَوَادِثُ عَدِيدَةٌ , سَأُرَوِي فِي اخْتِصَارٍ أَوَّلَ تَجْرِبَةٍ ,
وَلَدْتُ صَغِيرٌ دُونَ السَّادِسَةِ , يَلْهُو آخِرَ اللَّيْلِ
عَلَى سَرِيرٍ نُحَاسِيٍّ ذِي أَعْمَدَةٍ , بِجَوَارِ جَدِّهِ الشَّيْخِ الثَّمَانِينِيِّ , النَّائِمِ فِي سَلَامٍ ,
بِحُجْرَةٍ خَابِيَةِ الضَّوِّءِ , يَفْصِلُهَا حَائِطٌ شَرْقِيُّ عَرِيضٌ مِنَ الطُّوبِ اللَّبَنِ عَنْ مَنْزِلِ
الْجِيرَانِ , فَجَاءَتْ , يَزْحَفُ ببطءٍ بَعْرُضِ الْحُجْرَةِ ,
تُعْبَانُ ضَحْمٌ طَوِيلٌ , يَلْفِتُ صَوْتٌ فَحِيحِهِ انْتِبَاهَ الْغُلَامِ ,
فَيَجْمَدُ فِي مَوْضِعِهِ , وَ يُحْمَلِقُ فِي صَمْتٍ , يَقِفُ الثُّعْبَانُ قِبَالَتَهُ ,
وَيَنْتَصِبُ جِدْعُهُ , وَتَلْتَقِي عَيْنَاهُ بِنَظَرَاتِ الْغُلَامِ ,
تَمُرُّ لِحَظَاتٌ سَكُونٍ , ثَقِيلَةُ الْوَطْءِ ,
ثُمَّ يُعَاوِدُ الثُّعْبَانُ الزَّحْفَ , تَجَاهَ حَائِطِ الْحَدِّ , وَ يَذْلِفُ دَاخِلَهُ وَ يَخْتَفِي ,
تَدْخُلُ الْأُمُّ الْحُجْرَةَ لَتَنْقَلَ وَلَدَهَا إِلَى مَرْقَدِهِ , فَيُبْهِئُهَا مَنَظَرَهُ ,
وَ قَدْ غَاضَ الدَّمُ فِي وَجْهِهِ , فَأَمْسَى تِمْنَالٌ شَمْعٌ بَاهِتٌ ,

يُسَيِّرُ لَهَا فِي رُغْبٍ إِلَى أَسْفَلِ الْحَائِطِ مُتَهَتِّهَا : ثُعْبَانٌ , ثُعْبَانٌ ...
تَهْمُ الْمَرَأَةُ الشُّجَاعَةُ , بِنَقْلِ حَمَاهَا وَطِفْلَهَا خَارِجَ الْغُرْفَةِ , وَتُدِيرُ فِي لَحْظَاتٍ ,
خَلْطَةً مِنَ الطَّيْنِ وَالْحِجَارَةِ , تُحَكِّمُ بِهَا إِغْلَاقَ كُلِّ ثُقُوبِ حَائِطِ الْحَدِّ ,
قَبْلَ أَنْ تُحْذِرَ جَارَتَهَا , مِنَ الضَّيْفِ الثَّقِيلِ غَيْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ .

لَنْ أَعِيشَ فِي جَنْبَابِ أُمِّي !

و على خِلافِ مُعْظَمِ الأَطْفَالِ ,

عِنْدَمَا بَلَغْتُ سِنَّ المَدْرَسَةِ ,

لَمْ تَكُنْ خِلافَاتِي مَعَ الحَبِيبَةِ أُمِّي , تَدُورُ حَوْلَ الحُلُوى أَوْ اللِّعَبِ ,
أَوْ حَتَّى مُتَابَعَةِ واجِبَاتِي المَدْرَسِيَّةِ ,

فَقَدْ كُنْتُ طِفْلاً هَادِئاً نَجِيباً ,

إِنَّمَا و لِلْعَجَبِ , حَوْلَ مَا أَرْتَدِيهِ صَبَاحَ كُلِّ يَوْمٍ ,
حَالَةً عَدِمَ الإِلْزَامُ بَزِيَّ مَدْرَسِيٍّ مُوَحَّدٍ ,

فَأَنَا أَمِيلٌ لِلرَّاحَةِ , وَ هِيَ تُفَضِّلُ الوَجَاهَةَ ,

و يَنْتَهِي الأَمْرُ , بِعَلْقَةِ سَاخِنَةٍ ,

و تَوْصِيَةٍ لِأَحَدِ المُدْرَسِينَ مِنَ الجِيرَانِ

بِتَوْصِيلِ ابْنِ النَّاطِرِ لِلْمَدْرَسَةِ , عَلَى سِنْجَةِ عَشْرَةِ , دَامِعِ العَيْنَيْنِ !

[265]

على عليوه

مِنْ أَنْ لآخرَ , أُعِيدَ قِرَاءَةً (أَمَلْ دُنْقُل) , وَرَغْمَ إِنَّهُ بِقَدَرٍ مَا يُعْجِبُنِي , يُوجِعُنِي ,
لَكِنْ رَبُّ أَلَمٍ , أَضْحَى أَمَلًا , وَرُبَّ دَاءٍ , بَاتَ دَوَاءًا !

جَلَسْتُ اسْتَقْرَأَ قَصِيدَةَ (الْجَنُوبِي) , وَ عِنْدَمَا طَالَعْتُ الْأَبْيَاتِ :
" رَفْسَةُ فَرَسٍ , تَرَكْتُ فِي جَبِينِي شَجًّا , وَ عَلَّمْتُ الْقَلْبَ أَنْ يَحْتَرِسَ "

الَّتِي يَصِفُ فِيهَا صُورَةً لَهُ - صَبِيًّا - مَعَ أَبِيهِ الشَّيْخِ ,
وَيَسْتَعْرِضُ فِيهَا أَيَّامَ الصَّبَا وَ الْبَرَاءَةِ !

شَرَدْتُ الْأَفْكَارُ مَنَى , وَ انْدَاحَتْ دَوَائِرُ الذِّكْرِيَّاتِ ,
وَ اسْتَرْجَعْتُ أَرْبَعِينَ عَامًا مَضَتْ ,

يَوْمَ كُنْتُ صَبِيًّا فِي السَّابِغَةِ, دِيكَ بَرَابِرٍ عَلَى أَرْبَعِ دَجَاجَاتٍ , فَكَانَتْ الْحَرَكَاتُ
وَالسَّكَنَاتُ بِالْحِسَابِ , وَتَحْتَ رِقَابَةِ الْأَهْلِ , إِذْ كُنَّا نَعِيشُ فِي بَيْتٍ عَائِلَةٍ يَضُمُّ الْجَمِيعَ ,
وَ يَطْلُ الْبَيْتُ عَلَى سَاحَةٍ وَاسِعَةٍ , كُنَّا نَسْمِيهَا الْبِرْكَهَ - التَّسْمِيَةُ تَرْجِعُ إِلَى نَشِيعِ
مَاءِ فَيْضَانَ النَّيْلِ فِيهَا قَبْلَ بِنَاءِ السَّدِّ الْعَالِي مَطْلَعُ السَّبْعِينَاتِ - , الْبِرْكَهَ كَانَتْ مَلْعَبُ
الصَّبَا وَ مَسْرَحُ الذِّكْرِيَّاتِ , حَتَّى كَانَتْ سَنَةً ,

تَقَرَّرَ فِيهَا نَصَبُ شَادِرِ اخْتِفَالَاتِ الْمَوْلَدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ فِي الْبِرْكَهَ ,
وَ امْتَلَأَتْ السَّاحَةُ بِنَصَبَاتِ الْحُلُوى وَ الْمَقَاهِي وَ الْمَطَاعِمِ وَ الْأَرَاجُوزِ

و الحاوي و الألعاب

و في المُنْتَصَف , انْتَصَبَتْ أَرْجُوحَةُ الْأَحْصَنَةِ الْخَشَبِيَّةِ الْمُلوْنَةِ الضَّخْمَةِ
التي كُنَّا نُطْلِقُ عَلَيْهَا (عَلَى عُلُوبِهِ) , وَ كُنَّا نَعُدُّهَا عَرُوسَ الْمَهْرَجَانِ ,
إِذْ كَانَتْ تَصْطَخِبُ بِالطَّبْلِ وَالزَّمَرِ وَتَسْمُحُ لِرَاكِبِهَا أَنْ يَغْلُو وَ يَهْطِ ,
و يُعَايِنَ أَرْجَاءَ الْبِرْكَهِ , وَ هُوَ يَتَأَرَّجُ عَلَى الْحِصَانِ مُسَابِقًا الرِّيحَ ,

دَيْكُ الْبَرَابِرِ , انْسَلَّ مِنْ بَيْتِهِ وَ ذَابَ فِي زِحَامِ الْمُؤَلَّدِ , بِالضَّجِيجِ وَالْعَجِيجِ
حَتَّى جَذَبَتْهُ أَضْوَاءُ (عَلَى عُلُوبِهِ) وَ صَحَبُهَا , وَ أَخَذَ يُصَفِّقُ وَ يُهْلَلُ وَيُقْتَرَبُ ,
حَتَّى دَنَا فَتَدَلَّى , إِذْ دَخَلَ فِي مُحِيطِ دَائِرَةِ أَحْصَنَةِ الْأَرْجُوحَةِ ,
فَلَطَمَتْهُ السَّاقُ الْخَشَبِيَّةُ الْمُندَفِعَةُ , وَ أَلْقَتْ بِهِ بَعِيداً ,
مَشْجُوجَ الدَّقْنِ غَارِقاً فِي الدِّمَاءِ ,
وَ عِنْدَمَا حَمَلَهُ الْجِيرَانُ إِلَى أُمِّهِ فَاقِدَا وَعِيهِ , بَهَتَتْهَا الصَّدْمَةُ , فَلَمْ تَبْكْ أَوْ تَصْرُخْ ,
وَ عَكَفَتْ عَلَى إِسْعَافِهِ يُعَاوِنُهَا الْجَمِيعُ , فَلَمَّا اسْتَرَدَّ وَعِيَهُ فِي حُضْنِهَا ,
فَوَجَّئُ بِهَا , تَلَطَّمَهُ بِحَزْمٍ , فَرَنَا لَهَا حَزِينًا مُنْدَهَشًا ,
فَقَالَتْ : الشَّجُّ فِي ذَقْنِكَ , وَ اللَّطْمَةُ عَلَى خَدِّكَ ,
سَيُذَكِّرَانِكَ عَلَى الدَّوَامِ , أَلَّا تَتَسَاقَ وَرَاءَ النَّزَوَاتِ أَوْ تَمْضَى فِي أَثَرِ النَّدَاهَاتِ !

المَجْدُ لله في الأعالى و على الأرضِ السَّلامُ , و بالنَّاسِ المَسْرَّةُ

وَلِدْتُ فِي بَيْتِ جَدِي وَ سُمِيتُ عَقِبَهُ , وَ عِشْتُ فِيهِ حَتَّى السَّابِعَةِ عَشَرَ مِنْ عُمْرِي ,
وَ كَانَ الْبَيْتُ يَواجُهُ كَنِيسَةُ الْقَرْيَةِ وَ عَلَى بُعْدِ أُمْتَارٍ مِنْهَا مَسْجِدٌ عُكَّاشُهُ ,
وَ طَوَالَ الْوَقْتِ , اِمْتَزَجْتُ فِي مَسَامِعِي ,
رَجْعُ الْأَذَانَاتِ وَ الْإِقَامَاتِ وَ التَّلَاوَاتِ , بِصَلْصَلَةِ الْأَجْرَاسِ وَ دَنْدَنَةِ الْعِظَاتِ ,
وَ مِنْ نَافِذَةِ غُرْفَتِي , كُنْتُ - بِفَضُولِ الْحَدَثِ - أَتَابِعُ مَا يَدُورُ فِي بَاحَةِ الْكَنِيسَةِ
الِدَاخِلِيَّةِ , مِنْ دُرُوسٍ وَ طُقُوسٍ وَ شَعَائِرٍ وَ اخْتِفَالَاتٍ ,
وَ كَانَ يُبْهَرُنِي مَدْبُحُ الْكَنِيسَةِ الْمُرْخُرَفُ وَبُرْجُهَا الشَّاهِقُ وَ زِي الْقَسِيسِ الْأَسْوَدِ ,
وَ عِبَائَتُهُ الْمَوْشَاةُ بِالْقَصَبِ وَ تِيجَانُهُ الْمُرْخُرَفَةُ ,

وَ كَمْ تَبَلَّغْتُ بِكَعْكَ الْقَرَابِينِ وَ لَعِبْتُ بِعَرَائِسِ السَّعَفِ ,
وَ أَطْرَبْتَنِي تَرَاتِيلُ الْمُنْشِدِينَ , حَتَّى وَ إِنْ جَهِلْتُ مُفْرَدَاتِهَا الْأَعْجَمِيَّةَ ,

وَ إِنْ أَنْسَى لَا أَنْسَى , مَسْرُحِيَّةً مَثَّلُوا فِيهَا وَلَادَةَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ ,
- عَلَيْهِ وَ عَلَى الْمُصْطَفَى السَّلَامِ - فِي مَزُودِ الْبَقَرِ بَبِيْتِ لَحْمٍ , بِجَوَارِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ

كُلُّ ذَلِكَ - وَ أَكْثَرُ - تَابَعْتُهُ مِنْ نَافِذَةِ غُرْفَتِي ,
وَ كَانَ أَنْ اِنْتَضَمْتُ فِي التَّرْدِدِ عَلَى حَضَانَةِ دَاخِلِ الْكَنِيسَةِ ,

أَتَعَلَّمُ فِيهَا مَبَادِيَّ الْقِرَاءَةِ وَ الْكِتَابَةِ وَ الْحِسَابِ ,

بِحُكْمِ الثَّقَةِ وَالْأَمَانِ , كَوْنِ الْكَنِيسَةِ جَارُنَا الْجُنُبِ ,

حَتَّى كَانَ يَوْمٌ , أَقْبَلَ فِيهِ خَادِمُ الْكَنِيسَةِ غَاضِباً يَتَبَرَّمُ وَ يُؤَكِّدُ عَلَى جَدِّي

لَزُومَ إِحْضَارِ (إِنْجِيلٍ) لِلصَّغِيرِ مُحَمَّدٍ , حَتَّى يُتَابَعَ مَعَ أَقْرَانِهِ الدُّرُوسَ وَ الْأَنَاشِيدَ !

فإذا بجدى - الحليم الرشيد - يخرج عن طوره ,
ويطارد جاره للخارج , مازجا الجذ الهزل و هو يصرخ في الرجل:
اسمه محمد فاروق , عن اي انجيل تتحدث ايها الأخرق ؟

حَارَهُ سَدّ

كُنْتُ غُضّاً غَرِيرَا ابْنَ ثَامِنَةٍ ، عِنْدَمَا وَضَعْتُ أُمِّي - لِلْمَرَّةِ السَّادِسَةِ - ذَكَراً ثَانِيَا ،
يُونِسَ وَحَدَّتِي وَ يَشْدُ عَضْدِي ، فَعَمَرْتُنَا الْبَهْجَةُ وَ أَقْمَنَا الْأَفْرَاحَ ،
وَ صَبِيحَةَ لَيْلَةٍ سُبُوعِ الْوَلِيدِ السَّعِيدِ ، انْتَشَرَ أَطْفَالُ الْأُسْرَةِ فِي أَنْحَاءِ الْقَرْيَةِ
وَالشَّوَارِعِ وَ الْحَارَاتِ ، يُوَرِّعُونَ أَكْيَاسَ الْحَلْوَى ، عَلَى الْأَقَارِبِ وَ الْجِيرَانِ وَ
الْأَصْدِقَاءِ وَ الْمَعَارِفِ

كُنْتُ أَدُورُ بَيْنَ الْبُيُوتِ ، مُعْتَدّاً بِالذَّاتِ فَخُوراً بِالْإِنْجَازِ ، كَأَنِّي أَبُو الْعُلَامِ أَوْ الْقَابِلَةِ
الَّتِي وَلَدَتْ أُمَّهُ ، وَبَعْدَ أَنْ أَنْتَمْتُ مُعْظَمَ الْجَوْلَةِ ، وَ قَارَبْتُ الْأَكْيَاسَ عَلَى النَّفَادِ ،
حَلَّ الدَّورُ عَلَى بَيْتٍ قَرِيبٍ لَنَا يَقَعُ فِي نِهَايَةِ حَارَةِ سَدّ ، وَفِي مَدْخَلِ الْحَارَةِ ، يَقْبَعُ
كَلْبٌ ضَخْمُ الْجُنَّةِ يَزْنُو بِشُرُودٍ ، وَيَتَنَفَّسُ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ ، تَرَدَّدَتْ خُطَوَاتِي وَ
تَبَاطَأْتُ ، وَارْتَجَّ عَلَى الْأَمْرِ ،

هَلْ أَوْثِرُ السَّلَامَةَ وَ أَعُوذُ أَدْرَاجِي ، أَمْ أَسْتَجْمِعُ شَجَاعَتِي وَ أَمْضُ قُدُمَا ؟
بَعْدَ ثَوَانٍ ، عَزَمْتُ عَلَى الْإِفْدَامِ ، لَكِنَّ الْكَلْبَ كَانَ قَدْ شَمَّ الْخَوْفَ فِي أَنْفَاسِي وَ
أَغْرَاهُ صَغَرُ حُجْمِي وَ الْعَنِيمَةُ فِي يَمِينِي ، وَ فِي لَمَحِ الْبَصَرِ قَطَعَ الْكَلْبُ الْأَمْتَارَ
الَّتِي كَانَتْ بَيْنَنَا ،

ثُمَّ نَبَحَ وَ زَمَجَرَ ، فغَاضَ الدَّمُ فِي عُرُوقِي وَ تَجَمَّدَتْ كَتِمَتَالِ
وَ عَزَّ عَلَى الْفِرَارِ أَوْ الصُّرَاخِ ، فَلَبِثْتُ بُرْهَةً أُحَدِّقُ فِيهِ مَشْدُوهاً !
الْحَارَةُ أَفْرَغُ مِنْ فُؤَادِ أُمِّ مُوسَى ، وَ لَا مُعِينَ ، وَ إِذْ لَمْ يَهْجُمِ الْكَلْبُ ، فَكَّرْتُ أَنْ
أَحْتَالَ عَلَيْهِ ،

إِذْ عَزَّتْ عَلَى الْمُوَاجَهَةِ ، وَخَشِيتُ عَوَاقِبَهَا ،
أَخْرَجْتُ مِنَ الْكَيْسِ كَعْكَةً ، أَلْقَيْتُ بِهَا عَلَى مَرْمَى بَصَرِهِ ، لِيُنْشَغَلَ عَنِّي وَ أَكْسِبُ
بَعْضَ الْوَقْتِ وَ الْمَسَافَةِ ، تَتَبَعَ الْكَلْبُ الْكَعْكَةَ وَ أَخَذَ يَتَفَحَّصُهَا ، فَلَمْ يَقْنَعْ بِهَا ، وَ عَادَ
إِلَى يَبْعُورِي وَ يَتَحَفَّرُ ،

لَمْ أَكُنْ قَدْ أَدْرَكْتُ بَيْتَ أَقَارِبِي أَوْ الشَّارِعَ الرَّئِيسِي وَ لَمْ يَنْجِدْنِي أَحَدٌ وَ أَخَذْتُ
أَنْوَارَهُ مُسْتَعِينَاً بِمُحْتَوِيَاتِ الْكَيْسِ ،

لَتَكُنْ هَذِهِ اللَّعْبَةُ ، بِضَعُ ثَوَانٍ ، مُقَابِلِ لُفَاقَتِي حَلْوَى ،
بِضَعُ أَمْتَارٍ ، مُقَابِلِ عِرْقِي خَرُوبٍ ، نِصْفُ سَاعَةٍ مَضَتْ كُنْتُ أَنْفَقْتُ حُمُولَتِي ،
لَكِنِّي أَفْلَحْتُ فِي بُلُوغِ بَيْتِ الْعَمِّ ، وَ دُونَ شَرْحِ أَذْرَكُوا الْمَازِقَ الَّذِي نَجَوْتُ مِنْهُ ،

بكيْسٍ فارِغٍ مِنَ الحُلُوى , لكنْ بجسَدٍ سَلِيمٍ مِنَ الإِصَابَاتِ ,
بَعْدَهَا بِشهُورٍ وَ سَنَوَاتٍ , تَفَكَّرْتُ فِي تِلْكَ الوَاقِعَةِ البَسيِطَةِ , فَتَفَهَّمْتُ المَعْنَى
وَأَدْرَكْتُ المَعْرَى , وَ خَلَصْتُ إِلَى أَنَّ العَاقِلَ يَتَخَلَّصُ مِنَ الوَرُطَةِ , لكنَّ الحَكِيمَ
يَتَجَنَّبُ التَّوَرُّطَ فِيهَا إِبْتِدَاءً ,
وَ أَنَّهُ يَتَوَجَّبُ عَلَيْكَ أَنْ تُقَدِّرَ لِقَدَمِكَ قَبْلَ الخَطُوءِ مَوَاقِعَهَا ,
فَإِذَا تَعَذَّرَ التَّخْطِيطُ فَلْيَكُنْ حُسْنُ التَّخَلُّصِ ,
بِأَنْ تَخْتَارَ أَنْجَعَ السُّبُلِ وَ أَوْفَرَهَا حَظاً فِي الخَلَاصِ وَ الفَوْزِ ,
فَإِنْ هَاجَمَكَ لُثْمٌ , فَلَا تَتَرَاوَعُ أَوْ تُفَرِّطَ , وَلَكِنْ احْمِلْ عَلَيْهِ ,
فَإِمَّا السَّلَامَةُ وَ الظَّفَرُ , أَوْ شَرَفُ المُوَاجَهَةِ وَ حُسْنُ السَّيْرَةِ .

أَرْبَعَةٌ فِي مُهِمَّةٍ رَسْمِيَّةٍ

مِنْ يَوْمَيْنِ ثَلَاثَةٍ , كُنْتُ مُنْهَمِكٌ فِي قِرَاءَةِ كِتَابٍ لَطِيفٍ جَدًّا اسْمُهُ ((قُصُور الْأُمَرَاءِ
الْبَاشَوَاتِ / أَسْرَارُ وَحِكَايَاتِ) وَ مِنْ ضِمَنِ الْقُصُورِ الَّتِي حَكَى الْمُؤَلِّفُ حِكَايَاتَهَا
وَأَسْرَارَهَا ,

قَصْرُ الْأَمِيرَةِ فَائِقَةَ , ابْنَةُ مُتَبَنِّاةٍ لِلْخَدِيوِيِّ إِسْمَاعِيلِ ,

الْقَصْرُ كَائِنٌ بِشَارِعِ الْفَلَكَى بِحَيِّ الْمُنِيرَةِ بِمَنْطَقَةِ وَسْطِ الْبَلَدِ - وَ يَتَمَيَّزُ بِمَوْقِعِهِ
الْهَامِ وَ مَعْمَارِهِ الْبَدِيعِ , لَكِنَّ تَدَاعَى الْأَفْكَارِ وَالذِّكْرِيَّاتِ , أُوْرِدَ عَلَى بَالِي رَحْلَةِ
قَدِيمَةٍ وَحِيدَةٍ لِهَذَا الْقَصْرِ الَّتِي أَصْبَحَ مَقَرًّا لِرِوَايَةِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ - الْمَعَارِفِ سَابِقًا
- , رَحْلَةً تَمَّتْ عَامَ 1987 بِصُحْبَةِ مُدَرِّسِ لُغَةِ عَرَبِيَّةٍ قَدِيرٍ وَ زَمِيلَيْنِ نَابِهَيْنِ ,
بِمُنَاسَبَةِ مَعْرُضِ صَحَافَةِ مَدْرَسِيَّةٍ

فِي مَدْرَسَةِ أَشْمَنْتِ الْإِعْدَادِيَةِ بِمُحَافَظَةِ بَنَى سُوَيْفِ (مَدْرَسَتِي الْعَزِيزَةِ) ,
أُسْتَاذٍ (شِجَاتَةِ عُثْمَانَ) ,

كَانَ مُدَرِّسُ ضَلِيعٍ فِي مَادَتِهِ وَ بَالِغُ النِّقَّةِ فِي ذَاتِهِ مُتَعَدِّدُ الْمَوَاهِبِ

(عَلَى رَأْسِهَا كُرَّةُ الْقَدَمِ وَالْخَطَابَةِ) , انْتَقَى الْأُسْتَاذُ فَرِيقًا مُكَوَّنًا مِنْ ثَلَاثَةِ طُلَّابٍ
تَوَسَّمُ فِيهِمْ سِعَةُ النُّقَافَةِ وَحُسْنُ الْمَظْهَرِ وَالثِّقَةُ بِنَفْسِهِ , وَقَرَّرَ يَغْزُو وَرِوَايَةَ التَّرْبِيَةِ
وَالْتَّعْلِيمِ فِي عُقْرِ دَارِهَا ,

وَ يُجْرَى حِوَارًا صَحَفِيًّا مَعَ الْوَزِيرِ ,

مَشِ الْإِدَارَةَ أَوْ الْمُدِيرِيَّةَ , أَبَدًا , الْوِزَارَةَ رَأْسًا !

وَ عَلَى رَأْيِ الْمَثَلِ : إِنَّ عِشِقْتُ اعْشَقَ قَمَرٌ , وَ إِنَّ حَاوَزْتُ حَاوَرَ وَزِيرٌ !

الرَّاجِلُ الْفَاضِلُ , سَحَبَ التَّلَامُذَةَ وَرَاهُ , وَ سَافَرُوا عَلَى الْمَحْرُوسَةِ ,

أربعه في مهمه رسميه ,

حاجه كذا زى أحمد زكى و الحمار و القرد و الجدى , بلاد تشيلنا وبلاد تحطنا ,
و قفشات فى الطريق و المواصلات , لحد ما وصلنا يا مؤمن لديوان عام الوزارة,
الأمن والاستعلامات سألونا : إنتم مين و عايزين ايه ؟

و الأستاذ شحاته بكلّ أريحية يُرد - و مناخيره ف السما وايديه ف جيوبه - إحنا
مدرسة أشمنت الإعدادية , و البعدا هيتجننوا أشمنت ايه و بنى سوف مين ؟
و بعد شدّ و جذب , قالوا الوزير خارج البلاد , و قعدونا مع وكيل وزارة مُفتخر ,
أعجب بخيالنا و اجتهادنا , و ردّ على كلّ أسئلتنا , ورجّعنا البلد مجبورين الخاطر,
و شنطة الأستاذ شحاته السامسونايت , مليانه أحاديث و صور و ذكريات ...

الحُمار الزَّاجِل

نَشَأْتُ فِي الرَّيْفِ , لَكِنْ وَسَطَ أُسْرَةٍ أَفْنَدِيَّهَ ,
 وَ مَا كَانَتْ لِيَا حَظَّ الزَّرْعِ وَ الْقَلْعِ وَ الرَّيِّ بَايِدِيَا ,
 لَكِنْ جَا عَلِيًّا وَقْتُ , لَازِمَتْ فِيهِ وَاحِدٌ مِنْ أَخْوَالِي ,
 وَتَرَدَّدَتْ بِانْتِظَامٍ , عَلَى جَنَائِنِ وَ غِيْطَانِ بَيْتِ جَدِي ,
 وَ مِنْ أَعْجَبَ مَا عَاشَيْتُ فِي الْفَتْرَةِ دِي , وَ أَنَا دُونَ الْعَاشِرَةِ ,
 أَرْسَالِي عَلَى ضَهْرٍ وَاحِدٍ مِنَ الْجَمِيرِ , بِحَمُولِهِ أَوْ رِسَالِهِ مَعِيَّهِ لَجِنِيْنِهِ مُعَيَّنِهِ ,
 وَ أَنَا مَا عَرَفْتُ الطَّرِيقَ , يَقُولُولِي : إِرْكَبْ بَسَّ وَ الْحُمَارَ هَايُودِيْكَ ,
 الْجِنِيْنِهِ الْمَقْصُودِهِ فِي بِلَادِ تَانِيهِ , وَ عَلَى بُعْدِ كِيلُومِتْرَاتٍ ,
 وَ بِنَمْرٍ عَلَى جَنَائِنِ تَانِيهِ لِبَيْتِ جَدِي ,
 وَ نَقْطَعُ ثَلَاثَ أَرْبَعِ مَفَارِقَ طُرُقٍ ,
 وَ الْحُمَارَ عُمرُهُ مَا تَاهَ وَ لَا غِلْطَ ,
 بِيُوصَلُ زِيَّ الْحَمَامِ الزَّاجِلِ لِلْهَدَفِ الْمَطْلُوبِ ,
 وَ أَنَا رَاكِبٌ وَ بَاهِزٌّ رِجْلِيًّا ,
 زِيَّ غَزَالِ اللَّهِ فِ بَرَسِيْمِهِ !

السَّاحِرَةُ الشَّرِيرَةُ

وفى الزَّمانِ الأوَّل , كانتْ لنا جارةٌ عَجُوزٌ – مُسنَّةٌ أَكْثَرُ أدباً لَكِنْ عَجُوزاً أَوْقَعَ - ,
تَدَاخَلَتْ عِظَامُهَا و أطرافُها – بِحُكْمِ السِّنِّ – و على نَفْيِضٍ مَلابِسِها فَاجِمةُ السَّوَادِ ,
كانَ شَعْرُها – ما تَبَقَّى مِنْه – ناصِعَ البِياضِ , كانَ فَمُها خالياً مِنْ مُعْظَمِ الأَسنانِ
و صَوْتُها مَبْحوحاً مُمتدّاً , كَأَنَّهُ يَصْعدُ أعْماقَ بئرٍ و على الرَّغمِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ ,
بَقِيَتْ عَيْنُها شاحِصةً و نَظراتُها نافِذة !

حَصَّصَ لَها دُؤُوها , رُكناً قَصباً مِنَ المَنْزِلِ ,
جَمَعَ إلى شُحُوبِ الإِضاءَةِ زحامَ التَّكْديسِ ,
إِذْ حَفَلَ بِأَغْراضِها العَتِيقَةِ , الَّتِي أَبَتْ الاسْتِغْناءَ عَنْ أَيِّ مِنْها ,
على مَدارِ رَحلتِها المُمتَدَّةِ ,

ما أَفضى إلى عَشْوانِيَةِ المَكانِ و عَجائِبِيتِهِ , فَهذا ثَوْبٌ مُوشَّى بالقَصبِ إلى جِوارِهِ
أَلَةُ حِياكَةٍ عَتِيقَةٍ , و غَيْرَ بَعِيدٍ مَوْقِدَ كُحُولِ نَحاسٍ لِإِعدادِ الفَهِوةِ , و عِلْبَةُ صَدَفٍ
مُضْلَعَةٌ تَتَنائِرُ مِنْها الأُوراقُ و المَفاتيحُ , و مِراةٌ مَغْبِشَةٌ ذاتُ حامِلٍ , و هُنا و
هُناكَ عُلْبُ أدْويَةٍ و مَكْحَلَةٌ بِمَرُودٍ

و كَيْسٌ نُقُودٍ و الكَثِيرُ مِنَ حَلُوى المَلَبَنِ و عُلْبُ النِّقَابِ !
كانَ أَطْفالُ الجِيرانِ يَتَحاشَوْنَها قَدَرُ الإِمكانِ , رَهْبَةً و تَوْقِيراً ,
لِإِمامائِها , كُنَّا نَضْطَرُّ إلى الدُّخُولِ لَصُومَعَتِها , تَلْبِيَةً لِندائِها
أَوْ لاسْتِعادَةِ أَلعابِنا إِذا تَدَحَّرَجَتْ في اتِّجاهِها ,

حَتَّى كَانَتْ لَيْلَةٌ , رَأَيْنَاهَا تُدَخِّنُ لُفَافَةَ سَجَائِرِ صَغِيرَةِ الْحَجْمِ عَظِيمَةَ الدُّخَانِ ,
فَوَقَّرَ فِي قُلُوبِنَا أَنَّ الْمَرَأَةَ سَاحِرَةٌ شَرِيرَةٌ !
وَلَبِثْنَا مُدَّةً طَوِيلَةً , نُنْقَبُ عَنْ مَقَشَّةِ الطَّيْرَانِ
وَجِرَابِ الْأَعَاجِيبِ وَ عَصَا الْمُعْجَزَاتِ !

كَلِمَه , وَ نَظْرَة عَيْن

خَرِيفُ رَيْفِي هَادِي , وَ الصَّبِيُّ عَلَى مَقَاعِدِ الدِّرَاسَةِ فِي مَدْرَسَتِهِ الإِعْدَادِيَّةِ ,
يَجْلِسُ مُنْتَبِهاً , وَ عِيُونُهُ وَ الْأَذَانُ بَعْدَهُ (مُعَلِّمَةُ الْكِيمِيَاءِ) رَشِيقَةُ الْقَدِّ وَ الْكَلِمَاتِ وَ
التَّصَرِّفَاتِ كَانَتْ سَمْعُهُ الطَّيِّبَةُ وَ تَفَوُّقُهُ اللَّافِتُ , قَدْ مَنَحَاهُ ثِقَتَهَا مُبَكِّراً جِداً ,
حَتَّى أَنَّهَا كَانَتْ تَطْلُبُ مِنْهُ إِعَادَةَ الشَّرْحِ , أَوْ تَقْدِيمَ مُوجَزٍ لِدَرْسِ الْيَوْمِ , فِي نِهَائِهِ
الْحِصَّةِ , كَمَا كَانَتْ تَتْرَكُ الصَّبِيَّةَ بَعْدَهُدَّتِهِ , حَالِ غِيَابِهَا لِأَيِّ طَارِيٍّ ,
فِي نِهَائِهِ الْيَوْمِ الدِّرَاسِي , اسْتَدْعَتْهَا الْإِدَارَةُ لِاجْتِمَاعٍ عَاجِلٍ ,
تَرَكَتْ أَوْرَاقَهَا وَ دَفَاتِرَهَا بِخَوَازِنِ الصَّبِيِّ ,
وَ أَوْصَتْهُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى النِّظَامِ لِحِينِ عَوْدَتِهَا ,
غَادَرَ مَكَانَهُ لِيَجْلِسَ عَلَى مَقْعِدِهَا , وَ إِذَا بَنَسِيمِ الْخَرِيفِ يَفْتَحُ دَفْتَرَهَا ,
عَلَى (بُورْتَرِيهِ) بِالْقَلَمِ الرِّصَاصِ , لَوَجْهَهَا الْقَسِيمِ , تَحْتَهُ كَلِمَاتٌ بِخَطِّ رِجَالِيٍّ
مَوْزُونٍ : (كَلِمَه , وَ نَظْرَة عَيْن , وَ الْقِسْمَةُ وَ يَاهُمْ)
لَمْ يَسَعِ الصَّبِيُّ لَاسْتِكْشَافِ مَا لَا يَجُوزُ لَهُ , بِدَافِعِ الْفُضُولِ أَوْ غَيْرِهِ ,
لَكِنَّهُ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ مِنَ الشُّرُودِ ,
فِي فَيْضٍ مِنَ الْأَفْكَارِ وَ الْمَشَاعِرِ تَجَاهَ هَذَا التَّعْبِيرِ الرَّاقِي
عَنْ عِلَاقَةٍ لَا يُدْرِكُ كُنْهَهَا أَوْ مَدَاهَا ,
بَلُوحَةٍ بَدِيعَةٍ وَ بَيِّنَةٍ مِنْ قَصِيدَةٍ غِنَائِيَّةٍ نَظَمَهَا السَّبَاعِيُّ
وَ لَحَنَهَا السُّنْبَاطِيُّ لَكُوكَبِ الشَّرْقِ أُمِّ كَلْثُومِ (أَرْوَحَ لَمِينِ) ,
عَادَتْ الْمُعَلِّمَةُ وَجَمَعَتْ أَوْرَاقَهَا , لِتَجِدَ الصَّبِيَّ سَعِيداً بِاسْمِ السِّينِ دُونَ سَبَبِ مَفْهُومِ ,

وَلَعَلَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّ الدُّنْيَا بِهَا أَسْرَارٌ وَتَجَارِبٌ وَأَشْيَاءٌ ,
أَفْضَلُ مِنَ الشُّوْكُولَاتَةِ وَكُرَةِ الْقَدَمِ وَأَفْلامِ الْكَارْتُونِ وَحَسَنَاتِ هُولِيوُودِ !

[272]

عُقْدَةُ الْخَوَاجَةِ

فرانشايز

" .. و مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً , مَا كُنَّا نَعْرِفُ حَاجَةَ اسْمِهَا كِنْتَاكِي أَوْ مَا كُدُونَالْدَز أَوْ هَارْدِييز , كَانَ وَيَمْبِي هُوَ فَاثْنَا زِي لَانْد , بِالنَّسْبَةِ لِحَيْلِنَا مِنْ مَوَالِيدِ السَّبْعِينِيَّاتِ .. "

و لَمَّا دَخَلْتُ الْمَطْعَمَ - و أَنَا ابْنُ اثْنَاثَرِ سَنَةٍ - , بَهَرْنِي الدِّكُورُ الْمُؤَدِّرُ

وَالْمَزِيكَ الْهَادِيهِ و الْفِيو الْمُبْهَجُ عَلَى الشَّوَارِعِ الْكَبِيرَةِ ...

و دَى طَبْعًا تَفَاصِيلُ تَخْتَلِفُ كَثِيرٌ عَنِ فِكْرَتِي و خِبْرَتِي عَنِ الْمَطَاعِمِ الشَّرْقِيَّةِ ,
أَيًّا كَانَتْ كِبَابٌ & كُفْنُهُ أَوْ فُولٌ & طَعْمِيَّةٌ أَوْ كُشْرَى ...

حَتَّى لَمَّا وَصَلَ الْأَكْلَ - شِيكِنَ فِيلِيهِ و فِرَايزَ و بِييْسِي - انْبَسَطَتْ قَوَى ,

و أَكَلْتُ بِشَهِيَّةٍ , مَعَ إِنِّي بَعْدَ شَوْيِهِ , اكْتَشَفْتُ إِنَّهُ مَا يَفْرَقُشُ كَثِيرٌ ,

عَنِ الْفِرَاحِ الْبَلَدِيِّ الْمَحْمَرِّهِ و الْمَشْمَرِّهِ و الْبَطَاطِيسِ الْمَقْلِيَةِ بِتَاعِ كُلِّ يَوْمٍ ,

دَى حَتَّى حَاجَةَ الْبَيْتِ أَلَدَّ و أَبْرَكَ ,

بِسْ هِيَ كِدَا عُقْدَةُ الْخَوَاجَةِ , و الشَّيْخُ الْعَرِيبُ , سِرَّهُ بَاتِع !

جينز

و فى الزَّمانِ الأوَّلِ , كانَّ لى مِن دَوَى قُرْبائى , كَبيراً ,
 كُنْتُ أَعُدُّهُ خَلِيلاً وَ رَائِداً , أَلْزَمَهُ فى الصَّبَّاحِ والعَشِيِّ , وَ أَصاحِبَهُ فى الحِلِّ
 والتَّرحالِ , نُصَحُّهُ - فى عَقِيدَتى - وَاجِبُ مَفْرُوضٍ , وَ نَهْيُهُ حَرَامٌ مَّنْقُوضٌ ,
 كانَّ - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ - يُوجِّهُنِى وَ يُرَاجِعُنِى فى الصَّغِيرَةِ قَبْلَ الكَبِيرَةِ , السُّلُوكِ
 وَ الزِّى , الخُلُطَاءِ وَ النَّدَماءِ , ماذا أَقْرَأُ , وَمَنْ أَسْمَعُ وَ مَتَى أَلْعَبُ ...
 وَكانَّ - إجمالاً - يَرُدُّ - مِن جَلالى - فَضَّلَ أبى عَلَيْهِ , وَيَعُدُّنِى ابْنَهُ الَّذِى لَمْ يُنْجِبْهُ,
 وَ عِنْدَما شَبَبْتُ عَنِ الطَّوْقِ , زُرُّتُهُ يَوْماً بِمَكْتَبِهِ بَوسَطِ العاصِمَةِ ,
 وَ بَعْدَما شَرَّفْنَا فى الحَدِيثِ وَ غَرَّبْنَا , اسْتَأْذَنْتُ فى الانْصِرَافِ قَائِلاً :
 بِمُناسَبَةِ العامِ الجامِعِىِّ الجَدِيدِ , سَأَذْهَبُ لِشِراءِ بَعْضِ المَلابِسِ , فى طَرِيقِى إِلَيْكَ
 لَفَتْتُ نَظْرى سِتْرَةً زَرْقَاءَ (جاكِيت جينز) , أَظُنُّها سَتَكُونُ لائِقَةً وَ عَمَلِيَّةً ,
 فَامْتَعَضَ وَ تَأَفَّفَ قَائِلاً :

(الجينز) لا يَصْلُحُ إِلَّا لِلسَّامِيسَةِ وَ رُعاةِ البَقَرِ ,

إِذا كُنْتُ تَتَوَيَّ أَنْ تَدْرُجَ فى سِلْكِ القَضاءِ , فَاحْرِصْ عَلى أَنْ تَظْهَرَ بِسَمَتِ القُضاةِ !
 غادَرْتُهُ وَكَلِماتُهُ السَّاخِرَةُ , تُصَلِّصُ فى مَسامِعِى , وَ زَهَدْتُ سِتْرَةَ (الجينز)
 فَانْتَقَيْتُ سِواها , وَظَلَّتْ تِلْكَ السِتْرَةُ فى خِىالى , فَاكِهُةٌ مُحَرَّمَةٌ سَنِيناً عَدَداً , لا
 أَنساها وَ لا أَشْتَرِيها !
 فى يَوْمِ مِيلادِى, مُنْذُ بَضْعَةِ أَعوامَ , كُنْتُ بِصُخْبَةٍ بَنائى فى أَحَدِ مَتاجِرِ المَلابِسِ ,
 فَلَاحَظَنَ نَظْرَاتِى الشَّارِدَةَ (لِسِتْرَةِ جينز) مُعَلَّقَةً , مَعَ عِلْمُهُنَّ بِخَلْوِ صِوانِ مَلابِسى
 مِنْ مِثْلِها , فَتَأَمَّرَنَ - خِلْسَةً - وَتَشَارَكُنَ فى دَفْعِ ثَمَنِها , وَ قَدَّموا لى هَدِيَّةً جَماعِيَّةً ,

و عِنْدَمَا جَرَّبْتُهَا , صَاحُوا إِعْجَاباً وَهَلَّلُوا غِبْطَةً ,
و عِنْدَهَا اغْرُورَقْتُ عَيْنَايَ بِالْذَّمْعِ ,
و قُلْتُ مُبْتَسِماً : كَانَ عَلَى أَنْ أَنْتَظِرَ بَضْعَةً وَعِشْرِينَ عَاماً , لَكِي أَفْتَنِيَ هَذِهِ السُّتْرَةَ ,
يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا رَائِدِي , هَذِهِ سُنَّةُ الْحَيَاةِ ,
سَلَفٌ يُرَوِّضُ النَّزَعَاتِ , وَ خَلْفٌ يُلَبِّي الصَّبَوَاتِ !

شَبَحُ قَصْرِ الْعَيْنَى

عَرَضْتُ لى حَاجَةً بِمَنْطِقَةِ مَنِيلِ الرُّوضَةِ ,

فَذَهَبْتُ بِسَيَّارَتِي وَ بِصُحْبَتِي صَغِيرَتِي جَنَى ,

و فى طريقِ العُودَةِ , مَرَرْنَا عَلَى قَصْرِ الْعَيْنَى الْقَدِيمِ , فَسَأَلْتَنِي جَنَى عَنْ ذَلِكَ الْمَبْنَى بِالِغِ الْعِرَاقَةِ شَدِيدِ الْأَزْدِحَامِ , فَأَجَبَتْهَا أَنَّهُ قَصْرُ أَحَدِ الْمَمَالِكِ دَوَى الْأُصُولِ التُّرْكِيَّةِ الْمُنْسُوبِ إِلَى مَدِينَةِ (عَيْنَتَاب) , وَ مِنْهَا إِشْتَقَّ الْاسْمُ (الْعَيْنَى) , وَ قَدْ أُنْشِئَ الْقَصْرُ فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ عَشَرَ إِلَّا أَنَّ تَخْصِيصَهُ كَمَشْفَى تَمَّ فِي عَصْرِ مُحَمَّدٍ عَلَى بَاشَا عَامَ 1827 ,

وَ عِنْدَمَا أُنْشِئَتْ الْجَامِعَةُ الْمَصْرِيَّةُ فِي مَطْلَعِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ (1908) , تَمَّ تَخْصِيصُهُ كَمُسْتَشْفَى تَعْلِيمِي لِكُلِّيَّةِ الطِّبِّ , وَ نَبَهْتُ جَنَى لِمُلاحَظَتَيْنِ فِي شَأْنِ الْاسْمِ:

إِنَّهُ (قَصْر) الْعَيْنَى وَ لَيْسَ الْقَصْرُ الْعَيْنَى , وَ أَنَّ وَصْفَهُ بِالْقَدِيمِ تَمَيِيزاً لَهُ عَنْ قَصْرِ الْعَيْنَى الْجَدِيدِ (الْفَرَنْسَاوَى) شَرْقِ مَجْرَى النَّيْلِ ,

هَلْ سَبَقَ وَ أَنَّ دَخَلْتَ الْمَبْنَى يَا أَبِي ؟ سَأَلْتُ جَنَى ,

تَرَدَّدْتُ عَلَى الْقَصْرِ مِرَاراً , لِعِيَادَةِ مَرْضَى مِنَ الْأَهْلِ وَ الْمَعَارِفِ , لَكِنْ تَبَقَّى الزَّيَارَةُ الْأُولَى هِيَ الْأَهَمُّ وَ لَهَا قِصَّةٌ تُرَوَّى , إِذْ كَانَتْ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ عَاماً وَ بَدَأْتُ كَزِيَارَةٍ ثُمَّ تَحَوَّلَتْ لِإِقَامَةٍ مُسْتَقَرَّةٍ لَشَهْرٍ كَامِلٍ , رَأَيْتُ وَ تَعَلَّمْتُ فِيهَا الْكَثِيرَ , كُنْتُ مُرَافِقاً لِعَمَى الْأَوْسَطِ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - الَّذِي تَمَّ حَجْرُهُ بِالْمُسْتَشْفَى , لِإِعْلَاجِهِ مِنْ دَاءِ الْبَطْنِ , وَ قَدْ فُوجِئْتُ بِضَخَامَةِ الْمَبْنَى وَ تَعْقِيدِهِ ,

وَتَعَدَّدَ الْمَدَاخِلُ وَالْمَخَارِجُ وَالْمَمَرَاتُ

و الأجنحة والحدائق , كأنه (بيت جحا) , فضلاً عن كثرة عدد المترددين عليه
من أبناء العاصمة و كافة محافظات الجمهورية ,
بين مريضى ومُرافقين وزوّار وأطباء ومُمرضين
و موظفين و رجال أمن

مُجتمع مُتكامل , غنىّ بالنماذج المُختلفة التي كانَ فُهمُها و التعاملُ معها مُشكلةً
عويصةً لمن كانَ مثلى دونَ العشرينَ من العُمُر ,
رُفَى المنشأ مع ضالةِ الخبرةِ و قلةِ الحيلةِ ,

رويداً رويداً , بدأتُ أحفظُ خَريطةَ المكانِ وأكونُ صداقاتٍ و تتراكمُ لدى الآراءِ
بشأنِ مَنْ أتعاملُ معهم , مع التذكيرةِ بأنّه في ذلك الزّمنِ البعيد (1992) , لم تكن
هناك سِعةٌ من المالِ

أو الاتّصالات و لكلٍ مِنْهُما فعلُ السّحرِ في تيسيرِ الأمورِ والتّخلّصِ مِنَ المآزقِ ,
شهرٌ كاملٌ مِنَ الهلالِ إلى الهلالِ , ثرىّ بالمعرفةِ والخبراتِ و الأشجانِ و
المسراتِ و الطرائفِ , شهرٌ كأنّه دهرٌ , سأكتفى بِقِصّةٍ واحدةٍ مِنْهُ تَحْتَطُّ فيها
الملهأُ بالمأساة !

كانَ الوَقْتُ صيفاً و الحرُّ شديداً و النّومُ عسيراً , من جرّاءِ زحامِ العنبرِ و تأوهاتِ
المريضى , و اذْ لمحتُ مِنَ الشُّرفةِ , شُرْفَةً مُقابِلَةً بِحُريّةِ الوجهةِ وباديةِ الهدوءِ ,
فيممتُ وجهى شَطْرَها

و لم أتردّد فى استِعمالِ إحدى (النّقلاتِ المَعْدِنِيّةِ) كسريِرِ , بَسَطْتُ عليه ظَهْرى ,
و ليسَ سوى دقائقَ حتّى انْحَرَطْتُ فى نَوْمٍ مُسْتَعْرِقٍ ,

قُبيلَ الفَجْرِ , أيقظني نداءُ الطّبيعةِ , و ما إنْ رَفَعْتُ رَأْسِي , حتّى أَحسَسْتُ - رَغَمَ
الظّلامِ الدّامِسِ - بهَرَجٍ و مَرَجٍ فى الشُّرفةِ المُقابِلَةِ , لَزِمْتُ الهدوءَ اتقاءً لِمَشاكِلِ

مُوظَّفِي الأَمْنِ وَ التَّمْرِيزِ , وَ كُلَّمَا هَمَمْتُ بِالْقِيَامِ , تَجَدَّدْتُ الْبَلْبَلَةَ فِي الشُّرْفَةِ
الْمُقَابِلَةِ , وَ إِذْ صَرَخْتُ مِثْلَ مِثْلِي , لَمْ أَجِدْ بُدَّ مِنَ الْقِيَامِ , فَفُوجِئْتُ بِمَنْ يَصْرُخُونَ
قِبَالَتِي : عَفْرِيثٌ .. عَفْرِيثٌ , أَفْزَعَنِي الصُّرَاخُ , فَجَرِيثٌ مَدْعُوراً حَتَّى ابْتَلَعْتَنِي
سَرَادِيْبُ الْمَبْنَى ,

صَبِيحَةَ الْيَوْمِ التَّالِي , عُذْتُ لِلْعَنْبَرِ , فَوَجَدْتُهُمْ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ (عَفْرِيثِ الْفَجْرِ)
الَّذِي انْطَلَقَ مِنْ شُرْفَةِ مَبْنَى (الْمَشْرَحَةِ) ,
وَضَلَّ يَدُورُ بِالْمَمَرَاتِ وَلَمْ يُعْثَرْ لَهُ عَلَى أَثَرٍ !

فَتَعَوَّذْتُ وَ بَسَمَلْتُ , وَ حَمَدْتُ اللَّهَ فِي سِرِّي , عَلَى أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَفْتَقِدْنِي
وَ حَدَّثْتُ نَفْسِي وَ أَنَا أَخَاطِبُهُمْ :
أَهْ لَوْ تَعْلَمُونَ كَمْ كَانَ الْعَفْرِيثُ مَدْعُوراً مِنْكُمْ !

يا ابو الشريط الاحمر ياللى , أسرتنى , ارحم ذلى

"... علمنا أم جهلنا , شئنا أم أبينا , كرهنا العسكر موت , أو مُتْنَا في دباديبهم , لازم نَعْتَرِف إن الزى العسكرى ليه هيئه و جاذبيه , لا تُنْكَر ... "

و إن أنسى لا أنسى , عَشِيَّة يَوْمِ حَرِيفَى فى مُنْتَصَف التِسْعِينِيَّات , ,
أول أجازة لى من الأكاديمية الحربية , و أنا أطوى الطريق ,
من المحطة إلى المنزل ,

القائمة مشدودة والخُطوة مُنْتَظِمَةٌ ,
و بدلة التشريفة كُحْلِيَّةُ بسروالها ذي الشريط الأحمر تَلَفَتْ الأَعْنَاق ,
الكاب على الرأس الحليقة , و عصا الأبنوس ترفع إحساسك بِرُتَبَتِكَ
مِنْ (مُلَازِم أَوَّل) إلى (لواء أركان حرب) !

الأعين فى الشَّبابِيك و الشُّرُفَاتِ تُحْمَلُ فُضُولاً و تَنْبَتَا ,
المارة فى الشَّوَارِعِ , بين مُنْتَحِينَ جانِباً للتوسعة ,
و مَعَارِف يَشْدُون على يدى , ويربُتُون على كَتْفى , و يُنادُونى ب (الكابتن) ,
شَيْئٌ ما تَغَيَّرَ فى نَظَرَتِهِمْ إلى الفَتى الحَجُولِ , مُطَرِّق النَّظَرِ أَرْضاً فيما سلف ,
حتى أشاع البعضُ – نَفْكَهًا – أنه يبحث عن عملة سَقَطَتْ مِنْهُ !
و الأدهى , أن نَظَرَتِهِ إلى ذاتِهِ تَبَدَّلَتْ , بَعْدَ إِرْتِدَائِهِ الحُلَّةِ العَسْكَرِيَّةِ ,

يَبْقَى الْعَجْبُ الْعُجَابُ ، أَنَّهُ بَعْدَ خَمْسَةِ وَ عِشْرِينَ عَاماً ، عَلَى هَذِهِ الْوَاقِعَةِ - الَّتِي
طَوَّاهَا النَّسِيَانُ - بَعْدَ اسْتِقَالَتِهِ مِنَ السِّلَاحِ الْعُسْكَرِيِّ ، أَنَّ الْعَدِيدِينَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَتِهِ ،
يُصِرُّونَ عَلَى مُنَادَاتِهِ بِالْكَابِتِنِ
وَقَصْدِهِ لِلْفَتْوَى وَالِاسْتِشَارَةِ وَالتَّزْكِيَّةِ فِي شُئُونِ الْقَضَاءِ الْعُسْكَرِيِّ !

شُغلتك ع المدفع برورروم

الحياة العسكرية تتسم بالحديّة و الإنضباط و العمل الجماعيّ و الجَلَد ,
و كُلُّ مَنْ التَحَقَّ بالكُلِّيَّات و المعاهد العسكرية ,
عانى مِنْ صُعُوباتِ التَّأقُّلِ و صَدْمَةِ التَّحَوُّلِ ,
من المَلَكِي (الحياة المَدَنِيَّة) إلى الميرى (حَيَاةِ المُعَسَّكَر) ,
و مِنْ رَجَمِ تِلْكَ المُعَانَاةِ / المأساة , تَتَفَجَّرُ الفُكَاهَةُ و المُلْهَاءُ ,
فكيف لَخْرِيجِ جامعي ابنِ بَضْعٍ و عِشْرِينَ ,
أَنْ يَرْتَبِكَ فِي التَّمْيِيزِ , بَيْنَ يُسْرَاهُ و يُمْنَاهُ !
أَوْ يَحْتَارُ دَلِيلُهُ فِي نَقْلِ مَدْفَعٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى كَنَفِهِ أَوْ الْعَكْسِ !
و مِنْ طَرِيفٍ مَا يُحْكِي ,

أَنَّ الضُّبَاطَ و مُعَلِّمِي الصَّفِّ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً , فِي الْأَكَادِيمِيَّةِ الْحَرْبِيَّةِ
كَانُوا بِيَعْلَمُونَا فَلَكِ الْأَسْلِحَةُ وَتَرْكِيبُهَا ,

و أَنَا كُنْتُ بَطْلُ الْعَالَمِ فِي الْفُكِّ ,
أَمَّا التَّرْكِيبُ بَقِيَ , فَ حَوْسُهُ وَ زَيْطُهُ وَ زَمْبَلَيْطُهُ ,

يَعْنِي مُمْكِنَ أَفْكَ دَبَابَةِ , وَ لَمَّا آجَى أُعِيدَ تَرْكِيبُهَا
تَطْلَعُ عَلَى طَبْنَجِهِ , إِزَايَ مَا اعْرِفُش !

حَدُّوتِهِ وَ مَوَالٍ مِنْ دَفْتَرِ الْأَحْوَالِ

في دَيْسَمْبَرِ مِنْ عام 1997, كُنْتُ ضابطاً بإحدى كَتَائِبِ الْجَيْشِ الثَّانِي ,
بِالْقَنْطَرَةِ غَرْبِ بِمُحَافَظَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ , وَ صَدَرَتْ الْأَوَامِرُ لَنَا بِمُغَادَرَةِ الْمَقَرِّ وَ إِقَامَةِ
مُعَسَّكِرِنَا مُوقَّتاً بِجَوَارِ النَّصَبِ التِّذْكَارِيِّ شَرْقِ قَنَاةِ السَّيُوسِ لِتَأْمِينِ الْمَمَرِ الْمِلَاحِيِّ,
و للتَّدرِيبِ عَلَى احتِفَالَاتِ الْعِيدِ الْقَوْمِيِّ لِمُحَافَظَةِ بَورْسَعِيدِ , عَقَبَ جَلَاءِ آخِرِ
جُنْدِيٍّ مِنْ جُنُودِ دَوْلِ الْعُدْوَانِ الثَّلَاثِيِّ (بَرِيطَانِيَا & فَرَنْسَا & إِسْرَائِيلِ) عَنْ
الْمَدِينَةِ الْبَاسِلَةِ فِي 1956/12/23

و عَلَى مَدَارِ أَسابِيعَ , خَيَّمْنَا عَلَى رِمَالِ سَيْنَاءِ فِي مُوَاجَهَةِ بَرْدِ الصَّحَرَاءِ وَ الْقَنَاةِ
و دَيْسَمْبَرِ , وَوَسَطَ تَفَاصِيلَ عَدِيدَةٍ , خُفِرَتْ فِي ذَاكِرَتِي ثَلَاثُ خِبَرَاتٍ :
حَيَاةَ الرِّبَاطِ وَ الْكَفَافِ وَ الْحُشُونَةِ فِي الْمَأْكَلِ وَ الْمَشْرَبِ وَ الْمَنَامِ ,
و نَجَاتِي مِنْ لَدُغِ عَقَرَبٍ تَسَلَّلَ عَلَى مَنَامَتِي فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَ لَمْ يُنْقِذْنِي مِنْهُ - بَعْدَ
سِتْرِ السَّتَارِ - إِلَّا أَرْقَى الْمُزْمِنَ , وَ قَرَأَتِي اللَّيْلِيَّةَ الْمُمتَدَّةَ , أَيَّ كَانَتْ الظُّرُوفُ ,
(لَيْلَتَهَا كُنْتُ أَجْتَرُّ رُبَاعِيَّاتِ صَلَاحِ جَاهِينَ) ,

أَمَّا ثَالِثَةُ الْأَثَافِي , فَكَانَتْ يَوْمَ اضْطِرَّارَتِي إِلَى غُسْلِ صَبَاحِي بِالْمَاءِ الْبَارِدِ ,
فِي حَمَامٍ مِيدَانِيٍّ خَشَبِيٍّ , مَكْشُوفِ السِّفْلِ وَ السَّقْفِ ,
وَ مَا إِنَّ غَمَرْتَنِي الْمِيَاءُ , حَتَّى صَعَقْتَنِي رَجْفَةٌ خَلَعَتْ قَلْبِي ,
وَ أَصَابْتَنِي بِنَزْلَةٍ بَرْدٍ نَفْسِيَّةٍ لَا زَمَتْنِي سِنِينَ عَدَدًا ...

مَخَالِي شِل

و مُنْذُ ثَلَاثِينَ عَامًا , فِي بَدَايَةِ انْخِرَاطِي فِي سِلْكِ الْعَسْكَرِيَّةِ , لَاقَيْتُ صُعُوبَاتٍ جَمَّةً

وَوَاجِهْتُ مَوَاقِفَ عَسِيرَةً , تَخْتَلَطُ فِيهَا الْمَأْسَاءُ بِالْمُلْهَاءِ !

وَلَمَّا كُنْتُ أَحْمِلُ بَيْنَ جَنْبِي , نَفْسًا يَتَنَازَعُهَا مِثْلُ فِطْرِي لِلنِّظَامِ وَالْإِلْتِزَامِ
مِنْ جَانِبٍ , بَيْنَمَا عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ , ثُمَّ نِزْوَعُ غَرِيزِي لِلْحُرِّيَّةِ وَالسُّحْرِيَّةِ ,

فَقَدْ كُنْتُ أَحَاوِلُ - قَدْرَ الطَّاقَةِ - النُّهُوضَ بِوَاجِبَاتِي , عَلَى النَّحْوِ الْأَكْمَلِ , إِلَّا أَنَّ
ذَلِكَ كَانَ يَتَعَذَّرُ , حِينَ أَجِدُ نَفْسِي فِي مَوَاجِهَةِ إِشْكَالِيَّةٍ يَصْعُبُ فَهْمُهَا أَوْ قَبُولُهَا !
أَشْيَاءٌ مِنْ عَيْنَةٍ : (الطَّاعَةُ الْعَمِيَاءُ) & (الْأَقْدَمِيَّةُ الْمُقَدَّسَةُ) & (الْخَطَأُ مَعَ الْجَمَاعَةِ
خَيْرٌ , مِنْ الصَّوَابِ عَلَى أَنْفَرَادٍ) & (السَّيِّئَةُ نَعْمٌ , وَ الْحَسَنَةُ تَخْصُ) & (نَقْذُ ثُمَّ
تَظْلَمُ) & (الرُّوتِينَ مَكْرُومَةٌ , وَ الْإِبْدَاعُ مَثْلَمَةٌ) & (كُلُّهُ تَمَامٌ)

وَ إِنْ أَنْسَى لَا أَنْسَى , يَوْمًا كُنْتُ فِيهِ , فِي بَدَايَةِ خِدْمَتِي بِالتَّشْكِيلَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ ,
بِإِحْدَى وَحَدَاتِ الْمُشَاةِ فِي الْقَنْطَرَةِ غَرْبُ / الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ , سَلَّمْتُ نَفْسِي ضَاطِبًا
مُتَخَرِّجًا مِنَ الْأَكَادِمِيَّةِ مُنْذُ أَسَابِيعَ لَا تَزِيدُ , مَعَارِفِي الْقَانُونِيَّةَ لَا تُسْعِفُنِي فِي
الْإِنْدِمَاجِ بِوَحْدَةٍ مُقَاتِلَةٍ تَسْتَعْدُّ ل (تَفْتِيشِ حَرْبٍ) ,

الْجَمِيعُ يَنْشَطُ عَلَى قَدَمٍ وَسَاقٍ , فِي صَفِّ الْأَسْلِحَةِ وَالْمُهَمَّاتِ وَ التَّدْرِيبِ عَلَى
الْإِجْرَاءَاتِ وَ التَّحْرُكَاتِ , وَ أَنَا وَحِيدٌ كَبْطَةِ سَوْدَاءٍ فِي سِرْبٍ أَيْبُضٍ , لَمْ يُكَلِّفْنِي
الْقَائِدُ بَشِيئًا , فَقَدْ وَصَلْتُ فِي تَوْقِيتٍ مُتَأَخِّرٍ , وَ لَيْسَ لَدَيَّ أَوْامِرٌ أَوْ نَوَاهٍ , لَزِمْتُ
اسْتِرَاحَتِي لَا أَخْرُجُ مِنْهَا

إِلَّا لِلْمَسْجِدِ أَوْ الْمَطْعَمِ , مَعِيَ زَادِي مِنَ الْكُتُبِ وَ تَسْجِيلَاتِ الْمَوْسِيقَى ,

صَبِيحَةً يَوْمٍ مُشْمِسٍ , وَ سُنُوسَ لِي شَيْطَانِي , أَنْ أَتَرِيضَ وَ أَنْعَمَ بِالْقِرَاءَةِ وَ الْمَوْسِيقَى
فِي الْهَوَاءِ الطَّلَقِ , وَ مَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ مَعْدُودَةٌ , حَتَّى فُوجِئْتُ بِالْقَائِدِ يَجْرِي فِي
أَنْجَاهِي , وَهُوَ يَصْرُخُ بِكُلِّ السَّخَائِمِ وَاللَّعْنَاتِ , الَّتِي لَمْ أَفْهَمْ مِنْهَا شَيْئًا لَكِنْ إشاراتٍ
يَدِيهِ كَانَتْ وَاضِحَةً , تَنْطِقُ بِوُجُوبِ اخْتِفَائِي مِنَ السَّاحَةِ وَإِنْ أَمَكَّنَ مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ
كُلِّهَا ! فَأَسْرَعْتُ بِلَمْلَمَةٍ مُتَعَلِّقَاتِي , وَالْعُودَةَ لِلِاسْتِرَاحَةِ فِي غَمُضَةٍ عَيْنٍ , لِأَجْفَاءٍ
تَبَيَّنَتْ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ مَكْمَنِي فِي الْمَكَانِ وَ التَّوْقِيتِ الْخَطَأِ , إِذْ كَانَتْ لَجْنَةُ التَّفْتِيشِ

تَمَرُّ , والقادةُ يُراجِعون الاستعداداتِ وقائدُ الكَتِيبَةِ يَصْرُخُ لمُعاونيه : الضابطُ
الجَدِيدُ سَوْفَ يُفْسِدُ كُلَّ شَيْءٍ , وَرُبَّمَا يُودى بِالجَمِيعِ إلى المُحاكَمَةِ العَسْكَرِيَّةِ !!

إجری یا محمد أفندی

كُنَّا خَمْسَةُ مُسْتَشَارِينَ , حَدِيثُ سِنٍ وَ خُبْرَةٌ , تَجْمَعُنَا الصَّدَاقَةُ مُنْذُ أَيَّامِ الْجَامِعَةِ , وَنَتَشَارَكُ الْاهْتِمَامَ بِالشَّأْنِ الثَّقَافِيِّ بِمَجَالَاتِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ , تَمَّ تَكْلِيفُنَا بِمَهْمَةِ الْإِشْرَافِ عَلَى الْإِنْتِخَابَاتِ الْبَرْلَمَانِيَّةِ لِمَجْلِسِ الشَّعْبِ فِي أَكْتُوبَرِ 2000 , وَجَرَى تَوْزِيعُنَا عَلَى مَدِينَةِ أَخْمِيمِ بِمُحَافَظَةِ سُوهَاكِ , تَجْرِبَةٌ (قَاضٍ عَلَى كُلِّ صَنْدُوقِ إِنْتِخَابَاتٍ) جَدِيدَةٌ عَلَى الْجَمِيعِ قُضَاةٍ وَ نَاحِبِينَ , الْكُلُّ مُسْتَبْشِرٌ بِالنَّظَرِ الدِّيمُقْرَاطِيِّ , وَ جَمَالُ طَبِيعَةِ سُوهَاكِ وَ طَبِيعَةُ نَاسِهَا شَرَحَ الصُّدُورَ وَ أَلْفَ الْقُلُوبَ ,

أَتَمَمْنَا الْجَوْلَةَ الْأُولَى عَلَى خَيْرٍ , وَ لَشِرَاسَةِ الْمُنَافَسَةِ بَيْنَ الْأَحْزَابِ وَالْجَمَاعَاتِ وَ الْعَصَبِيَّاتِ وَ الْعَائِلَاتِ , تَطَلَّبَ الْأَمْرُ إِجْرَاءَ (جَوْلَةٍ إِعَادَةٍ) لِتَحْدِيدِ الْفَائِزِينَ بِكُلِّ دَائِرَةِ إِنْتِخَابِيَّةٍ , وَ إِذْ حُدِدَتْ جَوْلَةُ الْإِعَادَةِ بِفَاصِلِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ , فَقَدْ فَضَّلَ مُعْظَمُ الْمُسْتَشَارِينَ - وَخَاصَّةً الْعُرَابُ مِنْهُمْ - الْبَقَاءَ فِي سُوهَاكِ حِفَاضًا عَلَى الْوَقْتِ وَالْجُهْدِ اتَّفَقَتْ مَجْمُوعَتُنَا عَلَى اكْتِشَافِ الْمُحَافَظَةِ الْجَمِيلَةِ وَ زِيَارَةِ مَعَالِمِهَا الثَّقَافِيَّةِ , وَ بَدَأْنَا بِتِمَثَالٍ وَمَعْبَدٍ (مِيرِيثِ آمُونِ) فِي مَدِينَةِ أَخْمِيمِ وَ الَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا الْعَامَّةُ مُسَمًى (الْعَرُوسَةِ) , وَ بَعْدَهَا إِتْجَهْنَا جَنُوبًا لِمَدِينَةِ الْبَلْتِينَا (آخِرُ مَدَنِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى حُدُودِ مُحَافَظَةِ قِنَا) ,

وَ هُنَاكَ زُرْنَا مَعْبِدَيْنِ مَهُولَيْنِ حَجْمًا وَ قِنًا , يُطْلَقُ عَلَيْهِمَا (عَرَابَةُ أَبِيدُوسِ) , كُلُّ شَيْءٍ كَانَ يَمْضَى بِسِلَاسَةٍ وَيُسْرٍ , وَ تَلَقَّانَا الْقَائِمُونَ عَلَى الْمَزَارَاتِ الْأَثَرِيَّةِ بِكُلِّ حَفَاوَةٍ , حَتَّى أَنَّهُمْ سَمَحُوا لَنَا بِالتَّجَوُّلِ دُونَ مُرَافَقَةِ مُرْشِدِينَ أَوْ حُرَّاسٍ , وَفَتَحُوا لَنَا أَمَاكِنَ مُغْلَقَةً مُنْذُ فَنَرَاتٍ طَوِيلَةٍ أَوْ حَتَّى مَوَاقِعَ بِهَا أَعْمَالُ حَفَرٍ وَ تَنْقِيبٍ ,

مَضَى بِنَا نَهْمُ الْاِكْتِشَافِ وَالْفُضُولِ حَتَّى آخَرَ الشَّوْطِ , وَ تَفَرَّقَتْ بِنَا السُّبُلُ دَاخِلَ الْمَعْبَدِ الْمُهِيبِ , حَتَّى أَحْمَرَتْ شَمْسُ الْعُرُوبِ , وَ إِذْ تُفْضَى بِنَا قَاعَةٌ إِلَى أُخْرَى , وَ يُسَلَّمُنَا بَهْوٌ إِلَى مَمَرٍ , انْفَرَدْتُ مَعَ أَحَدِ الْأَصْدِقَاءِ وَ احْتَجَبَ عَنَّا مَرَأَى سَائِرِ الرِّفَاقِ , وَ انْقَطَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ وَ ارْتَجَّ عَلَيْنَا الْأَمْرُ , حَتَّى صَعَبَ عَلَيْنَا الْمُضَى قُدَمَا أَوْ عَوْدَةَ الْأَذْرَاجِ ,

و مع تقدّم الوقتِ و غَبْشَةِ الظَّلامِ , دفعنا باباً نستكشفُ الطريقَ , فإذا بوقع أقدامُ و
همهمةُ أصواتٍ و خيالاتِ أشباحٍ وصرخاتٍ حادةٍ مُتَقَطِّعةٍ , رجَّحنا أنَّها لسرْب
خفافيشٍ , و ما كانَ مِنَّا إلَّا أنْ أَطْلَقْنَا سِفَانَنَا للرياحِ على غيرِ هُدى , و صديقي
خَفِيفُ الظِّلِّ في سَكْرَةٍ مِنَ الرُّعبِ
و الفُكاهةِ يَصْرُخُ بِإِيفِيهِ فِيلمِ (الأرض) المَشْهُورِ
إِجْرى يا مُحَمَّدُ أَفْندى .. إِجْرى يا مُحَمَّدُ أَفْندى !

الورد جميل , جميل الورد

في شتاء 2001 كنت خاطب جديد ,
و عندي ميعاد مع عروستي الاسكندرانيه ووالديها
عشان يتفرجوا على شقة الزوجيه و يعاينوها , و اسمع طلباتها و ملاحظاتها ,
مسافر مع صديق تطوع بمرافقتنا بسيارته من بنى سويف ,
عشان نقابل العروسه ف محطه مصر برميس ,
و نطلع على الشقة الجديده ف 6 أكتوبر
وصلنا رميس بدرى , صاحبي سابنى و راح يزكن السيّاره ,
حرصت انى اشترى بوكيه ورد للعروسه ,
و بس يا معلم , أنفراج بقى على صدمة العمر و كوميديا السنين !
صاحبي الأنتيخ لما رجع و شافني حاضن بوكيه الورد ,
ازبهل و انفشخت أساريه ,
و قلبت معاه بكريزة ضحك , تماسكت , و خدت الموضوع ببساطة
و طلعت أسأل على رصيف قطر اسكندريه ,
كل ما أسأل حد و انا شايل بوكيه الورد , بيرق و يبخلق و يقضيها ضحك و
تفاريح , موظف الاستعلامات & ملاحظ الرصيف & عمال الفطورات & حتى
المسافرين و بتوع الأكشاك قلت يا واد طيش خالص ,
شويه ووصل قطر اسكندريه , قلت أخذ عروستي جرى ,
و اهرب من السيرك دا , و المحطه اللى قلبت عنبر العقلاء !
شفت العروسه نازله من القطر , شاورتلها , هي شافتنى شايل بوكيه الورد من هنا ,

وَشَّهَا أَحْمَرَ وَ انْفَجَرَتْ كِرْكِرْ كِرْكِرْ كِرْكِرْ , هِيَ وَأُمُّهَا وَ كُلُّ رُكَّابٍ قَطَرَ
اسْكَنْدَرِيَّةَ أَنَا شَفُّهُمْ بِيَقْهَقْهَوَا , اسْتَرْبَعَتْ عَ الْأَرْضِ ,
مِشْ عَارِفَ أَرْمَى بُوْكِيهِ الْوَرْدِ فِ الرَّبَالِ , وَ لَا أَرْمَى نَفْسِي تَحْتَ الْقَطْرِ !

سُلافة البهروز في النّائل كُروز

و في خريف 2001 , سافر العرسان جنوبا , في رحلة شهر العسل ,
 - ليه شهر على وجه التّحديد و مش يوم أو أسبوع أو سنه أو حتّى عُمر ؟
 رحله تَهريّه أو (نايل كُروز) بالتعبير الدّارج , نجّل بالخطر يوم و ليله , لمسافة
 سُبُعُمِيت كيلومتر , من الجيزه إلى الأقصر - طيبه مَدِينَة الشّمس و ال 100 باب
 - دَخَلْنَا البَلَد الفَجْر , و انبهرنا بالشّروق في مَعَابِدِ الأقصر و الكرنك و على
 كورنيش النّيل ,
 الجو هناك في الشّهور مِن نُوْفَمبر إلى مارس,حاجه لوز اللوز,المُهم تبعد عن
 الصّيف وتغنّيله
 كان في انتظارنا صديق صعيدى مِن أيّام الجامعه , مثال الشّهامه و الكرم ,
 بكلّ مودّه , كان الدّليل و المترجم في مَعَالِمِ الأقصر و مجاهلها ,
 وصلنا رُوْزيتنا (الفندق العايم) , و كُنّا المصريين الوحيديين وسط زُحمة أجانِب ,
 مُعْظَمُهُمْ فَوْقِ الأربعين و أغلبُهُم ألمان و رُوس و بولنديّين و سويسريّين ,
 و لَمَّا لقونا صِغار سِنٍّ و حَدِيثِي زَواج
 كانوا طُولِ الوَقْتِ ببيعاملونا بلُطْف , مُعامله يَخْتَلط فيها الاحتفال بالاشتغال !
 الجوّ خُرَافِيّ , و الأكل و الشّرب شَهْد و عَسَل و حَفَلَات المَزِيكا و الرّقص و الغُنا
 على (الصن ديك) سطح المَرَكَب, إشي خيال يا ناس, والمَرَكَب تُبْجِر الهويّنى
 لأعلى النّهر عكس التّيار و كُلّ ما نوصل لمحطّة رئيسيّة على الطّريق , مُدُن زِيّ
 إسنا & إدفو & كُوم أمبو
 نرُسى و ننزل البرّ , نزور المَعَالِم و المَعَابِدِ و الأسواق و نَشْتِرى التّذْكَارات ,

بلاد جَمِيلَه و مَزَارَات تَهْوِس , و فَنّ و ذَوْق فِى التَّعَامُلِ و الصَّنْعَه ,
يَخْلَى أَى حَد يَأْكُل و يَشْرَب و يَشْتَرِى و يَتَصَوَّر ,
بَعْد ثَلَات أَيَّام و لِيَالِى , وَصَلْنَا أَسْوَان , فَكَانَتْ مِسْكُ الْخِتَام ,
زَى الْأَقْصَر , صَدِيق عَزِيز كَانَ فِى انْتِظَارِنَا , أَكْرَم وَفَادَتْنَا و دَعَانَا عَلَى الْغَدَا فِى
بَيْتِه , عَشَان نَتَمَتَّع بِأَصْنَاف كَثِير , عَلَى رَاسِهَا (الْوَيْكََا) أَوْ الْبَامِيَه عَلَى الطَّرِيقَه
الْأَسْوَانِى , فِى أَسْوَان , زُرْنَا مَعَالِم كَثِيرَه ,
جَزِيرَة النَبَاتَات & جَزِيرَة الموز & قَبْر الْأَغَاخَان & السَّد الْعَالِى & مَحْمِيَه طَبِيعِيَه
فِى قَلْب مَجْرَى نَهْر النَّيْل بِالْجَنَادِلِ و الطَّيُور النَّادِرَه , قَرْيَة نُوْبِيَة اسْتَضَافُونَا و
فَرَّجُونَا عَلَى الشَّوَارِعِ و الْبُيُوتِ و الثَّرَاثِ النُّوبِى ,
اللى لِلْأَسَفِ انْدَثَر بَعْد تَهْجِيرُهُمْ عَشَان يَبْنُوا السَّد و تَرْحِيلُهُمْ عَنِ الْبِلَادِ و الْقُرَى
اللى غَرَقَتْ تَحْتَ بُحَيْرَة نَاصِر وَرَا السَّد الْعَالِى ,
و عَشَان تَزُور مَعْبَدَ ابُو سِمْبِل , مِحْتَاج تَسَافِر جَنُوب أَسْوَان 300 كم ,
بِسَّ صَدَقْنِى الْمَوْضِعِ يَسْتَاهِل , خُصُوصَاً فِى تَوْقِيتَاتِ تَعَامُدِ الشَّمْسِ عَلَى وَجْه
تِمْتَالِ الْمَلِكِ رَمْسِيَسِ اللى بِيَحْصَلُ مَرَّتَيْنِ فِى السَّنَةِ , يُوَافِقُوا عِيدَ مِيلَادِ الْمَلِكِ –
22 أَكْتُوبَر - و يَوْمَ تَنْصِيْبِهِ عَلَى الْعَرْشِ 22 فَبْرَايِر ,
حَاجَات كَثِيرَه جِدَا جَمِيلَه فِى أَسْوَان و لَكِن الْأَجْمَلُ بِالتَّأَكِيدِ هُمُ النَّاسُ
بِالطَّبِيَّه و الْبَشَاشَه و الْكَرَم ,
كُلَّ دَا كُوم , وَطَقْمُ الرُّوومِ سَيْرِفِيَسِ وَ الْهَآوَسِ كَيِبِينَجِ بَتَاعِ (رُوزِيَتَا) كُوم تَانِى ,
شَبَاب دَمُهُمْ خَفِيفٌ وَ خِيَالُهُمْ وَاسِعٌ , وَ بِيَعَاكُسُونَا عَشَانِ أَحْنَا عِرْسَانِ جُدَادِ ,
كُلَّ يَوْمٍ يَفَاجِئُونَا بِإِفْتِكَاسَاتِ , فِى تَرْتِيبِ الْفُوطِ وَ الْمَلَايَاتِ وَ الْبِيَاضَاتِ – الْمَحَارِمِ
وَ الشَّرَاشِفِ بِتَعْبِيرِ أَخَوَاتِنَا الشَّوَامِ – إِشَى قُلُوبٌ وَ سِيَهَامٌ وَ وَرُودٌ وَ حَيَوَانَاتٌ وَ
لُؤْجُوهَاتٌ

الْعَرِيسُ مِصْهَلِلُ , وَ مَقْضِيَّهَا ضُحْكَ وَ تَهْرِيْجُ ,

و العَرُوسه قَلَقانَه , و خايفه مِنَ السِّحْرِ و العُكُوسات !
و مَساخِيطُ بالنَّهارِ في المَعابِدِ , و عَفاريتُ بالَّيلِ في الفَنائِقِ ,
هَيَّ تقولُ لَه : كَشِكِشها ما تَعَرَّضُهاش ,
و هو يُردِّ : فُكِّك , و حَلَّيْها عَلَى الله

نغم الكمنجه

فيما جرى بيومي الأول ببلاد الفرنجه

طَرَأْتُ لِي حَاجَةً إِلَى مَرْجِعِ مُعَيَّنٍ ، وَأُنْشَاءَ بَحْثِي فِي مَكْتَبَتِي ،
وَقَعَ بِيَدِي كِتَابُ رِفَاعَةِ الطُّهَّطَاوِيِّ (تَخْلِيصُ الإِبْرِيْزِ فِي تَلْخِيصِ بَارِيْزِ) ،
فَأُوحِيَ لِي ذَلِكَ أَنَّ أَرْوَى طَرَفًا مِنْ رَحْلَتِي الْفَرَنْسِيَّةِ ، الْوَقْتُ صَيْفُ 2005 وَ
الطَّقْسُ لَطِيفٌ ،

وَبَعْدَ هُبُوطِنَا فِي مَطَارِ (أُورْلِي) بِبَارِيْزِ - أَنَا وَ رَفِيقُ الرِّحْلَةِ - قَصَدْنَا إِلَى
مَحَطَّةِ (لِيُون) بِبَوَابِهَا التَّارِيخِيَّةِ الْفَخْمَةِ ، أَثَارَ انْتِبَاهِي طَلْبُهُ فَاتُورَةَ مِنْ سَائِقِ
التَّاكْسِي ، وَ اسْتِجَابَةً الْآخِرِ لَهُ

بِكُلِّ أُرِيحِيَّةٍ وَ عِنْدَمَا اسْتَفْسَرْتُ مِنْ صَدِيقِي عَنْ ذَلِكَ ، نَصَحَنِي بِالِاخْتِفَاطِ بِكُلِّ
الْفَوَاتِيْرِ لِتَسْوِيَّتِهَا لِاحِقًا فِي (كَافِيْلَام) - الْمَرْكَزِ الثَّقَافِيِّ الَّذِي سَنُدرُسُ فِيهِ - ثُمَّ
الْجَمَارِكِ ، وَ إِذْ أَطْمَأْنَنْتُ إِلَى إِطْلَاعِ صَدِيقِي الْوَاسِعِ وَ عِنَايَتِهِ بِالتَّفَاصِيْلِ ،
يَمُمْتُ وَجْهِي - خَالِيَ الْبَالِ - شَطْرَ النَّظَرَاتِ وَ الْحَطَرَاتِ وَ التَّأَمَّلَاتِ ،
فَتَحَوَّلْتُ إِلَى عَيْنَيْنِ تَسْعِيَانِ عَلَى قَدَمَيْنِ !

جَالِسًا فِي كَابِينَةِ الْقِطَارِ الْمُتَّجِهَةِ إِلَى (لِيُون) ، انْتَظَرْتُ صَفِيرَ الرَّحِيلِ ، لَفَتَ انْتِبَاهِي
عَلَى الرَّصِيفِ عَاشِقَانِ يَتَوَادَعَانِ ، وَ قَدْ انْخَرَطَا فِي جَحِيمٍ مِنَ الْقُبْلِ ،
بَعْدَ لَحْظَاتٍ مِنَ التَّرَدُّدِ وَ صُعُودِهِ إِلَى الْقِطَارِ ، ثُمَّ عَوْدَتِهِ إِلَى الْغَادَةِ الْبَاكِيةِ ،
اسْتَأْنَفَا جَحِيمَهُمَا الْفِرْدُوسِيَّ ، وَ أَنَا أَطَالِعُهُمَا مَشْدُوهُمَا ، مِنْ نَافِذَةِ الْقِطَارِ الْمُتَحَرِّكِ !
انْتَظَمَ سَيْرُ الْقِطَارِ ، وَ إِذَا بِجِلْسَتِي تَأْتِي قُبَالَةَ هَيْفَاءِ شَقَرَاءِ شَبِيهَةِ نِجْمَةٍ هُولِيُوودِ
(مِيرِيلِ سْتَرِيْب) ، وَ إِذْ عَرِفْتُ لِاحِقًا أَنَّهَا أَمْرِيْكِيَّةٌ تَصْطَافُ فِي فَرَنْسَا مِنْ شَمَالِهَا
لِجَنُوبِهَا وَ حَقِيبَتِهَا عَلَى الظَّهْرِ ، تَسَامَرْنَا بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ لِسَاعَاتٍ حَوْلَ بَارِيْزِ وَ مِصرَ
وَ هُولِيُوودِ فَجَاءَ ، ارْتَجَّ الْقِطَارُ ، وَ بَعْدَ اهْتِرَازَاتٍ مُزْعِجَةٍ ، تَوَقَّفَ بَعْغْفٍ فِي
مَكَانٍ خَالٍ ، لِامْحَطَّاتِ فِيهِ وَلَا بَشَرٍ ، لِاحِقًا تَمَّ إِخْطَارُ الرُّكَّابِ ، أَنَّ الْعَطْلَةَ سَبَّبَهَا
حَادِثٌ انْتَحَارٍ عَلَى الْقُضْبَانِ ،

وَ أَنَّهُ بَعْدَ حُضُورِ الْإِسْعَافِ وَ الْأَمْنِ وَ اسْتِبْدَالِ سَائِقِ الْقِطَارِ ، سَنُعَاوِدُ الْمَسِيرَ ،
كَانَتْ السَّاعَةُ قَدْ جَاوَزَتْ التَّاسِعَةَ مَسَاءً ، لَكِنَّ السَّمَاءَ مُنَوَّرَةً وَ الطَّبِيعَةَ خَلَابَةً ،

و أنا أُحَدِّثُ نَفْسِي : كَيْفَ لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَنْتَحِرَ , وَيَتْرَكَ هَذِهِ الْبِلَادَ الرَّائِعَةَ ؟
وَصَلْنَا (لِيُون) , فَوَجَدْنَا فِي أَنْتِظَارِنَا , غَادَتَيْنِ حَسَنَائِيْن مِنْ طَرَفِ (كَافِيلَام) -
تَسَاءَلْتُ مُنْبَهراً فِي سِرِّي - هَلْ أَخْطَأْنَا الطَّرِيقَ وَوَصَلْنَا إِلَى السَّجَادَةِ الْحَمْرَاءِ فِي
مَهْرَجَانٍ (كَانَ) ؟
رَحَّبْتُ الْغَادَتَانِ بِنَا وَ حَمَلَتَا الْحَقَائِبَ , ثُمَّ قَادَتِ إِحْدَاهُمَا السَّيَّارَةَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى
(فَيْشِي) وَ بَعْدَ التَّسْكِينِ فِي الْمَدِينَةِ الْجَامِعِيَّةِ , تَمَنَيْتَا لَنَا نَوْماً هَانِئاً عَلَى أَنْ نَسْتَكْمِلَ
الْإِجْرَاءَاتِ بَاكِراً , أَمَّا مَا حَدَثَ لَاحِقاً فِي فَيْشِي & لِيُون & بَارِيسَ , فَهَذَا حَدِيثٌ
شَرْحُهُ يَطُولُ وَ أَنَا اللَّيْلَةَ مَشْغُولٌ .

إغواء

صيف العام 2005 , كان صاحبنا فى دورة تدريبية بإحدى مدن جنوب فرنسا (فيشى) , كانت المدينة جميلة هادئة والطقس لطيفاً, وتجربة السفر الأول ل(بلاد الجنّ والملائكة)

تسجّر لُبه وتُبهر أنفاسه , وإذ كانت إقامته مُنفرداً , فى طابق عالٍ مُشرفٍ ببنائية صغيرة يشغل إحدى استراحاتها (استديو) , كان للاستراحة نافذتان , تُطلّ إحداهما على حديقة عامّة , والأخرى على صفٍ من منازل صغيرة مُتجاورة , وقد لاحظ - فى أقرب المنازل - أنثنين شقراوين , قد تكونان أمّ و ابنتها أو أختان , ولم يتصادف رؤية سواهما بالمنزل ,

و ذات ليلة , انتبه إلى ضجيج صادرٍ من أقرب المنازل , فإذا بإحدى الشقراوين تُمارس تمرينات رياضية على أنغام الموسيقى , ألقت العيون , فارتبك لابتسامتها و أوماً برأسه مُسحجاً , وأكملت لعبها دون أى تعديل أو تبديل , حتّى أنها تخففت من زيّها الرياضيّ

ثم استلقت على السّاطِ تتهدّج أنفاسها دون حراكٍ لمُدّة طويلة , بعدها , و لعدة ليالٍ و فى ذات الموعد , تصدّح الموسيقى , و يلمح إحدى الشقراوين - لم يكن من السهل التمييز بينهما - تتراقص فى خفة , و تناوب المشى و الجرى والفقر والتلوى و الانثناء والتأرجح و التمايل , تبدأ اللعب بالنّزّير اليسير من ثياب الرياضة , ثم إذا حمى الوطنى, وجنّ إيقاع النغمات وتكتفت حبات العرق , تساقط النّزّير اليسير, حتّى ورقة الثّوت !

فى وقفته المتوارية , لم يكن يظنّ أنّ تُلصّصه محسوساً من الطّرف الآخر , لكنّه تبين حقيقة الوضع , عندما أدرك الرابطة بين إضاءة غرفة الحساء المتريّضة , و ظهوره فى شباك غرفته , فإذا تذاكي و اختبأ , انطفأ النور و تحوّلت غرفتها لمسرح خيالٍ ظلّ !

سالّ ألعاب القروى الساذج , و أعجبته اللعبة , و كيف لا يُعجبه هذا (الليدو) الخاصّ المجانىّ اليَوْمىّ, حتّى كانت ليلة ليلاء , بدأ فيها العرّض , و تجلّت الطّاوس و أبدعت ,

ثُمَّ فَجَاءَ , مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي دَهْمَهُ ضَوْءُ كَشَافٍ بَاهِرٍ ,

ظَنَّ فِيهِ أَنَّهُ فِي وَفْقَتِهِ الْمُخْجَلَةِ

بَعْيُونَهُ الْجَوْعَى وَ فَكَّهِ الْمُتَدَلَّى , عُريَاناً فِي مَرَكَزِ مَلْعَبِ كُرَةِ ,

فِي بُورَةِ الْأَضْوَاءِ الْكَاشِفَةِ ,

ثَوَانٍ , وَهُوَ لَمْ يَفْقَ بَعْدَ مِنْ هَوْلِ الْمَفَاجَأَةِ , أَحْسَ بِنُقْطَةِ ضَوْءِ حَمْرَاءِ مَصُوبَةٍ نَحْوِ

صَدْرِهِ , فَتَلَاعَبَتْ بِهِ عِرَائِسُ الْخِيَالِ , وَ وَقَرَ فِي ذَهْنِهِ , أَنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ سَيَعْقِبُهَا

طَلْقَةُ رِصَاصٍ , مِنْ قَنَاصٍ مَهْوُوسٍ ,

تَنْتَهَى خِيَالُهُ وَ حَيَاتُهُ وَحِيدَا غَرِيبَا , فَانْبَطَحَ مَذْعُورَا وَهُوَ يَسْتَغْفِرُ , مُوطِدَا الْعِزْمِ

عَلَى الْأَيْقَرِ نَافِذَةِ الْغَوَايَةِ مَا بَقِيَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ .

ليالى الأّنس فى فيشى

فى مثل هذه الأيام , من نحو عشرين عاما ,
 كُنْتُ فى مِنْحَه دراسية بمركز (كافيلام)
 — مَعهد علمى و مركز فَرانكوفونى - لِدراسة اللّغة الفَرَنسية بِمَدِينَة فيشى بوسط
 فَرَنسا , و المَدِينَة مشهورة بِحاجات كَثِير ,
 أَهمّها عُيون المِياه المَعْدَنِيَة و الغازِيَة و كَمان كانت العاصِمة البَدِيلَة لفَرَنسا خِلال
 الاِحتِلال النّازى فى الحَرْب العالمِيَة الثّانِيَة ,

أَوّل مرّة أسافر للخارج , بَعْد ما تَجاوزت الثلاثين و أَصَبَحَت زوج و أَب ,
 و التّجْرُبَة كانت مَحطّة مَفْصَلِيَّة , لَيس ما بَعْدُها مِثْل ما قَبْلُها ,
 بِكم الاِكتِشافات و الخِبرات و المشاعر , رَغم قِصر مَدَة المِنحة الّتى لم تصل
 للأربعين يوم ,

كافيلام كانت أُمّ مُتّجِدَة مُصَغَّرَة , قابِلَت فيها ناس و نماذِج , مِنْ أَرْبَعَة أَرْكان
 الأَرْض , عَرَب مَشَارِقَه و مَغَارِبَة و خَلَايِجَة و أوروبِيين شَرْق و غَرْب و
 أَمْرِيكان و مِكْسِيكيين و لَاتِينين (بَرازِيلِيين و أَرْجَنْتِينِيين) وَحَتّى أَفارِقَه وَصِيْنِيين
 مَعَ حُضور لافِت لِلإيرانيّين .

على مَدار المُدَّة , شُفْتُ و اتَعَلِمْتُ كَثِير ,

دُكْتُور نَفْسَانِي غَزَاوِي بَاحِث دُكْتُورَاهِ جَلُو المَعَشَرُ يُعَانِي فِي الشَّتَاتِ الفِلَسْطِينِي ,
وِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ -رَأَى العَيْنَ- يَهُود مُتَدِينِينَ (حَرِيدِيم) بِالصُّفَايِرِ وَالزِّي الْأَسْوَدَ وَغَطَاءَ
الرَّأْسِ الصَّغِيرِ (الكِيْبَاهِ) , لِيَبْيِينِ وَ إِمَارَاتِيْنِ , قَاعِدِيْنِ فِي فَيْشِي مِنْ سَنِيْنِ ,
بِيَقْضُوا وَقْتِ أَطِيْفِ ,

فُلُوسْهُمْ كَثِيْرٌ وَ تَرْكِيزُهُمْ قَلِيْلٌ , وَ كَمَاْنِ أَرْبَعِيْنِي سُوْدَانِي مُوَلِّعٌ بِالْأَلْوَانِ الْفَاقِعِ
رَغْمَ دِمَاثَةِ الْخُلُقِ وَ عُمُقِ الْفِكْرِ وَ قِلَّةِ الْكَلَامِ , وَ الزُّوْلُ كَانَ يَحْبُ مَصْرَ وَ يَكْرَهُ
اسْتِعْلَاءَ الْمَصْرِيِّيْنِ عَلَى أبنَاءِ جَنُوبِ الْوَادِي , وَ لَا أَنْسَى مُرَاهِقَ جَزَائِرِي حَظَّهُ
مِنْ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ قَلِيْلٌ ,

لَكِنَّهُ أَشْفَقَ عَلَى مَصْرِيَّيْنِ تَائِهِيْنِ فِي بَارِيْسِ وَ اتَّطَوَّعَ بِتَوْصِيْلِهِمْ بِسِيَارَتِهِ
مِنْ وَسْطِ الْمَدِيْنَةِ لِحَدِّ الْفُنْدُقِ جَنْبَ الْمَطَارِ ,

مُدْرَسِيْنِ فَرَنْسَاوِيَّيْنِ بَعْضُهُمْ حَاسِسٌ بِدَوْرِ (الْفَرَانْكَوْفُونِيَّةِ) وَ رَسَالَتَهَا , عَلَاوَهُ عَلَى
إِحْسَاسٍ بِالذَّنْبِ مِنْ خَطَايَا الْكَوْلِيْنَالِيْزْمِ وَ رَغْبَةٍ فِي التَّكْفِيرِ عَنْهَا , وَ الْبَعْضُ الْآخَرُ
شَوْفِيْنِي وَ عُنْصُرِي عَلَى الْمُسْلِمِيْنِ وَ الزَّنُوجِ وَ الْمَلَاتِيْنِيَّيْنِ !
أَرْجَنْتِيْنِي جَمِيْلَ الْخُلُقِ وَ الْخِلْقَةِ ,

حَزِيْنٌ عَلَى بِلَادِهِ أَلَّى خَنْفَهَا وَمَصَّ دَمَهَا الْعَسْكَرَ وَ الْإِفْلَاسَ ,
وَبُرُوفِيْسُورِ إِسْبَانِي , طَوْلَ الْوَقْتِ يَسَامِرُنَا عَنْ زَمَانِ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلُسِ وَ الصِّرَاعِ
الْعَرَبِي الْإِسْرَائِيْلِي , وَوَسْطِ كُلِّ الْجِدِيَّةِ وَ الْعُمُقِ دَا , حُورِ عَيْنِ إِيْطَالِيَا وَ
أُوْكَرَانِيَا وَ سُوِيْدِيَا

وَ مَقْدُونِيَا وَ بِيْلَارُوسِيَا يُهْفَهْفِئْنَ كَالْفَرَاشَاتِ وَ يَتَرَاقِصْنَ كَالْغَزْلَانِ وَ يَذْهَبْنَ
بِلَيْبِ الْحَلِيْمِ !

كُلُّ دَا كُومِ وَ الْإِيْرَانِيَّيْنِ كُومِ تَانِي , أَهْلُ جَاذِبِيَّةِ وَ أَرْيَحِيَّةِ وَ أبنَاءِ حَضَارِهِ وَ ثِقَاقِهِ ,
خَلَّتْنَا كَمَصْرِيَّيْنِ نُؤْثِرُهُمْ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ,

فى الصُّحْبَه وَ السَّفَر وَ الخُرُوج وَ الزِّيَارَات ,
و لن أنسى – ما حييت – سَهْرَه مَصْرِيَه فَارِسِيَه , عامِرَه بالأكل وَ الشُّرب وَ
الضحك وَ الغُنا وَ كَمان فُسخ جَمَعَتَنَا فى بَارِيس وَ لِيُون ,
الكَرَنفَال دا ما كَانَش مُمكن يَمِر دُون مَوَاقِف وَ طَرَائِف وَ كُومِيديا السِّنِّين ,
زى أَخُونَا الصِّينَى اللى سِهر وَ شَرِب فى الوِييك اند ,
وَ جَا صَبَاح الَاتْنين سَكَرَان طِينَه
وَ مِش قَادِر يُصَلِّب طُولَه أَوْ يَسِيطِر عَلَى الضَّحْكَ وَ التَهْيِيس !
وَ المِكْسِيكى أَبُو دَمِّ حَارِ اللى عَمَل فِيهَا (زَابَاتَا) وَ ثَار وَ فَار لَمَّا المُحَاضِرَه
الْفَرَنسَاوِيَه سَخَرَتْ مِنَ السُّومْبِرِيرو (قُبْعَتَه التُّرَاثِيَّه) , أَمَّا إِخْوَانُنَا مُسْلِمِينَ
جُمهُورِيَّاتِ الْإِتِّحَادِ السُّوفِيَّتِي السَّابِقِ (أُوزْبِك وَ طَاجِيك وَ شَيْشَان وَ تُرْكُمَان)
بِمَلَامِحِهِمُ الْجَمِيلَةِ وَ لَهْجَاتِهِمُ الْعَجِيبَةِ
وَ تَصَرُّفَاتِهِمُ الْفِطْرِيَه اللى تَحْسِسُكَ إِنَّهُمْ شَخْصِيَّاتِ كَارْتُون أَوْ بِالكَثِيرِ هَرَبَانِينَ
مِنْ فِيلْمِ أَبْيَض وَ اسود

أستاذ حمام

فى مفتتح الألفينات , واحد صاحبنا كان بيستلم شغله , فى مكان جديد ,

الدنيا تمام , و الباشا على منصة المزاد , فى قاعة الاجتماعات الكبرى بالمحافظة الساحلية , و المكان مليون , بهوات و موظفين و جمهور و بدل و يونيفورمات ...

فجأة , يقتحم القاعة رجل ستينى , قصير القامة أصلع الرأس ,
بترينج سويت و كوتشى فى رجليه , مش بس كدا ,
دا كمان بيزعق : فين اللوا فلان , هاتولى المدير !

الصدمة أخرست الحضور , لدرجة إنك تسمع دبة النملة و رنة الإبرة ,

صاحبنا , باعتباره المسئول عن الجلسة , صرخ فى المقتحم :
انتا مين يا جدع انتا و إيه اللي انتا بتتيله ده ؟

الراجل اتشال واتحط و عفر و زمجر ,
إنتا مش عارف أنا مين ؟
أنا الفريق فلان ابن علان , المحافظ يا بنى آدم ,

صاحبنا ارتبك و همهم و غمغم ,
و نجده تدخل الحضور و الموظفين , بعد ما فصلوا بين الطرفين ,

وبعدها و لمدة ثلاث سنين , اشتغلهم فى المكان ,

فضلت العلاقة مكهربة ,
و التعاملات متوتره و ع القد ...

وليمة البمبوطى

على مدار الفترة من 2006 إلى 2009 , وسدت إلى وظيفة قضائية مرموقة بمحافظتي السويس والبحر الأحمر , و كنت أتواجد بمكتبى بالسويس يوما فى الاسبوع , وفى الغردقة كنت اتواجد أسبوعا فى الشهر , و قد كانت تلك السنوات , بكل ما فيها من تجارب و خبرات عمل و أوقات مرح بمثابة (نقلة نوعية) فى عمق الوعي و حجم النشاط و اكتساب الأصدقاء و المعارف , و حتى على مستوى الطعام , فقد كان وجودى فى هاتين المدينتين الساحليتين فرصة لمثلئ - من أبناء الوادئ و نهر النيل - أن يكتشف عالم المأكولات البحرية بكل ما فيها من تنوع و غنى , و بعد لزومى دنيا (البلطى و القرموط و الثعبان والبساريا) , انفتحت لى مغارة على بابا بمأكولاتها البحرية و عرفت عينى و ذاق لسانى (البورى والمرجان و موسى و السبيط الكابوريا والاستاكوزا والجمبرى و المحار.....) حديثى الليلة, عن أمسية شتوية, اقتضت فيها ظروف العمل, أن أبيت باستراحات (بور توفيق) على شاطئ قناة السويس , مر على سائقى السويسى (ابن البلد) بعد صلاة العشاء , وتباسط معى باللهجة السويسية الرشيقة المحببة قائلا : (أنت ضيفى و ساختار لك عشائك , سلم لي قيادك , و صدقني لن تندم) , وافقت مترددا , ثم قصدنا سويا شارع النمسا بحى الأربعين , مطعم بسيط , و لكنه بادی الحميمية و النظافة , كان من الواضح أن السائق صاحب مكان , من حجم الحفاوة و الثقة فى تعاملاته بالمكان , باغتنى البمبوطى :

طلبت لك : (استريديا و لوجز و صرمباء و بلح بحر) و حلق فى وجهى , ينتظر الرد ,

نزل على سهم الله , ولم أعرف هل يتحدث عن أكالات بحرية أو مركبات صيدلية ؟ و حرت جوابا , فقادنى إلى بسطة الطباخ , الذي يعمل فى الهواء الطلق , بيده سكين صغير حاد يخلص بها اللحم من قلب المحار و يخلطه بالبهارات والتوابل الحريفة ثم يقلب البعض ويشوى البعض فى جو سحرى معبأ بالدخان والروائح , بخفة ومهارة بهلوانات السيرك !

على مائدة العشاء , أخبرنى السائق أن هذا المحار غني جدا بالبروتين و
الأحماض الأمينية و الزنك , و أن من يعتاده لا يستغنى عنه , بعد أن يستمتع
بالمذاق والنكهة و يجنى آثاره السحرية على المزاج و الفحولة , تأخر الليل ورق
النسيم , فطاب السهر و انفتحت شهيتى , فأكلت كما لم أكل من قبل , ورفيقى
اللطيف يحكى عن مغامراته , و هو يتراقص بقاربه الصغير حول السفن العملاقة
ب(قناة السويس) يبيع لهم التذكارات المصرية , و كيف أن ما نأكله محارا , يتم
صيده التقاطا باليد , بواسطة الغواص الذي لا يستعين بالسنار أو الشباك
وأنه يتعين تقديمه طازجا و إلا فقد قيمته و سحره , و ظل البمبوطى الثرثار ,
يتنقل من حكاية لأخرى , و أنا عنه لاه , أفكر في أهلى بالقاهرة ,
بعدها توهج جسمى بالفوسفور و لعب برأسي خمر المحار و نسيم البحار !

أول أيام السفريه

في شتاء 2010 , بين حولى و الشويخ بدولة الكويت , كنت أمضى أسابيى الأولى فى الإعارة و الغربية , ضيفا على صديقين عزيزين , لحين ترتيب إجراءاتى العملية والشخصية صديقى كانا شقيقين , وكنا نعمل جميعا فى ذات الجهة فكنا متلازمين صباح مساء فى الاستراحة و المكتب والمسجد والسوق وكافة التنقلات , و قد أكرما وفادتى و ترفقا بى و عاملانى كشقيق أصغر جزاهما الله عنى خيرا , و فى هذه الفترة , كنت أعانى من صعوبات التأقلم و الحنين للوطن و الأهل , فكنت شارد الذهن معتل المزاج , فبذل كبيرنا كل طاقته فى الترويح عنى و رفع معنوياتي , فهذه زيارة لأصدقاء و تلك جلسة على شاطئ الخليج , بعدها مباراة لكرة القدم حتى أنه و هو الرئيس رفيع المقام , عمل فى المطبخ ليوم كامل , فى إعداد أصناف المحشى التى أفضلها , كل ذلك , و أنا مضطرب بين تقديرى لفضله , و حنيني الممض الذي لا حيلة لى فيه ! ذات صباح , استقل ثلاثتنا تاكسى يقوده باكستاني , إلى دوامنا بديوان الخدمة المدنية , وصلنا ثم عبرنا المدخل , لحظات و تحركت السيارة , ثم انتبهت إلى خلو يدي من هاتفى النقال , فى لمحة بصر , استدرت عائدا و أنا أصرخ على السائق : صديق يا صديق , الهاتف كان الهاتف يحوى فى ذاكرته , معظم ذاكرتي أنا , بيانات و مستندات و أرقام و صور و فيديو هات , كانت السيارة قد تحركت ووصلت للشارع العمومى , فلم أجد بدا من العدو خلفها بحلة رسمية و رابطة عنق و حذاء جلد و فى درجة حرارة تربو على الأربعين , كان الجرى عذابا , ورغم اللياقة والخفة , إلا أن فرصتي كانت محدودة فى مواجهة السيارة , على البعد , ثم تقاطع بإشارة مرور , حفظ لى الفرصة فى اللحاق بالسيارة إذا توقفت , واصلت العدو و النداء على الباكستاني , و عيني لا تفارق عداد توقيت الإشارة , خفضت السيارة سرعتها , فأطلقت ساقى للرياح , والأمل يحدوني فى إدراكها ,

و عندما كنت قاب قوسين أو أدنى , صفر عداد إشارة المرور , فإنزلقت السيارة
من بين أصابعى , و عدت أدراجي بخفى حنين , و أنا فى حالة يرثى لها من
الأسى والعرق ,
فوجدت صديقى مغرقين فى الضحك ,
يسخران من سرعتى الجنونية خلف السيارة !
مقارنة بتحركاتى السلحفائية المحبطة ,
طوال الفترة السابقة فلزمت الصمت رهقا و كمدا ,
صعدنا إلى المكاتب , وما هى إلا دقائق معدودة , وأنا أتصل على هاتفى , فرد
السائق بهدوء , و بلغة خليط من العربية والأردية و الإنجليزية , وطمأننى أن
هاتفى بحوزته , و أنه سيعيده لى بمجرد إنهاء رحلته الحالية , واذ تعذر علينا
اللقاء أمام الدوام , تجشم عناء إعادة الهاتف إلى حارس عقار السكن , مع رفضه
تلقى أية مكافأة على أمانته و ما أنفقه من جهد ووقت ووقود فى سبيل رد اللقيطة ,
و عندما شكرته فى الهاتف , أكد لى أن ذلك ليس سوى الواجب الشرعى فى
الأمانة وتفريج الكرب و المروءة والنجدة .

زكريا الدرديري , مدرس رياضيات و فرنساوى لحد ما يجيبوا مدرس فرنساوى !

فى مفتتح عام 2010 , كنت ابتداً أسابيعى الأولى فى الإعارة بدولة الكويت ,
و قد نزلت - لشهرين - ضيفا على زملاء عمل لى فى استراحتهم ,
و رغم ترحيبهم بى و مشاركتى فى تحمل نفقات الإقامة , إلا أن الحياء و
الحرص على الخصوصية , دفعانى إلى إنهاء هذا الوضع المربك المرتبك , فى
أقرب وقت ممكن ,

كانت أمورى المادية لم تنتظم بعد , إذ كان على تدبير نفقات أسرتى فى القاهرة ,
واحتياجاتى الشخصية , علما بأن أول راتب غالباً ما يتأخر صرفه لما يتراوح
بين شهرين و ثلاثة , و رغم ذلك , انتهزت فرصة العثور على شقة مناسبة ,
فتعاقدت على تأجيرها و سددت التأمين اللازم لذلك , و عندما انتقلت - بمتاعى
الشخصي - إلى الشقة الجديدة المقرر تجهيزها لاستقدام أسرتى , وجدت أنها أفرغ من
فؤاد أم موسى !

لا أثاث , لا سجاد , لا ستائر , لا أدوات مطبخ , و أنا صفر اليدين !
فى انتظار الدينارات , التي قد تصل بعد أيام و ربما أسابيع !

كان الوضع أقرب إلى الكوميديا السوداء , على جميع المستويات ,
و لن أتورط فى سرد تفاصيل , حظها من المنطق أو القبول قليل ,

لكن سأكتفى بأن أقص حكاية (سجادة الصلاة) التي أحضرتها معى من القاهرة ,
و كانت تمثل الحل السحري للعديد من المواقف و المآزق ,

فقد استعملت السجادة السحرية فيما خصصت من أجله - الصلاة - ,
وفى أوقات الطعام , حولتها لمفرش و مائدة
و فى أيامى الأولى بالشقة , كنت اجلس عليها كأريكة طوال النهار ,
و لما يجن على الليل , أحولها إلى مرتبة سرير ,

و بعد شراء المرتبة الحقيقية , تحولت السجادة إلى لحاف ,
وإذا شعرت بمن يتلصص على عبر نوافذ الالوميتال ,
علقت السجادة مكان الستارة ,
و من آن لآخر كان يمكن استخدامها كمنشفة أو منفضة أو حتى مروحة

هذه بتلك , وعلى (الكانى) تدور الدوائر

و لما حططت الرحال , فى وظيفتى الجديدة فى البلد الغريب البعيد ,
فوجئت بأنه يعج بالرفاق , من عملى القديم أبناء بلدى ,
و يتراءى الجميع امرأة , طيبة المعشر لا تخلو من ملاحظة
و لكن حظها من الصنعة والخبرة , نذر يسير ,
فكان أن ثارت بين الرفاق , المنافسات و المشاحنات ,
التي تخط الجد بالهزل , بحكم العشرة القديمة و الجيرة و المزاحمة الحديثة ,
و إذ اشتهرت بينهم بحذق الأدب و تبحر الثقافة ,
مع ميل للمفاكحة و نزوع المشاغبة ,

فقد أطلقت على معظمهم أسماء و كنى ,
من شخصيات و عوالم روايات النجيب المحفوظ :
فكبيرهم الذى علمهم السحر هو (الشيخ عبد ربه التائه) ,
و جاره عزيز الابتسام و الكلام هو (كامل رؤية لاظ)
و المبدع فى الفساد يكون (ظيطة) صانع العاهات ,
و ضحية الفقر و الطموح هذا (محجوب عبد الدايم) ,
و هذا الخفيف المهادر نناديه (يس السيد أحمد عبد الجواد) ,
و الصموت الذى يؤثر على نفسه رغم الخصاصة هو (أحمد أفندى عاكف) ,
و أما صاحبنا الغشيم المتعافى فهو (حسن راس الغول) ,

و إذ لم يجدوا بدا من التسليم لصدق التشبيهات و طرافتها ,
فقد ألوا على أنفسهم أن يردوا الصاع صاعين ,
و قالوا : حنانيك أيها الفتى الريفى الساذج , صفى الأرملة الطروب ,
يقصدون المديرية - , لست وحدك من يطلق الأسماء و الكنى ,
فأنت (إمام) - شباب امرأة - و هي (شفاعات) ,
هذه بتلك , و على الكانى , تدور الدوائر !

من جمعة الغضب , إلى جمعة الرحيل شاهد عيان

2011/1/28 – نهار خارجى مطار القاهرة / الطريق الدائرى / حى الهرم :

كنت مع أسرتى نازلين من الكويت , في أجازة نص سنه عاديه ,
صدفة عجيبة , خلطنا نوصل مطار القاهرة صباح يوم (جمعة الغضب) ,
وتيرة الأحداث قبلها , ما كانتش تنبىء باللى مخبياه الأسابيع التالية ,
توتر مكتوم , وريحة شياط أعصاب مجهولة المصدر , سواق تاكسى صديق كان
فى انتظارنا , اتحركنا من المطار , بعد ما اكتشفنا انقطاع عمومى للإنترنت !
على طول الطريق , دخان و حريق و صراخ و نفير عربيات شرطة وإسعاف ,
و أصوات طلقات رصاص متقطعة ومتواصلة , الطرق مسدودة ,
وتعذر علينا نوصل الهرم على مدار ساعات, الساعة خمسة المغرب , على الطريق
الدائرى , نزلت أتفاهم مع الضباط , يخلونا نمر من الرباط , فجأة ,
لقيت الشرطة انسحبت من غير مقدمات , و بعضهم خلع الزى الميرى فى عرض
الطريق , لولا إن السواق كان صديق , كان نفذ بجلده و سابنى فى الشارع ,
مع زوجة و ثلاث أطفال و شنت سفر !

بعد لف و دوران , وحيل و تخبيط و شد و جذب ,
و ضرب نار حى فى السيدة عيشه و قدام محافظة الجيزة فى الهرم ,
وصلنا البيت بمعجزة ,
أبويا - رحمة الله عليه - أصر تانى يوم , على حضورنا للبلد (أشمنت / بنى
سويف) , حرصا على أرواحنا , و تحوطا من الصدمة و الغموض ,
على مدار التمنتاشر يوم , حتى جمعة الرحيل ,
زرت الميدان ثلاث مرات , لتوثيق الأحداث أكثر من المشاركة فيها ,
المشاركة تهمة لا أنفيها و شرف لا أدعيه ,

الجمعة 11 فبراير 2011 - ليل داخلى - الهرم , الجيزة :

قضيت اليوم , على الطريق الدائري بعربيتين نقل أثاث شایل عفش بيتي ,
بانقل من الهرم للمعادى , خلصت و رجعت الهرم فى غاية الإرهاق ,
بعد صلاة العشا , سمعت تهليل و زيطة و زمبليطة , رجت الأرض و السما ,
ماكانش عندى أى وسيلة اتصال (تليفزيون / تليفون / إنترنت) ,

طلعت البلكونة , لقيت الناس بترقص في هيستريا , و بيحضنوا بعض ,
خير يا اولاد ؟

قالولى مبارك اتنحى , وقعت من طولى ساجد , و دموى سحت من الفرخ ,
كانت آمالي ف بكره , وسع البحر و علو السما ,
ماكنتش عارف , الأيام مخيبالنا ايه ؟

لا إفراط و لا تفريط

على المنصة , أباشر واجبى , فى قاعة المحكمة بجلسة متخمة ,
 أسحب ملفا بعد آخر , من أكوام مترعة قاربت الألف قضية ,
 عقلى و جوارحي في تركيز , على المتقاضين ومرافعاتهم والمذكرات و
 المستندات , ومن آن لآخر , ألقى نظرة على الزملاء والمعاونين , ونظرة على
 الجمهور في المواجهة
 وسط الزحام , لمحتها لا تستقر على حال , شاردة اللب غائمة العينين ,
 تطلب الإذن بالكلام , فتجاهلتها , و عندما ألحت في الطلب ,
 وجهتها بحزم : إذا كانت لك دعوى فانتظرى دورك , و إذا كانت لك حاجة ,
 فراجعينا بغرفة المداولة أو مكتب الرئيس , لزممت الصمت و أطرقت في امتثال ,
 بعدها بساعات , دخل الحاجب مكتبى يطلب لها الإذن ,
 فاستقبلتها و طيبت خاطرها ,
 معتذرا عن لهجتى الحادة , بحرصى على نظام الجلسة ,
 تدافعت على لسانها الكلمات , وانهمرت من عينيها الدموع :
 الاسبوع المنقضى نظرت قضيتى , و صدر الحكم بالرفض ,
 و حدقت بى تنتظر تعقيبا ,
 فلم أنبس ببنت شفة , و عندما طال انتظارها , و خاب رجاؤها , اجتأأت قائلة :
 عندما استأذنت عليك من أسابيع , وأكرمت وفادتى ,
 ظننت فى ردودك الإيحاء بالقبول ,
 و الوعد بالاستجابة , قاطعتها دون صبر : حنانيك سيدتى ,
 لست مسئولا عن ظنونك , و لم يصدر منى إيحاءات أو وعود ,

, إنما هو اللطف مع الضيف , والمجاملة في غير مكروه أو محذور ,
تدخلت مرافقتها , و شكرتني في ارتباك , و انسحبا على عجل ,
مضت سحابة نهاري , و عندما قفلت عائدا وخلوت إلى نفسي ,
ألم بي إنزعاج وضيق ,

فعملى ولاية , لا تقبل الهوى أو تحتل الميل , في حين أنى جبلت على بسط
الوجه ولين القول , وعلى أن أرضى بقدرى وأقبل هذه المنغصات , التى تقع فى
الفجوة بين الحفاظ على الإنسانية بلا إفراط , و النهوض بالواجب بلا تفريط .

تامبوكا

الساعة 9 الصبح , الدنيا حر , مرهق من سهر إمبراح ,

و مشدود من يوم إحصائية شهرية , منتظرني في المكتب ,

الأوتوستراد طوييل و بطيبيبيىء و متروس كائنات عشوائية و مركبات هلامية !

باحاول طول الوقت , أركز في الطريق , لكن الطبع يغلب التطبع

كالعادة , باستعين على تحمل النوايب بالسرحان ,

في مراية السيارة , شفتها جاية بتقرب من بعبيبييد , بتتنطط زى فرقع لوز ,

بتضرب سرينة و لا أجدع لورى , و بتعمل غرز , فشر فيراري في سباق

فورمولا وان !

نقطة حمرا صغيرة , بتكبر كل ما بتقرب , لما بقت ورايا مباشرة , فوجئت بأنها

سيارة فيات 126 شبه تمبوكا فوزير نيللي , سايقاها - خير الله ما اجعله خير - ,

بنوثة طول بعرض , ما تفهمش دخلت جوا إزاي؟

التمبوكا حالتها تصعب على الكافر , بحكم إنها موديل السبعينات , بس متروقه

جنوط سبور و قزاز فاميه وشبكة فوق وستاير ورا , ودباديب قدام وسماعات

صب , حاجه كذا آخر كرنفال , شويتين يا مؤمن , ولقيتها بتكسر على الحارة

اليمين , و ترمى على الحارة الشمال ,

و هوب دبل كيك , بقت قدامى , و بعد ما انقشعت سحابة دخان الشكمان اللى

بيفرقع زى المدفع الجرينوف , لقيت في وشي القزاز الخلفى للتمبوكا - زى بقية

الشاسيه - ملطع استيكرات على كل لون يا باتيستا , إشى هيئة قضائية و إشى

سفارة دبلوماسيه و إشى نسر الداخلية وكلام معلمين و كوبليات مهرجانات ,

حاجه جوز اللوز !

قلت يا واد طنش خالص ,

و فضلت متمسك بتلابيب ضبط النفس و شآبيب الثبات الانفعالي !

لحد ما عيني نزلت على ظهر التمبوكا , و شفت لوجو المرسيدس المميز بالعلامة
المثلثة جوه الدائرة , كبير و فضى ومعدنى يسد عين الشمس , وبيطلع لسانه
لمصانع فيات ومرسيدس وكل مصانع السيارات في العالم ! وبقيت زي المجنون
باضحك و أشهق و أحمس و اضرب كف بكف من الروقان الفاجر والدماغ
المتكلفة , و انا على كلمة واحدة :

الخيال ف مصر فتق الواقع , الخيال في مصر فتق الواقع !

[293]

هسس فشش , ههشش فسس

خلصت أجازة العيد , و رجعت البيت متأخر و مرهق ,

و أولادی لسه في المصيف , الشقه تسبح في بحر الظلمات
و أنا نايم سطيحه , مش داری کدا , و لا داری کدا ,

فجأة ، قلقت و انتبھت علی صوت خروشه هوا و رذاذ ،

فشش هسس , هشش فسس , فشش هشش

ماعرفتش أصنف الصوت و لا أحدد مصدره ,

قلت يا واد طنش خالص , و رجعت للرز بلبين مع الملايكة !

ربع ساعة يا مؤمن , و الصوت اكرر : ههشش فسس , ههسس فهشش

سلام قولاً من رب رحيم , أشتاتاً أشتوت ,

النوم طار من عيني، فتحت أنوار الشقة كلها و قعدت أفتش عن مصدر الصوت،

شمال یمین ، فوق تحت ، کله تمام ،

مفیش أجهزة شغالة و لا حشرات سارحه ,

هنااااااااااك , بعد نص ساعة , و بعد ما الفسفة و الهشهشة اكررت مرتين ,

أدركت إن الست هانم مشغله فواحة عطر ،

و مثبتاها في الليفينج , عشان توزع على أركان الشقه ,

و من حيث لا تدري و لا تقصد , وقعت قلب و بوطت أعصاب سبع البرومبه !

من راقب الميزان , مات هما

عندنا ميزان حمام ديجيتال , بنتابع عليه أوزاننا من وقت للثاني ,
عشان الصحة العامة والرشاقة و الوجاهة و كل الكلام الفارغ دا !

بالحظ و بالصدف , بطارية الميزان خلصت من شهرين تلاته ,
و مش لاقى زيها , سواء عند الساعاتية أو الصيدليات ,

ولأن عطلة الميزان , اتوافقت – تقريبا - مع فترة الكارنتينا ,
بكل العك و السبھلة والدفس و الوحم ,
و دارت الأيام ومرت الأيام ,

و فيه حاجات برمت و اتكلكت و اتدورت و اترهلت و دللت ,
ربنا كرمنا , و اشتريت البطارية النهارده ,
و بعد غياب , طلعا احنا الخمسة ع المسرح , قصدى الميزان ,
شويه يا مؤمن , و مهرجانات المسرح التجريبي و الكابوكي بدأت ,

الناس بدأت بمرحلة الصدمة , و بعدها مرحلة الإنكار ,
مرورا بمراحل الرفض والهستريا والبارانويا لحد ما استقرت الدنيا ,
لما وصلنا لمراحل التسليم واليأس , أو التصالح مع الذات و قبول الواقع ,

و لأنى رب أسرة مسئول , و صاحب حيلة ,
أدركت إن موضوع الريجيم والرياضة دا مش حل ,
عشان فرھدة و خنقة , و عايز وقت و فلوس ,
لجأت للحل الأسهل , و من غير خوته و وجع دماغ ,
خلعت بطاريات الميزان , و رميتها على طول دراعى !

قطط جدتى

الدنيا بررررد , و البشر مستكنة فى البيوت , مقضيها تكتكة وسحاب و بطاطا ,
قاعدة جنبى ملك (كبرى بناتى) , بنقلب فى ألبوم صور قديم ,

و نتملى فى صورة واحدة من جداتى , وندعيها بالرحمة ,
ملك : دى تيتا (فتحية) صح ؟ كانت جميلة أوى , كنت باحبها ,

بابا : مش بس جميلة , رغم انها كانت كفيفة ,

بس كانت مثقفة و شخصيتها قوية ,

ملك : كانت عايشة فى البيت الكبير , و عندها قطط كثير ,

بابا : فعلا بعد أخوتها و زوجاتهم ما ماتوا جميعا , كانت عايشة فى البيت الكبير
وحدها , بتتونس بعشر قطط يسلوا وحدثها !

ملك : مرة زرناها و انا صغيرة , البيت تحت كان واسع و فيه شجرة توت بس
مهجور ,

و هى كانت قاعدة فى الدور الثانى .

بابا : كويس انك فاكرة , المرحومة لما ماتت , كان عندك أربع سنين .

ملك : انتوا قعدتوا فى الصالة , و أنا دخلت أوضتها ألعب , لقيت أطفال كثير ,

يمكن عشرة , كلهم نفس الشكل و العمر , فضلنا نلعب و نجرى ,

بابا : أطفال !! ماكانش فيه أطفال , المرحومة عاشت و ماتت آنسة !

ملك : كان فيه أطفال كثير , و لعبنا كثير , و كانوا بينطوا من شباك الدور الثانى
فى الشارع ورا بعض , و يرجعوا تانى , و لما طلبوا منى أنط معاهم , خفت و
جريت عليك

بابا : سلام قولنا من رب رحيم , انتى متأكدة يا ملك , احنا كنا عارفين إن الدور
الأرضى مسكون,بس كنا بنسمع قرآن و نشم بخور إنما عيال عفاريت دى جديدة !
ملك .. جرى ايه يا ملك , بتبخلقى كذا ليه , ردى عليا يا ملللكللكللكللكللك

كافيه ريش

شتاء ١٩٩٢ ، وسط البلد / ليل خارجى :

فتى صعيدى نحيف ، بسيط الزى ، خجول المحيا ،
 يتردد على شارع طلعت حرب بانتظام
 فى غدوه و رواجه ، على مكتب المحاماة الخاص بعمه ،
 فىرى مشاهير المجتمع و نجوم الأدب والفن ، خلف الواجهة الزجاجية الخشبية ،
 على مقاعد مقهى ريش ، يتجادلون فيتفقون و يختلفون ، يعزفون الموسيقى أو
 يقرأون النصوص الأدبية أو حتى يدخنون فى جلبة أو يشربون فى وجوم !
 يحن إلى الرحاب و اختراق الحجب ، للقرب ممن يقرأ أشعارهم و رواياتهم و
 مقالاتهم و يشاهد أفلامهم و مسرحياتهم و مسلسلاتهم ، لكن هيهات ،
 تحبسه حداثة السن و انتفاء الحيثية و المكانة و ضيق ذات اليد ،
 تمر السنون ، الحلم فى خاطر ، لكن الفرصة تتمنع ،

شتاء ٢٠٢٣ ، وسط البلد / نهار داخلى :

رجل اربعينى قاهرى ، ربعة القوام وجيه المظهر ، يتباط ذراع امرأته ،
 يدلف بثقة من بوابة المقهى الشهير ، إلى عمق المطعم ،
 و بعد حين ، يتقدم إلى مكتب مدير المقهى ليعرف ذاته :
 أنا فلان الفلانى ، قاض و شاعر ، أحب مقهاكم و مفتون بتراثه العريق ،
 و أحلم بهذه الزيارة ، منذ ثلاثين عاما ،
 و أستأذن فى التقاط بعض الصور التذكارية ،
 يهب المدير واقفا فى دماثة ، ويقدم الإذن المطلوب فى ترحاب ،
 فيجول الضيف فى حبور ،
 بين المقهى و المطعم و حائط الخالدين و بوابة النعيم ...

سنة مؤكدة أم كاس و كل الناس شاربه ؟

ورد النبا السعيد , بخطبة إحدى بنات العائلة , فجمعتني و بناتي
جلسة مصارحة - فى غيبة سيدة الدار - و كان هذا الحوار ,

بابا : والله الواحد مش عارف يقول : بركة , ربنا يتم بخير ,
ولا : أحسن , تستاهل ,
بكرة لما تعرف جوزها , تفهم قيمة أبوها !

الصغيرة : م الآخر كدا , و من غير لف ودوران ,
المشروع دا , بونو و لا فاكس ؟

بابا : المشروع دا , مكس , كل حاجه والعكس ,
يعنى بختك يا بو بخيت !

الوسيطه : يا بابا يا مكار , فيه ستات , بيققوا وش السعد ,
الراجل يبقى فقير دقة , و بعد الجواز يبقى مليونير !

بابا : الست ممكن تخلى جوزها مليونير , فى حالة واحدة بس ,
لو كان قبل الجواز ملياردير !

الكبيرة : طيب يعنى الإنسان الذكى , راجل أو ست ,
ينجح ف الجواز إزاي ؟
بابا : لا ينجح و لا يسقط ,
الإنسان الذكى - راجل أو ست - ما بيتجوزش أساسا !

من قد ايه كنا هنا , من شهر فات , و لا سنه

مره واحد صاحبنا , سافر بره سبع سنين ,

و لما رجع كان فاكتر نفسه نوغه , و فاكتر البلد على قديمه ,

راح الأوبرا يحجز تذاكر حفله ,

و بيسأل الأمن : فين البوابة , اللي بتطلع على محطة المترو ؟

قالوله : لسه فاكتر , كان زمان ,

ركب المترو , لقي ناس بيقولوله : اتفضل اقعد يا عمو , ارتاح يا حاج !

رجع البيت , و قعد يبخلق ف المرايه و يعييييييط

اعتراف متأخر

جمعتنا على شط النيل في شم النسيم , جلسة عائلية ,
 ضمت أشخاصا عدة و أجيالا شتى ,
 و لعل لنسيم النيل و شمس إبريل و أنس التجمع - مع تأثير لا ينكر للفسيخ و
 السردين والرنجة و البصل والترمس - سحر , يفك عقدة الألسن ويفرج عن
 مكنون الصدور ,

و بين مرح هنا و لعب هناك تداعت ذكريات و انداحت أسرار ,
 و إذ يعرف أهلى أجمعون أنى لم أفلح يوما فى تعلم السباحة ,
 وددت أن أشاغب والداى الحاضرين فبادرت الشيخ :
 عندى اعتراف تاخر عشرات السنين ,
 هل تصدقنى لو أخبرتك أننى يوما ما , من بضع وثلاثين عاما برفقة أصدقاء ,
 عبرت هذا النهر مشيا على الأقدام , من ضفة لأخرى , ثقة بقسم أحدهم لى ,
 أنه مسئول عن قيادتى عبر النهر , بحيث لا يجاوز الماء خاصرتى فى أى حين
 و أن صديقى هذا بر بقسمه ,
 و فى طريق العودة , توقف بنا فى جزيرة فى منتصف المجرى ,
 كان السمك فيه وفيرا , حتى أننا قبضناه بأكفنا قبضا يسيرا ,
 ثم شويناه على الحطب , لننعم بغداء على جوع ,
 لا زالت حلاوته فى فمي , بعد كل تلك السنين
 تبسم الوالد مندهشا , و لم ينبث ببنت شفة ,

فعقبت أنا للحضور قائلا : مهما كان حظ أطفالكم من الهدوء و التعقل ,
 عليكم متابعتهم و ملاحظة نشاطاتهم دوريا , و تقصى أصدقائهم ومخالطيهم.

تاج الجوامع فى فسطاط ابن العاص

بعض الأحلام تتحقق فى غمضة عين , و البعض الآخر يستغرق عشرات السنين ,
و رحلة اليوم , من النوع الأخير , إذ دفعتنى زوجتى دفعا , لمرافقتها إلى سوق
الفسطاط , بمصر القديمة لتشبع هوايتها فى تسوق المصنوعات اليدوية التراثية ,
من حلى و منسوجات و أدوات منزلية و أخشاب و فخار

فإذا بى فى رحاب المسجد العتيق ,
مسجد الفتح تاج الجوامع , مسجد عمرو بن العاص ,
و كأنى فركت المصباح السحرى , و امتطيت آلة الزمن ,
لتعود بى القهقرى , نحو ألف و أربعمائة عام ,
يوم شيده ابن العاص فاتح مصر – 20 هـ & 641 م –
فى ولاية الفاروق عمر بن الخطاب ,

كان أول مسجد فى مصر و إفريقيا , بعدما عبر الفاتحون المسلمون البحر الأحمر ,
وبدأ المسجد محدود المساحة بسيط التكوين , يقع - مباشرة - على الضفة الشرقية
لنهر النيل , و تأسست حوله مدينة الفسطاط , أولى العواصم الإسلامية لمصر ,
و علاوة على كونه المسجد الجامع ,
كان كذلك مقرا للحكم و مدرسة شرعية وبيتا للمال ,

لاحقا , وسع حدوده و زاد مبانيه الواليان , مسلمة بن مخلد الأنصارى ثم عبد العزيز بن مروان , و إذ احترق المسجد ضمن حريق الفسطاط - 1168 م - بتدبير (شاور) وزير آخر الخلفاء الفاطميين , تحت ضغط الحملات الصليبية , قام صلاح الدين الأيوبي بترميمه و تجديده ,

دون وعى , انسلت من زوجتى , و أخذت - مبهورا - أدور حول السور , تركت خلفى , الكنيسة المعلقة , و يمت وجهى شطر المدخل الرئيسى للمسجد , اجتزت العقد العالى , فإذا بصحن مربع فسيح , تتوسطه قبة محمولة على ثمانية أعمدة من رخام , علمت أنها انتزعت من العمائر القديمة ,

الاسم الذى كان يطلق على آثار المصريين القدماء , من معابد و مسلات و نصب و تماثيل , و على محيط الصحن , توجد أربعة أروقة مسقوفة بالخشب , و هناك محرابان , بجانب كل منهما منبر خشبى ,

و كذلك للمسجد مأذنتان على الطراز العثمانى - أقلام رصاص - و إن كانتا قصيرتين نسبيا , و أثناء طوافى بالمسجد , ترددت فى مسامعى , أصداء خطب علماء كثر ارتقوا منبره ,

أشهرهم قديما , الإمام الشافعى و الليث بن سعد و العز بن عبد السلام , وفى العصر الحديث , الغزالى و عبدالصبور شاهين و محمد العريفى , على حين غرة , رن هاتفى بالحاح , فنزعتنى من سكرة الوجد ,

و إذا بزوجتى تستجوبنى : بحق السماء , أين اختفيت ؟

فشأغبته مستفسرا : هل هزك الشوق إلى , أم أمضك الحنين ؟

فنهرتنى واجمة : أى شوق و أى حنين !

أتممت جولتى , و أحتاجك كى تحمل الأكياس , و تسدد البائعين ,

فتمتت : لبيك مولاتي ,
و لملت السوانح و الخطرات , وسلمت على أرواح العترة المباركة ,
و قفلت عائدا إليها , راضيا مقرورا .

الفهرس

مقدمة	من 7 إلى 10
الفصل الأول (متون التأملات – كراكيب السندرة	11
[1] في البدء كانت الحرية	13
[2] المعراج	14
[3] فن الاستغناء	15
[4] نجوى	16
[5] نعمة الحجاب	17
[6] حملة العرش	18
[7] زمر السالكين	19
[8] كاريزما	20، 21
[9] البصمة	22
[10] الفطام	23
[11] فواتيح وخواتيم	24
[12] روعة الذاكرة	25
[13] رهان المصير	26
[14] استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان	27
[15] الجحيم هو الآخرون	28
[16] إبرة في كوم قش	29
[17] الزبيق	30

-
- [18] المتاهة النداهة 31
- [19] ميزان الذهب 32
- [20] لؤلؤ وأصداف 33
- [21] أبجدية كوز موبوليتان 34
- [22] دون كيشوت دي لا مانشا 35
- [23] قلبي يحدثني بأنك متلفي 36
- [24] البلسم والعلقم 37
- [25] اللوح والمسمار 38
- [26] هذا الوقت، سيمضي 39
- [27] شر البلية ما يضحك 40
- [28] سوناتا الغافل والطمعان 41
- [29] هي دي مصر يا عبلة 42
- [30] ماتريوشكا 43
- [31] ونس 44
- [32] القرد أصله إنسان 45
- [33] الشاي 46
- [34] باليرينا 47
- [35] أنف بن منخار بن أبي خشم 48 , 49
- [36] خيال المائة 50
- [37] النظام سر الكون 51
- [38] أنا مش كبير ملة، أنا صغير ننة 52

-
- [39] سوق على مهلك سوق..... 54 , 53
- [40] زميل يعني 55
- [41] الجسر..... 56
- [42] عدت يا يوم مولدي 57
- [43] إلف النعمة..... 58
- [44] أغاز الحواس..... 59
- [45] القناص والطريدة..... 60
- [46] أنا أنطونيو.. وأنطونيو أنا..... 61
- [47] آلة الزمن..... 62
- [48] أنوثة..... 63
- [49] الجوهر والمظهر..... 64
- [50] الصراط المستقيم..... 65
- [51] المحمية الطبيعية..... 66
- [52] أنا ونفسي وذاتي..... 67
- [53] المنظور، الساحر والمسحور..... 68
- [54] لف وارجع تأني..... 69
- [55] كرة الثلج..... 70
- [56] منطقة محظورة / مخزن كراكيب..... 71
- [57] بيضو إحباطيزم..... 72
- [58] كلام الناس.. لا يبقدم ولا يأخر..... 73
- [59] حشو ولا خلع..... 74

-
- [60] بئر التناقضات 76 , 75
- [61] إنتي جاية اشتغل إيه؟ 78 , 77
- [62] كنتي فين يا لأه، لما قلت آه 79
- [63] القدر والوعد والقسمة والنصيب 80
- [64] عد قدمًا، أو امض أدراجك 81
- [65] اللغز 82
- [66] نخع يهذي هبّاء، فهو رزيع 84 , 83
- [67] الجيتو / حارة اليهود 86 , 85
- [68] جدل بيزنطى 87
- [69] الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيان 88
- [70] رسالة وداع 90 , 89
- متون الانشاء 92 , 91
- [71] فاصل شحن 93
- [72] نفحة 94
- [73] نيرفانا 95
- [74] حلمك يا سي علام 97 , 96
- [75] غبار القهر 98
- [76] نبيين زين نبيين ونضرب الودع 99
- [77] مرايا الرواية 100
- [78] مكتوب غرام 102 , 101
- [79] اوشام على جدار الذاكرة 103

-
- [80] الواقعة 105 , 104
- [81] ساكنات العلية 107 , 106
- [82] نصيحة 109 , 108
- [83] جمعة مباركة او كسرياليون، بحسب الاحوال 110
- [84] المقامة الطقسية 112 , 111
- [85] بداية ونهاية 114 , 113
- [86] كوكب الظرف 116 , 115
- [87] الكار والمدار 118 , 117
- [88] نضارات 119
- [89] بلدي احببتك يا بلدي 121 , 120
- [90] سر الخلطة، ولو غار يتم الظروف 123 , 122
- [91] بأحب السيمة 124
- [92] فات الميعاد 126 , 125
- [93] من كثر خطابها بارت 127
- [94] بيضة الديك 129 , 128
- [95] قيراط بخت ولا فدان شطارة 132 , 131 , 130
- [96] دورى ما فاصو لا سي دو 134 , 133
- [97] سينما النجم 136 , 135
- [98] الدم يخلينا قرايب والحب يعملنا عيلة 138 , 137
- [99] العبقرية والجنون 141 , 140 , 139
- [100] الفنون، ضرب من الجنون ام مسطرة قانون 143 , 142

- [101] امض قيس..... 145 , 144
- [102] احضان الحبايب..... 146
- [103] العقد النظيم في ذم شبهات التفخيم..... 147
- [104] النوم يداعب عيون حبيبي..... 148
- [105] مفعّل فاعول فعالة..... 149
- [106] وعلم آدم الأسماء كلها 151 , 150
- [107] والغتاه..... 152
- [108] الدمع اصدق انباء من الكلم 154 , 153
- [109] توائم الكلام 155
- [110] الأسلوب، اللاعب الملعب.....ز..... 157 , 156
- [111] فن الخطبين طغراء السلاطين وطلاسم المغيبين..... 160 , 159 , 158
- [112] مانيفستو المجالات..... 162 , 161
- [113] الإنسان هو الاسلوب..... 163
- [114] سر الوجود..... 164
- [115] الاعتدال..... 165
- [116] فطافية السكر هانم..... 166
- [117] سكتكم بكتم..... 167
- [118] لوغاريتيمات حواء..... 168
- [119] جوز الست وحرم البيه..... 169
- [120] قوارير من فولاذ..... 170
- [121] الانسجام هدوء السر..... 171

- [122] النجم اللألاء في اعاجيب بنات حواء..... 172
- [123] كلك على بعضك حلو..... 174 , 173
- [124] الحب كله..... 175
- [125] عوووووووو..... 176
- [126] نزهة الحريف في المزاج والكيف..... 177
- [127] معضلة..... 179 , 178
- [128] الشهاب..... 181 , 180
- [129] مسرح الأحلام..... 182
- [130] فوبيا..... 184 , 183
- [131] جنة البنا..... 186 , 185
- [132] كذبة ابريل..... 188 , 187
- [133] مهن سيئة السمعة..... 190 , 189
- [134] الكوود والموود..... 192 , 191
- [135] الشهرة، هالة وعطر وخمر..... 194 , 193
- [136] يا دنيا يا غرامي..... 195
- [137] اجو كدا، فشرها كويش..... 196
- [138] احفوا الشوارب واعفوا اللحى..... 198 , 197
- [139] يونيفورميس..... 200 , 199
- [140] زي الناس..... 201
- [141] شبرامانيا..... 203 , 202
- [142] جوول..... 205 , 204

- [143] كرامات الظل ولعاناته 207 , 206
- [144] يارب كرمك علينا، يارب نصرك معانا 208
- [145] يامين يقول لي اهوى 209 , 210 , 211
- [146] واركب الحنطور واتحنطر 212
- [147] وعقدة الخواجة، لمت ما خلت وحتى في الطيور 213
- [148] الدين لله، والشات للجميع 214
- [149] ماما حلوة 215
- [150] جبر الخواطر 216 , 217
- الفصل الثالث: (متون السياسة) 218
- [151] الفصل بين السلطات 219
- [152] قصر الوالي 220
- [153] صناعة القادة 221
- [154] دهماء، ماء، ماء، ماء 222
- [155] الخيط الرفيع 223 , 224
- [156] انا الدولة، والدولة انا 225
- [157] قميص عثمان ومسمار جحا 226
- [158] كل شعب، ينال الحكومة التي يستحقها 227
- [159] اللهو الخفي 228
- [160] انا منكم وبكم 229
- [161] النور والنار 230
- [162] الكائن الراسبوتين 231

-
- [163] كذب مساوي ولا صدق منعكش 232 , 233
- [164] شرف الخصومة وخصومة الشرف 234
- [165] عيش الغراب 235
- [166] ايجيتومانيا & ايجيتوفوبيا 236
- [167] قوة السلسلة، من عزم أضعف حلقاتها 237
- [168] مناورة 238
- [169] الحوكمة 239
- [170] حق النقد، ومخاطبة السلطات العامة 240 , 241
- [171] الحقيقة المرة 242 , 243
- [172] اهل الحل والعقد 244 , 245
- [173] الديموقراطية، بين الخرافة والمؤامرة 246
- [174] الرجل الثاني، بين الاو مكرر والشماسرجي 247
- [175] البدايات والمالات 248 , 249
- [176] رابع المستحيلات 250 , 251 , 252
- [177] الخدمة العامة 253
- [178] عنق الزجاجة 254
- [179] بروباج ندا 255
- [180] لامبوزو، لاوى بوزو 256 , 257
- [181] قانون ساكسونيا 258
- [182] أليس لي ملك مصر 259 , 260
- [183] آفة حارتنا النكران 261

-
- [184] الحق فوق القوة، والأمة فوق الحكومة 262 , 263
- [185] سلسلة التآمر ومتواليه الخذلان 264
- [186] انى أري الملك صريعا 265
- [187] عزرائيل يتورط في السياسة 266
- [188] اولاد الكامب 267
- [189] حسبة بورما 268
- [190] اثر الفراشة 269 , 270
- [191] زمن الادب الجميل 272 , 273
- [192] الفرص الضائعة 274 , 275
- [193] صدفه 276 , 277
- [194] شرعية، شرعي، شرع، شر، ش، 279 , 280
- [195] نقطة الضعف 281 , 282 , 283 , 284
- [196] كل يغني على ليله 285 , 286
- [197] مصر للمصريين، والمتمصرين 287 , 288
- [198] عاشت الاسامي 289
- [199] عنبر العقلاء 290 , 291
- [200] اللعنة 292
- [201] لبيك قدساه 293
- [202] الفرعون النوبي والشاويش البدوي 294 , 295
- [203] الصندوق والدبابة 296
- [204] امريكا شيكا بيكا 297

- [205] نوبل، بين السراب وكذبة إبريل..... 298
- [206] وحش من قش..... 299
- [207] براجماتية..... 300
- [208] الالباء المؤسسون والطغاة المخربون..... 301 , 302
- [209] مسيح الزولو وأميرة القلوب..... 303 , 304
- [210] لص خمس نجوم..... 305
- [211] وقفوني علي الحدود، وقال بدن هويتي..... 306 , 307
- [212] فنان في الديوان..... 308 , 309
- [213] من الامام للشاويش للرافضين، يا قلبي لا تحزن..... 310
- [214] م الملالي للملالي، من حبك واللي جرا لي..... 311 , 312
- [215] التاريخ، بين المعبد والسيرك..... 313 , 314 , 315
- الفصل الرابع: (متون الذكريات) 316
- [216] صورته صورة صورته، كلنا كذا عايزين صورته..... 317 , 318
- [217] فسكوز..... 319
- [218] ببلاش إلا ربع..... 320
- [219] جواهر الماس في أغطية الرأس 321
- [220] مطلوب عروسة / عريس..... 322
- [221] يا خراشي ع المحاشي..... 323
- [222] اتو ستوب..... 324
- [223] فاستمعوا له وانصتوا، لعلمكم ترحمون..... 325
- [224] نعيماً..... 326 , 327

- [225] شاطر ومشطور، وبينهما فنكوش 329 , 328
- [226] العدس الليلة، الليلة، ليلة عيده يا رب تبارك، تبارك، وتزيده 330
- [227] حنة جزمة تعمل، تعمل ازمة، من غير لازمة 332 , 331
- [228] شفا وخمير يا عرقسوس 334 , 333
- [229] آه يا لموني ف هواك ظلموني 335
- [230] مصر هبة الفول 336
- [231] كتاب ابلة نظيرة 337
- [232] الكسيرات السعادة 339 , 338
- [233] نيل المآرب، في نشوء وارتقاء الجوارب 341 , 340
- [234] ألوو يا أمم 342
- [235] ضغط عالي 343
- [236] ظريف الإسكافي 344
- [237] جيران الهنا 345
- [238] تذكارات 347 , 346
- [239] سبع صنايع، بتتعي 348
- [240] دقي يا مزيكا، وعجوزه ومهندسين 350 , 349
- [241] طوائف الصناعات، بين الماضي والحاضر 352 , 351
- [242] حديث خرافة 354 , 353
- [243] لماذا -الي هذه الدرجة - تحب الصور يا ابي؟ 355
- [244] ازمة اللازمة 357 , 356
- [245] خطبة الجمعة 359 , 358

-
- [246] مشاوير وتمائيل..... 361 , 360
- [247] خنفسة الرايح..... 363 , 362
- [248] بلوك ع الفاييس بوك..... 365 , 364
- [249] مخطط خارجي & مقلم داخلي..... 366
- [250] الرائد لا يكذب أهله..... 367
- [251] غربله..... 369 , 368
- [252] المنخل والغربال، في صراع الاجيال..... 370
- [253] يا بيت ابويا معزتك ف عينيا..... 372 , 371
- [254] مهاجر والساحل وانصار الصعيد..... 374 , 373
- [255] ملاعب الصبا..... 376 , 375
- [256] خيط دخان..... 378 , 377
- [257] جواب آفاق يتصعلك..... 382 , 381 , 380 , 379
- [258] الخبيئة..... 383
- [259] مربع الانس والشجن..... 385 , 384
- [260] جدو محمد..... 387 , 386
- [261] طوبي للطيبين..... 389 , 388
- [262] افندينا شيخ مشايخ الطرق العائلية وبطيريك الكرازة العكاشية
- 391 , 390
- [263] الافعى والغلام..... 393 , 392
- [264] لن اعيش في جلباب امي..... 395 , 394
- [265] علي عليه..... 396

-
- [266] المجد لله في الأعالي وعلي الأرض السلام وبالناس المسرة.. 397 , 398
- [276] حارة سد..... 399 , 400
- [268] أربعة في مهمة رسمية..... 401 , 402
- [269] الحمار الزاجل..... 403 , 404
- [270] الساحرة الشريرة..... 405 , 406
- [271] كلمة، ونظرة عين..... 407
- [272] عقدة الخواجة..... 408
- [273] جينز..... 409 , 410
- [274] شبح قصر العيني..... 411 , 412 , 413
- [275] يا ابو الشريط الاحمر اللي، اسرتني، ارحم ذلي..... 414 , 415
- [276] شغلتك ع المدفع، برورروم..... 416
- [277] حدوتة وموال، من دفتر الأحوال..... 417
- [278] مخالي شل..... 418 , 419
- [279] اجري يا محمد افندي..... 420 , 421
- [280] الورد جميل، جميل الورد..... 422 , 423
- [281] سلافة البهروز، في النايل كروز..... 424 , 425 , 426
- [282] نغم الكمنجة، فيما جري في يومي الأول ببلاد الفرنجة..... 427 , 428
- [283] اغواء..... 429 , 430
- [284] ليالي الانس في فيشي..... 431 , 432 , 433
- [285] استاذ حمام..... 434
- [286] وليمة البمبوطي..... 435 , 436

- [287] أول أيام السفرية 438 , 437
- [288] زكريا الدريدي، مدرس رياضيات وفرنساوي، لحد ما يجيبوا مدرس
فرنساوي 440 , 439
- [289] هذه بتلك، وعلى الكاني تدور الدوائر 441
- [290] من جمعة الغضب الى جمعة الرحيل، شاهد عيان... 444 , 443 , 442
- [291] لا افراط ولا تفريط 446 , 445
- [292] تامبوكا 448 , 447
- [293] هسس فشش، هشش فسس 449
- [294] من راقب الميزان مات هما 450
- [295] قطط جدتي 452 , 451
- [296] كافية ريش 453
- [297] سنة مؤكدة، ام كأس وكل الناس شاربه؟ 454
- [298] من قد ايه كنا هنا، من شهر فات ولا سنة 455
- [299] اعتراف متأخر 456
- [300] تاج الجوامع في فسطاط ابن العاص 457
- [297] سنة مؤكدة ، ام كأس وكل الناس شاربه ؟ 454
- [298] من قد ايه كنا هنا ، من شهر فات ولا سنة 455
- [299] اعتراف متأخر 456
- [300] تاج الجوامع فى فسطاط ابن العاص 459 , 458 , 457